ديوان الوقف الشيعي
العتبة العسكرية المقدسة
مركز تراث سامراء

وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث

العتبة العسكرية المقدسة

في حاضرة الفكر والتراث

الجزء الثالث

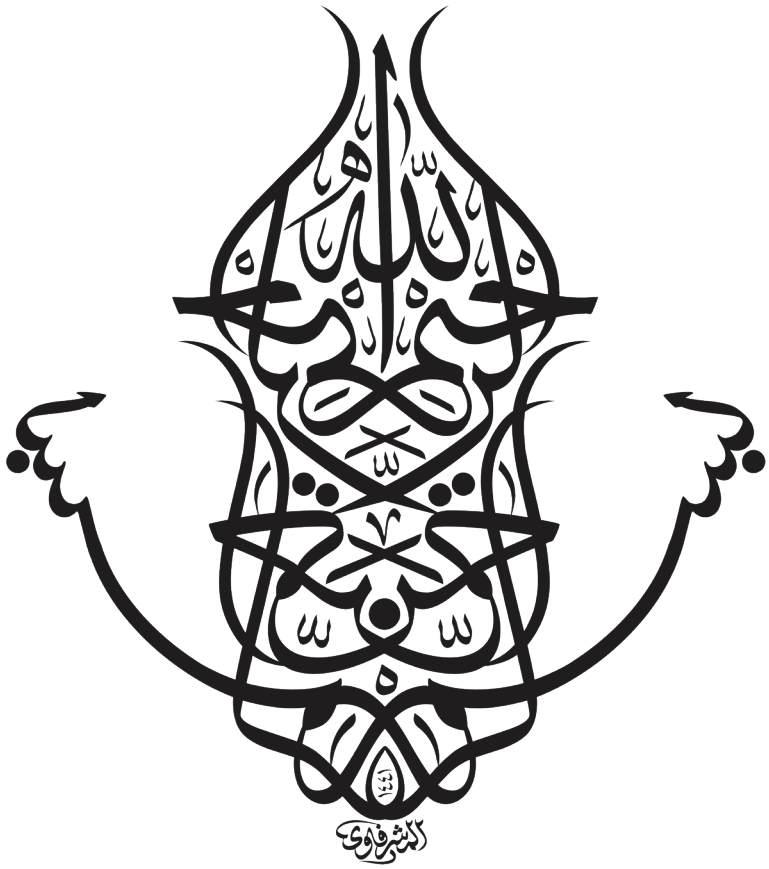
إشراف ومراجعة
مركز تراث سامراء

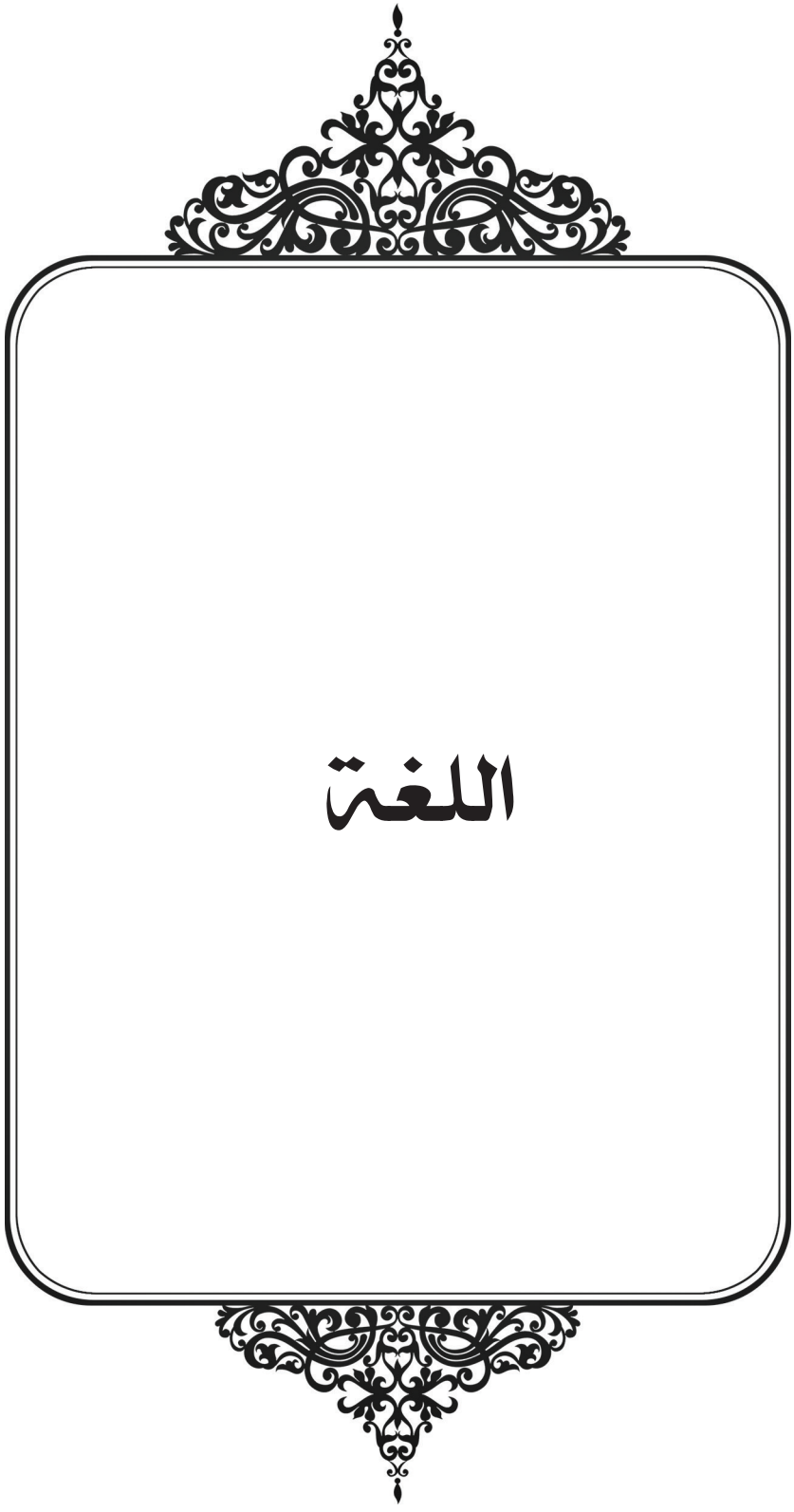
الكتاب: العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حاضرة الفكر والتراث (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث) / ج٣.
المؤلف: مجموعة باحثين.
الناشر: مركز تراث سامراء.
المطبعة: دجتال إيران – قم
الطبعة: الأُولى.
سنة الطباعة: ١٤٤٦ / ٢٠٢٥م.
رقم الإصدار: ٧٢.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٣١٦) لسنة ٢٠٢٥م.
ISBN: 978-9922-745-79-4

جميع الحقوق محفوظة لمركز تراث سامرّاء.

البحوث المنشورة في وقائع المؤتمر تعبر عن آراء الباحثين ولا تعبر عن رأي مركز تراث سامراء.

وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث الذي أقامه مركز تراث سامراء برعاية العتبة العسكرية المقدسة وبالتعاون مع جامعة الكوفة، كلية الفقه و(٢٤) جامعة عراقية.


بسم الله الرحمن الرحيم
الشرفاوي



اللغة

البحث الأول

وظائف السَّبك النَّصيّ في خطاب الزيارة الجامعة المرويّة عن الإمام علي الهادي عليه السلام

أ.د. مازن حسن الحسني

م.م. نور حيدر كاظم

جامعة واسط/ كلية التربية

الملخص:

يعنى هذا البحث بدراسة وأظهار موضوع السبك النصي ودلالته ، والمعنى اللغوي لمفهوم السبك النصي، حيث أتضح من خلال البحث أن السبك النصي من أكثر المصطلحات أستعمالاً عند النحويين والنقاد، كما تبين ان السبك لايقتصر على الجانب الدلالي و اللغوي في التراث العربي بل له اكثر من معنى ودلالة، وتكمن أهمية البحث بأن الالتصاق بين نصوص الزيارة الجامعة ومدى أهمية ذلك الالتصاق بالنصوص السبكية واللغوية في مضامين هذه الزيارة المقدسة في خطاب الإمام عليه السلام، كما سلط الضوء على توظيف جميع الخصائص السبكية في خطاب الإمام عليه السلام منها النحوي والاحالة والربط.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي الهادي عليه السلام، السبك النصي، الزيارة الجامعة، الربط الاضافي، الربط العكسي.

أ.د. مازن حسن الحسني
م.م. نور حيدر كاظم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام الذي بُعث رحمة للعالمين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد:

يهدف هذا البحث إلى المزاوجة بين القضايا اللسَّانية الحديثة والتُراث العربي الأصيل، لمحاولة الكشف عن آليات الترابط النَّصي التي أدت إلى التماسك الشكلي والدلالي لخطاب الإمام علي الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة وليس لإثبات نصية الزيارة من عدمها، فلا بد من البحث عن هذه الآليات كونها تكشف عن الأُطر الجمالية في النص، فضلاً عن الأبعاد الدلاليَّة التي تتمحور في بنيتها العميقة. وبيان الوحدة اللغَّوية الكبرى التي تكشف عن وسائل تماسكه، وتبحث عن محتواه الإبلاغي في عملية التواصل اللغوي التي أراد الإمام عليه السلام أنْ تكون وسيلة للتواصل بين الأئمة وشيعتهم.

ولعل البحث عن الأبنية اللغويَّة وكيفية تماسكها وتجاورها من حيث الوحدات اللسَّانية التي هي نمط من التحليل هي مرتكز الدراسة.

أمّا السَّبك النَّصي فيُعدّ أحد المعايير البارزة التي حدّدها (دي بوجراند)، وأكَّد عليها عُلماء النّص أيضاً، فهو يمتلك خاصية دلاليَّة في الخطاب، تعتمد على فهم كُلَّ جملة مكونة للنَّص؛ لأنّه يجعل الكلام مُفيداً، والعمل على استقرار النَّص وثباته، وعدم تشتت الدلالة الواردة فيه، وتنظيم المعلومات داخل النَّص. وهذا ما يُساعد القارئ على فهمه بوساطة خيوط الترابط المتحركة عبر النَّص التي تمكنه من ملئ الفجوات، أو المعلومات ما بين السطور التي لا تظهر في النَّص لكنّها ضرورية.

وقد لمسنا في خطاب الإمام علي الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة نسجاً في ألفاظه وعباراته، وهذا النسج تحقق بوساطة علائقية الجمل بعضها مع بعضها الآخر، وهذا

ما جعل الخطاب متماسكاً.

ويمكن القول: إنَّ اختيار الزيارة الجامعة ميداناً لتطبيق وتحليل النص؛ لكونها تمثل نصاً في غاية الفصاحة يتطلب الكشف عن أسرارها وتعابيرها التي تميز بها الإمام المعصوم دون غيره من الناس. أمّا المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو منهج تحليلي؛ وذلك بإحصاء الأدوات التي أسهمت في سبك النص، ثم تحليل نماذج منتقاه منها، فضلاً عن السعي في المقابلة بين المفاهيم النَّصية في النظريّة اللغويَّة العربية وبين ما مرَّ في لسانيات النَّص.

وقد اقتضت طبيعة البحث في مقدمةٍ، وتمهيدٍ مُقسّم إلى قسمين: القسم الأول (السَّبك لغة واصطلاحاً)، والقسم الثاني: (مضامين الزيارة الجامعة وشهرتها). وتبعهما مطلبين جاء المطلب الأول بعنوان: (الإحالة في الزيارة الجامعة) وأنواعها، التي تُعد إحدى وظائف السّبك النَّصيَّ ولمّا لها أثر فَعال في اتَّساق النَّص من حيث سَّبك العبارات وترابط المعلومات دون إهدارها. والتي تتفرع إلى إحالة قبلية، وبعدية، بوصفهما الوحدات النحوية التي تؤدي وظيفة بارزة في سبك النَّص، أمّا المطلب الثاني فهو: (الربط بالأداة) التي يرتكز عليها الخطاب، فحروف العطف هي الوسيلة التي يترابط بها السابق مع اللاحق بشكل منظم. ومن خلال هذه الموضوعات نستعرض أبرز نتائج بحثنا، مع إبراز مدى أهمية هذه الوظائف التي يترابط بها الكلام.

التمهيد

السّبك لُغةً واصطلاحاً:

السّبك في اللغة: يحمل السّبك في المعجم دلالة جمع الأجزاء المتعددة، والعمل على تأليف هذهِ الأَجزاء؛ حتى تصبح شيئاً واحداً متماسكاً، حيث ورد في معجم اللسان: "سّبَك الذّهب والفضة ونحوهِ مِنْ الذّائب يسبُكهُ سَبْكاً وسّبَّكه ذوبه وأفرغه في قالب"(١)، وطرحه الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين أنهّا عبارة عن عملية إذابة الذهب أو الفضة، ووضعها في قالب من حديد، حتى تخرج متماسكة متلاصقة، وتسمى حينئذ سبيكة(٢).

وقد اختار المصطلح للدلالة على الكلام من باب المجاز، قال الزمخشري: "ومن المجاز هذا كلام لا يثبت على السّبك، وهو سّباك للكلام"(٣).

أُدرج هذا المصطلح عند البلاغين العرب عن طريق تقديسهم لفني الأدب سواء كان نثراً أم شعراً، ومن بين أُدباء البلاغة الذين تطرّقوا لمصطلح السّبك أبو عثمان بن عمر الجاحظ، وقد أورد في كتابه البيان والتبين، إذ قال: "وأجود أنواع الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه قد أُفرغ إفراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدّهان"(٤). وقد ذكره أُسامة بن منقذ في كتابه البديع في نقد الشّعر، من طريق باب السّبك إذ قال: (السّبك أنّ تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره... فخير الكلام المحبوك

(١) ينظر: الفراهيدي، العين، مادة (سبك)، ج ٥، ص ٣١٧.

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة، ج ١، ص ٤٣٥.

(٣) الجاحظ، البيان والتبين، ج١، ص٦٧.

(٤) أبو المظفر، البديع في نقد الشعر، ص١٣٦.

المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض)[١].

السّبك اصطلاحاً:

إنّ المعنى اللغوي لمفهوم السّبك لا يتفق مع علماء علم النص إلّا على سبيل المجاز، فكأنّ مفردات النص وفقراته مرتبطة مع بعضها، فالسّبك، ذلك التّرابط الحاصل بين التراكيب والعناصر اللغويّة المختلفة لنظام اللغّة[٢]، حيث تتآزر التراكيب والعناصر لتشكل وحدة متألفة متسقة بما تؤديه مختلف الروابط من دور في تلاحم الجمل بعضها مع البعض الآخر؛ لأنّ اجتماع العناصر بالأُصول، والعنصر اللغوية والكلمة، والجمل اجتماعاً عاديّاً بالمفاهيم التي يتعلق بعضها ببعض في أنظمة متماسكة هو نفسه حقيقة اللغّة[٣]. ويُعدّ مصطلح السّبك من المصطلحات الأكثر استعمالاً عند النحويين والنقاد والبلاغيين والمعاصرين الدارسّين في علم اللغّة النّصي، فقد ذكره إبراهيم الخليل في كتابه في اللسّانيات ونحو النصّ أنّ هارفج أول من حاول ١٩٦٨محاولة جادة لوصف التنظيم الذّاتي الدّاخلي للنصوص عن طريق الحديث عن بعض العلاقات التي تسودها، مثل علاقة الإحالة والاستبدال مشيراً إلى التكرار والحذف والترادف والعطف والتّفريغ والترتيب وذكر النتيجة بعد السّبب والجزء بعد الكل أو العكس، وهذا كلّه ممّا يقع في دائرة التّرابط والاتساق الدّاخلي للنّصّ[٤]. وأمّا في علم اللغّة فأخذ حيزاً واسعاً في المفاهيم، لتحديد الوسائل التي تجعل النّصّ متماسكاً، بوصفه عنصراً منجزاً للكلام التواصلي، فـ" النّصّ ليس مجرد تتابع مجموعة من الجمل؛ وإنّما هو وحدة لغوية نوعية مِيزتها الأساسية الترابط"[٥]. وقد رأى فان

(١) ينظر: نبيل هارون، البرهان في إعجاز القرآن، ص ٤٢٩.

(٢) ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٤.

(٣) خليل، إبراهيم محمود، في اللسانيات ونحو النص، ص ٥٤.

(٤) الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص ٥٩.

(٥) خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ١٢٤.

دايك أنّ السّبك "لن يكون موجوداً في النّص إلّا إذا توفرت الآليات التي تجمع النّص عموماً والتي يقسمها إلى مجموعتين، أحدها مجموعة الرّوابط المنطقية، وبعضها من طبيعة التركيب اللغّوي"(١). لّذا عّد السّبك إحدى معايير التماسك النّصي عند دي بوجراند كونه يُمثل الترابط والتلاحم في البنية السطحية للنّصّ إذ هو "الكيفية التي يتم بها ربط العناصر اللغّوية على مستوى البنية السطحية بحيث يؤدي السابق منها إلى اللاحق"(٢)، فهو يُعدّ شرطاً أساسياً في تحقق النّصية فـ "مبدئيّاً تشكل كلّ متتالية من الجمل كما يذهب هاليداي ورقية حسن نصّاً شريطة أنّ تكون بين هذه الجمل علامات"(٣)، فهو يمتلك خاصية دلالية نحوية في الخطاب، تنشأ عن طريق أدوات الربط التي تظهر بشكل مباشر في النّصّ كحروف العطف وأسماء الإشارة وغيرها(٤). والتي لها أثر كبير في إحداث التلاحم بين الجمل على المستوى السطحي والعميق، فتجعل النّصّ متماسكاً مترابطاً بأجزائه، وقال أحمد عفيفي معرفاً السّبك "بأنّه معيار يهتم بظاهرة النّصّ ودراسة الوسائل التي تحقق خاصية الاستقرار اللفظي"(٥). فهو يولّد استمرارية في النّصّ بوساطة الوسائل التي توضح كلّ جملة وفهمها وكيفية ترابطها مع الجمل الأُخرى، وعرّف د. تمام حسان السبك قائلاً: "السّبك إحكام علاقات الأجزاء ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة وقرينة الربط من جهة أُخرى، واستصحاب الرتب النحوية إلّا حين تدعو دواعي الاختيار الأُسلوبي، ورعاية الاختصاص، والافتقار في تركيب الجمل "(٦). ونجدّ الباحثين

(١) دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣.
(٢) مصلوح، سعد، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، ص١٥٤.
(٣) ينظر: خليل، إبراهيم محمود، في اللسانيات ونحو النص، ص ٢١٩.
(٤) عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص٩٠.
(٥) حسّان، تمام، مقالات في اللغة والأدب، ج٢، ص٢٥٦.
(٦) ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص٥.

العرب اختلفوا في إطلاق تسمية السّبك، فقد ترجمه بعضهم إلى الاتساق[١]، والتماسك[٢]، والتضام[٣]، والترابط[٤].

ولقد بيّن محمد خطابي بأنّ: "الاتساق أو السّبك لا يقتصر على الجانب الدّلاليّ وإنّما يتم على مستويات أُخرى كالنحو والمعجم حيث تُنقل المعاني من النظام الدّلاليّ إلى مفردات في النظام النّحويّ والمعجميّ ثم إلى أُصوات أو كتابة في النّظام الصّوتي والمكتوب[٥].

ويمكن القول بأنّ السّبك من المصطلحات الأكثر وضوحاً في الدلالة في التُّراث العربيّ، وثباتاً في الدراسات النّصية، فضلاً على أنّه الأكثر شيوعاً من بين المصطلحات الأُخرى.

ثانياً: مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة وشهرتها

تُعد الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام علي عليه السلام واحدة من أهم الزيارات، وهي تمثل موسوعة معرفية متكاملة، تحتوي عل المعارف الإلهية العالية، والحقائق عن أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم ومنازلهم عند الله عزّ وجلّ في حقيقة حاجة الخلق إليهم ووجوب طاعتهم واتباعهم، فهي من أعظم الزيارات شأناً وأعلاها مكانةً ومكاناً، فضلاً عن فصاحة ألفاظها وفقراتها، وبلاغة مضامينها وعباراتها، فإنها تصدر من عين صافية نبعت من (ينابيع الوحي) والإلهام[٦]، وهي من أهم الزيارات التي رويت

(١) ينظر: الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج ١، ص٩٣.

(٢) ينظر: الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم لغة النص، ص ١١.

(٣) ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص٢٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٧٥.

(٥) ينظر: الأنوار الجامعة في شرح الزيارة الجامعة، ص ٣، القمي، مفاتيح الجنان، ص٦٢٤.

(٦) ينظر: الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة، ص ٧.

عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، والتي تمثلت في خلاصة عقائد أهل البيت عليهم السلام، وبيان منزلتهم العظيمة عند الله عزّ وجلّ[١]، فهم " **محالّ معرفة الله، ومساكن بركة الله، ومعادن حكمة الله، وحفظة سر الله، وحملة كتاب الله، وأوصياء نبي الله، وذرية رسول الله** صلى الله عليه وآله"[٢]. "فهذه العبارات العظيمة الشريفة في الزيارة الجامعة هي فوق كلام سائر المخلوقين، ودون كلام الخالق، لا يدرك كنهها عقلُ، ولا يحسها قلبُ، كما نوه أئمة أهل البيت عليهم السلام في الأخبار الصحيحة على ذلك "[٣].

سميت بالزيارة الجامعة الكبيرة؛ لعدم اختصاصها بزيارة أحد من الأئمة، ولمّا انطوت عليها من مضامين ومعارف، فهي تامة شاملة (كافة) الصفات الجامعة التي لا تخص بعضها دون بعض، أي: يُزار بها جميع أئمة أهل البيت عليهم السلام[٤]. فضلًا عن طلب الراوي من الإمام أنّ يعلمه قولاً بليغاً إذا زار أحد الأئمة يزورهم جميعاً.

تدل الزيارة الجامعة على علو مضامينها من حيث جزالة اللفظ والمعنى والتركيب، وهذا دليل على قوة مضمونها، وأنّها من أعالي متون الزيارات[٥]. إذ ذكر العلامة المجلسي: (إنّما هي أرقى الزيارات الجامعة متناً وسنداً، وهي أفصحها وأبلغها)[٦]. ويقول المولى محمد تقي المجلسي في شرح الفقيه: (والزيارة الجامعة لأمير المؤمنين ولباقي الأئمة عليهم السلام كثيرة كثرة، أحسنها الزيارة الجامعة)[٧].

---

(١) القمي، مفاتيح الجنان، ص ٦١٩.

(٢) الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص ٧-٨.

(٣) القمي، مفاتيح الجنان، ص ٦١٨.

(٤) ينظر: الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة، ص ٤٣، القمي، مفاتيح الجنان، ص ٦٢٦.

(٥) روضة المتقين، ج ٥، ص ٤٢٤.

(٦) الميلاني، آية الله السيد علي الحسيني، مع الأئمة الهداة، ص ١١.

(٧) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٩، ص١٤.

ويقول العلامة عبد الله شبر: "اعلم أنّ هذه الزيارة قد رواها جملة من أساطين الدين، وحملة علوم الأئمة الطاهرين، وقد اشتهرت بين الشيعة الأبرار اشتهار الشمس في رابعة النهار، وجواهر مبانيها، وأنوار معانيها، دلائل حق، وشواهد صدق على صدورها عن صدور حملة العلوم الربّانية، وأرباب الأسرار الفرقانية، المخلوقين من الأنوار الأهلية، فهي كسائر كلامهم الذي يعنى فصاحة مضمونة وبلاغة مشحونة عن ملاحظة سند، كنهج البلاغة والصحيفة السجادية، وأكثر الدعوات والمناجاة"[١]، فالزيارة هي ارتباط روحي مع الأئمة المعصومين والإعراض عن غيرهم هو المنهج الذي أكد عليه الرسول محمد صلى الله عليه وآله ويجب اتباعه والمرسل والمبلغ من عند الله عزّ وجلّ، وعندما تُقرأ هذه الزيارة وبروح عالية يتضح ذلك هذا المعنى.

أمّا استشهاد العلماء بها في كتب التفسير، نذكر نماذج منهم:

"في عيون الأخبار في الزيارة الجامعة للائمة المعصومين عليهم السلام: السلام على الدعاة الله... وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون "[٢].

ويقول في موضع آخر: "خلقكم الله أنواراً وجعلكم بعرشه محدقين"[٣].

وفي من لا يحضره الفقيه في الزيارة الجامعة.... " وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم"[٤].

الغرض من الزيارة الجامعة هو "التوجّه إلى الرسول وآل بيته عليهم السلام والحضور في ساحاتهم المقدّسة حضوراً قلبيّاً، والإقرار لهم بالسير على نهجهم والتزام خطّهم، والعدول والإعراض عن سبل ومناهج غيرهم"، وهذا المعنى الجلي ورد ذكره في

(١) الحويزي، تفسير الثقلين، ج ٣، ص ٤٢١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٢١.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥، ص٥٦٩.

(٤) الخوئي، السيد أبوالقاسم مصباح الفقاهة، ج ١، ص ٥٠٤.

كتب الزيارات كقول الزائر مخاطباً الله عزّ وجلّ قائلاً " اللّهم إنك أكرم مقصود، وأكرم مأتيّ، وقد أتيتك متقرباً إليك بابن بنت نبيك"(١).

يجدر بنا ذكر إنّ السر من التأكيد على هذه الزيارة إنّها تنمي في نفس الزائر سلوكية الانقطاع عن غير الأئمة، وتحدد هذه السلوكية بتكرار الزيارة؛ ليصل الزائر إلى درجة لا يلهيه أيّ مال ولا يشغله أيّ جاه ولا تخفيه أيّ قوة مهما بلغت، والدليل في تكرارها والمداومة عليها والحضور عند النبي والأئمة المعصومين عليهم السلام تجعل الزائر في حالة الانقطاع إلى المولى المعصوم، والانقطاع عن غيره، والتفرد روحياً مع الإمام المعصوم يجعله في حالة من الطمأنينة والهدوء والابتعاد عن غيره(٢).

المطلب الأول: وظائف السَّبك النحويّ في خطاب الزيارة الجامعة

أوّلاً: الإحالة

تُعد الإحالة من أبرز عناصر التماسك النصيّ التي تُسهم في ربط أجزاء النص بعضها مع بعض والنسج بين وحداته " فهي عنصر مهم من العناصر الاتساقية التي تسهم بشكل فعال في بناء النص من حيث سبك العبارات لفظيّاً وترابط المعلومات دون إهدارها "(٣)، وقد أشار إليها (دي بوجراند) بأنّـها " العلاقات بين العبارات والأشياء والأحداث في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما "(٤). فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنّص وكلماته، وهذا ما أكد عليه هاليداي ورقية حسن في تركيزهما على الترابط اللفظي والملحوظ(٥)، "فالعناصر المحيلة كيفما كان

(١) شبر، السيد عبد الله، الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة، ص٧.

(٢) ينظر: عفيفي، أحمد، الإحالة في نحو النص، ص ٧.

(٣) دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص ٢٣٠.

(٤) ينظر: عفيفي، أحمد، الإحالة في نحو النص، ص ٧.

(٥) خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ١٦-١٧.

نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفر في كلّ لغة طبيعية عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي بحسب الباحثين: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة"[١]. في حين رأى (جون لاينز) أنّ "العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة، فالأسماء تحيل إلى المسميات"[٢]، فهذه العلاقة عملية مترابطة بين اسم يذكر ثم يتكرر ذكره في مكان آخر دون إعادة الاسم، وإنّما يحيل إليه بإحدى هذه الأدوات، فالإحالة علاقة دلالية تكمن في عملية استرجاع المعنى الإحالي الموجود في الخطاب مرة أُخرى، فيحدث التماسك بين العبارات عبر استمرارية المعنى[٣]، وهذا يؤدي إلى حدوث شبكة من العلاقات بين العناصر المحيلة في النّص التي تقوم بربط الوقائع بعضها ببعض[٤]، وبما أنّ امتلاك الإحالة خاصية دلالية تجعلها لا تخضع لقيود نحوية، وإنّما تخضع لقيد دلالي هو وجوب التطابق الأصل في الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه[٥]. وبهذا فقد عدَّ علماء علم النص الإحالة بأنّـها الوسيلة التي يمكن أنّ تجعل النص نسقاً معيناً، وذلك باستعمال منشىء النص وسائل الربط اللفظي، وجعلها تحت مجموعة من المصطلحات، منها مصطلح الإحالة الذي ظهر عند هاليداي ورقية حسن وهو الإحالة، ومصطلح الصيغ الكنائية الذي قدّمه دي بوجراند، والذي عدَّ مصطلحاً عاماً يندرج تحت الصيغ إضمار الفعل، فضلاً عن الترجمات الأُخرى لهذا المصطلح منها: الإرجاع والمرجعية نسبة إلى المرجع، ولكن الإحالة هي الترجمة الأكثر

(١) عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص ١١٦.

(٢) ينظر: بحيري، سعيد حسن، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص٦٤.

(٣) ينظر: عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص ١١٧.

(٤) ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ١٧.

(٥) عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص١١٦.

شيوعاً[١].

وللإحالة وظيفة مهمة بارزة في سبك أجزاء النَّصّ؛ " لأنّ الرَّبط الإحاليّ يمد جسور الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في النَّصّ؛ إذ تقوم شبكة من العلاقات الإحاليَّة بين العناصر المتباعدة في فضاء النَّصّ، فتجمع واحد من تلك الأجزاء عناصره متناغمة"[٢]. وتنقسم الإحالة إلى نوعين أساسيَّين: الإحالة المقامية، والإحالة النصية، وتتفرع الإحالة الثانية إلى نوعين: الإحالة القبلية، والإحالة البعديَّة، "ويذهب هاليداي ورقيَّة حسن إلى أنَّ الإحالة المقاميَّة تسهم في خلق النَّص؛ لكونها تربط اللُّغة بسياق المقام، إلاَّ أنَّها لا تسهم في اتِّساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النَّصيَّة بدور فعَّال في اتِّساق النَّصَّ "[٣].

أنواع الإحالة النصية؛ هي:

١- إحالة إلى سابق أو الإحالة بالعودة، وتسمى قبلية، وهي تعود على عنصر سبق التَّلفُّظ به في الخطاب، وهي أكثر أنواع الإحالة شيوعاً في الكلام.

٢- إحالة إلى لاحق، وتسمى بعديَّة وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها[٤].

فالإحالة تجعل الكلام مترابطاً في النَّص، يتم الانتقال فيها من حلقة إلى أُخرى والتحول من عنصر إلى آخر؛ وذلك عن طريق العلاقة بين العنصر المحيل والعنصر المحيل عليه " تلك العلاقة التي سمحت بالتَّحول والتَّغيُّر، كما أنّ اللَّفظ المحيل يحمل

(١) بحيري، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص ٩٨.

(٢) خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ١٧.

(٣) ينظر: عفيفي، أحمد، نحو النص، اتجاه جديد في الدَّرس النَّحوي، ص ١١٧، التحليل اللّغوي للنص، ص٤٦-٤٧.

(٤) عفيفي، أحمد، الإحالة في نحو النص، ص ١١.

معنى ما يشير إليه، فهو تغيّر من حيث الجهة كالعودة إلى الوراء، أو الانتقال إلى الأمام من خلال علاقة قائمة بين الأسماء والمسميَّات، أو بين اللَّفظ وما يحيل عليه، فإرجاع اللَّفظ إلى ما يشير إليه إنّما هو تغيَّر في الجهة ونقل المتلقي بعقله إلى مكان آخر داخل النَّص أو خارجه "[١]، وهذا التَّماسك يتمثل بالإحالة القبلية والبعديَّة كونهما متفقتان من حيث الطبيعة وتختلف من حيث الإجراء[٢]، وهنا تكمن الإحالة النصَّيَّة؛ وذلك لأنّها تحيلنا إلى ملفوظ آخر داخل النّصّ ومن ثم هي تعدّ مساهمة فعليَّة حقيقية في اتّساق النَّص، فوجودها يجعل النّص بعيداً عن التشتت، فهي رابط يقّوي أواصر العناصر المتباعدة؛ وذلك لأنّها تحيلنا إلى ملفوظ آخر داخل النّصّ ومن ثم هي تعدّ مساهمة فعليّة حقيقية في اتّساق النَّص، فوجودها يجعل النّص بعيداً عن التشتت، فهي رابط يقّوي أواصر العناصر المتباعدة، إذ هي بمثابة صدىً لوجه، لا يُفهم هذا الوجه إلّا بالعودة إلى مصدر الصدى[٣].

(**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**،)، بدأ خطاب الإمام علي الهادي عليه السلام بتكرير لفظة السلام والتحية بقوله (**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ**) المحيل إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام بالضمير المستتر والمتصل (الكاف) لجمع المخاطب، أي: السلام عليكم أنتم يا أهل البيت، والمحال إليهم إحالة داخلية بعدية تعود على العنصر الإشاري المتكرر في النص بلفظ (**السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى، السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى الله**)، فالخطاب موجه للأنبياء والأوصياء بالتحية والسلام عليهم؛ لأنّ من شرف الحضور عند الإمام المعصوم إظهار آداب الاحترام بالتحية والسلام، فالسلام اسم من أسماء الله الحسنى وأسماء الجنة، دار السلام[٤]، إذ ورد ذكره في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**هُوَ اللهُ**

(١) ينظر: الشاوش، محمد، أُصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية، ج ٢، ص١٢١٣.

(٢) ينظر: محمود بوستة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص٦٣.

(٣) سورة الحشر، الآية ٢٢.

(٤) ينظر: الميلاني، آية الله السيد علي الحسيني، مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة، ص ٥٧.

الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ...﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**وَاللهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾**[٢]؛ وذلك لأنّ السلامة الحقيقية نجدها في الجنة، إذ فيها البقاء بلا فناء، والصحة بلا سقم، والغنى بلا فقر[٣]. وقيل دار السلام؛ لأنّ سكانها سالمون من كلّ آفة، أي: أنتم في سلامة منّا لم تصل إليكم الآفات، فلا بد من التسليم الكلي منه تعالى إلى خلقه إنّما هو عليكم لا على غيركم[٤]، فالإحالة بالضمير وظيفة من وظائف الترابط النَّصي؛ لأنّ "الربط المكون المتصدر في للجملة إحالياً ضميراً داخل الجملة، فيربط "المبتدأ "والمكون" المحور "في البنيات التي تشتمل على ضمير داخل الجمل"[٥]. وقد أُضيف إلى هذا الضمير الإحالي أُسلوب النداء، فأحالا معاً إحالة مقامية ونصية (إحالة مشتركة)؛ أمّا مقاميّاً فقد أحالا على عناصر إشارية خارج النص **بقوله: (يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ)**، أمّا ياء النداء التي ينادى بها للقريب والبعيد محالة على أهل بيت النبوة وهم الأئمة المعصومون من سلالة النبي؛ والنداء بطبيعة الحال يوجه الدعوة للمخاطب، وينبهه، ويستمع لما يريده المتكلم[٦]، وقد أفاد في نص الزيارة الجامعة بإحالته إلى نص سابق أوضحه سياق المقام الحالي ولذلك عدت إحالة خارجية؛ لأنّها تشير إلى خطاب بين طرفين الطرف الأول الذي يتمثل بالمخاطب أهل بيت النبوة وهم الأئمة المعصومون من سلالة النبي صلى الله عليه وآله، وهو بيت علي وأهل هذا البيت هم أبناء علي عليه السلام، أعني: الأئمة الأحد عشر وفاطمة الزهراء عليهم السلام فهم بيت الرفعة

(١) سورة يونس، الآية ٢٥.

(٢) ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٢٣٩، ابن عاشور، محمد الطاهر التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ١٤٥.

(٣) ينظر: الكربلائي، الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، ج ١، ص ٣٩٠.

(٤) ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص ٥٩٢.

(٥) ينظر: حسن، عباس، النحو الوافي، ص ١١٨.

(٦) ينظر: الكربلائي، الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، ج ١، ص ٤٠١.

والشأن العظيم والرسالة والفتوة والحسب الشريف[١]، والبيت هو محل الاستقرار والسكون، أي: استقرار العلم والتقوى بدليل جعل بيت الله محلاً للعبادة[٢]، إذ قال تعالى: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمَناً**﴾[٣]، والمراد بأنّ الكعبة محلًا لتوجه الناس في عبادة الله ومعرفته والتضرع إليه في هذا المكان[٤]، وأهل البيت هم موضع معرفة الله، وبواسطتهم يعرف ويعبد، ومن قصدهم قصد الله، ومن توجه إليهم فقد توجه إلى الله[٥]. وفي إحالة العناصر أصبح ربط بأداة العطف الواو التي أفادت الجمع بين ما يتصف به أهل البيت لتمثل أنموذجاً لتطويل التركيب ولتوكيد صفات أهل البيت، وهم مهبط الوحي، أي: كلّ ما تلقيه إلى شخص غيرك فهو وحي[٦]، إذ قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً... بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**﴾[٧]، ويدل هذا بكلّ وضوح على "ارتباط الملائكة بهم ومجيؤهم إليهم وإعلامهم بحقائق الدين وأسرار الشريعة والعلوم والمعارف الإلهية وبغيرها من الأُمور"[٨]. وهم معدن الرحمة، فوجدهم رحمة؛ لأنّهم أصل الرحمة الإلهية، فهذه الصفات كلّها رحمة من الله[٩]، فالتطويل الحاصل في الخطاب أدى إلى سبك النص وترابطه. وسارت الإحالات

(١) ينظر: الفيومي، المصباح المنير، ص ٦٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٧.

(٣) ينظر: الميلاني، آية الله السيد علي الحسيني، مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج١، ص ٦٠.

(٤) ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ٢٣، الكوفي، الغارات، ج ١، ص١١٩.

(٥) ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٤، ص ٣٩٩.

(٦) سورة الشورى، الآية ٥١.

(٧) الميلاني، آية الله السيد علي الحسيني، مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة، ج١، ص٨١.

(٨) ينظر: المصدر نفسه، ص ٨٣.

(٩) سورة السجدة، الآية٢٤.

في الخطاب عن طريق الإحالة إلى منتج النص الإمام علي الهادي عليه السلام بضمير المتكلم (أنتم) في قوله: (**عَلَيْكُمْ**)، ثم الإحالة على متلقي النص وهم الأئمة المعصومين عليهم السلام في المنادى وهم (**بَيْتِ النُّبُوَّةِ**)، وتوسعت الإحالة الخارجية بالإحالة على أئمة الهدى وهم أئمة الحق في قول الإمام (**السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى**) والمشار إليها في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾[١]، أي: جعل من أئمة بني إسرائيل أئمة يهدون الناس بأمرنا ونصّبناهم أئمة هداة للناس[٢]، فالوحدة الإحالية بالضمير المستتر لا تحيل على عنصر إشاري داخلها، وإنّما تحيل على عنصر إشاري في عموم الخطاب وخارجه، فالإحالة مشتركة؛ لأنّ الضمير المستتر والمتصل يحيل على الأئمة المعصومين، وهذا العنصر الإشاري مذكور في أغلب الزيارات بتوجيه السلام والتحية لهم، وهذا دليل على توجيه السلام والتحية لهم في أكثر من مقطع في الزيارة؛ وذلك في قوله: (**السَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ الله- السَّلامُ عَلَى الدُّعاةِ إِلَى الله- السَّلامُ عَلَى الأَئِمَّةِ الدُّعاةِ، وَالْقادَةِ الْهُداةِ**)، وهذا التكرار والتركيز على منتج النص الإمام علي الهادي عليه السلام بالإحالات المقامية في الخطاب؛ لأنّه الشخص المحال، أمّا المحال إليه هم عامة الناس المعبر عنهم بالمَحال؛ فأهل البيت عليهم السلام هم حلقة الوصل بين الله (عزّ وجلّ) وبين عامة الناس، وهذه الإحالات أدت إلى سبكّ النص وترابطه.

ويتحقق السّبك كذلك عن طريق الإحالة الداخلية القبلية بتكرار الجملة وتطويلها في قوله: (**وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ- وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَةِ- وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ- وَخُزّانَ الْعِلْمِ**)، فالإمام علي الهادي عليه السلام يصف الأئمة المعصومين بأنّهم موضع الرسالة المحمدية ومحلها، وهم أهل البيت الذين طهرهم الله من السوء، إذ قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[٣]، ونبي الله صلى الله عليه وآله

(١) ينظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٦، ص ٢٦٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٣) السيوطي، الدر المنثور، ج ٦، ص ٦٠٦.

يقول: "نحن أهل بيت طهرهم الله، من شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم "[١]، فالإحالة هنا إحالة داخلية تعود على عنصر سبق التلفظ به؛ وذلك بتكرار صفات أهل البيت وامتدادها إلى نهاية الخطاب، فهذا الامتداد الحاصل في الجملة يُعد " عملية ذات أبعاد لغوية تتصل بثقافة المتكلم اللغوية وقدرته وتحكمه في التراكيب، كما تتصل بعمليات نفسية وشعورية، ولذلك يختلف طول الجملة من متكلم إلى آخر ومن كاتب إلى كاتب"[٢]، فالتطويل جاء عن طريق العطف وتكراره في وصف أهل البيت في خطاب الزيارة بأنّهم موضع الرسالة ومختلف نزول الملائكة، وهم مهبط الوحي ومعدن الرحمة، فهذه الصفات كالوحي والقدرة والوجود جاءت لبيان حقيقة الذات الإلهية، كما ورد في قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الإنْسِ والجِنِّ يُوحِي بَعْضُهم إلى بَعْضٍ**﴾[٣]، وقوله: ﴿**كَتَبَ رَبُّكم عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾[٤]، فإنّ جميع هذه الصفات كلّها لله وحده لا شريك له، فوجودهم رحمة، وكلّما وصل للناس من الرحمة الإلهية فإنّما هي بواسطتهم، والأئمة بلحاظ أصل خلقتهم هم معدن رحمة الله، وما أعطاهم من العلم خزنة لرحمة الله[٥]. ويمكن القول إنّ هذه الإطالة في الجملة أدت إلى إحالة الكلام إلى سابق في الخطاب، وهذا أدى إلى سبك العبارات وتلاحمها.

ومنه أيضاً قول الإمام عليه السلام: ﴿**وَالْمُسْتَقِرّينَ فى أَمْرِ الله، وَالتّامّينَ فى مَحَبَّةِ الله، وَالْمُخْلِصينَ فـى تَوْحيدِ الله، وَالْمُظْهِرينَ لأَمْرِ الله وَنَهْيِهِ، وَعِبادِهِ الْمُكْرَمينَ الَّذينَ لَا**

(١) نظرية لاينز، جون، تشومسكي اللغوية، ص ٢١٨ – ٢٢٠.

(٢) سورة الشورى، الآية ٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٥٤.

(٤) ينظر: الكربلائي، الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، ص ٤٥٦.

(٥) الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص ١٦٧.

يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[١]، في النص إحالة داخلية بعدية بالضمير المستتر (هم) العائد على العنصر الإشاري المذكور في النص واللاحق عليه وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهم المستقرون الثابتون في أمر الإمامة والخلافة، وهم أطوع الناس لله تعالى، والثابتون على طاعته[٢]، إذ ورد قوله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾[٣]، أي: الثابتون في خلافة الله والمصطفون لولاية أمره، والثبات على دين الله الذي ارتضى لعباده بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة[٤]، كما ورد في قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾، ونجد أيضاً الإحالة بالضمير المتصل الهاء في (نهيه- عباده- بأمره) العائد للذات الإلهية، والأئمة هم الواسطة بين الله ورسوله والأُمّة الإسلامية في الأحكام الإلهية، في الحلال والحرام، والأوامر والنواهي التي يتم التعرّف عليها عن طريق الأئمة وهم المظهرون لأمر الله[٥]، فإحالة كلام الإمام عليه السلام بالضمائر أسهمت في ترابط النص وسبك أجزاءه، والدليل على ذلك القول أغلب خطاب الإمام يحيل بالضمير المتصل الهاء العائد على الذات الإلهية في قوله عليه السلام: (نوره – برهانه – سره – وحيه – كرمه – ذكره – فرائضه)، فالضمير الهاء أحال إحالة قبلية وبعدية، أي: أحال إلى عنصر سابق ولاحق ذُكر في النص وأُحيل إليه بالضمير؛ لأنّ الإحالة تمتلك علاقة دلالية تشير إلى عودة المعنى الإحالي في النص مرة أُخرى، وبهذا

(١) الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص١٦٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٢٧.

(٣) ينظر: الطائي، نجاح، تفسير أهل البيت عليهم السلام، ج ٧، ص٣٨٢.

(٤) ينظر: الميلاني، آية الله السيد علي الحسيني، مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة، ج١، ص٢٣١.

(٥) ينظر: شبل، محمد عزة، علم لغة النَّص النَّظرية والتطبيق، ص١١٩.

يتحقق التماسك النصي عبر استمرارية المعنى[١]. ونذكر نموذجاً آخر للإحالة القبلية في قوله عليه السلام: (**أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلائِكَتُهُ**)[٢]، فالضمير المتصل الهاء في الكلمات (وحده – نفسه – ملائكته) يحيل إلى لفظ سابق، أي الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[٣]، أي: أنّ الله سبحانه وتعالى " بدأ بنفسه وثنى بملائكته وبأولى العلم الذين هم قُرناء ملائكته وسيدهم: محمد صلى الله عليه وآله وثانيهم: علي عليه السلام، وإنّ الله لا يقبل من أحد عملاً إلّا بهذا الاعتقاد ولا يغفر له ذنباً ولا يقبل له حسنة ولا يرفع له درجة إلّا به "[٤]، وإنّ هذه الإحالة وحدَّت أجزاء النصَّ، وجعلته نصّاً مترابطاً بعضه ببعض بصورة سهلة وواضحة بعيدة عن الغموض والتَّعقيد، والإمام علي عليه السلام في قوله عليه السلام: (أشهد أنّ لا إله إلّا الله) بشهادته بنفسه في قوله: ﴿شَهِدَ اللهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلائِكَتُهُ﴾ المشار إليه أمراً بديهياً لنفسه تعالى، فالإمام يذكر بأنّ الله لا يرى غير نفسه شيئاً ابداً صقع ذاته المقدسة[٥]، وإن إحالة الضمير الهاء في الخطاب إحالة يُحيل أيضاً إحالة بعدية في قوله: (لا إله إلّا هو العزيز الحكيم) لبيان ما شهد الله لنفسه والملائكة وأُولو العلم باللفظ المشار إليه في الذكر الحكيم، فالشهادة هنا ليست للتكرير ولا بداعي التوصيف، بل هي شهادة منحازة عمّا قبلها، حيث أنّ السابقة كانت تبعية من عند نفسه[٦]، يتضح من ذلك أنّ دليل الإحالة في خطاب المعصوم قبلية هو إحالته إلى عنصر لاحق في الخطاب، بأنّ ما

(١) الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص ٢٢٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨.

(٣) تفسير الإمام العسكري، ص ٦٢٤.

(٤) ينظر: الكربلائي، الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، ج٣، ص ١٣٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص١٣٨ –١٣٩.

(٦) الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص٢٥.

شهد الله لنفسه وشهد له ملائكته وأُولوا العلم هو قوله تعالى: ﴿**لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.

ومن الإحالات الداخلية الأُخرى في خطاب الإمام علي الهادي عليه السلام في قوله: (**وَدَعَوْتُمْ إِلى سَبيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَبَذَلْتُمْ اَنْفُسَكُمْ فى مَرْضاتِهِ، وَصَبَرْتُمْ عَلى ما أَصابَكُمْ فى جَنْبِهِ، وَأَقَمْتُمُ الصَّلاةَ، وَآتَيْتُمُ الزَّكاةَ، وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجاهَدْتُمْ فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ حَتّى أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ، وَبَيَّنْتُمْ فَرائِضَهُ، وَأَقَمْتُمْ حُدُودَهُ، وَنَشَرْتُمْ شَرايِعَ أَحْكامِهِ، وَسَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ، وَصِرْتُمْ فى ذلِكَ مِنْهُ إِلَى الرِّضا، وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضاءَ، وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضى**)[1]، نجد الكلمات (دعوتم – بذلتم – صبرتم – أقمتم – نهيتم – جاهدتم – أعلنتم – بينتم – نشرتم – سننتم – صرتم – سلمتم – صدقتم)، تُحيل إحالة داخلية قبلية تعود إلى عنصر إشاري سبق التلفظ به في الخطاب، وأُحيل إليه عن طريق الإشارة إليهم بالضمائر المتصلة (تُم – كُم) الدالة على الأئمة المعصومون عليهم السلام، فظاهر الخطاب هو بيان مكانة أهل البيت عليهم السلام عند الله تعالى، واتباع ولايتهم وعدم تركها[2]، وعن الإمام الصادق عليه السلام "الذكر القرآن وأهله آل محمد"[3]، والإمام علي الهادي عليه السلام يُظهر لنا حقيقة مظلومية أهل البيت عليهم السلام وتثبيت مكانتهم ومنزلتهم، وتوبيخ من أنكر حقهم، ونجدً في النَّص أيضاً إحالة داخلية بعدية بالضمير المتصل الهاء (في سبيله – في مرضاته – فيجنبه) العائد على الذات الإلهية، فهذا التتابع في الإحالات أدى إلى تماسك النّص عن طريق الإحالة القبليَّة والبعدية " والإحالة البعديَّة تتَّفق مع الإحالة القبلية من حيث الطَّبيعة وتختلف من حيث صورة الإجراء، فالظَّاهرتان تقومان على صورة خاصَّة من الإحالة غير المباشرة بالنسبة إلى ضرب خاص من العناصر اللَّغويَّة تتمثَّل في قصور العنصر

(١) نظر: الكربلائي، الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، ج٣، ص ٣١٥.

(٢) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢١١.

(٣) الشاوش، محمد، أُصول تحليل الخطاب في النظرية النَّحويَّة العربيَّة، ج٢، ص ١٢١٣.

عن الإحالة بمفرده على مرجعه أو خارجه، ولا يتم ذلك إلّا بالاتّكاء على عنصر آخر يعضده في القيام بهذا الدَّور، لكنَّ الإحالة القبلية تقوم على تقدم العنصر المتكأ عليه، أمّا الإحالة البعدية فإنَّها بخلاف ذلك تقوم على تأخر ذلك العنصر"[١]، والمُلاحظ تحقق الإحالة النصية في خطاب الإمام علي عليه السلام بإحالته إلى ملفوظات داخل النَّص.

ونجد في الخطاب إحالة داخلية باسم الإشارة في قوله: (**أشهد أنّ هذا سابق لكم فيما مضى**)[٢]، إنّ العنصر المحال إليه في الخطاب بقوله عليه السلام (هذا) يحتمل بأنّ يكون هذا إشارة إلى ما تقدم من وجوب متابعتهم في قوله عليه السلام (**مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْواهُ**)، أو الإشارة إلى جميع الأوصاف التي حملتها الزيارة من أولها أو إلى من قوله: (**وَأَشْهَدُ أَنَّكُمُ الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ**)[٣]، فالإحالة هنا إمّا أنّ تكون إحالة قبلية تعود إلى عنصر سابق هو الإشارة إلى جميع أوصاف الأئمة المعصومين عليهم السلام وثبوتها فيما مضى من الأزمنة السابقة وما بقى منهم، أو إحالة بعدية لقرب المرجع الأول ومناسبته مع الإشارة إلى القريب وهو الإشارة إلى وجوب متابعة الأئمة وعدم مخالفتهم في كلّ زمان من دون اختصاص، والمُلاحَظ في هذا النَّص أنّ الإحالة باسم الإشارة هذا اختزلت كثيراً من الألفاظ واختصرها في كلمة واحدة.

ومن قوله عليه السلام أيضاً: (**وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ**)[٤]، أُحيل الإمام عليه السلام إحالة قبلية إلى سابق؛ وذلك بتفويض الأمر إليهم وعدم الاعتراض عليهم، كما ورد قوله تعالى: (**وأُفوض أمري إلى الله**)[٥]، وكذلك في الدعاء: (فوضت أمري إليك)[٦]،

(١) الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص٤٣٢.

(٢) ينظر: الكربلائي، الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، ج ٤، ص ٢٣٥.

(٣) الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص ٥٢٦.

(٤) سورة غافر، الآية ٤٤.

(٥) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٦٥.

(٦) ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٨، ص١٢١، النيسابوري، روضة الواعظين، ج٢،

أي: المفوض أمره إلى الله في راحة العيش الدائم مفوضاً إليه كلّ هم، فإنّ الله بصير بعباده[١]، وأحال اسم الإشارة (ذلك) إلى السر والعلانية، أو إرجاعه إلى قوله عليه السلام: "ومقدمكم أمام حوائجي وإرادتي في كلّ أحوالي و أُموري"، لأنّهم عليهم السلام الوسيلة إلى الله تعالى، فالتوسل إلى الله بهم عليهم السلام، وتفويض الأمر إليهم[٢]، والله تعالى فوض الأمر إلى نبيه صلى الله عليه وآله أمر دينه، فقال: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[٣]، وفي (كلّه) إحالة نصية على الأئمة المعصومين عليهم السلام في شبه الجملة (إليكم)، فهذه الإحالات أدت إلى سبك النَّص وترابط أجزاءه.

ومن الإحالات الأُخرى التي نجدها في خطاب الإمام عليه السلام المقارنة، والتي تتمُّ بألفاظ المقارنة منها قوله: (**وَأَشْهَدُ أَنَّكُمُ الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمُكَرَّمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ الْمُصْطَفَوْنَ الْمُطِيعُونَ**)[٤]، فجاءت أسماء التفضيل (الراشدون – المهديون – المصطفون – المكرمون – المتقون – الصادقون) للإحالة على الأئمة المعصومين، و(الراشدون) الذين يرشدون إلى الدين الحقّ المبين، والأئمة عليهم السلام هم الراشدون المهديون، و(المعصومون) الممتنع عن جميع المحارم، وأهل البيت عليهم السلام هم المعصومون من الذنوب والكبائر، وهم المكرمون الذين كرمهم الله تعالى ذاتاً وصفة، وهم المقربون عند الله[٥]، والأئمة عليهم السلام من آل محمد".... أولياء الله المقربون، وأمره بين الكاف والنون"[٦]، فكان هذا الخطاب من أجمل الخطابات، فذكر أسماء

ص٤٥٠.

(١) ينظر: الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص٥٦٢ – ٥٦٣.

(٢) سورة الحشر، الآية ٧.

(٣) الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص٢٣٢

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٤٤.

(٥) مقدمة في مرآة الأنوار، ص٥٠.

(٦) الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص٢٥٤.

التفضيل وبيان صفات الأنبياء أسهمت في خلق التناغم والتَّناسق في النَّص؛ وذلك بإحالته على الأئمة المعصومين، ومثل هذه الإحالة وردت في قوله عليه السلام: (**الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ وَارْتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ وَاخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ وَاجْتَبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ وَأَعَزَّكُمْ بِهُدَاهُ وَخَصَّكُمْ بِبُرْهَانِهِ وَانْتَجَبَكُمْ لِنُورِهِ وَأَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ**)[1]، فالأئمة المعصومون نالوا كلّ فضيلة، وأنعم الله عليهم بكلّ الكرامات من العلم والإمامة والشرف والحكمة ووجوب طاعة الناس لهم في الدنيا والآخرة.

ومن الإحالة المقارنة في قوله عليه السلام: (**فَبَلَغَ اللهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِينَ وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ**)[2]، أي: جعلكم الله أفضل مراتبهم، وأعلى منازل الأنبياء المقربين، ومنزلتهم عند الله من منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذه الأحوال تلازم أفضلية أهل البيت عليهم السلام على الأنبياء كتفضل خاتم الأنبياء[3]، ونظير ما جاء في قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ**﴾[4]، ففسر الأنفس بأمير المؤمنين عليه السلام أفضل منهم[5]، فأسماء التفضيل (أشرف وأعلى وأرفع) أحالت إحالة داخلية قبلية تعود إلى عنصر سبق التلفظ به وهم أهل البيت عليهم السلام، وجعلهم في مكانة عليا وفضلهم حتى على الأنبياء، والدليل التام على أفضليتهم عند الله عزّ وجلّ، قول رسول الله صلى الله عليه وآله لابي ذر الغفاري: (يا جندب من أراد أنّ ينظر إلى أدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلته، فلينظر إلى هذا الرجل المقابل الذي هو كالشمس والقمر الساري، والكوكب الدرّي، أشجع الناس قلباً، وأسخى الناس كفاً، فعلى

(١) الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص ٤٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦١.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٤) ينظر: المشهدي، كنز الدقائق، ج ٣، ص ١٢١.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٩، ص٣٨.

مبغضه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فالتفت الناس ينظرون من هذا المقبل فإذا هو علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام)[١]، والملاحظ ظهور السّبك عن طريق مقارنة أهل البيت بغيرهم "إنّ وجوه المقارنة في النصوص السابقة هي أقرب إلى السّمات الدَّلالية منها إلى المبهمات أو العناصر الإحاليَّة"[٢]، فهي توضح العبارات ممّا يؤدي إلى فهم النَّصّ.

والملاحظ في خطاب الزيارة الجامعة إحالة بالظرف والتي عدها النصيون إحدى وسائل الإحالة[٣]، ومن أمثلتها ما جاء به الإمام عليه السلام إذ قال: (**فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لاَ مَعَ عَدُوِّكُمْ آمَنْتُ بِكُمْ وَتَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوَّلَكُمْ وَبَرِئْتُ إِلَى الله عزّ وجلّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشَّيَاطِينِ وَحِزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ الْجَاحِدِينَ لِحَقِّكُمْ وَالْمَارِقِينَ مِنْ وَلَايَتِكُمْ وَالْغَاصِبِينَ لِإِرْثِكُمْ الشَّاكِّينَ فِيكُمْ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ**)[٤]، أي: معكم في القلب واللسان، فجعلني الله معكم في الدنيا والآخرة، فالإشارة الزمانية تكمن في معرفة الإمام الحجة ووجوده، فعن النبي محمد صلى الله عليه وآله قال: "من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية"، فمن لم يعرفه في هذا الزمان مات على الكفر[٥]، فأحال عليه السلام إحالة داخلية في قوله: (توليت آخركم)، فلفظة آخر وحدات زمانية ترتبط بزمن المتكلم، أي: "إشارة إلى أنّي أمنت بوجود المهدي عجل الله فرجه الشريف وببقائه، وأنّه حي إلى أنّ يخرج، طالت الأزمنة أو قصرت، فملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً"[٦]،

(١) الشاوش، محمد، أُصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية، ج ١، ص ١٣٠.

(٢) بحيري، سعيد حسن، أساسيات علم لغة النص، ص ٢٥٠، تحليل الخطاب، ص ٢٣٥، نسيج النص، ص ١١٢.

(٣) الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص ٥٣٨.

(٤) الكربلائي، الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، ج ٥، ص ٥٦.

(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص ٥٧.

(٦) ينظر: الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص ٥٣٨.

فالإيمان بالأئمة يكون من أولهم إلى آخرهم، لا كلّ واحد منهم عليه السلام آخر، كما يكون بالنسبة لسابقه[١]، ويلاحظ إنّ الوظيفة الإشارية في النص تحققت عن طريق توجيه المتكلم وتلقي السامع له[٢]، وهذا أدى إلى فهم النّص وجعله متماسكاً.

الربط:

يعد الربط من أهم وسائل السبك النحوي وجزء أساسي من مكوناته؛ لأنّه يربط اجزاء الكلام ببعضها ويكون بذلك نصاً متلاحماً دلالياً، ويختلف الربط عن ادوات السبك الاخرى فهو لا يتمثل بعلائقية إحالة عنصر إلى آخر فتلك الأدوات تحفظ بقاء مساحات المعلومات لكن الربط يتمثل في العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء في تلك المساحات[٣]، وقد أولاه البلاغيون والنحويون عناية بالغة لأهميته الكبيرة فالربط" عبارة عن وسائل متنوعة تسمح بالإشارة إلى مجموعة المتواليات السطحية بعضها ببعض"[٤].

فالربط لغة قيل: "ربط الشيء يربطه ربطاً...شده، فهو مربوط وربيط، والرباط ما ربط به، والجمع (ربطُ)[٥].

والربط اصطلاحاً هو:" ظاهرة تركيبية تنشأ بين مجموعة من الكلمات بوسائل معينة، إمّا ملفوظة أو ملحوظة، تتضافر مع قرائن لفظية أُخرى لأداء المعنى الوظيفي للتركيب ولتحقق الغاية من اللغة وهي فهم المعنى وإفهامه، كما يمكن القول: بأنّه قرينة تقوم على الاتصال المتبادل بين المترابطين، ويمكن القول: بأنّ الربط هو أحكام

(١) ينظر: بحيري، سعيد حسن، أساسيات علم لغة النص، ص ١٣٤.

(٢) ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص٥٤.

(٣) ينظر: دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص٣٤٦.

(٤) عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص ١٢٨.

(٥) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج ١، ص٨٦١.

توظيف اللفظ لخدمة المعنى"[١]

قيل هو:" تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم، ومعنى هذا إنّ النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطية ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة بين أجزاء النص"[٢]، وهذه العناصر ملفوظة غالباً قيل:" تظهر الروابط الأدواتية بين الجمل أكثر وضوحاً؛ لأنّها المصدر الوحيد لخاصية النص ففي مثل هذه التصريحات يبدو أنّها يتحدثان عن وحدات لغوية ظاهرة في سطح الكلام لا عن علاقات معنوية ضمنية"[٣].

وأطلق عليه بوهوميل باليك الربط النحوي قال:" ويطلق على تبعية جمل نص ما بعضها لبعض يعبر عنها بوسائل النظام اللغوي وتجعل في إمكان مستخدم اللغة أن يعرف من الشكل اللغوي وحده أنّ الامر يتعلق بنص مترابط"[٤].

وابرز من تناول هذه الظاهرة الإمام عبد القاهر الجرجاني، إذ خصه بنظرية مستقلة هي نظرية التعليق أو النظم، وذكر فيها حديثاً بالغ الأهمية حول ظاهرة الربط، أن اقام كثيراً من اللسانيين الوصفيين دراساتهم للغة عليها[٥]

إذ قال عبد القاهر الجرجاني:" هذا فن من القول خاص دقيق، اعلم ان ممّا يقل نظر الناس فيه من أمر العطف أنّه قد يؤتى بالجملة فلا تعطف جملة أو جملتان، فأمر العطف إذن موضوع على أنّك تعطف تارة جملة على جملة، وتعمد أُخرى إلى جملتين أو

(١) حسان، تمام، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص ٢٠٥.

(٢) خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٣.

(٣) براون، ويول، تحليل الخطاب، ص ٢٣٤.

(٤) بحيري، سعيد حسن، لغة النص نحو آفاق جديدة، ص ٢١٢.

(٥) خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٣١.

جمل فتعطف على بعض ثم تعطف مجموع هذا على مجموع تلك"[1].

وقد اختلف الربط عن الادوات الأُخرى في أنّه" لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو ما سيلحق كما هو شأن الإحالة والاستبدال والحذف"[2]، ووظيفته هي" أنّ وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة"[3]، والربط عن طريق الأدوات معروف عند القدماء ومنه حديثهم عن حروف الجر والحروف العاطفة وأدوات النصب والشرط والاستثناء وغيرها، وللربط صور شتّى فقد يكون الربط لفظياً وقد يكون معنوياً أو سياقيّاً كما يكون مفرداً ويكون جملة وهو قرينة لا تكاد تخلو منه أية لغة من اللغات، بل يعد الوسيلة الأهم للتماسك في النص أو بين الجمل المتوالية لذا يجب أن يوجد في الجمل روابط إمّا لفظية أو معنوية لتصبح الجمل مفيدة ويتحقق المعنى النحوي والدلالي لها وتعددت أنواعه عند النصيين بتعدد وسائله فقسمه هاليداي وحسن إلى:[4]

- الربط الإضافي: جاءت صورة هذا الربط عن طريق وسائله الواو، الفاء، أو وكلّها من الحروف التي تشرك التابع مع المتبوع لفظاً ومعنى فتقوم بـ" الدور العظيم في ترابط المعطوف بالمعطوف عليه على سبيل الموافقة في الحكم إثباتاً أو نفياً أو المخالفة فيه"[5]، وفائدتها أنهّا تحقق الاتساع والاقتصاد في آن واحد.

- الربط العكسي: قيل فيه أنّه الاستدراك " على سبيل السلب صورتين

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٤.

(٤) ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٢-٢٤.

(٥) حماسة، محمد، بناء الجملة العربية، ص١٥٦-١٥٧.

من صور المعلومات بينهما علاقة التعارض"[١]، ومن ذلك قول ابن هشام" تكون للاستدراك والإضراب كقولك: فلان لا يدخل الجنة لسوء صنيعه على أنّه لا ييأس من رحمة الله تعالى[٢].

– الربط السببي: يمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر ويشمل علاقات خاصة كالنتيجة والسبب والشرط، فيكون فيه علاقة السبب والنتيجة وأيضاً علاقة الشرط وما يشبهه[٣].

–الربط الزمني: يجسد العلاقة بين أُطروحتي جملتين متتابعتين زمنيّاً، فهذا الربط لديه أدوات خاصة به وأبسطها على ما ذكر، فإنّ الأداة هنا لم تذكر ولا يشترط ذكرها فالاستغناء عن ذكر الرابطة والاستنتاج بواسطة العلاقات غير الملحوظة هي صلاحية تميز اللغات الطبيعية عنها في لغة المنطق كما ذكر ذلك روبرت دي بوجراند[٤].

فكلّ لغة من لغات العالم اهتمامها الأول والأخير هو المعنى لذا يعنى المتحدثون بأركان التعبير وكيفية الترابط بين أجزائه فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو ما يعرف بصلة المبنى بالمعنى وأدوات الربط توجد علاقة بين الجمل في أيّ تركيب ويتوقف معنى الجمل على عناصرها المكونة لها[٥].

ومن أمثلة الربط في خطاب الزيارة الجامعة قوله عليه السلام: (**مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ وَمَنْ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ وَمَنْ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ وَمَنْ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ الْجَحِيمِ**)، إنّ الإمام علي الهادي عليه السلام يُخاطب العقلاء من عامة الناس،

(١) دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص ٣٤٧.

(٢) ابن هشام، مغني اللبيب، ج ١، ص١٦٦.

(٣) ينظر: حسّان، تمام، مقالات في اللغة والأدب، ج١، ص١٧٨.

(٤) ينظر: دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص٣٥١.

(٥) ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٨.

وإرشادهم وتنبيهم على حقيقة الأُمور المبهمة عندهم، فيُلحظ ورود جمل مترابطة؛ وذلك بعطف الجمل بعضها على بعض بالواو، فجاءت الجملة الأُولى من أجل الترغيب في (**مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ**) على حين جاءت الجملة الثانية (**مَنْ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ الْجَحِيمِ**) في مقام الترهيب، فضلاً عن التخويف والتقرير في قوله: (فالنار مثواه – من جحدكم كافر، ومن حاربكم مشرك)، فالجحود هو الإنكار بالآيات، والجحود أحد أقسام الكفر[١]، وقد قال تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ**﴾[٢]، فالاستيقان أبلغ من الايقان، فهذه الخطابات مترابطة بعضها مع بعض بأداة الربط (مَنْ) الواردة في خطاب الإمام عليه السلام، فهي لم تحدد شخصاً بذاته، ولم تُفرد صفات وخصائص، بل عمّت الجميع، ولم تعوّل على شخص، فلولا وجود الأدوات الرابطة لم يتشكل هذا المعنى، وكذلك في جملتي (ومن حاربكم مشرك) و(ومن رد عليكم في أسفل درك من الجحيم)، جاءت (مَن) رابطة بين الجمل المكوَّنة للنَّص وشد أجزاء الخطاب وإحداث التناسق بين المعنى والمبنى.

وكذلك جاء الربط بالأداة (لو) الواردة في قوله عليه السلام: "**اللهُمَّ إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شُفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيَارِ الْأَئِمَّةِ الْأَبْرَارِ لَجَعَلْتُهُمْ شُفَعَائِي**"[٣]، الخطاب هنا موجه للائمة من جانب، والتوسل بالله عزّ وجلّ من جانب آخر؛ وذلك بنداء الله عزّ وجلّ لا غيره، فاتخاذ أهل البيت شفعاء للناس وبهذه الصفات هم الأقرب لله عزّ وجلّ ولم يوجد أحد بمكانتهم، وأفادت أداة الربط (لو) معنى الامتناع، أي لا يوجد أحد من العالمين أفضل منهم عليهم السلام ولا أقرب منهم لله عزّ وجلّ،

(١) ينظر: الكربلائي، الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، ص ٢٢١

(٢) سورة النمل الآية ١٤

(٣) الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص ٦٥٩.

لا ملك مرسل ولا نبي مقرب، لذلك أقربهم عليهم السلام في طلبتي وقضاء حوائجي[١]، والإمام علي عليه السلام قيدهم بهذا التقييد، ونلمس من هذا الكلام تعريضاً بمن يتخذون شفعاء غيرهم، وهم لا يشفع لهم أحد غيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾[٣]، معضداً ذلك التعريض ذكر الأوصاف والصفات التي تؤيد شفاعتهم في النص: الأخيار – الأبرار – الأئمة)، فالربط الحاصل بالأداة (لو) جعل المعنى ملائماً فظهرت غاية الدَّقَّة في سبك النَّص.

ومن الأمثلة ايضاً قوله عليه السلام: (**عصمكم الله من الزلل وأمنكم من الفتن وطهركم من الدنس وأذهب عنكم الرجس أهل البيت وطهركم تطهيراً، فعظمتم جلاله، وأكبرتم شأنه، ومجدتم كرمه، وأدمتم ذكره، ووكدتم ميثاقه... وصدقتم من رسله من مضى، فالراغب رعنكم مارق، واللازم لكم لاحق، والمقصر في حقكم زاهق**)[٤]، للفاء وظيفة أُسلوبية تتجاوز وظيفتها التي تقوم فيها بدور الرَّابط بين المفردات والجمل، فهي ليست عاطفة فقط وإنّما رابطة (غير عاطفة) بحسب الأُسلوب الذي تنساق معه، فالفاء في قوله: (فالراغب) تفريغ ونتيجة لما سبق، " أي: بعد ما ثبت أنّكم الأئمة الراشدون المهديون المعصومون، والراغب عنكم، أي: المعرض عنكم مارق، أي: خارج عن دين الله، ومن أعرض عن أهل البيت عليهم السلام كان ضالاً عن شريعتهم، وداخلاً في حزب الشيطان، ومعدوداً من الكافرين"[٥]، ولولا وجود الفاء لكان النص جملاً لا علاقة بينهما.

---

(١) ينظر: الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص ٦٥٩.

(٢) سورة طه، الآية ١٠٩.

(٣) سورة المدثر، الآية ٤٨.

(٤) الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة، ص ٣٥٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٥٧.

ويُلحظ في خطاب الإمام علي الهادي عليه السلام تكرر أدوات الربط ممّا جعلت النص مترابطاً، ويعمد المتكلم في هذا التكرار الحاصل في النص إلى توجيه الخطاب بالجمل لا بالألفاظ المنسّقة التركيب، وتلاحق الأفكار يكون بتلاحق التراكيب لغرض إيصال القصد للسامع، ففي قوله عليه السلام: (**مَنْ وَالاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللهَ وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللهَ وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَ وَمَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِاللهِ**" وكذلك قوله عليه السلام: "**سَعِدَ مَنْ وَالاكُمْ وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ وَخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ وَضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ وَفَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ وَهُدِيَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ وَمَنْ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ وَمَنْ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ وَمَنْ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ الْجَحِيمِ**)[1]. فتكرار الجمل في كلام الإمام علي الهادي عليه السلام سبباً في ضم أجزاء الخطاب وسبكها.

(١) الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج٢، ص ٣٨٨.

الخاتمة:

بعد انتهاء البحث النظري والتطبيقي تبيَّن للباحثين بعض النتائج هي على النحو الآتي:

- إنّ وسائل السبك النصي في خطاب الزيارة الجامعة أسهمت في بناء النص وربطه وتماسكه من ناحية ومن ناحية أُخرى أسهمت في توحيد البنية الدلالية في الزيارة الجامعة والكشف عن آليات سبك النص التي جعلت النص متماسكاً.

- تُعد الإحالة من الوسائل الرئيسية التي جعلت الخطاب أكثر تماسكاً وبنوعيها المقامية والقبلية كونهما متفقان من حيث الطبيعة ويختلفان من حيث الإجراء، والتي تمثلت بالإحالة النصية التي تُعد رابطاً يقوي أواصر العناصر المتباعدة، لأنّها تحيلنا إلى ملفوظ آخر داخل النص، والمتمثل بالأئمة المعصومين عليهم السلام من أول النص إلى آخره.

- تحقق السبك في خطاب الزيارة الجامعة عن طريق الإحالة القبلية بتكرار الجملة وتطويلها في أكثر من موضع منها في قوله: (وموضع الرسالة ومختلف الملائكة مهبط الوحي....) عن طريق العطف وتكراره في وصف أهل البيت عليهم السلام، وهذه الإطالة في الجملة أدت إلى إحالة الكلام إلى سابق في الخطاب وهذا ما جعل النص متماسكاً.

- غلبت الإحالة بالضمير المستتر (هم) العائد على الأئمة المعصومين في أغلب الخطاب، فالوحدة الإحالية بهذا الضمير لا تحيل على عنصر داخل النص فقط، وإنّما تحيل على عنصر إشاري في عموم الخطاب وخارجه.

المصادر والمراجع

١. ابن عاشور، محمد الطاهر (ت ١٩٧٢هـ)، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنور العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤ م.

٢. ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥.

٣. الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى.

٤. بحيري، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٥. الجاحظ، أبو عمرو بن بحر (٢٥٥)، البيان والتبين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٧، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

٦. الجرجاني، أبو بكر محمد عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤ م.

٧. حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، بيروت، ط ٥، ٢٠٠٦م.

٨. حسّان، تمام، مقالات في اللغة والأدب، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٩. حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط ١٥، (د.ت).

١٠. خطابي، محمد، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط، ١، ١٩٩١.

١١. الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، تحقيق الحساني حسن عبد الله، ط٣، ١٩٩٤، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٢. خليل، إبراهيم محمود، في اللسانيات ونحو النص، ط٢، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٩م.

١٣. دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٤. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.

١٥. الزمخشري، أساس البلاغة، قدمه الدكتور محمود فهمي حجازي، العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

١٦. الشاوش، محمد، أُصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، ط١، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ٢٠٠١م.

١٧. شبر، السيد عبد الله، الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة، مكتبة الألفين، الكويت، ط١، ١٩٨٣ م.

١٨. شبل، محمد عزة، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١.

١٩. الشيخ المشهدي القمي، كنز الدقائق، طبعة قم المشرقة.

٢٠. الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٨ م.

٢١. الصدر، السيد علي الحسيني، في رحاب الزيارة الجامعة (البيان الكامل أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم الرائعة في زيارتهم الجامعة)، مؤسسة الرافد، قم، ط ٣، ٢٠١٠ م.

٢٢. صلاح، عثمان، حسن، الغزالي، الكسف والبيان عن تفسير القرآن، تفسير الثعلبي، المجلد الأول، ط١، ٢٠١٥، دار التفسير، السعودية.

٢٣. الطائي، نجاح، تفسير أهل البيت عليهم السلام، دار الهدى لإحياء التراث، مؤسسة البلاغ، ط١.

٢٤. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، المجلد العشرون، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.

٢٥. عفيفي، أحمد، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم الجامعة، القاهرة.

٢٦. عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١.

٢٧. فان دايك، تون، علم النص متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، ط ١، دار القاهرة للكتاب، مصر، ٢٠٠١م.

٢٨. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٤.

٢٩. الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، ط١، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠.

٣٠. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١.

٣١. الفيومي، المصباح المنير، تحقيق عبد العظيم الشناوي، ط٢، دار المعارف، القاهرة.

٣٢. القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٤.

٣٣. الكربلائي، الشيخ جواد عباس، الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة،

مراجعة محس الأسدي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

٣٤.لاينز، جون، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، ط١، ١٩٨٥، دار المعرفة الجامعية، مصر، الاسكندرية.

٣٥. المجلسي، محمد تقي، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣م.

٣٦. المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، بنياد فرهتك اسلامي حاج محمد حسين، إيران.

٣٧.مصلوح، سعد، نحو أجرومية النص الشعري (دراسة في قصيدة جاهلية)، مجلة الفصول الأربعة، مجلد ١٠، عدد١، السنة الثانية، ١٩٩٦ م.

٣٨.الميلاني، آية الله السيد علي الحسيني، مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، مركز الحقائق الإسلامية.

البحث الثاني

خطاب الإمام العسكريّ عليه السلام دراسة في التركيب والدلالة

د. زهراء علي دخيل

الجامعة اللبنانية / بيروت

المُلخّص:

يُمثّل الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام موقعاً ريادياً في المجتمعات الإسلاميّة على الرّغم من محاولات الحُكّام المعاصرين له في إبعاد الجمهور عنه، وصَرْف الإمامة الحقيقيّة عن شخصيّته...إنّ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام يظلّ -مثل سائر المعصومين عليهم السلام -أُنموذجاً للشّخصيّة العباديّة الَّتي تمارس مَهمّة الإمامة في مختلف الصُّعُد، ومنها الصّعيد الأدبيّ الَّذي يُستثمر لتوصيل مبادئ الله تعالى إلى الآخرين. وعلى الرّغم من أنّ إمامة العسكريّ عليه السلام لم تمتدّ أكثر من ستّ سنوات، وكما أنّ المرحلة الزّمنيّة للأئمّة الأربعة: (الجواد، والهادي، والعسكري، والمهدي عليهم السلام) لم تسمح لأسبابٍ غيبيّة واجتماعيّة بتقديم النّصوص الفكريّة بالحجم نفسه الَّذي سُمِح من خلاله للأئمّة السّابقين (عليّ، والحسنين، والسّجّاد، والصادقين، والكاظم، والرّضا عليهم السلام).

على الرّغم من ذلك كلّه، ظفرنا بنصوص أدبيّة للإمام الحسن العسكريّ عليه السلام تُعدّ امتداداً لنصوص مُماثلة لسائر المعصومين في ميدان الرّسالة، أو المقابلة، أو الحديث الفنّيّ.

منها **أدب الرّسائل**، فلغة الرّسالة قد وُشِّحت بأدواتٍ فنّيّة: لفظيّاً، وإيقاعيّاً، وصوريّاً،...

وأدب الخواطر: تتمثّل أبرز عوامل نجاح النّصّ الفنّيّ في: خضوعه لبناءٍ هندسيٍّ مُحكم، تتلاحم وتتنامى جزئيّاته بعضها مع الآخر.

أمّا **الحديث الفنّيّ**؛ فإذا نظرنا إلى الأحاديث الَّتي وردَت عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام لحظنا أنّها امتداد للأئمّة السّابقين في كونها تُمثّل غالبيّة النّتاج المأثور عنه عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: التراكيب والدلالة، خطاب الإمام العسكري عليه السلام، السمات الأسلوبية.

المقدّمة:

إنّ دراسة النّصوص الأدبيّة التُّراثيّة تُعدّ مظهراً من مظاهر الرّقيّ في العربيّة، ولا سيّما نصوص أهل البيت عليهم السلام الَّتي انمازت بفصاحة الألفاظ، وجودة السّبك، وجزالة اللّفظ. كما أنّ للصُّور البيانيّة دوراً بارزاً في فهم النّتاج الأدبيّ، والوقوف على أسراره عبر مستوياتها المختلفة.

تُعدّ الصّور البيانيّة من الأساليب الّتي لها مقدرة إبداعيّة خاصّة، وهي تُضفي جانباً جماليّاً واضحاً على النُّصوص الَّتي تُوظّف فيها، وتسمح بالتّعبير عن الأفكار بحُرّيّةٍ واسعةٍ مُوفّقة بين الأشياء البعيدة مُساهمةً في إنشاء صورٍ جديدةٍ. الّذي سنتبيّنه في توظيف الإمام العسكريّ عليه السلام في خطابه لتلك الأساليب البيانيّة على سبيل تحقيق دلالات مقصودة في سياقها.

وتكمن إشكالية البحث بما يأتي:

الإجابة عن السُّؤالين الآتيَيْن:

-ما التّركيب النّحويّ وانزياحه المستخدم في الخطاب العسكريّ؟

-ما الانزياح التّصويري المُستخدم في الخطاب العسكريّ؟

وأمّا أهمّيّة الموضوع:

- فإنّه تلمّس الأثر الّذي قد يُضيفه الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى اللُّغة كونه قد شُهِد له بالأصالة والابتكار والإبداع مثل سائر أئمّة أهل البيت عليهم السلام؛ للوقوف على مدى دوره في إثراء هذه اللّغة وإنمائها،

-رصْد الخصائص والسّمات الأُسلوبيّة الّتي يتميّز بها الخطاب العسكريّ، وإماطة اللّثام عن ظواهر "الشّعريّة» التي تتجلّى في تشكيل الصّياغة، وإنتاج محاور الدّلالة.

ويهدف البحث إلى التَّطلُّع إلى طبيعة الخطاب لدى الإمام العسكري عليه السلام، وإبراز الحجج والبراهين الّتي أبداها من أجل صناعة رؤية سياسيّة إسلاميّة، يُقيم من خلالها دولةً مستقيمة.

أمّا المنهج:

فنظراً إلى أنّ الدِّراسات القديمة والحديثة لم تُوفِ الخطاب العسكريّ حقّه من الدّرس والبحث؛ إذ اتّسمت تلك الدّراسات بعدم العُمق في معالجة الجانب الإبداعيّ في الخطاب العسكريّ، فضلاً عن اهتمامها بالجوانب: التّاريخيّة، والفكريّة، والسّياسيّة. فقد كان ذلك دافعاً إلى دراسة الخطاب العسكريّ على وفق المنهجين: الأُسلوبيّ، والبِنْيويّ؛ بوصفهما منهجين علميّين يقفان في مواجهة النّصّ مواجهةً لا تغفل جماليّاته، ولا تتنكّر لمنجزات الأقدمين، وتُحقّق -في الوقت نفسه- ما يطمح إليه المحدثون من دقّةٍ لها روح العلم.

المبحث الأوّل: المستوى التّصويريّ وانزياحه:

تُعدّ الصُّورة جزءاً من أهمّ أجزاء الشّعر؛ لأنّها تُساعد في إظهار المعنى وتقريبه للمتلقّي، وتُسهم إسهاماً مباشراً في إظهار انفعالات الأديب، وإيضاحها وفقاً للمسار التّصويريّ.

وكانت عبارة الجاحظ الّتي وصفت الشّعر بأنّه "صناعة، وضرب من النّسيج، وجنس من التّصوير»[1]، تقوم كلّها على التّقريب والتّشبيه، وإيضاح التّجربة الشُّعوريّة، من خلال ربط الصّورة الحقيقيّة بالصّورة المتخيّلة. فقوله: (صناعة) توحي بأنّها مقصودة لذاتها؛ أي: لم يكتب الشّعر إلّا عن طريق مقصود، أراد المبدع أنّ يسلكه بإرادته، وقوله: (ضرب من النّسيج، وجنس من التّصوير)، توحي بأنّه قائم على المقاربة والمشابهة، وليس على المطابقة.

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، ج٣، ص١٣٢.

فالصّورة هي: "رسمٌ قوامه الكلمات»[١]، وتظهر أهّميّتها من كونها أداة مهمّة يتحدّد من خلالها أُسلوب الكاتب[٢]، ومن كونها تحُرّك ذهن المتلقّي، وتقرّب له بين المتباعدات، في البناء التّصويريّ، وتحدث الانسجام فيه، "وتتضمّن بعض نماذج الصّورة شحنات عاطفيّة قويّة»[٣]، ترفع من درجة التّأثير الّذي تحدثه الصورة.

تتحقّق أهمّيّة الصّورة في الدّرس الأُسلوبيّ من كونها قائمة على الانزياح والتّحوّل[٤]، فهي تمثّل وجهاً من وجوه تركيز الرسالة، وتكرار الصُّور بإمكانه أنّ يحدّد السّمات الأُسلوبيّة الخاصّة للمبدع[٥].

أوّلاً-التّشبيه:

فالتشبيه في اللُّغة: هو التمثيل، نقول: شبّهته إياه وشبّهته به تشبيهاً مثّلتهُ، والجمع أشباه وأشبه الشيء بالشّيء ماثله، وأشبهت فلاناً شابهته واشتبه عليّ وتشابه الشيئان؛ أي: أشبه كلّ واحد منهما صاحبه وشبهه إيّاه، وشبهه به مثله، والتشبيه التمثيل والالتباس والمثلُ.[٦]

واصطلاحاً: إلحاق أمر (المشبّه) بأمر (المشبّه به) في معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة (الكاف) (وكأنّ وما في معناها) لغرض (فائدة).[٧]

---

(١) سيسل دي، لويس، الصورة الأدبيّة، ص٢١.

(٢) فضل، صلاح، علم الأُسلوب والنظريّة البنائيّة، ج ١، ص٣٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٤.

(٤) أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعيّ الجديد لعلوم اللّسان، ص٥٢١.

(٥) المصدر نفسه، ص٥٢٤.

(٦) ابن منظور، لسان العرب (مادة شبه)، مج١، ص٢٦٥، والقاموس المحيط (مادة شبه)، ص١١٩٤.

(٧) المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، ص٢١٣.

وأمّا تعاريف التشبيه من ناحية الاصطلاح فكثير منها، قال الرماني: التشبيه هو العقد على أنّ أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسن، أو عقل، ولا يخل التشبيه من أنّ يكون في قول، أو في النفس.(١)

وقال أبو هلال العسكري: التشبيه الوصف لأم أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه.(٢)

وقال يحيي بن حمزة العلوي: التشبيه هو الجمع بين الشيئين، أو الأشياء بمعنى ما بوساطة الكاف ونحوها.(٣)

يُعدّ التّشبيه وسيلة إقناعيّة يختارها الكاتب ليس للتَّزيين فقط "وقد تبيّن لنا أنّ وظيفة التشبيه ليست هي التّوضيح والتّقريب، أو التّوكيد كما هو قار في البلاغة القديمة؛ وإنّما يتجاوز ذلك إلى التّأثير في المتلقّي واستدراجه لاتّخاذ موقف تجاه ما يقدم إليه من معنى؛ بمعنى أنّ للتّشبيه وظيفة اِقناعيّة»(٤).

عدّه الإمام الحسن العسكري عليه السلام في الميدان التّطبيقيّ من الإستراتيجيّات الّتي أفاد منها لإلقاء حُجّته على المخاطب في موضوع صنع القائد السِّياسيّ، والإسلاميّ بعده، فقال: "كأنّي بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف منِّي، أمّا إنّ المقرّ بالأئمّة عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنكر لولدي كمن أقرّ بجميع أنبياء الله ورسله ثمّ أنكر نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمنكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كمن أنكر جميع الأنبياء؛ لأنّه طاعة آخرنا كطاعة أوّلنا والمنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا، أمّا إنّ لولدي غيبة يرتاب فيها النّاس إلّا

(١) أحمد، مطلوب، فنون البلاغة، ص ٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٢.

(٤) سليمان، علي محمد، كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحجاج رسائله أُنموذجاً، ص٢٢.

من عصمه الله عزّ وجلّ»[1].

الموضوع، أو الفكرة الَّتي ألحّ الإمام العسكري عليه السلام على إيصالها هي البرهان، أو التّأكيد على إمامة القائم بوصفه القائد للأمّة، فاستعمل التّشبيه حجة حاله بحال النبوّة بوساطة حرف الكاف، وبأكثر من ثلاث مرات فقد شبّه المنكر له بحال من آمن بالرُّسُل جميعهم عدا نبوّة مُحمّد، وشبّه النّاكر لنبوّة محمّد بحال النَّاكر لنبوّة الأنبياء جميعهم، فلجأ إلى القياس والتّمثيل من طريق التّشبيه لكون الحالة الأُولى المُشبّه بها هي النُّبوّة قد كانت حقيقة لدى المسلمين كافة، وهذه الحجة فضلاً عن أنّها بلاغيّة تكون واقعيّة وهذا ما يُسمّى الحُجّة المؤسّسة على الواقع في الجهاز المفاهيميّ لنظريّات الحجاج ونوعها هو حجّة اتّجاه قائمة على التحذير من ثقافة الانتشار والتّحذير من مغبّة سياسة التّنازل[2]، فخشي الإمام من أن يقدموا تنازلًا بدينهم نتيجة انتشار الخلاف فيما بينهم على القائد من بعده فتجده مُحذّراً إيّاهم باستعمال وسيلة التّشبيه.

-قال: عليه السلام: «جُعِلت الخبائث في بيت، وجُعِل مفتاحه الكذب»[3].

الخبائث مجموعة في بيت، مفتاح هذا البيت (الكذب). يتّضح أنّ سبب كلّ خبيثة هي (الكذب)، والخبائث جمع لكلّ فعلٍ مذمومٍ محرّم، وكلّ ما يُستقبح من الأشياء والأفعال.[4]

التّشبيه الحاصل في قول الإمام عليه السلام كان بليغاً؛ إذ اختار عليه السلام لفظتي: (البيت) و(المفتاح) للدّلالة على الكلّ المجموع المُتمثّل في هذا البيت، ولا يُستطاع الدُّخول لهذا

(١) الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ص٤٠٩.

(٢) مجموعة باحثين، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، ينظر: حمادي، صمود، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص٣٣٣.

(٣) الشهيد الأول(٧٨٦هـ)، الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة، ص ١١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب-(خبث)، ج ٥، ص٨.

البيت إلّا بوساطة (المفتاح)، النّتيجة من الحوار أنّ مفتاح كلّ خبيثة هو (الكذب).

-قد نلمح ذلك التَّنامي والتّداخل في الصّورة التّشبيهيّة الّتي يقول فيها الإمام "الغضب مفتاح كلّ شرّ»[١]. فتتساوق فيه صيغ فنيّة مكثّفة مُتداخلة في التّشبيه البليغ تتجسّد بالاستعارة الّتي خلقت في المشبه به، والإيجاز المكثّف الّذي تحقّق في الصّورة المختزلة الألفاظ المكتنزة المعنى؛ لتحقّق خاصّيّة أُخرى في تشبيهات الإمام وهي القدرة على اختيار الألفاظ المصوّرة (الغضب، الشرّ) الّذي رسم لنا بدايته بوساطة صورة (المفتاح) الّتي اختزلت كلّ المعاني المُصوّرة بألفاظها، فكانت الصورة التشبيهيّة ملمحاً فاعلاً ورئيساً في تشكّلات الخطاب العسكريّ؛ لإيصال الأفكار العقائديّة والاجتماعيّة.[٢]

-تكشف الصُّور التّشبيهيّة عن مدى اكتناز تلك النّصوص العسكريّة بجماليّة فائقة من حيث السّياق الّذي وردت فيه التّشبيهات، فهناك التنوّع في تلك التّشبيهات من حيث أشكالها مثل: (تشبيه التفاوت) مُتمثّلاً في قوله عليه السلام: "من الذنوب الّتي لا تُغفر؛ ليتني لا أؤاخذ إلّا بهذه. ثمّ قال عليه السلام: الإشراك في النّاس أخفى من دبيب النّمل على المسح الأسود في اللّيلة المظلمة»...فالملاحظ في هذا التشبيه أنّه يُقارن بين (إشراك النّاس) وبين (دبيب النّمل) في (لباس أسود) (في ليلة مظلمة)؛ فاللّباس الأسود وحده كافٍ في جعل الإشراك معتماً من حيث لون النّملة ولون اللّباس، فإذا أضفنا إلى ذلك اللّيلة المظلمة، نكون حينئذٍ أمام ثلاثة ألوان من الخفاء: النّملة، اللّباس، اللّيل...فإذا أضفنا أيضاً عبارة التفاوت(أخفى) -أي: أشدّ خفاءً من هذه الألوان- حينئذٍ نظفر بصورةٍ فنيّةٍ مدهشة تتركّب من أربع طبقات تصبّ جميعاً في إبراز مفهوم (الإشراك الخفيّ)؛ بحيث تتناسب تلك الكثافة الصّوريّة مع كثافة الإشراك الّذي

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٣

(٢) الطائي، شروق محسن، "التوظيف البلاغيّ في الخطاب الإصلاحيّ للإمام الحسن العسكري عليه السلام"، ص٣٢٩.

يدبّ بخفاء بالغ المدى...[١]؛ إذ نلمح الدّقّة في رسم الحركة وتجسيد اللّون اللّذين وظّفهما مستعينا بالتشبيه الضّمنيّ النّاجح في تأطيره صورة (الشّرك الخفيّ). فالحركة في (دبيب النمل) لم تحقّقها لفظة (النّمل) مفردة؛ بل رسم الخفاء حتى في حركة سير النمل الّذي حقّقه تكرار (الباء) -في لفظة (دبيب) المعبّر عن تردّد صوت مسير النّمل المنتظم بسرّيّة وخفاء؛ ليصوّر لنا مدلولها فضلاً عن صغرها...ومِنْ ثَمَّ، كانت الصُّورة الجليّة المعبّرة قد اجتمعت فيها كلّ عناصر الصّدق النّفسيّ والجمال الفنّيّ معاً سواء بالصورة الحركيّة، أو اللّونيّة أو بهما معاً؛ لتحقّق معنى (الإشراك الخفيّ) في اللّون الأسود وفي صوت حركة النّمل؛ بل وحتّى في صغر النّمل نفسه الذي يعكس لنا صغر الذُّنوب الّتي تؤدّي بالنّاس إلى الإشراك والشّرك. لنخرج بحقيقةٍ مؤدّاها أنّ من أهمّ خصائص التّصوير التّشبيهيّ عند الإمام كان الدقّة في رسم أطراف الصُّورة فيكون جمال الصورة في اجتماع جزئيّاتها معاً. وقد نلحظ حرّيّة صاحب الكلمات في خلق مجموعة من المشاهد الجزئيّة المتتابعة (صورة النّمل واللّباس الأسود واللّيلة المظلمة) الّتي تخلق أثراً متكامل الجوانب.[٢] نجد أنّ التّشبيه الآخر وهو قوله: "بسم الله الرّحمن الرّحيم: أقرب من سواد العين إلى بياضها؛ حيث تركّب من ظاهرتين فحسب...نجد أنّ هذه المسافة التّقريبيّة الّتي يستهدف (التّشبيه) توضيحها؛ أي: توضيح أنّ (بسم الله...) بالنّسبة إلى (الاسم الأعظم) أقرب من سواد العين إلى بياضها،...نجدها مشحونة بالكثافة نفسها الّتي لحظناها في التّشبيه السّابق؛ فسواد العين وبياضها متجاوران-كما هو واضح-وحينئذٍ لا يمكن البتّة صياغة أيّ تشبيه أشدّ لصوقاً بالواقع من هذه الصورة الّتي تردم الحدود بين السّواد والبياض...ما يكشف عن أنّ العنصر الصوريّ وسواه في نتاج أهل البيت يتمثّل في كونه يَرِدُ في سياقات خاصّةٍ أوّلاً، وكونه يستقي ما هو المألوف من الخبرات اليوميّة، ثانياً (حركة

(١) البستاني، محمود، أدب الشريعة، ص٢٧٢.

(٢) الطائي، شروق، التوظيف البلاغيّ، ص٣٢٨.

النّمل، بياض العين وسوادها)، وكونه مُكثّفاً عميقاً مركّزاً ثالثاً، وكونه متناسباً مع الدّلالات الّتي يستهدف توصيلها إلينا...وتلك جميعاً تُمثّل مَهمّة الفنّ في أنجح مستوياته...[١]

شكّلت البِنْية التشبيهيّة في أدب الإمام العسكري عليه السلام خصيصةً أسلوبيةً مائزة؛ لتنقل الملامح التعبيرية في السياق الأُسلوبيّ إلى ذهن المتلقّي، ومن ثَمَّ يقترب المعنى ويؤكد، ويقرّ في الذهن، ولهذا فالتشبيه يُعدّ من أهم التقنيّات الأُسلوبيّة المعتمدة في أدبه.

ثانياً-المجاز:

أمّا في ما يتعلّق بالمجاز المرسل، الّذي يُعدّ أحد البِنْيات التّصويريّة الّتي وظّفها الإمام العسكري عليه السلام في خطابه؛ فتبيّن أنّ محاولة استكناه القيم الجماليّة والإيحائيّة لهذه البِنْية التصويريّة يتطلّب من المتلقّي جهداً تأمّليّاً لدرجة أنّه يُوازي الجهد الإبداعيّ الّذي يبذله المبدع في سبيل تشكيلها وصياغتها؛ بهدف توثُّق الصّلة بين قطبي الدائرة الإبداعيّة: المبدع، والمتلقّي. كما أنّ هذا اللّون من المجاز يُبرز جانباً من المعنى، ويُخفي جانباً آخر في الظّلّ، يتطلّب البحث عنه والوقوف عليه؛ بهدف استقرائه واستنطاقه، ويُبقي المتلقّي في حالة تفاعل دائب مع النّصّ.

تعدّدت الوظائف للمحاور البلاغيّة لا سيّما المجاز؛ بحيث ترتّبت عليه قوّة الحجاج كلّما كان المجاز قويّاً يقول الدكتور طه عبد الرحمن: (فاعلم أنّ المنطوق به الّذي يصلح أنّ يكون حجاجاً هو الّذي يقوم بتمام المقتضيات التّفاعليّة الواجبة في حق ما يُسمّى بـ«المجاز»)[٢]، وبذا كان شرطاً في الخطاب الحجاجيّ حتى قيل: "فلا

(١) البستاني، محمود، أدب الشريعة الإسلاميّة: دراسة جديدة في بلاغة نصوص القرآن الكريم ونصوص الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام، ص٣٧٣.

(٢) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص ٢٣١.

حجاج بلا مجاز)[1].

تجده في خطاب الإمام العسكري عليه السلام السّياسيّ مُوظّفاً في دعائه السّياسيّ على القائد موسى بن بغا التركيّ بعد مقدّمة لدعائه أثنى على الله وحمده فيها فجاء موضوع نصّه: (اللّهمّ وقد شملنا زيغ الفتن، واستولت علينا غشوة الحيرة، وقارعنا الذّلّ والصَّغَار، وحكم علينا غير المأمونين في دينك، وابتز أُمورنا معادن الأُبَنِ ممّن عطّل حكمك، وسعى في إتلاف عبادك، وإفساد بلادك...اللّهمّ ولا تدع للجور دعامة إلّا قصمتها، ولا جنّة إلّا هتكتها...)[2].

لعرض هموم البلد الإسلاميّ والفئة الإسلاميّة، وما حلّ بها من نكبة وجور على يد الأتراك استدعى الإمام العسكري المجاز؛ ليكون أبلغ في تصويره للمُتلقّي، وهذا داخل في حجة السّلطة النّابعة من هيبة المتكلّم وسطوته وقيمته لدى بيرلمان[3] فالمتكلم هو الإمام بلغة مجازيّة مزيلاً المعنى الأصلي الدّال على السّتر؛ إذ غشي: (غشيه غشاوة وغشاء: أتاه إتيان ما قد غشيه؛ أي: ستره. والغشاوة: ما يغطى به الشيء)[4]. يستشفّ من المعنى المعجميّ أنّها تستعمل للمعنى المحسوس في التّغطية وبدليل الآيات القرآنيّة الواردة فيها هذه اللّفظة أغلبها دالّة على ذلك، ومنها (وجعل على بصره غشاوة). أمّا هنا فاستعيرت للغطاء المعنويّ، لغطاء الحيرة لتفكير المؤمنين، فبدا فكر في استجلاب فكر المتلقّي ودفعه للاعتراف بما يقوله جرّاء ما يحدث في الوضع السّياسيّ الّذي يمارسه الأتراك تجاه الدولة الإسلاميّة عند تحريكهم بني العبَّاس

(١) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص ٢٣٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٨٢، ص٢٣٠-٢٣١، القزويني، محمد كاظم، الإمام العسكري من المهد إلى اللّحد، ص٢٤٠-٢٤١.

(٣) مجموعة باحثين، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، من بحث: حمادي، صمود، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص٣٣٥.

(٤) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٦٠٧.

عليهم. وبقيت خصيصة مهمّة في الصّورة المجازيّة (الحجّة) إنّها مستقاة ممّا يقرب من أذهان النّاس، وممّا هو متعارف عليه من معنى التّغطية والسّتر وهذه من أهم خصائص الإقناع والحجاج (اعتبار الواقع).[١]

-قال عليه السلام: «مَنْ ركبَ ظهر الباطل، نزلَ به دار النّدامة»[٢].

التعبير المجازيّ الوارد في قوله عليه السلام: (مَنْ ركبَ ظهر الباطل) له دلالات عديدة أهمّها اعتلاء الباطل والتّعمّق فيه يؤدّي بالإنسان إلى النّدم والحسرة في آخر الأمر؛ لأنّ له نتائج غير مرضية، هجر الأصحاب، ظلم النّاس...إلخ من الأُمور الّتي نهى عنها الرسول صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار عليهم السلام.

يُلحظ التّقابل الدلاليّ بين لفظتي: (ركب) و(نزل)، وتوافق الدلالة بين لفظتي: (الباطل) و(الندامة)؛ إذ تكون الحصيلة النّاتجة للباطل النّدم على كلّ حال.

وتوضيح المعادلة كالآتي:

-مَن ركب ظهر الباطل.

-نزل به دار الندامة.

ثالثاً-الاستعارة:

في اللّغة: من قولهم استعار المال: إذا طلبه عارية[٣]. وأعاره الشيّء وأعاره منه وعاوره إيّاه والتّعاور شبه المداولة والتّداول في الشيء يكون بين اثنين[٤].

وفي الاصطلاح: هي استعمال اللّفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين

(١) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص ٢٣٠.

(٢) الشامي، يوسف بن حاتم، الدرّ النظيم، ص٧٤٧.

(٣) الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة، ص٣٢٩.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عور).

المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصليّ[١].

يقوم الخطاب الاستعاريّ على عنصر الاستبدال بين المفردات، ممّا يعني اجتماع نمطين غير مُتّفقين في عبارةٍ واحدةٍ يجمعها الاختلاف، وهذا يُسبّب المفاجأة في السياق الأُسلوبيّ للمتلقّي؛ لأنّه كلّما افترق واختلف الطرفان زادت حدّة التوتّر بين الطرفين وغرابة المتلقّي، وهذا ممّا يكسر أُفق التوقّع لديه، ويخلق قيماً جماليّة جديدة في الأُسلوب؛ إذ تكمن القيمة الأُسلوبيّة للاستعارة في توليدها الإيحاء المُتردّد عند القارئ بين دلالتين، دلالة حرفيّة غير مقصودة، تمنعها القرائن، ولا يمكن أنّ تقوم إلّا في فضاء النصّ، ودلالة أُخرى ينبغي للقارئ استنتاجها بناء على القرائن المتوفرة في السياق.[٢] لتكون الاستعارة بذلك "وسيلة تجديد، وتنويع للثروة اللغوية، وبها تكتسب الكلمات شحنة إيحائيّة جديدة بعد أنّ تنجز ما كانت تحمله بتكرار استعمالها الحقيقي».[٣]

لقد وظّف الإمام عليه السلام في خطابه الاستعارة؛ إذ كانت من أجمل وسائل البيان الخطابيّ، نجدها في قوله: (مَن ركب ظهر الباطل، نزل به دار الندامة)[٤].

استند الإمام في هذه الصورة الانزياحيّة الاستعاريّة إلى التّشخيص وهو "لون من ألوان التّخيّل تتمثّل بخلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعيّة والانفعالات الوجدانيّة»[٥]. وما **التشخيص** إلاّ لون خياليّ يتمثّل في إضفاء الأبعاد

(١) الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة، ص٣٣١.

(٢) بركة، فاطمة الطبال، النظرية الألسنيّة عند رومان جاكبسون، ص٨٠.

(٣) شفيع السيد، التعبير البياني، رؤية بلاغية نقدية، ص١٣٤.

(٤) الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص١٤٦.

(٥) الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنيّة في شعر أبي تمام، ص١٦٨.

الحيّة على الجامد والطّبيعيّ، بما فيها من تداعيات النّفس الإنسانيّة.[١] إذن، التشخيص هو السّمة الأساسيّة للصّورة الاستعاريّة عامّة والمكنيّة خاصّة؛ بل هو وظيفة الصّورة الاستعاريّة[٢].

فكانت الاستعارة الّتي رسمها الإمام الحسن العسكري من خلال هذا الحديث باستعمال اللّفظ البليغ، وإيحاءاته الفنيّة وملامح وعظيّة تأبى الصّفات السّلبيّة، كما حقّق أهمّ خصيصة من خصائص الاستعارة وبلاغتها وهي تجسيد المعنويات وتشخيص المُجرّدات، وخلع الحياة على ما لا حياة له؛ ليصير فاقد الحياة بالاستعارة حيّاً مُتحرّكاً[٣].

جاء الحديث بألفاظ موجزة تحتوي على مفاهيم واسعة بعبارات قليلة؛ إذ اختار لنا عليه السلام ببلاغته خير ما يُعبّر به عن صورة "ركوب الباطل»؛ إذ جعل بصورته الاستعاريّة من الباطل مركوباً له ظهر، وتُعدّ تلك من أدقّ الصُّور لانقياد صاحبه وانصياعه من دون تعقّل؛ لأنّ الباطل هو الّذي يوجهه ويقوده ويرشده ويأمره فتكون النّتيجة النّهائيّة (دار النّدامة) بوساطة التّشبيه البليغ؛ لتقدّم الصُّورة الاستعاريّة تجسيداً ملموساً لانطباع يستعصي على التّعبير؛ فهي تحيل على كيان نفسيّ ينتقل بالنّص من الجمود اللّفظيّ إلى المرونة في الاستعمال.[٤]

فقد جعل الإمام من الباطل يُمتَطَى لينزل به دار النّدامة، أراد الإمام عبر هذه الصُّورة الانزياحيّة الاستعاريّة الوعظيّة أنّ يرسم لنا جوهر صورة (الباطل) بكلّ آليّاته ووسائله، ولم يكتفِ بذلك؛ بل يؤطّر لنا نتيجة الرّحلة على (ظهر الباطل) معنى

(١) سيد قطب، التصوير الفنّي في القرآن الكريم، ص٦٤.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص٤١، وينظر: عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص٢٤٦.

(٣) لاشين، عبد الفتاح، البيان في ضوء أساليب القرآن، ص١٨٨.

(٤) فرانسوا، مورو، البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية، ص١٥.

القسريّة الحتميّة من دون خيار، أو تراجع، فكانت صورة حيّة تنبض بالحركة والحياة، والإحساس العميق بكلّ معاني الحق.

قال الإمام العسكري عليه السلام في فضل آل البيت عليهم السلام: "فنَحنُ ليُوث الوغى وغُيوث النَّدى، وفينا السَّيفُ والقَلمُ في العاجل، ولواء الحمدُ والعلم في الآجل»[١]. يُشيد عليه السلام مفتخراً بفضل آل البيت مُتحدّثاً بأُسلوب الجمع بقوله: (نحن ليُوثُ الوغى)، فاستعار في تشبيه شجاعته وشجاعة آبائه عليهم السلام بالأُسود في الحرب. ومن باب آخر، استعمل أُسلوب التَّضاد، فقال: (وغيوثُ النَّدى)، فاستعار لفظة الغيث التي لا تتوقّف وهي غيوث الخير التي لا تضرّ وحدّدها في وقت الصباح بالندى الذي ينزل فتستبشر به الأرض والزرع، وترمز إلى الرحمة الإلهية. واستمر في استعمال التضاد بقوله: (فينا السَّيف والقلم في العاجل) وجملة: (لواء الحمدُ والعلم في الآجل)، فالسيف رمز للشجاعة والبطولة، والقلم للعلم والمعرفة وغرتها في العاجل؛ أي في حال الدنيا، أمّا في الآجل؛ أي: الآخرة فهم حملة لواء الحمد في الجنة فقيمة التضاد هنا تكمن في المفارقات النصيّة التي تجعل المتلقّي ينتقل بين الصور البديعيّة.

فالتّضاد في النص هو مجموعة الأشكال البديعية التي ترتبط بعلاقة عميقة تكاد تسيطر عليها وتوجّه عملية إنتاجها للمعنى، وهذه العلاقة تمثل البعد التكراري الذي تجلّى على مستوى السطح الصياغي، وعلى مستوى العمق الدلالي[٢].

- قال الإمام عليه السلام: »إنّ الوصول إلى الله عزّ وجلّ سِفرٌ لا يُدرك إلّا بامتطاء اللّيل»[٣].

على الرّغم من كثرة العبادات المفروضة على العبد في حياته؛ إلّا أنّ الأئمة عليهم السلام أكّدوا أهمّيّة (قيام اللّيل) كما هو واضح من قول الإمام العسكري عليه السلام.

---

(١) القرشي، باقر شريف، موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، ص٣٤-١٢١.

(٢) عبد المطلب، محمد، البلاغة العربيّة، قراءة أُخرى، ص٣٥٢.

(٣) موسوعة الإمام العسكري عليه السلام تحقيق محمد الحسيني القزويني وآخرون، ج٣، ص٢٨٨.

يُلحظ التّعبير البلاغيّ الوارد في قوله: (امتطاء اللّيل)، فلفظة الامتطاء تُطلق ويُراد بها امتطاء الدّابة[١]، استعارها الإمام لتأكيد أنّ مسألة قيام اللّيل مسألة ليست بالهيّنة، ولا يستطيع كلّ إنسان الحفاظ عليها، وهي الطّريق الأقرب لوصول الإنسان إلى ربّه ﷻ. يتّضح من تفكيك العبارة ما لصلاة اللّيل من أهمّيّة في حياة الفرد للوصول إلى ربّه، ونيل رضاه ﷻ، وإرشادهم للمداومة والحفاظ عليها.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام في وعظ أصحابه: «إنَّكم في آجال منقوصة، وأيّام معدودة، والموتُ يأتي بَغْتَةً، مَنْ يَزرَعُ خيراً يحصدُ غِبْطةً، وَمَنْ يَزرَعُ شَرّاً يحصد ندامةً، لكلّ زارع ما زَرَع»[٢].

تنبثق الاستعارات في أدب الإمام العسكري على وفق معطيات العصر ومتطلباته؛ إذ إنّها تعالج قضايا ترتبط بمصير الإنسان في دنياه وآخرته، ففي نص الإمام الزكي العسكري عليه السلام «إنّكم في آجال...» نلحظ تحريك الهمّة وإيقاظ الذهن عبر توظيف استعاري بدلالات تضاديّة محكمة عبر عن الآجال بالنقصان وهو أمر ماديّ أضفى على الموت صفة التمجيد أراد جعله كائناً حيّاً، له القدرة على الإتيان، واستعار للخير والشر صفة الزرع بجامع من النموّ، والزيادة، والاستطالة.

في كلّ ذلك، يُلاحظ (دور السِّياق الفاصل عند كلّ تحقيق مُتعيّن، وعلى أنّ ندرك أنَّ هذه الصور ليس لها أيّ تأثير ما لم تُمارس فعاليّتها على القارئ الذي يقوم بإعادة تكوين الأُسلوب)[٣].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب(مطا)، ج ١٤، ص٩٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ٣٣٨، الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٩.

(٣) فضل، صلاح، علم الأُسلوب مبادئه وإجراءاته، ص١٨٠.

رابعاً-الكناية:

الكناية لغةً: "أن تتكلّم بشيء وتريد غيره، وكنّى عن الأمر بغيره يُكنّى كنايةً ويعني إذا تكلّم بغيره ما يدلّ عليه»[١] ويُقال: تكنّى إذا تسترّ، من كنّى عنه إذا وَرَّى.

اصطلاحاً: "الكناية لفظٌ أُطلِقَ وأُريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي».[٢]

وقال السبكي: بأنّها (لفظٌ أُطلِق وأُريد به لازم معناه الحقيقي مع قرينةٍ لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي مع المعنى المراد)[٣].

عدّ البلاغيّون الكناية إحدى وسائل التّصوير، فقد عرّفها عبد القاهر الجرجانيّ بقوله: (أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللَّفظ الموضوع له في اللُّغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه)[٤]، فهي لون من ألوان التّعبير غير المباشر عن المعنى، إذ يتمّ من خلالها الرّبط بين معنيين (المعنى، أو الدّلالة المباشرة الحقيقة ثمّ يصل القارئ، أو السّامع إلى معنى المعنى؛ أي: الدّلالة المتّصلة وهي الأعمق والأبعد غوراً فيما يتّصل بسياق التّجربة الشُّعوريّة والموقف)[٥].

وظّف الإمام العسكري بُعْداً كنائيّاً لطيفاً في خطابه، فالتّصوير الكنائيّ من طرائق البلاغة، وهي من الصُّور الأدبيّة الّتي لا يصل إليهما إلّا من لطف طبعه، وصفت قريحته، ولها من أسباب البلاغة في ميدان التّصوير الأدبيّ ما يجعلها دائمة

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص ١٢٤، مادة (كنى).

(٢) المهندس، وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص١٧١.

(٣) السبكي، بهاء الدين، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ص٢٣٧.

(٤) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص٦٦.

(٥) فايز، الداية، جماليات الأُسلوب، ص١٤١.

الإشراق، واضحة المعالم، دقيقة التّعبير، فهي تأتي بالفكرة مصحوبة بدليلها والقضيّة وفي طيّها برهانها.(١)

وردت الصُّورة الكنائيّة في رسالة الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

"أمّا بعد: فقد بلغني ما أنتم عليه من اختلاف قلوبكم، وتشتيت أهوائكم، ونزغ الشّيطان، حتى أحدث لكم الفرقة والإلحاد في الدّين، والسّعي في هدم ما مضى عليه أوائلكم من إشادة دين الله، وإثبات حقّ أوليائه، وأمالكم إلى سبيل الضّلالة، وصدّ بكم عن قصد الحق، فرجع أكثركم القهقرى على أعقابكم، تنكصون كأنّكم لم تقرأوا كتاب الله جلّ وعزّ، ولم تعوا شيئاً من أمره ونهيه. ولعمري لئن كان الأمر في اتّكال سفهائكم على أساطيركم لأنفسهم وتأليفهم روايات الزور بينهم لقد حقت كلمة العذاب عليهم، ولئن رضيتم بذلك منهم ولم تنكروه بأيديكم وألسنتكم وقلوبكم ونياتكم إنّكم شركاؤهم...؛ بل أنتم شرٌّ منهم قليلاً وما شيء من وسم الباطل فيكم بدعوةٍ تكونوا شامتاً لأهل الحقّ...»(٢).

فالنّص يزخر بالحشد الدلاليّ من الكنايات المكثّفة، فضلاً عن الزّخم الدلاليّ، ويعود السّبب في تبكيت الإمام الحسن العسكري إليهم أنّهم اعتنقوا الإسلام ليس عن وعي عميق؛ وإنّما تقليداً لآبائهم فضلاً عن سعي القوى السّياسيّة إلى إفسادهم وتضليلهم ليفتعلوا في سبيل ذلك الرّوايات الكاذبة.(٣)

ومنْ ثَمَّ، كانت تلك العبارات ذات القيم المجرّدة في النَّصّ أثراً في توجيه كلّ واحدة من الكنايات الَّتي تتفاعل بوصفها رؤى وأحاسيس تُفسّر ما أراد الإمام أنّ يحقّقه من غرضٍ توبيخيّ، وقد يتجلّى التّركيب في فاعليّة الصّورة الكنائيّة عندما

(١) عبد التواب، صلاح الدين، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص٦٧.

(٢) مجموعة مؤلفين، المجمع العالمي لأهل البيت، أعلام الهداية، ج١٣، ص١٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ١٣، ص١٩٨-١٩٩.

يتوالى في السّياق الأدبيّ التّعبير الصريح والكنائيّ لتصبح لدى المتلقّي مسافة إيقاعيّة بين تعبيرٍ وآخر؛ ليتحقّق التّأثير الجماليّ بالدّرجة الّتي تقع عليه تلك المسافة.(١) فعملت الصّورة الكنائيّة على أنّ تسمو بالمعنى، وترتفع بالشعور إلى مستوى التّصوير الإيحائيّ، فتتجاوز الشّكل الماديّ التّعبيريّ إلى ما وراءه من حقيقةٍ نفسيّة.(٢)

لتأتي تلك الكنايات فتحقّق تلك الدّلالات، أو الإيحاءات الكنائيّة الآتية؛ ف (اختلاف قلوبكم) كناية عن عدم إيمانهم، و(نزغ الشيطان) كناية عن ارتكاب الفواحش، و(رجع القهقري على أعقابهم) كناية عن فشلهم وانهزامهم وضعفهم، و(تأليفهم روايات الزور) كناية عن تأليفهم الأكاذيب الملفّقة، و(حقّت كلمة العذاب) كناية عن دعائه بالعذاب عليهم، و(لم تنكروه بأيديكم وألسنتكم وقلوبكم) كناية عن الرّفض بحدّ السّيف (الموت) والرّفض بالقول والعمل، وصورة (وسم الباطل فيكم) كناية عن لحاق الأفعال المنكرة المضلّلة بهم في كلّ شيء.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام في فضل أهل البيت عليهم السلام: (قَدْ صَعَدْنا ذُرى الحقائق بأقدام النُّبوَّةِ والولاية، ونَوَّرنا السَّبع الطرائق بأعلام الفتوَّة)(٣).

يكشف النص عن وجود كناية تأخذنا إلى المقامات التي بلغها النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين مقامات عليَّة (ذرى الحقائق) ومقامات حسيّة (نورنا السبع...) وقد أجاد الشيخ المجلسي معبّراً عن هذه الدلالة قائلاً: "هذه حكمة بالغة ونعمة سابغة، تسمعها الآذان الصُّمّ، وتعصر عليها الجبال الشمّ، صلوات الله عليهم وسلامه»(٤).

(١) فايز، الداية، جماليات الأُسلوب(الصورة الفنيّة في الأدب العربيّ)، ص١٥٤.

(٢) عبد التواب، صلاح الدين، الصورة الأدبيّة في القرآن الكريم، ص٦٩.

(٣) المجلسي، محمد باقر بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٧٨، الحديث ٣.

(٤) المصدر نفسه، ج ٧٥، ص ٣٧٨، الحديث ٣.

يتجلّى الأُسلوب الكنائي هنا، بقوله: "قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النُّبوَّة والولاية» وهي كناية عن الرفعة؛ فالنبوَّة ليست لها أقدام، ولكنّه شبّه المحسوس بالملموس؛ وإنّما كانت الأقدام وسيلة للصعود والرفعة؛ أي: أنّ ارتقاء الإسلام من خلال نبوّة محمدﷺ وولاية آل البيت عليهم السلام، ويقول عليه السلام: (ونوّرنا السّبع الطرائق، بأعلام الفُتوّة)، فالسّبع الطرائق كناية عن السماوات السبع فيقول: إنّنا نوّرنا السماوات بـ(أعلام الفتوّة) والمقصود بهم أهل البيت عليهم السلام.

والفتوّة هم الشباب بين طوري المراهقة والرجولة وتمثّل ذلك كناية عن الإمام علي عليه السلام فقد امتاز بتلك المرحلة وهو فتى دافع عن الإسلام والرسول، ورفع راية الإسلام، وأعلام النبوّة هم رايات الشجاعة وعلامات القوة، فجمال الأُسلوب هنا ودقّة التعبير هي إشارات للمتلقي في فهم المقصود من النَّص وهو شرف محمد وأهل بيته، (ويُذكر من فوائد الكناية أنّها تكون مظهراً لشرف المكنّى عنه وتعظيمه، كذلك إنّ عكسها وهو التصريح قد يكون مظهراً للتنفير عن المكنّى عنه...)[1]، وكذلك يجعل التصوير أكثر إيحاء وأقوى دلالة، (إنّ الكناية وسيلة من وسائل تصوير المعنى فنيّاً عندما تتآزر بحكمها من عناصر التصوير البلاغي مع غيرها ممّا يتحمله السياق تؤدي إلى الكشف عن محاسن وجمال يملأ الطرف، ودقائق تعجز الوصف، وسحر يضفي على الصورة البلاغية كثيراً من الإمتاع والجمال. ومن هنا، كان للكناية وظيفة تحدّدها قدرتها التعبيرية التي تجعل من الجمال منبعثاً في المعنى الثاني الملوّح به، أو الموصى إليه)[2].

-«اللّهمَّ صلَّ على محمد وآل محمد، وأحللنا دارَ المُقامَةِ من فضلك لا يَمسُّنا

(١) أبو موسى، محمد محمد، البلاغة القرآنيّة في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغيّة، ص٤٧٠.

(٢) حسين، عبد الحميد، الأُصول الفنية للأدب، الصور البلاغية، ص٥١٥.

فيها نَصَبٌ، ولا يَمَسَّنا فيها لُغُوبٌ»[١]. نلمس الكناية عن الموصوف (الجنّة) في كلام الإمام العسكري عليه السلام؛

كنّى عليه السلام بلفظة (دار المُقامة) المقصود بها الجنّة، وسمّيت بذلك؛ لأنّ أهلها يُقيمون فيها ولا يخرجون منها، ولا يتحولون عنها، ودار المقامة إشارة إلى زوال الدنيا؛ فهي منزل ينزله المكلّف مدّة قصيرة من الزمن، ثم يرتحل إلى الدار الخالدة. وقد ورد ذكر هذا اللّفظ في القرآن في قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**﴾[٢]، فقد اقتبس هذا النَّص من القرآن الكريم وهذا ما يدل على تنوع الأساليب البلاغية، ومعنى لا يمسّنا فيها نَصب ولا لغُوب؛ أي: لا يصيبنا فيها عناء، ولا مشقة، ولا إعياء من التعب.

(والمهم في الكناية كمّيّة الصور الذهنيّة التي يستحضرها المتلقي تباعاً كأنّها ومضات تتكثف وتتراكم لتشكل في النهاية معنى ثابتاً يطمئن إليه العقل ويتأثر به القلب)[٣].

(١) القرشي، باقر شريف، موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، ص٣٤، ٤٠.

(٢) سورة فاطر، الآية ٣٤-٣٥.

(٣) المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، ص٢٥١.

المبحث الثاني: المستوى التّركيبيّ:

التّركيب:

يُعدّ التّركيب عنصراً مهمّاً من العناصر الّتي تقوم عليها شعريّة اللُّغة وأدبيّتها، فالأدب يقوم على نسيج من الجمال والدقّة في التعبير، والعناصر الأُخرى لا يمكن أنّ تحقّق هدفها بمعزل عن التّركيب، فالنّصّ الأدبيّ "شبكة متكاملة من الدَّوال والمدلولات ومجموعة علاقات متشابكة تكوّن في النّهاية صورة بنائيّة لهذا النّص هي بعينها أُسلوبه"(١).

لقد أدرك عبد القاهر الجرجاني سرّ الجمال والإبداع في التّركيب فألّف كتابه دلائل الإعجاز على النّظم، وأظهر معنى النّظم في مواضع كثيرة من كتابه. فقال: "واعلم أنّ ليس النّظم إلّا أنّ تضع كلامك الوضع الّذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأُصوله، وتعرف مناهجه الّتي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرُّسوم الّتي رُسِمت لك فلا تُخلّ بشيءٍ منها"(٢) و"الإحاطة بدقائق النّظم تقتضي الإحاطة بمواضيع التّقديم، والتّأخير، والحذف، والتّكرار، والإظهار، والإضمار، وما أشبه ذلك؛ فهي السَّبيل إلى معرفة مواضع الإبداع"(٣).

تُعنى دراسة التّراكيب بالكشف عن خصوصيّة بناء التّراكيب -لشاعر ما- وتميّزها؛ إذ تكشف الدّراسة عن العلاقة القويّة بين لغة العمل الأدبيّ ودلالته من خلال وعي المبدع بالصِّياغة، ولا يعني هذا أنّ كلّ عدول يحمل بالضّرورة دلالة أُسلوبيّة؛ "فليس باللّازم أنّ أيّ انحراف عن القاعدة الأساسيّة، أو النّمطيّة ينبثق عنه

(١) السايح، مديحة جابر، المنهج الأُسلوبيّ في النقد الأدبيّ، ص١٩٢.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٩.

إبداع لغويّ»[1].

أوّلاً-التّكرار:

التّكرار لغةً: قال ابن منظور: الكَرُّ: الرّجوع، يُقال: كَرَّه وكَرَّ بنفسه، يتعدّى ولا يتعدَّى، والكَرُّ مصدر كَرَّ عليه يكرُّ كرّاً...والكَرُّ: الرُّجوع على الشّيء، ومنه التّكرار...قال الجوهريّ: كَرَّرْتُ الشيء تَكْريراً وتَكْراراً[2].

التكرار اصطلاحاً: تكرار كلمة، أو جملة، أو أكثر من مرّة لمعانٍ مُتعدّدة كالتّوكيد، والتّهويل، والتّعظيم، وغيرها.

يُعدُّ التّكرار من أهمّ السّمات الأُسلوبيّة في اللُّغة الأدبيّة؛ إذ عُرّف: "تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير؛ بحيث يُشكّل نغماً موسيقيّاً يتقصّده النَّاظم في شعره ونثره»[3].

تُعدّ بِنْيَة التّكرار من البِنَى الإيقاعيّة والأُسُس الأُسلوبيّة الّتي تعمل على تعميق الدّلالة في النصّ الأدبيّ، بوظيفته المزدوجة الّتي تجمع بين الوظيفة الفنّيّة والوظيفة النّفسيّة فضلاً عن وظيفته الصَّوتيّة النّاتجة من تكرار أصوات اللّفظة نفسها.[4]

يمكن القول: إنّ للتّكرار وظيفة أُسلوبيّة -إيقاعيّة تخدم النّظام الداخليّ للنّصّ الأدبيّ، وذلك باستثمار الطَّاقة الصَّوتيّة المتولّدة من الصّوت في صناعة الإيقاع، والإيحاء بالدلالة، وذلك يستطيع الكاتب أنّ يُعيد صياغة بعض الصّور من جهة، ويعمق الدّلالة الإيحائيّة للنّصّ من جهةٍ أُخرى.[5]

(١) عبد المطلب، محمد، البلاغة والأُسلوبيّة، ص٣٦٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (كر)، مج٥، ص١٣٥.

(٣) السعدني، مصطفى، البنيات الأُسلوبيّة في لغة الشعر العربي الحديث، ص١٧٢.

(٤) عياشي، منذر، مقالات في الأُسلوبيّة، ص٨٣.

(٥) ابن معصوم، علي صدر الدين، أنوار الربيع في أنواع البديع، ج٥، ص٣٤٥، وينظر: عز

التكرار بوصفه ظاهرةً لسانيّةً، يؤدّي دوراً مهمّاً داخل الخطاب الأدبيّ، يتمثّل في إحداث تجانس بين العبارات من حيث الوزن الصّوتيّ والصّرفيّ، مُتجاوزاً وظائفه التقليديّة المعروفة في النّقد التّقليديّ؛ ليصبح في النّقد الحديث أداةً معرفيّة يستخدمها الأديب/ الشّاعر لتطوير المعنى في خطابه أو نصّه، ويتعامل معه النّاقد بوصفه أُسلوباً يُثير التَّساؤلات حول لجوء الأديب إلى تلك التّراكيب المكرّرة، ودلالات استخدامها.[1]

قد برزت ظاهرة التكرار واضحة في أقوال العسكري عليه السلام؛ إذ كان يرمي باستعماله تعزيز المعنى، وتقريره في نفس المتلقي، والتّفاعل مع مقصديّة المتكلّم، فضلاً عن الإيقاع النّغميّ الّذي يؤدّيه التكرار في بنية النصّ.

في سياق الدّعاء تجده حافلاً بتكرار الصّيغة الصرفيّة (استفعل):

"اللّهمّ واستحصد زرع الباطل، وبلّغ نهايته واستحكم عموده، واستجمع طريده، وبسق فرعه، وضرب بُجرانه. اللّهمّ فافتح له من الحق يداً تحاصره تضرع قائمه، وتهشم سوقه».

من المُلاحظ في تكرار الصّيغة أنّها دلّت على المُضِيّ؛ للتّقوية، أو للتّفريع في الحجج للإعراب عن العمق المنبني على تفشّي الباطل في كلّ مفاصل الحياة بسبب الدّولة الحاكمة.

الدين، علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، ص١١٤.

(١) يوسف، عبد الفتاح أحمد، الخطاب السّجالي في الشّعر العربيّ: تحوّلاته المعرفيّة ورهاناته في التواصل، ص٢٢٨.

ثانياً-النّفي:

النّفي لغةً واصطلاحاً:

النّفي لغةً: النّون والفاء والحرف المعتلّ أصلٌ يدلّ على تعرية شيءٍ من شيء وإبعاد منه. يُقال: نَفَيتُ الشيء أنفيه نفياً، وانتفى هو انتفاءً، والنُّفاية: الرَّديُّ يُنفى[١]، والسّيل ينْفي الغُثاء: يحمله ويدفعه، ونَفَى الرجلَ عن الأرض ونفيتُهُ عنها: طردته فانْتَفَى. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ**﴾[٢]، وانتفى منه: تبرَّأ. ونفت الريح التّراب نفْياً ونَفياناً: أطارته[٣].

أمّا **النفي اصطلاحاً** فهو ما لا ينجزم بـ(لا)، وهو من الأساليب اللُّغويّة الضّروريّة كالإثبات والتوكيد والشرط،...إلخ[٤]، وهو عبارة عن الأخبار عن ترك الفعل، وهو ضدّ الإيجاب[٥]، وأهل المنطق يسمّونه السّلب[٦].

-قال الإمام عليه السلام: «إنّ الوصول إلى الله عزّ وجلّ سِفرٌ لا يُدرك إلّا بامتطاء اللَّيل»[٧].

يُلحظ في الطّرف الأول من القول النّفي الحاصل في قوله عليه السلام: (لا يُدرَك)، ولفظة الإدراك تُطلق ويُراد بها بلوغ الشيء، أدرك فلان: بلغ علمه أقصى الشيء؛ إذ نفى عليه السلام إدراك المرء لله عزّ وجلّ من دون هذه العبادة، ونفى وصوله إلى الله سبحانه وتعالى

---

(١) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (نفى)، ص١٠٠١.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نفى)، ص٣٣٦-٣٣٧.

(٤) الجرجاني، الشريف علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، ص١٦٦.

(٥) مصطفى النحاس، أساليب النّفي في العربيّة، دراسة وصفيّة تاريخيّة، الكويت، ١٩٧٩م، ص١١.

(٦) ابن سيّده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصّص، بيروت، دون تاريخ، ج٤، ص٢٤٨.

(٧) موسوعة الإمام العسكري عليه السلام، ج٣، ص٢٨٨.

إذا كان بعيداً عن القيام بصلاة اللَّيل والمداومة عليها. يتّضح من تفكيك العبارة ما لصلاة اللَّيل من أهمّيّة في حياة الفرد للوصول إلى ربّه، ونيل رضاهﷻ، وإرشادهم للمداومة والحفاظ عليها.

قد تحقّق معنى النّفي عند تفسيرهعليه السلام لآية ﴿**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[1] الّتي تُشير إلى سياق القضاء والقدر، والنّصّ كما يأتي: (سأل محمد بن صالح الأرمني الإمام أبا محمد عن قول الله ﷻ: ﴿**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ فقال الإمام عليه السلام: هل يمحو الله إلّا ما كان، وهل يثبت إلّا ما لم يكن... تعالى الجبَّار، العالم بالأشياء قبل كونها، الخالق إذ لا مخلوق)[2]؛ بمعنى لا يمحو الله إلّا ما كان، ولا يثبت إلّا ما لم يكن.

وقد يكون السّرّ في جمال أُسلوب الاستفهام والعدول إليه عن أُسلوب النّفي هو أنّه في أصل وضعه يتطلّب جواباً يحتاج إلى تفكير، ولمّا كان المسؤول يجيب بعد تفكير ورويّة عن تلك الأسئلة بالنّفي كان في توجيه السؤال إليه حملاً له على الإقرار بهذا النّفي، وهو أفضل من النّفي ابتداءً.[3]

(١) سورة الرعد، الآية ١٣.

(٢) المجمع العالميّ لأهل البيت، أعلام الهداية، ج١٣، ص١٨٧.

(٣) بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، ص١٢٦.

خاتمة:

بعد هذه الرّحلة الماتعة مع خطاب الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام يخرج البحث بالنّتائج الآتية:

- إنّ خطاب الإمام العسكري عليه السلام خطاب حجاج وقوّة في التّعبير، واستعمال الأساليب المختلفة للتّأثير في المتلقّي؛ لِكَوْن الرّسالة الّتي يُريد إيصالها ذات أهمّيّة بالغة للإنسان في دينه ودنياه. ولهذا، وظّف الإمام العديد من الفنون البلاغيّة؛ لإيصال تلك الرّسالة؛ كالاستعارة، والتّشبيه، والكناية، والمجاز؛ ما يؤدّي باللّفظ إلى القوّة والجزالة في التّعبير.

إنّ أبرز المواضع الّتي استقى منها الإمام حججه وخطابه؛ أي: المحفزات، أو الخلفيّات الّتي استند إليها بهدف التّدعيم والتّقوية والتّرصين لخطبه كان القرآن الكريم، والحديث الشّريف، والسّلوك العقليّ؛ فالإطار العام لخطب الإمام العسكريّ هو المنطلق الدّينيّ فضلاً عن تمتّعه بالصّفات الأُخَر: العقديّة، والتّربويّة، والأخلاقيّة، وغير ذلك من مبادئ الإسلام.

- إنّ من أهمّ خصائص التَّصوير التَّشبيهيّ عند الإمام كان الدّقّة في رسم أطراف الصُّورة فيكون جمال الصورة في اجتماع جزئيّاتها معاً.

- لقد وظّف الإمام العسكري عليه السلام التّشبيه التّصويريّ في خطابه بوصفه وسيلةً إبداعيّةً ليس مقصوداً لذاته؛ بل عنصراً إضافيّاً في التّعبير ولكنّه جزءٌ أساس يعطي الوضوح والتّأثير إنْ لم يكن ضرورة في التّعبير يتطلّبه المعنى ليصبح قويّاً فاعلاً، حتّى يحسّ المُتلقّي بما أحسّ به المُتكلّم؛ لأنّه ذو دلالة فنّيّة لا دلالة مجرّدة.

- كان للاستعارة حضورٌ بارز في إثراء مجازيّة النّصُوص العسكريّة من خلال الخروج من الدّلالة الحرفيّة إلى الدّلالة الإيحائيّة؛ بتوظيف المدركات الحسّيّة في تصوير المعاني، عبر خرق المألوف بتصويرها، والارتقاء بالمستوى الدّلاليّ للنُّصُوص

العسكريّة الّتي تزخر بالشّحنات الدّلاليّة العميقة.

- كشفت الدّراسة عن الطَّاقة الكنائيّة بوصفها توظيفاً إشاريّاً يدفع بالمتلقّي للتَّأمُّل وشدّ الانتباه، فتمارس الكناية تأثيراً نفسيّاً على المتلقّي، وتحفّزه لإنتاج دلالات يتقبّلها العقل والشّعور، فيصل إلى إدراك المعنى المقصود، ويكتشف مجاهيل الدّلالة والقصديّة الّتي تحملها. لقد أضفى الإمام العسكري عليه السلام على خطبه بُعداً كنائيّاً لطيفاً، "كَوْن الطريقة الكنائيّة في التّصوير من طرائق البلاغة، وهي من الصور الأدبيّة اللّطيفة التي لا يصل إليها إلّا من لَطُف طبعه، وصَفت قريحته، ولها من أسباب البلاغة في ميزان التّصوير الأدبيّ ما يجعلها دائمة الإشراق، واضحة المعالم، دقيقة التّعبير؛ فهي تأتي بالفكرة مصحوبة بدليلها، والقضيّة وفي طيّها برهانها».[1]

- اتّضح ما للإمام العسكري عليه السلام كما للأئمّة عليهم السلام من قدرة وقوّةٍ في التّعبير، واستعمال الأساليب المختلفة للتّأثير في المُتلقّي؛ لكون الرّسالة الّتي قاموا بإرسالها ذات أهمّيّة بالغة للإنسان في دينه ودنياه.

- اعتمد الإمام العسكري عليه السلام على العديد من الفنون البلاغيّة؛ لإيصال فكره إلى المتلقّي؛ كالاستعارة، والتّشبيه، والمجاز؛ ما يؤدّي باللّفظ إلى القوّة والجزالة في التّعبير.

- وظّف الإمام العسكري الصّورة توظيفاً فرضته ضرورةٌ فكريّة كما لحظنا؛ ما يُفسّر لنا طبيعة النّصوص الّتي يتوفّر عليها أهل البيت، وتميّزها عن سائر النصوص العاديّة، حيث لا يعنون بالفن من أجل كونه فنّاً؛ بل من أجل توظيفه فكريّاً،... لذلك، نجد النصوص لديهم مُترسّلة حيناً ومُوشّحة بالفنّ حيناً آخر، ومُكثّفة إلى درجةٍ ملحوظة بالفنّ حيناً ثالثاً...

(١) عبد التواب، صلاح الدين، الصورة الأدبيّة في القرآن، ص٦٧.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١. ابن سيّده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المُخصّص، بيروت، دون تاريخ.

٢. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، ٢٠٠١م.

٣. ابن معصوم، علي صدر الدين (ت١١٢٠هـ)، أنوار الربيع في أنواع البديع، حقّقه وترجم لشعرائه: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٩م.

٤. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م.

٥. أبو موسى، محمد، البلاغة القرآنيّة في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغيّة، دار المعرفة، القاهرة، دون تاريخ.

٦. أحمد مطلوب، فنون البلاغة، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠م.

٧. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٦م.

٨. أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م.

٩. بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، شركة نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٠. بركة، فاطمة الطبال، النظرية الألسنيّة عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨م.

١١. البستاني، محمود، أدب الشّريعة الإسلاميّة: دراسة جديدة في بلاغة نصوص القرآن الكريم ونصوص الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام، مؤسّسة السّبطين العالميّة، قم، ١٤٢٤هـ.

١٢. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

١٣. الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة١٩٩١م.

١٤. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٥. الحراني، ابن شعبة (ت ٤٧٥هـ)، تحف العقول عن آل الرسول ويليه كتاب التمحيص، مكتبة دار آداب شرقية، النجف، دون تاريخ.

١٦. الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، الناشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم المُقدّسة، ١٤٠٨هـ.

١٧. الداية، فايز، جماليات الأُسلوب (الصّورة الفنّيّة في الأدب العربيّ)، سلسلة دراسات أُسلوبيّة (١)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م.

١٨. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، طليعة النور، قم، دون تاريخ.

١٩. الرباعي، عبد القادر، الصُّورة الفنيّة في شعر أبي تمام، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٠. السايح، مديحة جابر، المنهج الأُسلوبيّ في النّقد الأدبيّ، الهيئة العامّة لقصور الثقافة، مصر، ٢٠٠٠م.

٢١. السبكي، بهاء الدين، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م.

٢٢. السعدني، مصطفى، البِنْيات الأُسلوبيّة في لغة الشّعر العربيّ الحديث، مطابع رواي للإعلان، الإسكندرية، ١٩٨٧م.

٢٣. سليمان، علي محمد، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج رسائله أُنموذجاً، المؤسّسة العربيّة للدراسات، مملكة البحرين، ٢٠١٠م.

٢٤. سيد قطب، التّصوير الفنّيّ في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ١٩٦٤م.

٢٥. سيسل دي لويس، الصّورة الأدبيّة، ترجمة: أحمد ناصيف الجنابي وآخران، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م.

٢٦. الشامي يوسف بن حاتم (٦٦٤هـ)، الدُّرّ النّظيم، مؤسَّسة النَّشر الإسلاميّ، قم، دون تاريخ.

٢٧. الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، تحقيق: إبراهيم الإبياري، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢٨. الشّريف الرضي(ت٤٠٦هـ)، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، منشورات الهجرة، قم المُقدّسة، ١٤١٤هـ.

٢٩. شفيع السيد، التعبير البياني، رؤية بلاغية نقدية، دار الكتاب الحديث، الكويت، ١٩٨٢م.

٣٠. الشهيد الأول، محمد بن مكي (٧٨٦هـ)، الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة، المترجم: عبد الهادي مسعودي، منشورات الزائر، قم المقدّسة، ١٤٢١هـ.

٣١. الشهيد الأول، محمد بن مكي (٧٨٦هـ)، الدرة الباهرة من الأصداف

الطاهرة، تحقيق: جلال الدين الصغير، دون تاريخ.

٣٢. الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤٠٥هـ.

٣٣. صلاح فضل، علم الأُسلوب والنّظريّة البنائيّة، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٤٢٧هـ.

٣٤. الطبرسي، ميرزا حسن النوري، مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسّسة آل البيت، بيروت، ١٤٨٠هـ.

٣٥. الطبسي، محمد جواد، حياة الإمام العسكري (دراسة تحليليّة تاريخيّة علميّة لحياة الإمام العسكري)، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، بيروت، ٢٠٠٤م.

٣٦. عبد التواب، صلاح الدين، الصُّورة الأدبيّة في القرآن الكريم، الشّركة المصريّة العالميّة للنشر - لونجمان: مكتبة لبنان: دار نوبار، القاهرة، ١٩٩٥م.

٣٧. عبد الرحمن، طه، اللّسان والميزان أو التكوثر العقليّ، المركز الثّقافي العربيّ، بيروت، ٢٠٠٦م.

٣٨. عبد المطلب، محمد، البلاغة العربيّة، قراءة أُخرى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، دون تاريخ.

٣٩. عبد المطلب، محمد، البلاغة والأُسلوبيّة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصريّة العالميّة للنشر-لونجمان، ١٩٩٤م.

٤٠. عز الدين، علي السيد، التّكرير بين المثير والتّأثير، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.

٤١. عصفور، جابر، الصُّورة الفنيّة في التراث النّقديّ والبلاغيّ عند العرب، المركز الثّقافيّ العربيّ، القاهرة، ١٩٩٥م.

٤٢. عياشي، منذر، مقالات في الأُسلوبيّة، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ١٩٩١م.

٤٣. فرانسوا، مورو، البلاغة المدخل لدراسة الصُّور البيانيّة، ترجمة: محمد الولي، وعائشة جرير، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٣م.

٤٤. القرشي، باقر شريف، موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٦م.

٤٥. القزويني، محمد كاظم، الإمام العسكري من المهد إلى اللّحد، مكتبة الغدير، بيروت، ١٤١٢هـ.

٤٦. الكشي، محمد بن عمر رجال الكشي اختيار معرفة الرجال، تحقيق: مهدي الرجائي، مؤسّسة أهل البيت، قم المُقدّسة، ١٤٠٤هـ.

٤٧. لاشين، عبد الفتاح، البيان في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

٤٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ١٤٠٣ه.

٤٩. مجموعة باحثين، أعلام الهداية (الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام)، المجمع العالميّ لأهل البيت: ج١٣، مطبعة مجاب، قم المُقدّسة، ١٤٣٠هـ.

٥٠. مجموعة باحثين، أهمّ نظريّات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنيّاته، إشراف: حمادي صمود، منشورات جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة، تونس كلية الآداب، منوبة، دون تاريخ.

٥١. مجموعة مؤلفين، المجمع العالميّ لأهل البيت، أعلام الهداية، مطبعة ليلى، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالميّ لأهل البيت، قم، ١٤٢٢هـ.

٥٢. المراغي، أحمد بن مصطفى، علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، دون طبعة، دون تاريخ.

٥٣. موسوعة الإمام العسكري عليه السلام تحقيق: محمد الحسيني القزويني وآخرون، مؤسّسة ولي العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، إيران، ١٤٢٦هـ:٣/ ٢٨٨.

٥٤. النحاس، مصطفى، أساليب النّفي في العربيّة، دراسة وصفيّة تاريخيّة، الكويت، ١٩٧٩م.

٥٥. الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٩٩٩م.

٥٦. يوسف، عبد الفتاح أحمد، الخطاب السجالي في الشّعر العربي: تحوّلاته المعرفيّة ورهاناته في التواصل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٤م.

المجلّات المُحكّمة:

٥٧. الطائي، شروق محسن "التّوظيف البلاغيّ في الخطاب الإصلاحيّ للإمام الحسن العسكري عليه السلام"، في: مجلة آداب ذي قار، العدد٣١، القسم الأول لسنة ٢٠١٩م.

٥٨. عباس، هديل حسن، "معادلات لغويّة في أقوال العسكري عليه السلام"، مجلة تسليم، مج٨، ع: ١٥ -١٦، ك١ ٢٠٢٠م.



البحث الثالث

أثر السياق في توظيف الإدراك الحسي

رسائل ووصايا الإمام الحسن العسكري عليه السلام

أُنموذجاً (دراسة وصفية)

أ.م.حوراء غازي عناد السلامي

جامعة الكوفة / كلية الفقه / قسم علوم القرآن الكريم



الملخص:

يعنى هذا البحث بدراسة موضوع السياق وأثره في توظيف الادراك الحسي، أذ تمثل نظرية السياق من أهم النظريات التي تناولت في هذا البحث المعنى بشقيه السياق الداخلي والسياق الخارجي، كما تضمنت دراسة هذا البحث على معاني السياق بين التتابع والاستقامة وكذلك تنوع السياق وأثره في التعبير، كما سلط البحث الضوء على عمل الادراك الحسي والسمعي في رسم وشائج قوية ثابتة الأساس، والتراسل ومدى أتساق المعاني المعجمية في رسائل الامام العسكري عليه السلام، حيث عبر الإمام عليه السلام عن جميع الحواس والادراكات الحسية والذوقية في نصوص رسائله.

الكلمات المفتاحية: الادراك الحسي، الإمام الحسن العسكري عليه السلام، البعد الدلالي، السياق.

المقدمة:

الحمدّ لله الذي غشِي بنوره الظُّلمات، وأضاء بقدسه الفجاج المتوعرات، وخشع له أهل الأرض والسموات، وصلّى الله على الحبيب محمد وآله الطيبين مع اختلاف الليل والنهار، ومداد الفلك والبحار، وبعد:

يُعدُّ السياق العامل الأساسي في توضيح الدلالة، فله أثره في اختيار أساليب التعبير بحسب أحوال المتلقين له، ولذا يمثل السياق بكلّ عناصره أداة كبرى في توضيح النص وتوجيه دلالاته وتنويعاته، (فالسياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، تنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم).[1]

وبما أنّ اللغة هي لغة حسية يُعبر بها عن مايراد من معان مختلفة، فقد جاءت الحواس سبلاً لمعرفة الدلائل الكونية والتعاليم السماوية وغيرهما لتلائم التعابير جمهور المتلقين، ونظراً لأهمية هذه القنوات المعرفية، أناط الله سبحانه وتعالى بها المسؤولية في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾ الإسراء/ ٣٦، فالآية تنص على أَهمية الحواس في المعرفة، لذا هدفت الدراسة بيان أثر السياق في توظيف الإدراك الحسي في النص توظيفاً يخدم المعنى، فجاء البحث بعنوان (أثر السياق في توظيف الإدراك الحسي –رسائل ووصايا الإمام الحسن العسكري عليه السلام دراسة وصفية) من خلال عرض نماذج تشير إلى وظائف الحواس وأثر السياق في توظيفها وبيان قصديتها الدلالية التواصلية اللفظية وغير اللفظية، التي تعبر عن وعي أَو قصد المخاطب لغرض ما، ولعل في رسائل الإمام العسكري عليه السلام ووصاياه الميدان الرحب لما حملته من مفاهيم ومضامين عقائدية وأَخلاقية وتربوية عالية، تأخذ بالروح والقلب، فعلى الرغم من قصر مدة إمامة الإمام العسكري عليه السلام، التي

(١) ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج٤، ص١٣.

لم تتجاوز ست سنوات، إلّا أنّها حملت في طياتها شذرات مهمة من علومه ومعارفه، التي كان لها أثرها الإيجابي على السلوك الأخلاقي والارتقاء الروحي والمعنوي في الشخصية المسلمة.

وقد تضمن البحث مقدمة وتمهيد لتعريف مفهوم السياق وثلاثة مطالب تناول المطلب الأول تنوع السياق في التعبير عن حاسة البصر، وناقش المطلب الثاني تنوع السياق في التعبير عن حاسة السمع، وتناول المطلب الثالث تنوع السياق في التعبير عن حاستي الذوق واللمس وخاتمة توصل إليها البحث إلى أبرز النتائج، وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين.

التمهيد: مفهوم السياق:

تمثل نظرية السياق أهم النظريات التي تناولت المعنى بشقيه-السياق-الداخلي والخارجي أو الأساسي والإضافي، ويمثل الجانب اللغوي الداخلي العناصر المقالية داخل النص، بينما يمثل الجانب الخارجي تلك العناصر غير اللغوية المصاحبة للنص، لذا فمفهوم السياق هو:

أ-السياق في اللغة:

تعددت معاني السياق بين التتابع والاستقامة والإنقياد والاتفاق، قال ابن فارس (ت٢٩٣هـ): (السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء يقال ساقه يسوقه سوقاً، والسيقة ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها وأسقته، والسوق مشتقة من هذا، ممّا يساق إليها في كلّ شيء والجمع أسواق).[1]

وجاء في لسان العرب (ت٧١١هـ):(ساق الأبل يسوقها سوقاً وسياقاً هو سائق وسواق يشدد للمبالغة، قال تعالى: ﴿ **وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ**﴾

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (سوق)، ص٤٧٦.

ق/ ٢١، وقيل في التفسير: سائق يسوقها إلى محشرها وشهيد يشهد عليها بعملها، وقد انساقت الإبل وتساوقت إذا تتابعت)[١]، ونجد هذه المعاني حاضرة في المعالجة اللغوية، يقول الدكتور عبد المنعم خليل: (فالسياق لغة هو التتابع والسير والانتظام في قطيع واحد، فإذا قلنا سياق الكلمات فإنّنا نعني بذلك تتابعها وسردها في الجملة أو العبارة).[٢]

ومن هنا فاستعمال كلمة السياق مثل "سياق العبارة" أو"سياق الجملة" هو استعمال مجازي يعود إلى المعنى الأصلي من التتابع والسير والنظم.[٣]

ب-المعنى الاصطلاحي:

يتفق المعنى الاصطلاحي مع المعنى اللغوي في أنّ اللغة تتابع للجمل يكمل معناها السابق مع اللاحق وفق تنظيم لغوي محكم، وتحيط بها ملابسات خارجية تحدد ملامحها الدقيقة، فيرى أولمان أنّ السياق: (قد استعملت حديثاً في عدة معاني مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي، أي: النظم اللفظي للكلمة وموضعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة، إنّ السياق على هذا التفسير ينبغي أنّ لا يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلّها والكتاب كلّه).[٤]

ويعرف جون ديبوا السياق كونه قد حقق البعد التداولي وضم الظروف والملابسات الثقافية والنفسية والإجتماعية: (هو مجمل الشروط الاجتماعية المتفق عليها، التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوق)، ج ١٠، ص١٦٨.

(٢) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٤) ستيف، اولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٦.

واستعمال اللغة، وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمرسل إليه والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما)[١]. ويتضح من هذين التعريفين الاستعمال الداخلي وفق نظام لغوي محكم، والاستعمال الخارجي لتحديد الطرق والملابسات في توصيل النص.

المطلب الأول: تنوع السياق وأثره في التعبير عن حاسة البصر:

ترتبط ظاهرة التنوع في النص بقرينة السياق، باعتماده على جانبيه الداخلي والخارجي كما مر في تعريف السياق، ولمّا كانت الحواس سبلاً لمعرفة الإنسان وصلاح أمره، فقد اعتمدها الإمام الحسن العسكري عليه السلام في رسائله ووصاياه، ومن خلال استقراء تلك الرسائل والوصايا نجد الإمام العسكري عليه السلام قد استعملها بشكل متفاوت، فقد أولى حاستي البصر والسمع المكانة الأكبر من بقية الحواس، ولعل ماعاشه الإمام عليه السلام من الصراعات السياسية والظلم الواقع على شيعته كان السبب في هذا المورد، باعتبار أنّ الإنسان يؤمن بحواسه ويركن إليها، فنرى الإمام عليه السلام قد استعمل حاسة البصر إلّا أنّه عبّرفي كلّ موضع بمادة دون أُخرى؛ لأنّ السياق فرض هذا الاستعمال لتمام المعنى، فنجده عندما أراد التعبير عن معنى العلم والفهم استعمل(بصر) في رسالته إلى إسحاق بن إسماعيل، يقول: «يا إسحاق ابن إسماعيل، سَتَرنا الله وأياك بِسِتره، وتولّاك في جميع أُمورك بِصُنعه، قد فهمتُ كتابك يرحمك الله... فأتمَّ الله عليكم بالحق – ومن كان مثلك ممّن قد رحمّه الله، وبصرّه بصيرتك، ونزع عن الباطل، ولم يُقم في طغيانه – نعمه. فإنَّ تمام النعمة – دخولك الجنَّة، وليس من نعمةٍ وإن جلَّ أمرها، وعظم خطرها إلّا والحمد لله – تقدست أسماؤه– عليه مُؤدَّى شُكرِها.» [٢].

(1) Jean Dubois، dictionnaire de linguistique et des sciences du langage، Larousse 2eme Edition، 1999، p116.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥٠، ص ٣١٩– ٣٢٢.

وإذا ما تلمسنا البعد الدلالي لهذه الحاسة التي جرّها السياق إلى دلالة العلم والتبصر بالشيء، يقول ابن فارس: (الباء والصاد والراء أصلان: أحدهما العلم بالشيء.. والبصيرة: البرهان، وأصل ذلك كلّه وضوحُ الشيء... ويقال: بصرت بالشيء إذا صرت به بصيراً عالماً)، ففي مادة (البصر) حصول الإبصار، إلّا أنّ السياق جرّه إلى الإدراك الحسي بمعنى العلم بأحوال المنظور إليه، ونفاذ الحق إلى قلبه، والسياق المقامي يمدنا بمعنى هذه التبصرة بقرينة النزع، فعلم الإمام عليه السلام بيقين إسحاق وصدقه حتى أزال الله سبحانه عنه وعن اتباعه الشك والارتياب في حقيقة آل البيت عليهم السلام، نزع لاعوده فيه دلالة على طهارة قلبه ووصوله لمنزلة التبصرة، فأبدى الإمام عليه السلام سروره وفرحه بما يسديه الله تعالى إلى شيعتهم من النعم والألطاف ولعل أعظمها الظفر بالجنة[1]، لذا حمل اللفظ على الاسمية الثبوتية ناسب السياق.

ومثله قول الإمام عليه السلام في دفع الشبهات وبيان طبقات الناس: « الناس في طبقات شتّى، المستبصر على سبيل النجاة متمسك بالحق، متعلق بفرع أصيل غير شاك ولامرتاب، لايجد عنه ملجأ، وطبقة لم تأخذ الحق من أهله فهم كراكب البحر يموج عند موجه، ويسكن عند سكونه، وطبقة استحوذ عليها الشيطان شأنهم الرد على أهل الحق، ودفع الحق بالباطل، حسداً من عند أنفسهم، فدع من ذهب يذهب يميناً وشمالاً، فالراعي إذا أراد أنّ يجمع غنمه جمعها في أهون السعي..»[2]، وممّا يدل على إرادة الإدراك البصري لكلّ طبقة هو ما خطه عليه السلام من صفات يدرك بها السامع توجهات تلك الطبقات، فقد جاء رده سمحاً في الإجابة، دقيقاً وحكيماً في معالجة الأمر، ودفع حومة التشكيك والشبهات عن أتباع آل البيت عليهم السلام.

والمتأمل في وصية الإمام عليه السلام يجده قد استعمل لكلّ طبقة سياقها الخاص والذي

(١) ينظر: أعلام الهدى: مجمع جهاني أهل البيت عليهم السلام، ص١٤٤.

(٢) الإربلي، كشف الغمة، ج ٣، ص ٢٠٦-٢٠٧.

من شأنه توضيح المعنى، فنراه في الأُولى جعل الإبصار بصيغة اسم الفاعل بدلالتها على الدوام والثبوت قد رسمت لها خط الحق الذي لاتحيد عنه، بقرينة النفي والنهي، ليتخذ من الأُسلوب الشرطي بدلالتة القطعية عن ترك الحق متخذاً من التشبيه صورة رائعة في رسم حال ضياعهم في دائرة النقاق والرياء، ثم الصيغة الفعلية للطبقة الثالثة بدلالتها على الاستمرار واصفاً اضطرابهم وتخبطهم في الباطل.

ونرى الإمام الحسن العسكري عليه السلام عبّر عن حاسة البصر بعدوله عن (بصر) إلى (رأى)؛ لأنّ الإبصار لايتم إلّا بعد التدقيق والإحاطة بأوصاف المتلقي، وإدراك كامل لهيئته، ولمّا أراد التعبير عن أحوال شيعته استعمل الفعل (رأى) الذي يحمل دلالات كثير، منها: الدلالة البصرية في رسالته عليه السلام لأحمد بن إسحاق [١] في رده على بطلان دعوى جعفر ابن الإمام الهادي عليه السلام يقول: «أو ما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم إلى أنّ ظهر الماضي عليه السلام، كلّما غاب علم بدا علم، وإذا أفل نجم طلع نجم، فلّما قبضه الله إليه ظننتم أنّ الله أبطل دينه وقطع السبب بينه وبين خلقه، كلا ماكان ذلك ولايكون حتى تقوم الساعة...»[٢].

فقد عبر الإمام العسكري عليه السلام في سياق التعجب الإنكاري عن استيائه البالغ عمّا مني به بعض من الشيعة من الانحراف عن الحق والتشكيك في إمامته مع وجود الإمارات الظاهرة والأدلة الحاسمة على وجوده وأنّ الله تعالى في جميع مراحل وجود الإنسان لايخلي الأرض من حجته [٣]، فلوتتبعنا سياق الرسالة لوجدنا ما يدل على الإدراك الحسي، فاللجوء والإيواء إلى هذه المعاقل قد تحققت بحاسة البصر بما يجعل القلب مطمئناً وموقناً بأنّه يسلك طريق الحق، وعززت التراكيب الاسمية دلالات

(١) هو أحمد بن إسحاق الاشعري القمي وهو أحد رواة الأئمة العظام، ينظر: الكشي، رجال الكشي، ج ٢، ص ٤٤ - ٤٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١٣، ص٢٤٧.

(٣) ينظر: القرشي، باقر، حياة الإمام العسكري عليه السلام، ص ٦٨.

السياق في (معاقل تأوون إليها) و(أعلاماً تهتدون بها) في ثبات وجودهم واستمراريته فلا يخليهم الله من أرضه، في سياق فني تصويري ينتقل بنا في تعريف آبائه وماحباهم الله من جليل المنزلة وعظم القدر بقوله: (كلّما غاب علم بدا علم، وإذا أفل نجم طلع نجم)، فهم من النور ما لاتزيغ عنه الأبصار وتأوي إليه النفوس وتأمن بهم شر الدارين.

وقد يجيء الفعل (رأى) بمعنى المعرفة والعلم كقوله عليه السلام في رسالته لإسحاق بن إسماعيل: «إنّي أراكم مُفرِّطين في جنب الله، فتكونون من الخاسرين، فبُعداً وسحقاً لمن رغب عن طاعة الله، ولم يقبل مواعظ أوليائه، وقد أمركم الله – جلّ وعزّ – بطاعته لا إله إلّا هو، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وبِطاعة أُولي الأمر عليهم السلام فَرحم الله ضعفكم، وقِلَّة صبركم عمّا أمامكم».[١]

ولوتأمّلنا سياق الرسالة لوجدنا ماأضفاه الإدراك الحسي من دلالات زجر الإمام عليه السلام لأتباعه بقرينة صيغة (مفرِّطين)، فقد بيّن فيها أنّ لولا إرسال الله سبحان النبي محمد صلى الله عليه وآله والأوصياء بعده، لكنتم تتيهون في مساحات سحيقة من مجاهل هذه الحياة، لاتعرفون فرضاً ولاتفقهون سنة، فرد جهلكم بمحمد صلى الله عليه وآله [٢].

وقد يعبر الإمام العسكري عليه السلام في رسائله ووصاياه عن حاسة البصر بمفردات لاتدل على الإبصار إلّا بدلالة السياق، فالفعل (شهد) دلالته الظاهرة الحضور والعلم، وقد أشار ابن فارس إلى ذلك بقوله: (الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام)[٣]، وقد يدل اللفظ (شهد) على حصول الرؤية فإنّما يدل عليه بدلالة الحضور والمعاينة، لذا احتج به الإمام الحسن عليه السلام في رد ادعاء جعفر بن الإمام

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥، ص ٣١٩ – ٣٢٢.

(٢) ينظر: القرشي، باقر، حياة الإمام العسكري عليه السلام، ص٧٨.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: مادة(شهد)، ص ٥١٧.

علي الهادي عليه السلام بالإمامة: «الحمد لله ربِّ العالمين حمداً لاشريك له على إحسانه إلينا وفضله علينا أبى الله للحق إلّا تماماً وللباطل إلّا زهوقاً وهو شاهد عليّ بما أذكره، ولي عليكم بما أقوله، إذا اجتمعنا ليوم لاريب فيه ويسألنا عمّا نحن فيه مختلفون، إنّه لم يجعل لصاحب الكتاب على المكتوب إليه ولا على أحد من الخلق جميعاً إمامة مفترضة ولا طاعة ولاذمة وسأبيّن لكم جملة من تكتفون بها إنّ شاء الله تعالى... جعل الله لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم إلى أنّ ظهر الماضي عليه السلام كلّما غاب علم بدا علم، وإذا أفل نجم طلع نجم...».[1] فلم يكن الاحتجاج قائمًا على نفي الرؤية والإبصار فحسب، وإنّما على تجهيل هولاء المشككين، واختلاف قلوبهم وتشتت أهوائهم، ونزغ الشيطان حتى أحدث لهم الفرقة، ولربّما يعود السبب لجملة من الأسباب أهمها إسلامهم غير الواعي، وإنّما أخذوا بعض طقوسه عن تقليد لآبائهم، وأقل شبهه تعرض لهم، ينكصون على أعقابهم.

والسبب الثاني هو غياب الإمام عليه السلام بسبب الإقامة الجبرية له في سامراء، فلم يكن يرد على كلّ ادعاءات القوى الباغية، فعمدوا بدورهم إلى افتعال الروايات الكاذبة والمضللة للموالي من الشيعة [2].

وتتضح دلالة الرؤية والحضور للفعل (شهد) في وصية الإمام الحسن عليه السلام والتي اشتملت على رسم منهاج سلوكي يسير عليه شيعته ويقيموا علائقهم وفقاً له، يقول: « أُوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من أئتمنكم من برّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوارفبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله. صلّوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وحسّن خلقه مع

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٢٤٧.

(٢) ينظر: اليوسف، عبد الله أحمد، سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص١٤٣.

الناس، قيل: هذا شيعيّ فيسرني ذلك، اتقوا الله وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كلَّ مودّه، وادفعوا عنّا كلّ قبيح، فإنّه ما قيل فينا من حُسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوءٍ فما نحن كذلك. لنا حقٌّ في كتاب الله، وقرابة رسول الله، وتطهير من الله لايدّعيه غيرنا إلّا كذّاب.»[١]

فلو تأمّلنا سياق الوصية وجدنا جملة أُمور أبرزها:

١-مجيء الفعل (اشهدوا) بمعنى الرؤية شرط الحضور، وإلى هذه الدلالة مال صاحب المعجم الوسيط إلى تعريف المشاهدة بقوله: (الإدراك بإحدى الحواس)[٢]، دون حصرها على الإبصار؛ لغلبة معنى الحضورعلى الفعل، بينما ذهب أبو هلال العسكري إلى أنّ (المشاهدة للشيء هو المدرك له رؤية، وقال بعضهم رؤية وسمعاً، وهو في الرؤية أشهر)[٣].

٢- رسم الإمام العسكري عليه السلام منهاجاً لشيعته مثل مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة، مثلت إدراكاً حسيّاً وروحيّاً خالصاً لله سبحانه من خلق رفيع، وحسن تعامل مع الناس، سواء كانوا موافقين للمذهب في المبدأ أو مخالفين له، إرساء لما جاء به خير المرسلين محمد صلى الله عليه وآله.

٣- قذف الإمام العسكري عليه السلام في موجة هذا التوجيه مكانة أهل البيت عليهم السلام، ومالهم من الحقوق التي نصّ عليها القرآن الكريم، ومالهم من التطهير من الرجس، فبهم بدأنا وبهم نختم.

ومثله الفعل (يطلع) فهو يفيد دلالة الظهور والبروز، وقد يتعدى بالحرف (على)، وحينئذ يفيد دلالة الإشراف من ارتفاع أو علو، يقول ابن فارس: (استطلعت

(١) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص ٤٨٧ - ٤٨٨.

(٢) المعجم الوسط، مجمع اللغة العربية: مادة (شهد).

(٣) العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، ص ٩٨.

رأي فلانٍ، إذا نظرتَ مالذي يبرزُ إليك منه، وطَلْعة الإنسان: رؤيته، لأنّها تطلع) [١]، (وكل باد من علو طالع... وأطلع رأسه: إذا أشرف على شيء) [٢].

فلو نظرنا إلى رسالة الإمام العسكري عليه السلام في التحذير من الانخداع بالمتصوفة، عندما وصلت إليه أخبار أحمد ابن هلال الذي اتخذ مسلك الصوفية لإضلال الناس والتشكيك في معتقدات الشيعة الحقة، كتب الإمام عليه السلام إلى وكيله في العراق فاصلاً بالأمر: « وكنّا قد عرفنا خبره قوماً من موالينا في أيامه، لارحمه الله، وأمرناهم بإلقاء ذلك إلى الخاص من موالينا، ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال، لارحمه الله، وممّن لايبرأ منه. واعلم الإسحاقي، سلمه الله، وأهل بيته ممّا أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألك ويسألك عنه من أهل بلده والخارجين، ومن كان يستحق أنّ يطلع على ذلك، فإنّه لاعذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يؤديه عنّا ثقاتنا، وقد عرفوا بأننّا نفاوضهم سرنا، ونحمله إيّاه إليهم، وعرفنا مايكون من ذلك إنّ شاء الله تعالى» [٣].

لوجدنا أنّ الفعل (يطلع) هنا بمعنى: يرى، بيد أنّه المناسب للسياق دون غيره من (يراى، أو يبصر، أو ينظر)؛ وذلك لأنّ فعل الاطلاع وقع على أهل الثقة، بدلالة السياق في قوله عليه السلام: (ومن كان يستحق)، فالرؤية تكون من علو وإشراف، فضمن الفعل (يطلع) دلالة النظر على رسالة الإمام وهو مطمئن ومتأكد، هنا اكتسب الفعل (طلع) دلالة العلو باتصاله بحرف الجر (على)؛ لذا عُدّي بالحرف (على)، ويعضد هذا الإدراك الحسي سياق الرسالة الذي ضمّنه لغة التحذير والتهديد بهلاك المخالفين، فقد جاء سياق الرسالة حاملاً دلالة قوية على موقف الإمام الحازم من دعاة الصوفية، لما يمثله من خطر حقيقي على المجتمع بقوله: (نحن نبرأ إلى الله من

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (طلع)، ص ٥٩٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (طلع)، ج ١٢، ص٥٢٦.

(٣) الشيخ الطوسي، رجال الكشي، ص ٥٨١- ٥٨٢، رقم ١٠٢٠.

ابن هلال)، (لارحمه الله وممّن لا يبرأ منه) (من حال هذا الفاجر).

ويجيء تعطيل الحواس نوعاً من أنواع التعبير في السياق؛ لتنبيه المتلقي الصادم لتأكيد فداحة فعله، فترى الإمام الحسن العسكري عليه السلام استعمل العمى الذي يدلُّ على مطلق فقد البصر دون اشتراط العلة، في رسالته لإسحاق يقول: « لقد كان منكم أُمور في أيام الماضي إلى أنّ مضى صلّى الله على روحه وفي أيامي هذه، كنتم غير محمودي الشأن، ولامسدّدي التوفيق، واعلم يقيناً يا إسحاق أنّ من خرج من هذه الحياة الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً. إنّها يا ابن إسماعيل ليس تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وذلك قول الله عزّ وجلّ في محكم كتابه للظالم: وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ﴾ سورة طه / ١٢٥-١٢٦. وأي آية يا إسحاق أعظم من حجة الله عزّ وجلّ على خلقه، وأمينه على بلاده، وشاهده على عباده، ومن بعد ما سلف من آبائه الأولين من النبيين وآبائه الآخرين من الوصيين، عليهم أجمعين رحمة الله وبركاته. فأين يُتاه بكم ؟ وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم ؟ عن الحق تصدفون وبالباطل تؤمنون، وبنعمة الله تكفرون، أو تكذبون....»[1].

فلو تأمّلنا كلام الإمام عليه السلام في استعماله للعمى دون غيره، لوجدناه ناسب سياق الرسالة فالعمى صفة فاقد البصر عموماً، بعله وبغير علة وهذا ما قصده الإمام العسكري عليه السلام في قوله: «فأين يُتاه بكم ؟ وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم ؟ عن الحق تصدفون وبالباطل تؤمنون، وبنعمة الله تكفرون، أو تكذبون...»، ومجيء (الأبصار) بدلالتها الحسية قد قُصد إضافة دلالة أُخرى لاتستطيع أداءها كلمة غيرها إذا استبدلت بها في السياق ذاته.

وإنّما جاء تركيب (تعمى القلوب التي في الصدور) خاصة لزيادة شيء على

(١) الكشي، رجال الكشي، ص٤٨١ - ٤٨٥.

معنى الإدراك الحسي البصري بها، وذلك برسم صورة تلائم المعنى السياقي الذي يفهم من رسالة الإمام العسكري عليه السلام وتطابق المقام الذي وردت فيه. فقد أضاف معنى حصول العمى للبصيرة في الوجهين، عمى البصر وعمى البصيرة، لذا (فلا حُجَّة له يهتدي بها، لأنّه ليس للناس على الله حُجَّة بعد الرسل)[1]، لذا عني الإمام الحسن عليه السلام بطول مخاطبته لأوليائه، وذلك بيان تمام حجة الله ونعمته عليهم، وإلّا لما سمعوا منه حرفاً، ولا رأوا له خطأً، فقد أعرب الإمام عليه السلام عن أبعاد خطيرة في رسالته تودي بهم إلى الهلاك، وهي حدوث فجوة بينه وبين إسحاق وجماعته كانت من زمن أبيه الإمام الهادي عليه السلام، فقد ساءت العلاقات بينه وبين قومه، أرجعها باقر القرشي إلى جملة أسباب أبرزها[2]:

١-حجب الأئمة عليهم السلام من قبل العباسين، والاستماتة في قطع الصلة بينهم وبين شيعتهم أدى إلى إشاعة بعض الأفكار المنحرفة، وعملهم الحثيث على دس العملاء لزعزعة الفكر والعقيدة والتشكيك في الأئمة عليهم السلام.

٢-الحسد بين بعض وكلاء الإمامين عليه السلام، فالعهد إلى بعضهم بقبض الحقوق الشرعية، ومنحهم التأييد المطلق، والثقة الكاملة أدى إلى ذلك، فأخذوا يعثون فساداً بين صفوف الشيعة، ويفسدون عليهم عقائدهم، لذا ترى الإمام العسكري عليه السلام يختم هذا الجزء من الرسالة بتعجب إنكاري عن ايغالهم وضياعهم في سرادق الضلال، وتشبيه عماهم المطلق بالبهائم دون تقييد هو الأبلغ في قوله: «فأين يُتاه بكم ؟ وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم ؟ عن الحق تصدفون وبالباطل تؤمنون»، فقد ضلّت عقولهم، وعميت عيونهم، وأنّهم في يوم حشرهم سيحشرون عمي العيون كما كانوا في دار الدنيا بعيدين عن الحق.

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ص ٩٢٢.

(٢) ينظر: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص ٨٠-٨١، الصغير، محمد حسين، الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص ١٩٥.

المطلب الثاني: تنوع التعبير عن حاسة السمع:

ورد التعبير عن الإدراك السمعي في رسائل الإمام الحسن العسكري عليه السلام بمادة (سمع)، ومجيئها بصيغة اسم الفاعل (سامع) في رسالة له كتبها لبعض من مواليه يشكون إليه شدة الحبس، وما فيه من ثقل الحديد، وسوء الحال، وتحامل السلطان. فكتب إليه عليه السلام: «يا عبد الله إنّ الله (عزّ وجلّ) يمتحن عباده ليختبر صبرهم فيثيبهم على ذلك ثواب الصالحين فعليك بالصبر؛ واكتب إلى الله (عزّ وجلّ) رقعة، وأنفذها إلى مشهد الحسين بن علي (صلوات الله عليه) وارفعها عنده إلى الله (عزّ وجلّ)، وارفعها حيث لايراك أحد، واكتب في الرقعة:

... اللّهم إنّي قصدتُ بابك، ونزلت بفنائك، واعتصمتُ بحبلك، واستعنتُ بك، واستجرتُ بك، ياغياث المستغيثين أغثني، ويا جار المستجرين أجِرني، يا إله العالمين خُذ بيدي. أنت - مولاي - سامع كلّ دعوةٍ، وراحم كلّ عَبرة، ومُقيل كلّ عثرة، وسامع كلّ نجوى وموضع كلّ شكوى، ولايخفى عليك ما في السموات العُلى، والأرضين السفُلى، وما بينهما وماتحت الثرى».(١)

لو دققنا النظر في سياق الدعاء لوجدنا جملة أُمور؛ أولها أنّ الإمام الحسن عليه السلام قد جاء بالإدراك السمعي بصيغة اسم الفاعل (سامع)، لأنّه في سياق الحديث عن عطاء الذات الإلهية المقدسة، فاسهمت دلالة اسم الفاعل الثبوتية على بيان مطلق قدرة الله سبحانه، فهو عارف ومدرك لكلّ شيء، لاتشتبه عليه الأصوات ولا يبرمه إلحاح الملحين، والأمر الثاني تكرار السمع مقدماً السمع الحسي في قوله: (سامع كلّ دعوة)، على السمع الخفي في قوله: (سامع كلّ نجوى)، وربّما كان مراعاة للترتيب المنطقي بين المدركات، فالحواس كلّها تدرك الظاهر الجلي قبل إدراكها الشيء الخفي، مستثمراً لما لدلالة اسم الفاعل من وقوع الحدث في الحاضر والمستقبل، فضلاً عن

(١) المجلسي بحار الأنوار، ج ١٠٢، ص٢٣٨.

الزمن الماضي، وهكذا فقد بث الإمام العسكري عليه السلام كلماته ضمن مشهد تصويري رائع سخر كلّ ما يمتلكه من ثراء معجمي بإنتقاء ألفاظ في غاية الحساسية (غياث، وجار، سامع، وراحم، ومُقيل، وسامع)، ليقدم صورة نابضة عن الضيق الذي وقع فيه العبد ومقدار الحاجة للخلاص، فقد أضفى في كلماته دراً ذات إيقاعية مائزة تدعم التواصل السمعي والذهني[١]؛ وذلك لأنّ (الدعاء يظل أكثر الأشكال التشريعية احتشاداً بأدوات الفن بخاصية الإيقاع، ولعل السر الفني وراء ذلك كامن في طبيعة عنصر التلاوة التي يمتاز بها الدعاء عن غيره)[٢].

ولم يعبر الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن الإدراك السمعي بمادة (سمع) فحسب، وإنّما أخذ الإدراك الحسي أبعد من ذلك، فنجده في نهاية رسالته لأبن إسماعيل يوصيه بأنّ يُسمع كُلًّا من الوكلاء والموالين، وإذا لزم الأمر تنسخ هذه الرسالة لما تحمله من أهمية بالغة، يقول: « يا إسحاق، اقرأ كتابي على البلالي رضي الله عنه، فإنّه الثقة المأمون، والعارف بما يجب عليه، واقرأه على المحمودي عافاه الله، فما أحمدنا له بالطاعته، فإذا وردت إلى بغداد فاقرأه على الدهقان وكيلنا وثقتنا، والذي يقبض من موالينا، وكلّ من أمكنك من موالينا فاقرئهم هذا الكتاب، وينسخه من أراد منهم نسخه إنّ شاء الله، ولايكتم أمر هذا عمّن شاهده من موالينا إلّا من شيطان مخالف لكم، فلا تنثرنّ الدرّ بين أظلاف الخنازير ولا كرامة لهم»[٣].

فطلب الإمام العسكري عليه السلام بإلقاء رسالته على الوكلاء والموالي ينم على أنّ السامع منصت ومتدبر وفاهم، وهذا كلّه دال على أنّ لفظ الاستماع لايؤدي هذه الدلالات التي جعلت المتلقي يدرك القصد من كلام الإمام عليه السلام، وهي السكون عن

(١) ينظر: إدريس، طارق، المناجيات وأدعية الأيام، ص ٤٠.

(٢) البستاني، محمود، الإسلام والأدب، ص١٥٧.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥٠، ص ٣١٩-٣٢٣.

الحركة، والإصغاء والمراعاة، والتدبر الذي ينبني عليه فهم وعمل، فقد عدَّت هذه الرسالة من أنفس الرسائل أثراً، حتى أمر الإمام عليه السلام إلقاها على مسامع أصحابه، ونسخها لمن أراد ذلك؛ لأنّه عدّها منهجاً انتظم فيه عظيم الإصلاح وموارد الصلاح، ولّما اشتملت عليه من مسائل الأحكام الشرعية.

وإذا تأملت قول الإمام العسكري عليه السلام في نهاية الرسالة «فلا تنثرنّ الدرّ بين أظلاف الخنازير ولا كرامة لهم» وجدت صورة بلاغية رائعة قد رُسمت بإمعان، تبين جهالة القوم وتعصبهم للباطل، واستعمال النثر للتعبير عن الإدراك الحسي؛ لأنّ السمع أسبق منه إلى النظر، ثم إنّه عليه السلام لّما كنّى القوم بالخنازير اختار لهم أضعف جزء في جسمهم، يقول ابن فارس: «الظاء واللام والفاء أصل صحيح يدلُّ على أدنى قوّةٍ وشدة»[١]، فهي تصور بشاعة نفوسهم التي لاتدرك الحق، فهم غلاظ لايرى منهم إلّا الإنكار والجحود.

ونجده في موضع آخر يعبر عن الإدراك السمعي بذكر النتيجة من حاسة السمع وهي سمع الآراء والركون إليها بالقبول يقول في رسالته لأهالي قم وآبة: «فلم تزل نيتنا مستحكمة، ونفوسنا إلى طيب آرائكم ساكنة، والقرابة الراسخة بيننا وبينكم قوية، وصية أوصى بها أسلافنا وأسلافكم وعهدٌ عُهِدَ إلى شبابنا ومشايخكم، فلم يزل على جملة كاملة من الاعتقاد، لما جمعنا الله عليه من الحال القريبة، والرحم الماسة، يقول العالم سلام الله عليه: "المؤمن أخو المؤمن لأُمه وأبيه"..».[٢]

فقد عمل الإدراك السمعي على رسم وشائج قوية ثابتة الأساس، إلّا أنّه عدل عن استعمال حاسة السمع بأخذ معناها من النتيجة المتوخاة منها، لأنّه على علم ويقين من موقفهم، إلّا أنّ المقام احتاج إلى استذكار ذلك؛ لأنّه يحكي مدى تعاطف

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: مادة (ظلف)، ص٦١٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣١٧.

الإمام الحسن عليه السلام مع هولاء المؤمنين الأخيار، وتقف على (عجب عُجاب في البعد التوجيهي نحو الله تعالى، والبعد التذكيري بالآء الله، وأنت تلمس بحرارة إيمانية صدق الدعاء، وصحة الحديث، ولطف العشرة، ولغة الحنان، وتستوحي منها عظيم المنة لله تعالى، على ماهدى به أولياءه، وما غرس في قلوبهم من حب العترة الطاهرة، حتى عادت النيّة مستحكمة، والنفوس ساكنة، والقرابة قوية الوشائج ثابتة الأساس في عهد معهود للشباب والشيوخ، ووصية للأسلاف ممّا جعل الحال قريبة، والرحم ماسة، فالمؤمن أخو المؤمن). [١]

ولو دقننا النظر في قوله عليه السلام:« نفوسنا إلى طيب آرائكم ساكنة» نرى شيئاً من تراسل الحواس، فالطيب لما يذاق من لذيذ الطعام، والرأي يقال ليسمع، ويعد تراسل الحواس عنصر من عناصر تشكيل الصورة في النقد الحديث، فهو (وسيلة من وسائل تشكيل الصورة الشعرية التي عني بها الرمزيون، وعن طريقهم انتقلت إلى الآداب العالمية، بما فيها أدبنا الحديث) [٢]. وإن كان هذا الكلام غير دقيق، فقد وجد هذا الفن في القرآن الكريم وفي التراث العربي القديم، ومنها: رسائل الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وماهي إلّا اختلاف مسميات ومصطلحات، فتراسل الحواس يعمد إلى تقوية التعبير وذلك (بوصف مدركات كلّ حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأُخرى، فتعطي المسموعات ألواناً، وتصير المشمومات أنغاماً، وتصبح المرئيات عاطرة... وذلك أنّ اللغة – في أصلها – رموز اصطلح عليها لتثير في النفس معاني وعواطف خاصة، والألوان والأصوات والعطور تنبعث من مجال واجداني واحد). [٣]

(١) الصغير، محمد حسين، الإمام الحسن العسكري، ص١٩٤.

(٢) العشري، علي زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص٨١

(٣) هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، ص٣٩٥.

وتتضح قيمة التراسل في تصوير استمتاع الإنسان بكلّ مايحيط به، وذلك من خلال كلّ حاسة من حواسه، حتى الأُذن يطيب تمتعها بما يطيب به اللسان بما يذوق فـ(طيب الآراء) في سماع منهج الحق، واتباع السبيل الصحيح الذي تنشرح له النفس، وهي وسيلة للذة النفوس، كالمحادثة مع الأصحاب وسماع، فنقل صفات بعضها إلى بعض الآخر ساعد على نقل الأثر النفسي كما هو، أو قريب ممّا هو، وبذا تكمل أداة التعبير بنفوذها إلى نقل الأحاسيس الدقيقة، ليعبر فكرة وشعوراً عن الصلات الوثيقة التي عقدت بين القوم برسالة أهل البيت، وأهدافهم الشامخة، ولم تقم على الأهواء والعواطف، وقد أكبر الإمام العسكري عليه السلام فيهم هذه الروح، وهذا الشعور الفياض.

ولم يكن تنوع الإدراك الحسي في التعبير عن حاسة السمع فحسب، إنّما جاء في مواضع من رسائل الإمام العسكري عليه السلام عن تعطيلها في قوله لإسحاق في سياق التوبيخ لمن حاد عن اتباع طريق أهل البيت عليه السلام: «فقد - يا إسحاق، يرحمك الله ويرحم من هو وراءك - بيّنتُ لك بياناً وفسّرت، وفعلت بكم فعل من لم يفهم هذا الأمر قطّ، ولم يدخل فيه طرفة عين، ولو فهمت الصّم الصلاب بعض ما في هذا الكتاب، لتصدعت قلقاً، وخوفاً من خشية الله، ورجوعاً إلى طاعة الله عزّ وجلّ، واعملوا من بعد ما شئتم، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون، والعاقبة للمتقين والحمد لله ربّ العالمين».[1]

فترى الإمام عليه السلام في تعبيره عن تعطيل الإدراك السمعي لم يكن مهتماً بكيفية انتفاء السمع، وإنّما تعلق المقام في هذا الموضع بوصف درجة انتفاء السمع، حيث إنّ هناك فرقاً بين الأصم، ومن لايسمع، فإنّ مادة صم تدور حول دلالات الانسداد، يقول ابن فارس: (الصمّ تَضَامٌّ الشَّيء وزوالِ الخرْق والمَّ... أي: هو أمرٌ لافُرجَةَ له

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥٠، ص ٣١٩- ٣٢٣.

فيه)[1].

ويقول الراغب: (الصمم: فقدان حاسة السمع، وبه يوصف من لايصغي إلى الحق ولا يقبله قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾... وشبه ما لا صوت له) [2].

ويتضح من اتساق المعنى المعجمي لكلمة صمم مع حاسة السمع؛ فكلمة (الصمَّ) تتضمن دلالات الانسداد، والمنع، وزوال الخرق، فتومئ بدلالة الرفض والتصميم على عدم قبول الحق، على الرغم من توضيح الحقائق والبراهين، فهم لايزالون في عتوهم وإعراضهم عن أمر الإمام، لذا شبههم بالصم الصلاب إذ كانت حواسهم لاتفيد شيئاً.

فأنذرهم مذكراً إيّاهم بقوله تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هُذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ سورة الحشر / ٢١، محاولاً لفت انتباههم لشيء مهم، وهو أنّ الله سبحانه قد خلق ما هو أعظم قدرة وبنية من الإنسان، «لو فهم الجبل منه مافهم الإنسان لخشع واستكان وتصدّع من خشية الله تبارك وتعالى وإذا كان الجبل على عِظَمه وقوته يفعل هذا فما عسى أنّ يحتاج ابن آدم أنّ يفعل، لكنّه يُعرض ويصُدُّ على حقارته وضعفه وضرب الله تبارك وتعالى هذا المثل ليتفكر فيه العاقل ويخشع ويلين قلبه». [3]

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: مادة (صمّ)، ص٤٥٠.

(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: مادة (صمم)، ج٢، ص٣٧٥.

(٣) ابن الجوزي، أبو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، ص١٨٤٤-١٨٤٥.

المطلب الثالث: تنوع السياق في التعبير عن حاستي الذوق واللمس:

من المدركات الحسية حاسة الذوق التي جاءت في رسائل الإمام العسكري عليه السلام ووصاياه تارة بمعناها المجمي (ذاق)، وتارة أُخرى بمعنى الأكل، أمّا دلالاتها فيحدده السياق، منها ما وجد بخطه عليه السلام: «قد صَعَدنا ذُرى الحقائق بأقدام النبوَّة والولاية، ونوَّرنا سبع طبقات أعلام الفتوى (الفتوّة) بالهداية، فنحن لُيُوث الوغى، وغيوث النّدى، وطعّان العدى، وفينا السيف والقلم في العاجل، ولواءُ الحمدِ والحوضُ في الآجل، وأسباطُنا حُلَفاء الدين، وخُلَفاء النبيين ومصابيح الأُمم، ومفاتيح الكرم: فالكليم أُلبِسَ حُلَّة الإصطفاء لمّا عهدنا منه الوفاء، وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة، وشيعتنا: الفئة الناجية، والفرقة الزاكية صاروا لنا رِدءً وصوناً، وعلى الظَّلَمة ألباً وعوناً، وسينفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران، لتمام آل حم وطه والطواسين».[١]

الملاحظ في هذا النص الهادف أنّ الإمام عليه السلام في موجة هذا التوجيه أراد بيان مكانة أهل البيت عليهم السلام، ومالهم من الحقوق التي قد نصّ القرآن الكريم عليها[٢]، وثم جسدت المدركات الحسية صور رائعة بيّن فيها مفاتيح تكريم الله لعباده ومفتاح كلّ موضع، ومنها مكانة الفرقة الناجية، ومفتاحها انتظار مهديها عجل الله تعالى فرجه الشريف لحين حلول الفرج، فكان لحاسة اللمس في قوله عليه السلام: (فالكليم أُلبِسَ حُلَّة الاصطفاء لمّا عهدنا منه الوفاء)، وحاسة الذوق في قوله: (روح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة) انظر لجمال الاستعارة بأنّ جعل الاختيار والاصطفاء كالدرر والجواهر التي متى ما لامست البدن زينته وزادته ضياءً، واستعمل حاسة الذوق في رسم موضع الملك جبرائيل عليه السلام في الجنة، وقيل هي السماء الثالثة.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١٥، ص٢٤٣.

(٢) ينظر: الصغير، محمد حسين، الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص ١٩٥.

وما زاد من الصورة إبداعاً وجمالاً هو نقل المدرك الحسي للذوق والذي هو (اختبار الشيء من جهة تَطَعُّم)[١]، إلى الشعور بلذة الذوق ربّما يكون للنظر وربّما يكون أبعد من ذلك؛ لأنّ تصور جمال الجنان بعيد عن الخيال ولايدركه تصور الإنسان فهو منة من الخالق لمن أطاعه والتزم أمره.

واختيار الإمام العسكري عليه السلام لحاسة الذوق دون غيرها من الحواس؛ لأنّ الذوق – إذا ما قورن بالإبصار والسمع والشم واللمس – هو أعلى المراتب لدى البشر من جهة الإدراك الحسي، فقد شبّه إحساس البهجة والغبطة بإحساس الذوق، فقد يصيب باقي الحواس التخييلات، أمّا الذوق فإنّه بعيد عن التخييل مع إدراك المطعومات، لأنّ أصل (الذوق ملابسة يحس بها الطعم)[٢]، ولو دققنا النظر في مفردات الصورة الذوقية نجد الإمام عليه السلام قد عبر عن الجنة بجمع التكسير، لإظهار الكثرة السعة في التصور والإشارة إلى المرتبة الكبيرة التي حبا بها روح القدس عليه السلام.

ثم ينتقل الإمام الحسن عليه السلام إلى بيان موضع تكريم الفرقة الناجية، وهنا يتضح الهدف في هذا النص وهو التمهيد لإمامة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ولغبيته ووجوب انتظاره، لأنّ في إمامته تمام فوز الدنيا والآخرة.

وقد يستعمل الإدراك الحسي لحاسة الذوق لمعن آخر على سبيل الاستعارة مثل قول الإمام العسكري عليه السلام لإسحاق ابن إسماعيل: « إنّ الله، بمنّه ورحمته، لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم، بل رحمة منه – لا إله إلّا هو – عليكم ليميز الخبيث من الطيب، وليبتلي مافي صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم، لتسابقوا إلى رحمة الله، ولتتفاضل منازلكم في جنته عليكم».[٣]

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: مادة (ذوق)، ص٣٧٠.

(٢) العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، ص٣٠٣، ٣٣٠.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣١٩ – ٣٢٣.

فذكر الإمام الحسن عليه السلام أنّ الله أقام الحجة على عباده وذلك ببعثه النبيين والمرسلين والأوصياء، فقد بلّغوا أوامر الله ونواهيه، ونشروا أحكامه، فلا عذر للعباد بعد ذلك في تقصيرهم وعدم طاعتهم.

وعرض الإمام إلى أنّ الله لّما أقام الفرائض على العباد، وألزمهم بها لم يكن لحاجة إليها، وإنّما ليميز الخبيث من الطيب، ويمتحن العباد بها، فمن أطاع فقد نجا، ومن خالف فقد غرق وهوى، مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة المائدة / ١٠٠، يقول ابن الجوزي في معنى (الخبيث والطيب) أربعة أقوال: «أحدها: الحلال والحرام. والثاني: المؤمن والكافر، والثالث: المطيع والعاصي. والرابع: الردئ والجيّد»[١].

وبهذا يتضح للباحثة أنّه قد يستعمل الإدرك الحسي للذوق لمعنى آخر يستعار ويتسع بعد ذلك فيه، ويطلق على الخير والشر من القول والعمل، والعقود والنيات، والمآكل والمشارب، والأموال والمكتسبات، ليميز الحلال من الحرام والصالح من الطالح والصحيح من المذاهب[٢].

ويجيء في موضع آخر يعبر عن الإدراك الذوقي بالأكل في صورة حسية رائعة تبين بشاعة المعادين لآل البيت عليهم السلام، منها: قول الإمام الحسن عليه السلام محذراً شيعته من هولاء، حيث قال: إلى العبيدي ابتداء منه «أبرأ إلى الله من الفهري – محمد بن نصر الفهري، النميري – والحسن بن محمد بن بابا القمي، فأبرأ منهما، فإني محذك وجميع مواليّ، وإنّي ألعنهما عليهما لعنة الله، مستأكلين، يأكلان بنا الناس، فتانين، مؤذيين،

(١) ابن الجوزي، أبو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، ص٤١١.

(٢) ينظر: ابن برجان، تفسير ابن برجان، ج٢، ص١٨٢، وينظر: الطبري، جوامع الجامع، ج٧، ص٥٣٦.

آذاهما الله، وأركسه في الفتنة ركساً، يزعم ابن بابا أنّي بعثته نبيّاً، وأنّه باب، عليه لعنة الله، سخر منه الشيطان فأغواه، فلعن الله من قبل منه ذلك، يامحمد إنّ قدرت أنّ تشدخ رأسه بحجر فأفعل، فإنّه قد آذاني، آذاه الله في الدنيا والآخرة». (١)

فقد لعن الإمام العسكري عليه السلام علي بن حسكة الجوّاز القمي الذي كان أُستاذ القاسم الشعراني اليقطيني، وابن بابا، ومحمد بن موسى الشريعي، كانا من تلامذة علي بن حسكة، وفارس بن حاتم القزويني، والسمهري، وابن أبي الزرقاء، والإمام عليه السلام لعنهم جميعاً مرات عديدة، حتى أمر جنيداً، بقتل فارس بن حاتم القزويني، وحرض على قتل جماعة آخرين من الغلاة. (٢)

وعبّر الإمام العسكري عن حاسة الذوق بالأكل، وقد ذكر اللغويون أنّ الفعل (ذاق) يدور حول أختبار الشيء كما مرَّ، أمّا الأكل فهو (معناها التنقُّص.... والأُكْلة اسمٌ كاللُّقمة... والمَأكَلَ ما يُؤكل، كالمَطْعَم؛ والمُؤكِل المُطْعِم.) (٣)، وطعم (أصلٌ مطَّرد منقاس في تذوق الشيء) (٤)، ويستخدمان استخداماً مجازيّاً، وجيء بالأكل محل التذوق؛ لأنّ السياق تطلب ذلك، فالدلالة المُساقة لتوضيح حال هولاء قد تطلب إعطاء صورة للآكل الشره الذي لايراعي حتى التذوق، ثم إنّ مجيء الأكل بصيغة اسم الفاعل المزيدة أعطت تصور استمرارية تجدد أكلّه للحرام والكذب على الله تعالى ونبيه وآله صلى الله عليه وآله وسلم، ويذكر صاحب المستدرك قول المجلسي: (لا تستأكل الناس بنا أي لاتطلب أكل أموال الناس بوضع الأخبار الكاذبة فينا، أو بافتراء الأحكام ونسبتها إلينا، فتفتقر أي: في الدنيا والآخرة) (٥).

(١) الشيخ الطوسي، رجال الكشي، ص٥٦٨ رقم ٩٩٩.

(٢) الغريري، سامي، الجذور التاريخية والنفسية للغلو والغلاة، ص٣١١.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (أكل)، ص٧٦.

(٤) المصدر نفسه، (طعم)، ص٥٩٤.

(٥) الشهروردي، مستدرك سفينة البحار، ج١، ص١٦٤.

وقيل: إنّ المستأكل من أفتى الناس بغير علم ولاهدى في الله عزّ وجلّ، وجعلها وسيلة لاكتساب زخارف الدنيا الدنية بالتسويلات والنفسانية والتدليسات الشيطانية، فيجر العقول الناقصة في تيه الضلالة والغي والشبهات، فهولاء أمر الإمام عليه السلام بقتلهم والتخلص من أذاهم وضلالتهم، وسيكون جزاءهم أنّ يملء الله سبحانه بطونهم ناراً ويسلط عليهم من الجوع والعطش ما لا يُشابه طمعهم وغيهم[١].

بينما جاء التعبير عن الإدراك اللمسي قليل الورد في رسائل الإمام الحسن العسكري عليه السلام ووصاياه، ومنها رسالته إلى أحد مواليه يشكو إليه ضيق الحبس، وثقل الحديد، وسوء الحال، وتحامل السلطان. فكتب إليه: «يا عبد الله إنّ الله (عزّ وجلّ) يمتحن عباده ليختبر صبرهم فيثيبهم على ذلك ثواب الصالحين فعليك بالصبر؛ واكتب إلى الله (عزّ وجلّ) رقعة، وأنفذها إلى مشهد الحسين بن علي (صلوات الله عليه) وارفعها عنده إلى الله (عزّوجلّ)، وارفعها حيث لايراك أحد، واكتب في الرقعة:... اللّهم أنت السلام، وإليك يرجع السلام، تباركت وتعاليت ياذا الجلال والإكرام والمنن والعظام والأيادي الجسام؛ إلهي مسني وأهلي الضُرّ وأنت أرحم الراحمين، وأرأف الأرأفين، واجود الأجودين، وأحكم الحاكمين، وأعدل الفاصلين»[٢].

نلاحظ أنّ الإمام عليه السلام قد استعمل (المس) دون (اللمس)؛ لأنّه ناسب سياق التضرع والشدة، فالمس يعني تلاقي جسمين دون فاصل بقطع النظر عن الإدراك أو الإلصاق، يقول ابن منظور: (المس: مسُّك الشيء بيد... وتماسَّ الجرمان: مسَّ أحدهما الآخر) [٣]، أمّا اللمس فهو: (يدلّ على تَطَلُّبِ شيء.... واللمس أصله باليد ليُعرف مسُّ الشيء) [٤].

(١) صالح، مولى محمد، شرح أُصول الكافي، ج٢، ص٣١.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١٠٢، ص٢٣٨.

(٣) لسان العرب: مادة (مسس)، ج٦، ص٢١٨.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: مادة (لمس)، ص٩٠٤.

وقد فرق أبو هلال بين (المس) و(اللمس) بقوله: (اللمس يكون باليد خاصة؛ ليعرف اللين من الخشونة، والحرارة من البرودة، والمس يكون باليد والحجر وغير ذلك، ولا يقتضي أنّ يكون باليد، ولهذا قال تعالى: ﴿مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ﴾ البقرة/ ٢١٤، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الأنعام / ١٧، ولم يقل: يلمسك)[١]، يقول ابن عطية: (يُمِسْك) معناه: يُصبْكَ ويَنَلْك، وحقيقة المسّ هي بتلاقي جسمين، فكأَن الإِنسان والضّرّ يتماسان)[٢]، لذلك لو قال (يلمسك) لتجسد الله! وهذا محال على الله سبحانه.

وتأمل روعة الدعاء في الإلتجاء إلى الله سبحانه وتعالى وطلب الرحمة، فقد اعتمد على الإدراك الحسي (المس) في تصوير التأدب مع الله في الدعاء، حيث جعل ما أصابه مسّاً خفيفاً، ولم يصرح بالدعاء، وهذا كمال أدبه عليه السلام وإنّما عرّض بطلبه، وتلطف بذكر مصابه، ووصف حاله بما يوجب الرحمة، وأثنى على ربّه بكمال الرحمة فقال: (وأنت أرحم الراحمين).

ومن جمال الدعاء ماحمله من استعارة، فهو حين لجأ إلى طلب الرحمة، أسند المس إلى الضُر وهو مجاز عقلي؛ لأنّ الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى وليس الضر، ولكنّه أسنده إليه تأدُّباً مع الله [٣].

فقد جمع الدعاء بين (حقيقة التوحيد، وإظهار الفقر والفاقة إلى ربّه، ووجود طعم المحبة في التملق له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنّه أرحم الراحمين والتوصل بصفاته سبحانه وشدّة حاجته هو وفقره، ومتى وجد المبتلي هذا كشفت عنه بلواه)[٤].

---

(١) العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، ص٣٢٣.

(٢) الاندلسي، أبو محمد عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز، ص٦٠٧.

(٣) ينظر: ابن رجاء، عبد الرحمن، دعاء الأنبياء في القرآن الكريم، ص ٢٣٧.

(٤) ابن القيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص٣٨١.

ولو لاحظنا جعل الإمام العسكري عليه السلام الإمام الحسين عليه السلام وسيلة القبول، فهو مصباح الهدى وسفينة النجاة وعند قبته يقبل الدعاء، ولوتتبعنا الدعاء وجدنا الإمام الحسن عليه السلام قد حشد الدعاء كلّ المعاني الحسية، وجعل من مدركات الحواس مايخدم المعنى في قوله: « اللّهم إنّه لايخيب منك سائل، ولاينقصك نائل، ياربّاه، ويا سيّداه، يامولاه، ياعماداه، ياحرزاه، يا لجآه. اللّهم إياك أمّلت سيدي، ولك أسلمتُ يامولاي، ولبابك قرعتُ، فصل على محمد وآل محمد، ولا تردّني بالخيبة محروماً... اللّهم ارزقني قلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، وطرفاً غاضاً، ويقيناً صحيحاً، حتى لا أُحب تعجيل ما أخرّت، ولا تأخير ما أجلت ياربَّ العالمين ويأرحم الراحمين» [١]

فاستنفر الإمام العسكري كلّ الحواس، لبيان التذلل لله والخضوع لطاعته منّاً منه، ويعد هذا اللون نوعاً آخر من ألوان التعبير عن الإدراك الحسي في الرسالة، فيستثمر المتكلم للتعبير عن حواس مختلفة والمحسوس واحد.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١٠٢، ص ٢٣٨.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة القصيرة في طيات رسائل الإمام الحسن العسكري عليه السلام ووصاياه توصلت الباحثة إلى نتائج أبرزها:

- اظهر السياق بمفهومه الواسع السبب الرئيسي في تنوع التعبير عن المدارك الحسية المختلفة.
- اتضح أنّ تنوع السياق في التعبير عن الحواس يختلف في كلّ موضع بمادة دون أُخرى بقصد تمام المعنى.
- استثمر الإمام العسكري عليه السلام الحواس كأدوات في السياق، فقد ربط في بعض المواضع بين حاستي السمع والبصر في قضايا التحذير من ترك الكفر والإيمان، والهدى والضلال، كما ربط بين حاستي الذوق واللمس بالدنيا والآخرة، لذا حذّر من ترك النهج الصحيح محمد وآل محمد.
- لم يكن استعمال الحواس على درجة واحدة في سياق الرسائل والوصايا، فقد أولى حاستي البصر والسمع المرتبة الأكبر، ثم الذوق واللمس؛ وهذا ما تطلبه السياق.
- لم يجد الباحث أثر لحاسة الشم، ربّما لأنّها ليست محا تكليف، وهذا لايرتبط بدلالات بتوظيف السياق للمدارك الحسية للوصول لقصد المتكلم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن القيم، تفسير القرآن الكريم، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٠ هـ.

٢. ابن رجاء الله، عبد الرحمن، دعاء الأنبياء في القرآن الكريم (دراسة تحليلية بلاغية)، (بحث)، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، مج ١٠، ١٤٣١هـ.

٣. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، اعتنى به محمد عوض، وفاطمة محمد، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.

٤. ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠١ م.

٥. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط، ٢٠١٠.

٦. الإربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح ت(٦٩٣هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٣٥٨هـ.

٧. الإشبيلي، الإمام عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن برجان اللخمي (ت ٥٣٦ هـ)، تفسير ابن برجان المسمى تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم، تحقيق وتعليق وتخريج: الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٣ م.

٨. أعلام الهدى الإمام الحسن بن علي العسكري: مجمع جهاني أهل البيت عليهم السلام، مركز القائمية، طهران

٩. الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن عطية (٥٤١ ت هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مقدمة مجد مكي، دار ابن حزم، ١٤٢٣.

١٠. البستاني، محمود، الإسلام والأدب، ط١، المكتبة الأدبية المختصة، قم، ١٤٢٢هـ.

١١. الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٢م.

١٢. الحراني، أبو محمد الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول، تح: محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٥هـ.

١٣. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، الناشر مكتبة بزاز مصطفى الباز، د.ت.

١٤. ستيف، اولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، ط١٢، دار غيب للنشر، ١٩٩٧م.

١٥. الشاهرودي، الشيخ علي النماز، مستدرك سفينة البحار، تح: حسن بن علي النماز، موسسة النشر، قم، ١٤١٨هـ.

١٦. الصغير، محمد حسين، الإمام الحسن العسكري A وحدة الهدف وتعدد الأساليب، مؤسسة البلاغ، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١٢ م.

١٧. طارق، إدريس، المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين A – دراسة أُسلوبية –(رسالة ماجستير)، كلية التربية، جامعة بابل، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

١٨. الطبرسي، الشيخ أبو الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ط ٢، ١٤٢٣ هـ.

١٩. عبد النعيم، خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ط١، دار الوفاء للنشر والطباعة، الاسكندرية، ٢٠٠٧ م.

٢٠. العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، طبعة المكتبة الواقفية، د.ت.

٢١. العشري، علي زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، دار الفصحى للطباعة والنشر، ط١، ١٩٧٧ م.

٢٢. الغريري، سامي، الجذور التاريخية والنفسية للغلو والغلاة، الناشر، دليلنا، قم، إيران، ط ١، ١٤٢٤هـ.

٢٣. القرشي، باقرشريف، حياة الإمام الحسن العسكري (دراسة وتحليل)، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٨ م.

٢٤. الكشي، أبو عمرو محمد بن عبد العزيز، رجال الكشي، تح: السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧٠م.

٢٥. المازندراني، مولى محمد صالح، شرح أُصول الكافي، المكتبة الإسلامية، طهران.

٢٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط١، مطبعة الإرشاد الإسلامي، ١٣٦٥هـ.

٢٧. مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٣، د.ت؟

٢٨. هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د. ت.

٢٩. اليوسف، عبد الله أحمد، سيرة الإمام الحسن العسكري A دراسة تحليلية للسيرة الأخلاقية والعلمية والسياسية للإمام العسكري A، دار المحجة البيضاء، ٢٠١٤ م.

30. Jean Dubois، dictionnaire de linguistique et des sciences du langage، Larousse 2eme Edition، 1999، p116.

البحث الرابـع

القرائنُ العلائقيةُ في خطابِ الإمامِ الحسن العسكري عليه السلام دراسة دلاليَّة

م.م. محمد جاسم محمد الخزاعي
جامعة الكوفة/ كلية العلوم

الملخص:

تُعدُّ اللغةُ في جوهرِها وسيلةً للتواصلِ ونقلِ المعاني، لكنّها في النّصوصِ الدينية، سيما تلك الصادرة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام تتجاوز هذا الدورَ الظاهري لتصبحَ أداةً للهداية وبناء الوعي وترسيخ العقيدة الإسلامية، ومن هذا المنطلق تبرز أهميةُ دراسة الخطاب الصادر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بوصفه خطابًا محمّلاً بالدلالات المتعددة والوظائف المتكاملة، سواء على المستوى اللغوي أو المعرفي أو الاجتماعي.

وتميّز خطاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالحكمة البالغة، والأسلوب الرصين، والقدرة الفائقة على اختزال المعاني في عبارات موجزة ذات دلالات عميقة، وقد عاش الإمام عليه السلام في حقبة حرجة من تاريخ الأمة الإسلامية، في ظل حكم الدولة العباسية، حيث اشتدت فيها قبضة السلطة على أهل البيت عليهم السلام، وفرضت عليهم رقابة شديدة، مما جعل خطابات الإمام تتسم بالرمزية والاحتياط، مع المحافظة على وضوح المعنى وثبات الموقف.

إن الخطاب في مثل هذه الظروف لا يكون مجرد وسيلة إبلاغية، بل يصبح أداءً محكماً تتداخلُ فيه القرائنُ العلائقية لتسدَّ الفجوات، وتبني المعنى، وتوجّه المتلقي لفهم المقصود بدقة، وللقرائن العلائقية دورٌ بارزٌ في فهم النتاج الأدبي والوقوف على أسراره عِبر مستوياتها المختلفة، و دورها في تحديد دلالات النص وحيثياته، فالقرينة من الأدوات التي تؤدي دوراً كبيراً في الكشف عن دلالة النص وتُستعملُ لبيان المقصود وتحديد المعنى المراد، كعناصر الإشارة، والضمائر، والروابط، والعلاقات السياقية والمقامية، وتؤدي هذه القرائن دوراً أساسياً في تحقيق التماسك النصي،

وتوجيه الفهم نحو الدلالة المقصودة، لا سيما حين يكون الخطاب معتمدًا على الإيجاز والتلميح.

ولدراسة هذه القرائن التي وظّفها الإمام الحسن العسكري عليه السلام في خطابه تحرّك البحث في تمهيد ومبحثين، جاء التمهيد في الوقوف على القرينة لغة واصطلاحاً، والمبحث الأوّل في قرينة الربط، بينما تحرّك المبحث الثاني في قرينة الرتبة من ثمّ خاتمة بمجموعة من النتائج فتحت لنا آفاقًا لفهم أعمق للأساليب البلاغية التي وظفها الإمامُ العسكري عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: الاحالة البعدية، الاحالة القبلية، الربط بالاحالة، القرآئن العلائقية، قرينة الربط.

م.م. محمد جاسم محمد الخزاعي

التمهيد

القرينة في اللغة والاصطلاح

القرينة لغة:

يذكر ابن فارس بأنَّ: (القَاف وَالراءُ وَالنونُ أَصلانِ صحيحانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى جَمعِ شَيءٍ إِلَى شَيءٍ، وَالآخَرُ شَيءٌ يَنتَأُ بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ، فَالأَوَّلُ: قَارَنتُ بَينَ الشَّيئَينِ. وَالقِرَانُ: الحَبلُ يُقرَنُ بِهِ شَيئَانِ. وَالقَرَنُ: الحَبلُ أَيضاً) [١].

وجاء في لسان العرب أنَّ: (القَرينةُ: فَعِيلة بِمَعنَى مَفعُولَةٍ مِنَ الاقتِران، وَقَدِ اقتَرَنَ الشَّيئَانِ وتَقارَنا. وجاؤُوا قُرانى، أَي: مُقتَرِنين) [٢].

فهي مأخوذة من الازدواج أو الاجتماع أو المصاحبة[٣]. وورد هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْمُجرِمِينَ يَومَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصفَادِ**﴾ [٤].

وممّا يتقدم يتضح أنَّ دلالةَ القرينةِ تدور في الوصل والجمع والربط، والاجتماع، وكلّ هذه المعاني من الممكن أنّ تتطور إلى دلالات أُخر بحسبِ السِّياقِ الموضوعةِ له، فهي مادة خصبة جدّاً حتى تجاوزت معانيها المائة أو تزيد [٥].

القرينة اصطلاحاً:

أمّا في الاصطلاح فلم تلقَ القرينة وضوحاً من لدن علماء العربية القدماء، فلم يرد مصطلح القرينة عند علماء العربية بوصفه مصطلحا لغويّاً، إلّا النزر القليل من

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص٧٦.

(٢) لسان العرب، مادة (قرن)، ج، ص١٣ ٣٣٦.

(٣) ينظر: الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص ٤٠١.

(٤) سورة إبراهيم، الآية ٤٩.

(٥) ينظر لسان العرب: (مادة قرن)، ج١٣، ص٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٤١.

بعض المتقدمين، ومن الذين وقفوا عليه الشريف الجرجاني الذي تحدّث عن دور القرينة في وضوح المعنى فيقول عنها: (أمر يشير إلى المطلوب)[١].

أمّا المحدثون فيرون أنّها ما يمنع من إرادة المعنى الأصلي في الجملة[٢].أو هي ما يصاحب اللفظ ممّا يساعد على توضيح المعنى، وقد يكون التوضيح بما ترد فيه اللفظة من الاستعمال وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسراً للكلام، وقد تكون العلاقة بين هذا الكلام وبين شيء آخر كلاماً كان أم غير كلام داعياً إلى استعمال اللفظة بالطريقة التي تستعمل فيها اللغة)[٣]، فاللفظة وحدة بناء في هيكل النص والتركيب وهي لوحدها لا قيمة لها ولكنّها بالاعتماد على غيرها داخل التركيب تصبح لها قيمة.

المبحث الأوَّل: قرينة الربط

يعدُّ الربطُ من القرائن التي لها دور كبير في تحديد دلالة النص، وقد اختُلف في كونه مختصٌّ بالقرينة اللفظية داخل النص أم المعنوية واللفظية معاً، فعرَّفه تمام حسان بأنَّهُ (قرينة لفظية تدل على اتصال أحد المترابطين بالآخر)[٤]، أي: أنَّه علاقة تقوم على سابق ولاحق ضمن السياق اللُّغوي بوساطة إحدى أدوات الربط، وهذا التعريف اقتصر على كون الربط قرينة لفظية، في حين ذهب أحد الباحثين إلى أنَّ الربط هو ما يحصل من ائتلاف وصلة واتحاد وتماسك في أجزاء الكلام والجملة سواء أكانت هذه الأجزاء عناصر أساسية في بنائها، أم غير أساسية، وذلك بوسائل معنوية أو لفظية،

(١) الجرجاني، الشريف، التعريقات، ص ١٨٢.

(٢) ينظر: فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، ص ٢٨٨.

(٣) أبو الفرج، محمد أحمد، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص ١١٦.

(٤) تمام، حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص٢١٣.

وهذا التعريف شمل كلا الجانبين اللفظي والمعنوي[١].

وبالعودة إلى القدماء نجدُّ أنّهم يرونَ الربط ظاهرة في التراكيب اللغوية تساهم في إدراك علاقات مفردات وألفاظ الجملة، وكذلك علاقات الجمل بعضها ببعض، من ذلك قول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في عرض حديثه عن العطف الذي هو أحد أدوات الربط: (العطف على ضربين، عطف مفرد وعطف جملة على جملة)[٢].

والرابط بينهما قد يكون رابطاً لفظيّاً كالواو، أو قد يكون دون رابط إذا كان بين الجملتين أو الجمل ما يطلق عليه كمال الاتصال أو شبه كمال الاتصال[٣].

أمّا فيما يخص الوسائل المعنوية فتنضم تحت مصطلح "الارتباط» ويكون بين معنيين من دون وسيلة لفظية؛ لأنّها تمثل علاقة الشيء بنفسه، فلا يحتاج المتكلّم في سبيل إيضاحها إلى رابط لفظي، وإنّما يعتمد على عملية تداعي المعاني في العقل البشري؛ لفهمها بمجرد التلاحم والائتلاف بين المعاني[٤]. على حين يُعد الربط اللفظي علاقة سياقية-تصطنعها اللغة - بين معنيين بواسطة أداة تدل على علاقة أحدهما بالآخر[٥]، وبدونها -الأداة- تصبح علاقتهما بعيدة (لا تعي الذاكرة معها ما الذي ينتمي إلى هذا، وما الذي ينتمي إلى ذاك وهكذا تتفكك أواصر الكلام ويدخل المعنى في غيابات الغموض أو في متاهات اللبس وكلا الغموض واللبس آفة من آفات الاتصال والتفاهم)[٦]، وبذا يضفي سمة التماسك والائتلاف بين الأطراف

(١) ينظر: عدل، عبد الخالق زغير، الربط في الجملة العربية، رسالة ماجستير، ص١٦.

(٢) الزمخشري، المفصل في الإعراب، ص ٤٠٣.

(٣) ينظر: بوجراند، روبرت دي، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص٩٣.

(٤) ينظر: حميدة، مصطفى، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص ١٦١.

(٥) ينظر: حميدة، مصطفى، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص ١٤٣.

(٦) تمام، حسان، البيان في روائع القرآن، ص٢٠٧.

المتعالقة بالأداة، ومن ثَم تعين المتلقي على إدراك الغاية المبتغاة[١].

تجسد قرينة الربط مظهر السبك بوسائل أهمها «الضمائر والأدوات»، ولكن التعليق بالضمائر أكثر ائتلافاً وتلاحماً من الربط بالأدوات؛ كونها ناشئة من وظيفة الضمير المتمثلة بإعادة الذكر، أمّا وظيفة الأداة في الربط ناشئة من إيجازها للمعنى النحوي كـ«العطف والشرط والنفي والاستثناء» وغيرها [٢]، ويؤكد ذلك «سيبويه»بقوله: (وإنّما صار الإضمار معرفة لأنّك إنّما تضمر اسما بعدما تعلم أنّ من يحدث قد عرف من تعني وما تعني، وأنّك تُريد شيئاً يعلمه)[٣].

❖ **الربط بالإحالة.**

تعدُّ الإحالة واحدة من أهمِّ الأدواتِ النَّحوية التي تحقق تماسكاً علائقياً؛ إذ تقوم بعملية سبك العبارات والجمل لفظياً دون أنّ تهملَ الترابط الدلالي الكامن وراءها، فهي قادرة على صنع قنوات وجسور تربط وحدات النصِّ المتباعدةِ المتمثلة في الألفاظ والجمل والعبارات.

وهي في اللغة (يقال أَحَلت فلاناً بما له عليَّ، وهو كذا درهماً، على رجلٍ آخر لي عليه كذا درهماً أُحِيلُه إِحالةً، فاحتال بها عليه...) [٤].

هذا يعني أنَّ مصطلح الإحالة مشتقٌ من الفعل «أحال» والذي يدلُّ على التغيّر والتبدل، والتغير والتبدل هو نقل الشيء من حال إلى حال أُخرى، وهذا لا يتم إلّا في

(١) ينظر: أثر القرائن العلائقية في اتساق النّصِّ في نهج البلاغة – خطب الحروب أُنموذجاً، رسالة ماجستير، ص١٢٦.

(٢) حميدة، مصطفى، نظام الارتباط والربط، ص١٩٦.

(٣) سيبويه، الكتاب، ج٢، ص٦.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص١٩٠.

حالة وجود علاقة قائمة بينهما، تلك العلاقة التي سمحت بهذا التغيير[١]، فالإحالة تعني توجيه شيء، أو شخص على شيء معين على وفق علاقة معينة بينهما.

وكذلك تعدُّ الإحالةُ من أهمِّ وسائل الاتساق النّصّي؛ لما لها من دورٍ في تماسك أجزاء النّصّ بعضها ببعض، وهي مصطلح قديم؛ فقد درسها النحاة القدامى في مصنفاتهم، ولكنّهم لم يتجاوزوا فيها مستوى الجملة، وكان أكثر حديثهم عن الضمير وعائديته؛ وذلك عن طريق اعتمادهم (تصنيف الألفاظ إلى ألفاظ غير مبهمة؛ وهي الألفاظ التي لها دلالة، والتي تحيل بمفردها على خارجها في الواقع وألفاظ مبهمة لها دلالة لكنّك لا تعرف لها خارجاً إلّا متى توافر مفسِّرها، وهذا المفسِّر قد يكون مقاميّاً وقد يكون مقاليّاً)[٢]، وهذا مفهوم قديم يدرس (العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات) [٣]، وليس هذا المقصود في الدراسات اللسانية، وإنّما المفهوم النّصيّ هو المقصود، الذي يتردد كثيراً في دراساتهم.

وقد توسعت "الإحالة" في الدراسات النصية اللسانية في مفهومها وتطبيقاتها فأخذت مفهوميّن مختلفين[٤]:

الأول: المفهوم التقليدي للإحالة: وهو المعتمد في اللسانيات التقليدية، ولاسيما البنيوية فأخذت مفهوم (المرجعية) وعَدّته مجالاً لا ينبغي إبعاده عن الدراسة اللسانية على الرغم من ضرورتها في فهم الخطاب البشري[٥].

(١) ينظر: إسماعيل، نائل، محمد، الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني (دراسة وصفية تحليلية)، مجلة جامعة الأزهر، مج١٣، ع١، ٢٠١١م، ص١٠٦١.

(٢) الشاوش، محمد، تحليل الخطاب، ص١٢٥.

(٣) عفيفي، أحمد، نحو النّص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص ١١٦.

(٤) ينظر: نزار، مليود، نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية دراسة تأصيلية تداولية، (بحث) مجلة علوم إنسانية، السنة السابعة، ع٤٢، ٢٠٠٩م، ٢.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٢.

الثاني: يعني (العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه «عنصر علاقة» وضمائر يطلق عليها (صيغ الإحالة)، وتقوم المكونات الاسمية بوظيفة عناصر العلاقة أو المفسر أو العائد إليه)[١]، وبها تتعالق أجزاء النصّ مع بعضها، فتجعله نصّاً مترابطاً متسقاً، وهي بحسب ما عرّفها (دي بوجراند): بأنّها (العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نصّ ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النّصّ أمكن أنّ يقال عن هذه العبارات أنّها ذات إحالة مشتركة)[٢]، وبهذه الوظيفة تجعل النص متسقا[٣].

وتتحقق الإحالة بالضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصول وغيرها، فضلاً عن ذلك للإحالة أنواعٌ مختلفة، قد استعملها الإمام الحسن العسكري عليه السلام في خطابه، منها:

أولاً: الإحالة القبلية:

وهي عودة العنصر الإحالي، على عنصر إشاري ذُكِرَ قبله [٤].

وقد وردت في دعاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام إذ قال: (**اللّهُمَّ إنِّي عَبدُكَ، ابنُ أَمَتِكَ، ذَليلٌ بَينَ بَرِيَّتِكَ، مُسرِعٌ إلى رَحمَتِكَ، رَاجٍ لِثَوابِكَ، اللّهُمَّ إنَّ كُلَّ من أَتَيتُهُ فَعَليكَ يَدُلُّني، إليكَ يُرشِدُني، وفيما عِندَكَ يُرَغِّبُني، مولاي وقَد أتيتُك راجياً، سيِّدي وَقَد قَصَدتُكَ مُؤمِّلاً...**)[٥].

---

(١) بحيري، سعيد، دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة، ص٩٨.

(٢) دي بوجراند، النّصّ والخطاب والإجراء، ص٣٢٠.

(٣) ينظر: أثر القرائن العلائقية في اتساق النّصِّ في نهج البلاغة -خطب الحروب أُنموذجاً، ص١٢٨ - ١٢٩.

(٤) ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص (بحث فيما يكون الملفوظ به نصاً)، ص١١٨.

(٥) الصحيفة الرضوية الجامعة (الصحيفة العسكرية)، ص٢١٤.

جاء خطاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام هنا في إطار الدعاء، فتمثّلت عبره مجموعةٌ من الجمل التراتبية؛ لتضمنها دلالات فرعية تنسجم والدلالة المبتغاة من الدعاء، جاءت محكمةً بطبيعة الموقف الخطابي للإمام عليه السلام فقد عمد الإمام عليه السلام إلى إظهار الضمير الوجودي المحيل على الغائب (الكاف)، والذي يرجع إلى (اللّهم) في مخاطبة الله عزّ وجلّ، فألّف ضمير المخاطب (الكاف) في: (عبدُكَ، أَمَتِكَ، بَرِيَّتِكَ، رَحمَتِكَ، لِثَوابِكَ فَعَليكَ، إليكَ عِندَكَ، أتيتُك، قَصَدتُكَ) أساس ذلك التعالق وعلى شكل إحالات قبلية وجودية يمكن إدراكها من سياق الموقف الذي يدل عليه النّص، فأراد أنّ يؤكدَ على شدَّةِ تمسكه بالله عزّ وجلّ عبر هذا التكرار المحيل للضمير الذي يعود على مذكور سبقه.

وقد تكون الإحالة في الضمير المستتر كما في قوله عليه السلام: **(يَا مَن لَا يَشغَلُهُ شُغلٌ عَن شُغلٍ، يَا مَن لَا يَتَغَيَّرُ مِن حَالٍ إِلَى حَالٍ، يَا مَن لَا يَحتَاجُ إِلَى تَجَشُّمِ حَرَكَةٍ وَ لَا انتِقَالٍ، يَا مَن لَا يَشغَلُهُ شَأنٌ عَن شَأنٍ)**[1]

يُلاحظ أنَّ الإحالة وقعت في الضمير المستتر بعد الأفعال (لا يتغير، لا يحتاج، لا يشغله، يزيل) إذ أدّى الضمير المستتر إلى إحالة هذه الصفات إلى من يمتلكها وهو الله عزّ وجلّ، فالله تعالى هو من يمتلك الصفات الثبوتية التي لا يمكن أنّ نعتمد أو نتوكل على سواه، فاستطاعت الإحالة بوساطة الضمير المستتر أنّ تحقق تماسكاً نصيّاً للخطاب عبر إحالة الصفات المذكورة إلى مركزية النص ألا وهو من يمتلك هذه الصفات، فضلاً عن أنَّ تكرار هذه الكلمات زيادة على اشتراكها مع كلمات أُخرى في الأصل الذي اشتقت منه مثل (يشغله التي اشتركت مع شغل في الاشتقاق) أكد دلالة الإحاطة الإلهية وزاد في قيمة النص الدلالية لتؤدي الفائدة الدلالية في التأكيد على الإحاطة، فالله تعالى لا يشغله شيء، ولا يتغير من حالٍ إلى آخر، وهو محيط بأُمور

(١) الطوسي، مصباح المتهجد، ص١٧٢.

العباد فلا يشغله شأن أحدهم عن الآخر، فكل شيء محط عنايته سبحانه.

ومن صور الإحالة القبلية أيضاً قول الإمام العسكري عليه السلام: (**أَعُوذُ باللهِ مِنْ قَوْمٍ حَذَفُوا مُحْكَماتِ الكِتابِ، وَنَسُوا اللهَ رَبَّ الأَرْبابِ**) (١)

يُلاحظ أنَّ خطاب المتكلم في هذا النص هو خطاب غير المباشر، إذ استحضر الغائبين في محيط البنية الكلية للنّصِّ التي حاول الإمامُ عليه السلام بثّها عبر وسائل نصّية مترابطة، إذ عمد إلى إظهار الضمير الوجودي المحيل على الغائب (هم)، والذي يرجع إلى (القوم) الغائبين، فألّف ضمير الغائب (الواو) في: (حَذف+وا، نَسُ+وا) أساس ذلك التعالق وعلى شكل إحالات قبلية وجودية يمكن إدراكها من سياق الموقف الذي يدل عليه النّصّ، وهي تعود على النّصِّ وليس المقام، ويفهم من العبارة المذكورة (حذفوا محكمات الكتاب) أنّهم لم يجعلوا المحكمات هي الأساس - بسياق سلبيٍّ - وإنّما اعتمدوا واتبعوا الآيات المتشابهة فنسبوا بسبب ذلك إلى الدين ما ليس منه، وحذفوا منه ما هو منه فيكون ذلك إشارة منه عليه السلام إلى قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾(٢).

وقد اعتمد المتكلّم في تشكيل المعنى أو إظهاره على وضع الضمائر داخل النص، وربط التراكيب؛ إذ إنَّ هذه الضمائر من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي للنّصِّ، وكان «القوم» (أهم العناصر الإشارية) في هذا الجزء، أُحيلت عليه الإحالات الواردة في النص بغية التفصيل بعد الإجمال الذي اقترن بـ(القوم).

(١) الأحمدي، علي الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج٦، ص٢٦٠.

(٢) سورة آل عمران ، آية ٧.

ثانياً: الإحالة البعدية

وهي الإحالة التي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها[١].

وقد وردت في دعاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام يوم ولادة الإمام الحسين عليه السلام: (**اَللّهُمَّ إِنّي أَسأَلُكَ بِحَقِّ هذا المَولُودِ في هذَا اليَومِ المَوعُودِ بِشَهادَتِهِ قَبلَ استِهلالِهِ وَوِلادَتِهِ. بَكَتهُ السَّماءُ وَمَن فيها، وَالأرضُ وَمَن عَلَيها، وَلَمّا يَطَأ لابَتَيها قَتيل العَبرَةِ، وَسَيِّدِ الأُسرَةِ**)[٢].

يُلاحظ أنَّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد أحال اسم الإشارة (هذا) على العنصر الإشاري القريب منه (المولود)، فربط جزءاً لاحقاً، والمقصود بالمولود – هنا– الإمام الحسين عليه السلام فالمولود يعدّ دليلاً على العنصر الإشاري خارج النّصِّ (الحسين)، الذي مثّل الدعامة الأساسية للنّصِّ عن طريق الإحالة البعدية بـ(اسم الإشارة) (هذا) ومن ثمّ يُسهم في اتساق النص وتماسكه؛ كونه يحدد دور المشاركين داخل المقام الإشاري، فهو من الألفاظ المبهمة التي تحتاج إلى ما يفسّر إبهامها في النص، وهو (العنصر الإشاري) الذي يأتي بعده، بغية تنبيه المتلقي بمدى أهمية هذا المفسِّر الذي جاء لاحقاً المولود.

وتكررت الإحالة البعدية أيضاً في دعائه "سلام الله عليه»: (**اللّهم إنّ كلّ من أتيته فعليك يدلّني، وإليك يرشدني، وفيما عندك يرغّبني، مولاي، وقد أتيتك راجياً، سيّدي وقد قصدتك مؤملاً، يا خير مأمول، ويا أكرم مقصود، صلّ على محمّد وعلى آل محمد**)[٣].

---

(١) ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص (بحث)، ص ١١٩.

(٢) القرشي، باقر، موسوعة سيرة أهل البيت، ج٣٤، ص٥٣.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠٢، ص ٢٣٩.

مثّلت الإحالة في هذا النص رابطاً قويّاً لعناصر النّصِّ التي تتكون منها الوحدات التركيبية المترابطة المتعاطفة، فجاء استعمالها على هذا النحو الذي أصبح فيه الضمير المتصل (الهاء) في (أتيته) إحالة متقدمة على مفسِّرها (يرشدني، يرغّبني)؛ ليؤكد الحاجة إلى العناية الإلهية والذي امتد إلى نهاية النّصِّ ومن ثمّ ربطه بمجموعة من النداءات التي انتقل بها الإمامُ عليه السلام من المقام إلى المقال انتقالة طفيفة من دون حدوث لبس فيها[١].

❖ **الربط بالأدوات.**

اعتنى النحاة القدماء بالأدوات[٢] التي تصل بين مكونات الجملة، وصنّفوها بحسب معانيها، وقلّبوا النّظر فيها انطلاقاً من مجالات ربطها للألفاظ المجاورة لها، فخصصوا لكلّ حرف أو أداة مزيةً، تُميزه عن غيره من الحروف، وقد يتضمن الحرف الواحد معاني عدة بحسب العلاقة الرابطة[٣]، فتُحدث تعالقاً نصيّاً بين التراكيب اللغوية داخل النّصّ، ما يُؤدي إلى وحدة نّصّية متكاملة البناء.

وعمل قرينة الربط بالاتساق النّصّي لا يقتصر على الإحالة القبيلة أو البعدية، وإنّما يكتمل على وفق علاقات رابطة أُخرى تُحدثها الأداة، فالتعليق بالأداة أشهر أنواع التعليق في اللغة[٤]. وهذه الأدوات هي: أدوات الشرط، وأدوات القسم، وأدوات العطف، والاستثناء، والنفي، والاستفهام وغيرها، ولا مجال للبحث

(١) ينظر: الحداروي، إيناس، أثر القرائن العلائقية في اتساق النّصِّ في نهج البلاغة خطب الحروب أُنموذجا، (رسالة ماجستير)، ص١٤٢.

(٢) ينظر: الأنصاري، ابن هشام، مغني اللبيب، ج١، ص١٤، وما بعدها.

(٣)ينظر: الميساوي، خليفة، الوسائل في تحليل المحادثة (دراسة في استراتيجيات الخطاب)، ص١٤.

(٤) تمام، حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص١٢٣، وينظر: أثر القرائن العلائقية في اتساق النّصِّ في نهج البلاغة –خطب الحروب أُنموذجاً، ص ١٥٩.

لذكرها جميعاً، إذ اقتصرت على تناول ما كان أثرها واضحاً وظاهراً في خطاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهي كالآتي:

أولاً: أدوات العطف

يقوم حرف العطف مع التطابق في العلامة الإعرابية بالدور العظيم في ترابط المعطوف بالمعطوف عليه، وقد تتوافر عناصر أُخر من خارجها، كأن يكون المعطوف عليه والمعطوف مطلوبين لما يدل على المشاركة... ويقوم معنى حرف العطف نفسه يدور في مشاركة المعطوف والمعطوف[١]. فوظيفة العطف هي وصل الكلام بعضه ببعض وجعله كالسلسلة الخطية يتبع اللاحق منه السابق[٢].

والغرض من عطف الجمل بعضها على بعض، واتصالها هو الإيذان بأنَّ المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية من الأُولى[٣]. ويؤدي العطف وظيفة رئيسة وهي الربط بين دلالة كلّ من الجملتين المتجاورتين والكلمات أيضاً، وهذا التجاور يؤدي إلى تعالق النص وتلاحمه إذا كانت الجمل والكلمات متتالية بحيث إذا أفردت جملة منها استقل معناها بلفظها[٤]. وقد ورد الربط بالعطف في خطاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام في قوله:

(أُوصِيكُم بِتَقوَى الله، وَالوَرَعِ فِي دِينِكُم، وَالِاجتِهَادِ لله، وَصِدقِ الحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ إِلَى مَنِ ائتَمَنَكُم مِن بَرٍّ أَو فَاجِر، وَطُولِ السُّجُودِ، وَحُسنِ الجِوَارِ؛فَبِهَذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، صَلُّوا فِي عَشَائِرِهِم، وَاشهَدُوا جَنَائِزَهُم، وَعُودُوا مَرضَاهُم، وَأَدُّوا حُقُوقَهُم؛فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنكُم إِذَا وَرِعَ فِي دِينِهِ، وَصَدَقَ فِي حَدِيثِهِ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ، وَحَسُنَ

(١) حماسة، محمد، بناء الجملة العربية، ص ١٩٣.

(٢) ينظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، ج١، ص٦٥.

(٣) ينظر: كتاب سيبويه، ج١، ص٤٣٧.

(٤) ينظر: الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص ٣٧٠.

خُلُقُهُ مَعَ النَّاسِ قِيلَ هَذَا شِيعِيٌّ فَيَسُرُّنِي ذَلِكَ. اتَّقُوا اللهَ، وكُونُوا زَيناً، وَلَا تَكُونُوا شَيناً، جَرُّوا إِلَينَا كُلَّ مَوَدَّةٍ، وَادفَعُوا عَنَّا كُلَّ قَبِيحٍ؛ فَإِنَّهُ مَا قِيلَ فِينَا مِن حُسنٍ فَنَحنُ أَهلُهُ، وَمَا قِيلَ فِينَا مِن سُوءٍ فَمَا نَحنُ كَذَلِكَ؛ لَنَا حَقٌّ فِي كِتَابِ اللهِ، وَقَرَابَةٌ مِن رَسُولِ اللهِ، وَتَطهِيرٌ مِنَ اللهِ، لَا يَدَّعِيهِ أَحَدٌ غَيرُنَا، إِلَّا كَذَّابٌ، أَكثِرُوا ذِكرَ اللهِ، وَذِكرَ المَوتِ، وَتِلَاوَةَ القُرآنِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ عَشرُ حَسَنَاتٍ، احفَظُوا مَا وَصَّيتُكُم بِهِ، وَأَستَودِعُكُمُ اللهَ وَأَقرَأُ عَلَيكُمُ السَّلَام) [١].

نجد أنّ أداة العطف (الواو) قد حققت وظيفة دلالية في سياق الوصية، فأسهمت في الجمع بين الصفات التي يجب أنّ يختصَّ بها المؤمن والذي يُمثل بؤرة النّصّ، ويأتي دور العطف بـ(الواو) في توسيع هذه البؤرة؛ لتشمل التراكيب التابعة لها والمتعالقة بعضها ببعض، (فالتوسّع بالعطف قد يشمل في تحليل الجملة العربية الدلالات المنتظمة داخل وحدة كلامية قائمة برأسها، حتى يلتقي الشكل التركيبي بالشكل المعنوي)[٢]، وزاد الوصف الأمر تعالقاً وتوسعاً للتراكيب داخل البنية النّصّية.

وقد جاءت المركبات العطفية الاسمية المتشابهة (وَالوَرَعِ فِي دِينِكُم)، وَ(والِاجتِهَاد لله)، وَ(وصدق الحَدِيثِ)، وَ(وَأَدَاء الأَمَانَةِ)، وَ(وَطُول السُّجُودِ)، وَ(وَحُسن الجِوَارِ) مناسبة وطبيعة العناصر المترابطة داخل الوحدة النّصّية، وجميعها معبّرة عن موصوفٍ واحد؛ لتُميّزه دون غيره بهذه الصفات، وأنّ كلَّ عنصر من هذه العناصر يُعبّر عن الموصوف نفسه، الذي تُلائمه الصفة الحسنة التي اختارها الإمام العسكري عليه السلام في وصيته، فجاء الربط متوازناً بين الجمل الاسمية الثابتة المستمرة، ما زاد في انسجامه وترابطه؛ إذ تعمّق في دلالة النّصّ، وأبقى مدياته مفتوحة أمام كلِّ

(١) أعلام الهداية، ج ١٣، ص١٧٨ – ١٧٩.

(٢) المنصف، عاشور، بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، ص ٧٠.

متلق، دون حصرها بزمن أو مكان معين، ممّا أسهم في أداء الدلالة المرتبطة بالتربية الروحية من الأُمور المهمة جداً في حياة الفرد والمجتمع، فهي تعمل على تثبيت وتنمية الوازع الديني وتثبيت الجانب العقائدي للفرد، بما تحمله هذه الصفات من دور أساسي في تربية النفس الإنسانية والحفاظ على العلاقة الوثيقة بين الإنسان وخالقه، فهي تمثل أرفع المنازل وأعظم صفات المؤمن.

وكذلك ورد العطف في قول الإمام العسكري عليه السلام: (**وأيّ آية أعظم من حجةِ الله عَلَى خلقِهِ وأمينِهِ فِي بلادِهِ وشهيدِهِ على عبادِه من بعد من سلف من آبائِهِ الأولين النبيين وآبائِهِ الآخرين الوصيين عليهم أجمعين السلام ورحمة الله وبركاته، فأين يتاه بكم وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم، عن الحق تصدفون، وبالباطل تؤمنون، وبنعمة الله تكفرون، أو تكونون ممّن يؤمن ببعض الكتاب، ويكفر ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم ومن غيركم إلّا خزي في الحياة الدنيا وطول عذاب في الآخرة الباقية، وذلك والله الخزي العظيم**) [1].

إذ استعملَ الإمامُ عليه السلام هذا التعالق الدلالي في إطار السياق العطفي باستعمال أداة العطف "الواو"، في ترتيب المعطوفات، واعتماد بعضها على بعض في سلسلة منسجمة متسقة معتمداً على الترابط بين أداتي الاستفهام "أي " و" أين» بين الجمل العطفية التي بيّنت التعجب وشدة الإنكار لأنّهم اتخذوا سنداً وعماداً على غير ما شرّع الله تعالى، ومن ثمَّ انتقل إلى استعمال جمل عطفية حملت دلالة الإخبار والتحسّر والتوجع على أُناسٍ ظلّوا السبيل فكانوا كالأنعام، فالاختيار الدقيق لقرينة العطف هنا منحت النصَّ دلالته الخاصة في إدخال المتلقي في صميم التجربة.

ثانياً: أدوات الشرط

يعد الشرط أحد أهم وسائل التخاطب في عملية التواصل بين المتكلمين، وقد

(١) الحراني، تحف العقول، ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

تبوَّأ مكانة مهمة في الدراسات النحوية، فهو صيغة فعلية يخالف باقي الصيغ في دلالة الفعل على الحدث والزمن؛ لأنّ الفعل في جملة الشرط غير تام الدلالة؛ لأنَّ حدوثه معلَّق، فهو ذات صيغة تعتمد أساساً على (فكرة التعليق)(١)، أي: تعُّلق جواب الشرط بفعله، والشرط (أُسلوب لغوي ينبني على جملة ميكانيكية تتألف من أداة (حرف أو اسم)، ومن تركيبين سمّي الأول الشرط والثاني الجواب والجزاء. تقوم الأداة بربط التركيبين أو الشقين ارتباطاً وثيقاً يحول دون استقلال أحدهما عن الآخر: ينزل الشق الأول منزلة السبب والشق الثاني منزلة المسبّب، ويتحقق المسبّب إذا تحقق السبب، وينعدم الثاني إذا انعدم الأول(٢)، وتأتي معالجتنا للجملة الشرطية من معاينة عناصرها ورصد مكوناتها اللغوية، وذلك بالاعتماد على ملاحظة الأدوات الشرطية وما ينبئ عنها من دلالات، فـ(للشرط في العربية وظيفتان، أُولاهما: معنوية، وهي إضافة معنى الشرط إلى الجملة الخبرية، وثانيتهما: وظيفة أُسلوبية أو تركيبية، وهي جعل الجملة الثانية معلقة بالجملة الأُولى تعليق المسبب بالسبب أو المعلول بالعلة، أو الملزوم باللازم)(٣).

ورد ذلك في رسالته إلى إسحاق النيسابوري قوله:

(مَنِ اتَّقَى الله يُتَّقى؛ وَمَن أَطَاعَ الله يُطَاع ومَن أطاعَ الخَالِقَ، لَم يُبَالِ سَخَط المَخلُوقِين؛ وَمَن أَسخَطَ الخَالِقَ، فَليقن أَن يحلَّ به سَخَط المَخلُوقِين)(٤).

نلحظ أنَّ الإمام العسكري عليه السلام قد استعمل من أُسلوب الشرط قرينة، إذ أنّه جاء خطابه مصدَّراً بأداة الشرط (مَن)، وفعلها (اتقى، أطاع، أسخط)، وجوابه

(١) خطب نهج البلاغة -بحث في الدلالة، (رسالة ماجستير)، ص١٦٤.

(٢) ريمون، طحان، فنون التقعيد وعلوم الألسنية، ج٢، ص٩١.

(٣) ابن هشام، رسالة المباحث المرضية، ص ٦٦.

(٤) الحراني، تحف العقول، ص ٣٥٦.

(يتقى، يطاع، لم يبال، فلييقن)، فانماز الخطاب ببساطته من دون تكلّف في تحليله؛ لبساطة ألفاظه، وسهولة فهمها، فقد أوصانا عليه السلام بطاعة الله وخشيته، فضلاً عن ذلك نرى أنَّ القرائن المتتالية في النص عبر أداة الشرط وتكرارها تأكيداً منه على طاعة الله وحده.

وفي نص آخر يقول عليه السلام: (**مَن هانَت عَلَيهِ نَفسُهُ، فَلا تَأمَن شَرَّهُ**)[١].

إنَّ الناظر في هذا النص من الوهلة الأُولى يتنبه إلى الهدف الذي أراده الإمام وسعى إليه فقد جاء بقانون ثابت باستعماله قرينة أداة الشرط (مَن) ووجود أجزاء الشرط فعله وجوابه، فأدى الشرطُ الربطَ بين الجملتين، إذ حذّر عليه السلام من اتباع الذي تهون عليه نفسه؛لأنَّ فيها هدر كرامة الإنسان، وجعل مقياس الكرامة عند الله أنّ يحفظ الإنسان نفسه من الهوان والوقوع في ملذات الدنيا؛ لأنَّ اتباعها يتبعه الأذى والخسران في الدنيا والآخرة، فيجب على الإنسان حفظ نفسه وترويضها والابتعاد عمّا يغضب الله سبحانه.

المبحث الثاني: قرينة الرتبة.

الرتبة لغةً: تعني المنزلة والثبات، وهي من (رَتَبَ الشيءُ يَرتُبُ رتُوباً، وتَرَتَّبَ: ثبت فلم يتحرّك، يقال: رَتَبَ رُتُوبَ الكَعبِ، أَي: انتَصَبَ انتِصابَه؛ ورَتَّبَه تَرتِيباً: أَثبَتَه... الرَّتَبَةُ: الواحدة من رَتَباتِ الدَّرَجِ...والرُّتبةُ والمَرتَبَةُ: المَنزِلةُ عند المُلوكِ ونحوها)[٢].

أمّا في الاصطلاح: فهي قرينة تُشكّل (علاقة بين جزأين من أجزاء السياق يدل موقع كلٍّ منهما من الآخر على معناه)[٣]، فلا يبعد معناه عن الأصل اللغوي؛

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٥٧.

(٢) لسان العرب، ج١، ص ٤٠٩، ٤١٠، (مادة رتب).

(٣) حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص٢٠٩.

إذ يدل على المنزلة أو القيمة الموقعية في الكلام؛ إذ (تعني ملاحظة موقع الكلمة في التركيب الكلامي)[١]؛ فهي من الظواهر اللفظية التي تُسهم في تحديد مواقع الكلمات ومعانيها في السياق الواردة فيه فـ(تُساعد على رفع اللبس عن المعنى بتحديد موقع الكلمة فيها)[٢]، فكلّ كلمة أو عبارة تتخذ موضعاً خاصّاً بها، وترتيباً خاصّاً، فإنّ تغيّر ذلك الترتيب أو زال، تغيّرت دلالتها في سياق التركيب الكلامي[٣]، وترتبط وظيفتها السياقية بالسوابق واللواحق على أساس ذلك الموقع الثابت لها في السياق، وهذا يوحي بتعالق أجزاء الكلام وتماسكها، فالتركيب الكلامي يرتكز بشكل أساس على(موقع العنصر وهو ثابت نسبياً في التركيب اللغوي)[٤]، ما يعني أنّ هذا الترتيب يُعطي الجملة العربية نظاماً خاصّاً، متى ما تغير ذلك الترتيب اختل النظام، فلو تقدمت كلمة على أُخرى أو حرف على فعل؛ لاختل المعنى أو اختلف وانتفت دلالة التركيب أو تغيّرت، وقد يصبح مجرد كلمات مصفوفة لا ترابط بينها، وعليه فالإخلال بقرينة الرتبة يُخرجها من كونها نسقاً ويفقدها دلالتها بالضرورة[٥].

❖ التقديم والتأخير.

يعدُّ التقديم والتأخير من القرائن العلائقية التي احتلت مركزاً مهمّاً في المستوى التركيبي للنص، يتجلى في تغيير ترتيب العناصر التي يتألف منها النص، لانزياحها عن معيارية القواعد النحوية والرتب المحفوظة، بقصد لفت الانتباه إلى المقصد الدلالي الذي يقتضيه النص، واحتل مكانة كبيرة في دراسات النحاة والبلاغيين فهو

(١) الساقي، فاضل مصطفى، أقسام الكلام العربي، ص١٤٦

(٢) عبد اللطيف، محمد حماسة، لغة الشعراء دراسة في الضرورة الشعرية، ص٢٨٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٨٥.

(٤) جومسي، البنى النحوية، ص ٧.

(٥) ينظر: محمد، محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، ص٣٣١.

يفيد زيادة في المعنى وزيادة في جمال اللفظ فضلاً عن مستوى التركيب[١]، لما يملكه من قدرة التحكم في تركيب النص[٢].

فضلاً عن أنَّ ظاهرة التقديم والتأخير ترتبط بإنشاء المعاني الجديدة ووجود الدلالة التي يتعين الحالة التي حدث من أجلها التقديم والغرض الذي من أجله قدم هذا اللفظ وأخّر غيره[٣]؛ لأنَّ (كل تقديم وتأخير في العمل الأدبي إنّما يهدف الأديب من ورائه إلى الوصول إلى غايته التي من أجلها أنشأ عمله)[٤]، وله صفات ومحاسن ذكرها عبد القاهر الجرجاني بقوله: (هو باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أنّ راقك ولطف عندك، أنّ قدَّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان)[٥]. فالتقديم والتأخير يمثل انزياحاً وعدولاً لغويّاً عن الأصل المعياري للغة، ويأتي ذلك متوافقاً مع انفعال منشئ النص وطبيعة تجربته التي يحاول تجسيدها عن طريق الكلمات والتراكيب، أي: أنّ ذلك العدول يشكل تغيراً يطرأ على نسق الجملة وقد حققت هذه القرينة في خطاب الإمام العسكري عليه السلام أغراضاً جمالية وفنية، ولها مزايا وفوائد تجعل الكلام أحلى، والتعبير أجمل، والمعنى أبلغ وأوصل، حيث وردت في قوله: (**اللّهُمَّ لَكَ صَلَّيتُ، وإِيَّاكَ دَعَوتُ، وفي صَلاتي وَ دُعَائِي ما قَد عَلِمتَ مِنَ النُّقصانِ، والعَجَلَةِ،**

(١) ينظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد، ج١، ص ٣٦٣.

(٢) ينظر: عزت، علي، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، ص٢٢.

(٣) ينظر: البديري، رملة خضير مظلوم، رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة – دراسة لغوية – ، ص ٢٥١.

(٤) المسيري، منير حمود، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية، ص ٤٩.

(٥) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص١٠٦.

والسَّهوِ، والغَفلَةِ، والكَسَلِ، والفَترَةِ، والنِّسيانِ، والمُدافَعَةِ، والرّياءِ والسُّمعَةِ، والرَّيبِ، والفِكرَةِ، والشَّكِّ، والمَشغَلَةِ، واللَّحظَةِ المُلهِيةِ عَن إقامةِ فرائِضِكَ) [١]

فقد قدّم الإمام عليه السلام شبه الجملة (لك) على الجملة الفعلية (صليتُ)، وقدّم المفعول به (إيّاك) على الجملة الفعلية (دعوت) دلالة على الاختصاص، إذ إنَّ الصلاة والدعاء هما مختصان بالله سبحانه وتعالى، وكان أصل التركيب (صليتُ لك)، و(دعوت إيّاك)، فأدى الانزياح التركيبي في التقديم والتأخير دلالةً في التأكيد على الاختصاص وفي هذا التقديم سمة أُسلوبية عملت على تخليص السياق من الرتابة من خلال قصر المسند إليه على المسند، فضلاً عن الهدف الذي حققه فنيّاً وجماليّاً ومعنويّاً.

وفي نصٍّ آخر نجد تغييراً في الرتبة الفعلية للنص إذ قال الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام: **(لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ إِظْهَارُ الْفَرَحِ عِنْدَ الْمَحْزُونِ)**[٢].

مثّل هذا النص إنزياحاً تركيبيّاً عن التركيب الأصلي؛ إذ قدّم خبر ليس

(من الأدب) على اسمها (إظهار)، وبذلك تغيّرت البنية السطحية للنص فأعقبها تغييرٌ في الدلالة، إذ إنَّ التقديم أعطى دلالة أقوى في ضرورة التأدّب، لا سيما أنَّ استعمال الرتبة المعكوسة يعدُّ مؤشراً أُسلوبيّاً يحسُّ به المتلقي بما يسوغه [٣]. هذا التغيير في الرتبة أعطى تواشجاً علائقيّاً في النص يدلُّ على العناية والاهتمام بعدم إظهار الفرح عند المحزون.

وجاءت قرينة الرتبة في قول الإمام العسكري عليه السلام: **(ما تَرَكَ الحقَّ عزيزٌ إلّا ذَلَّ، ولا أخَذَ بهِ ذليلٌ إلّا عَزَّ)** [٤].

---

(١) موسوعة سيرة أهل البيت، ج ٣٤، ص٣٨.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٩.

(٣) ينظر: الخزاعي، محمد، أُسلوبية خطاب الإمامين العسكريين عليهما السلام، ص٩٨.

(٤) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج ١، ص ٦٥٥.

في هذا النص انزاح خطاب الإمام عليه السلام نحو تغيير في الرتبة في نظام اللغة لا في استعمالها، وهو ما يسمى بالرتبة المحفوظة التي يُعطى فيها المتكلم الحرية في تغيير مواضع الكلمات داخل السياق على وفق قواعد لغوية مقررة[1]، يُطلق عليها اللغويون اسم "الرتبة غير المحفوظ» إذ تُهدر عند أمن اللبس لمقتضيات السياق، إذ قدّم عليه السلام المفعول به (الحقَّ) على الفاعل (عزيز) لأهمية أنّ يلتزمَ المؤمنُ الحقّ ويسير معه، وهذا التقديم شكّل درجة من درجات التماسك والانسجام للنص في ذهن المتلقي.

ولم يكتفِ الإمام العسكري عليه السلام بهذا التعقيد التركيبي المعمق في دلالته، فعقد تقابلاً دلاليّاً بين عناصر النّصِّ اللغُّوية، فقابل " العزة» مع " "الذلة» وما تحمله كِلا اللفظتين من مكامن ومعاني، فالله عزّ وجلّ أعطى للمؤمن العزة التي تستوجب التزام الحقّ وعدم تركه.

(١) ينظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٠٧.

الخاتمة

١. تعدُّ القرينة من الأدوات التي تؤدي دوراً كبيراً في الكشف عن دلالة النص، وقد كان معناها اللغوي مترابطاً مع المعنى الاصطلاحي.

٢. مثَّل الربط بالإحالة ملمحاً أُسلوبيّاً في خطاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام وقد استعمله الإمام ليكشف للمتلقي عن الدلالات الخبيئة في النصوص الصادرة منه.

٣. غلبت على نصوص الإمام الحسن العسكري عليه السلام الإحالة القبلية والإحالة البعدية.

٤. عملت قرائن الربط بوساطة أدوات العطف وأدوات الشرط على تعالق العناصر اللغوية دلالياً ضمن الجزئيات الصغرى وهي الأُخرى تتعالق بترتيب هذه الجزئيات المترابطة سياقيّاً والمتمحورة دلاليّاً حتى تُعطي الدلالة الكلية للنص.

٥. عُدَّت قرينة الرتبة عبر التقديم والتأخير في العناصر اللغوية من مزايا القرائن العلائقية في خطاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. إبراهيم، فتحي، معجم المصطلحات الأدبية المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، تونس، د.ط، ١٩٨٨م.

٢. ابن هشام، عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله، رسالة المباحث المرضية المتعلقة بـ(من) الشرطية: تحقيق: مازن المبارك، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٨٧م.

٣. أبو الحسين، بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.

٤. أبو الفرج، محمد أحمد، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٦م.

٥. أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٦. الأصفهاني، الراغب أبو القاسم بن حسين بن محمد المعروف (ت٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

٧. البديري، رملة خضير مظلوم، رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة – دراسة لغوية –، العتبة العلوية المقدسة، مكتبة الروضة الحيدرية، النجف، العراق، (د.ط)، (د.ت).

٨. بوجراند، روبرت دي، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط٢، ٢٠٠٧م.

٩. تمام، حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، ١٩٧٣م.

١٠. الجرجاني، عبد القاهر (ت٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه، أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة الخانجي، القاهرة، مصر.

١١. الخزاعي، محمد، أسلوبية خطاب الإمامين العسكريين عليهما السلام، دار الرنيم، الأردن، ٢٠٢١م.

١٢. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٦- ٢٠٠٥م.

١٣. ريمون، طحان، دنيز بيطار طحان، فنون التقعيد وعلوم الألسنية، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط١، (د.ت).

١٤. الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر، المفصل في الإعراب، دار الهلال، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

١٥. الزناد، الأزهر، نسيج النص (بحث فيما يكون الملفوظ به نصّاً)، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٣م.

١٦. السامرائي، فاضل صالح، النحو، مطبعة دار الحكمة، بغداد، العراق، (د.ط)، ١٩٨٦م.

١٧. الطوسي، أبو جعفر محمد بن حسن، مصباح المتهجد، صححه وأشرف على طباعته، الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

١٨. علي، عزت، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، شركة أبي الهول للنشر، ط١، ١٩٩٦م.

١٩. القرشي، باقر شريف، موسوعة سيرة أهل البيت، تحقيق، مهدي باقر

القرشي، دار المعروف، مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام، مطبعة ستار، النجف الأشرف، العراق، ط٢، ٢٠١٢م.

٢٠. مجموعة مؤلفين، أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت، مطبعة ليلى، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت، قم، إيران، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢١. المسيري، منير حمود، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية، تقديم عبد العظيم المطعني، علي جمعة، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٢. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب؛ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

٢٣. الميانجي، علي الأحمدي، مكاتيب الأئمة، تحقيق ومراجعة مجتبى الفرجي، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، إيران، ط٢، (د.ت).

٢٤. الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة، البلاغة العربية أُسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٦م.

٢٥. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠١م.

٢٦. الوصائل في تحليل المحادثة – دراسة في استراتيجيات الخطاب، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

الرسائل الجامعية:

٢٧. الحدراوي، إيناس عبد براك يشان، أثر القرائن العلائقية في اتساق النّصِّ في نهج البلاغة -خطب الحروب أُنموذجاً، رسالة ماجستير، إشراف عبد الكاظم

الياسري، كلية التربية بنات، جامعة الكوفة، ٢٠٢٥م.

٢٨.زيدان، أحمد هادي، خطب نهج البلاغة-بحث في الدلالة: كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٦م.

٢٩.عدل، عبد الخالق زغير، الربط في الجملة العربية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٨م.

البحوث والدوريات:

٣٠.مليود، نزار نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية دراسة تأصيلية تداولية، مجلة علوم إنسانية، السنة السابعة، العدد٤٢، ٢٠٠٩م.

٣١.نائل، محمد إسماعيل، الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني(دراسة وصفية تحليلة)، مجلة جامعة الأزهر، المجلد ١٣، العدد١، ٢٠١١م.

البحث الخامس

التوظيف النحوي للضمائر في دعاء الندبة

دراسة ابستمولوجية

أ. د. سامي الماضي

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

الملخص

تعد الضمائر من المبنيات التي وضعت لتنوب عن الأسماء الظاهرة المعربة، وهي تمثل ما وُضَعَ لمتكلم، أو مخاطب، أو غائب سبق ذكره ولو حكماً، وهي من المعارف وغالباً ما تكون من حرف، أو حرفين، وقد تأتي على ثلاثة أحرف، وكذلك قيل فيها: إنَّ كلَّ مضمرٍ مضمرٌ معنى التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة، وهي تفتقر إلى شيءٍ لا بدَّ له من مفسَّر كالحضور في المتكلم، والمخاطب، وتقدم الذكر في الغائب، ومنها ضمائر متصلة، وأُخرى منفصلة، وتكون للمفرد، وللمثنى، وللجمع...

وهي في اصطلاح البصريين تسمى: الضمائر، وعند الكوفيين تسمى الكناية والمكني؛ لانَّ الكناية تقابل الصريح، وعندهم ليست صريحة، وغالباً ما تكون الضمائر وسيلة ربط بين أجزاء الكلام من مبتدأ وخبر، وفعل وفاعل، وتوابع التراكيب الجملية من جهة أُخرى، ولذلك فهي تؤدي وظيفة ترابطية بين مكونات الجملة باعتبارها تمثل قرينة لفظية يتم الوصول بها إلى دلالة مقاصد المتكلم، ومنها الربط بالضمير العائد على متقدم لفظاً ورتبة، أو لفظاً دون رتبة على سبيل التمثيل، ويعود قسم من الضمائر على متأخر لفظاً ورتبة كضمير الشأن، وقد يعود على مفهوم تارة بشكل مباشر، وأُخرى بشكل غير مباشر تتمثل بمفهوم السابق أو اللاحق.

وعبر تلك الوسائل، فالضمائر تؤدي وظائف متنوعة ذات دلالات متباينة تكمن في عملية التواصل اللغوي متمثلة بالاستغناء عن تكرار الأسماء بما تحمل من دلالات ومعان إعرابية فضلاً عن كونها تمثل نوعاً من الإشاريات الشخصية في استراتيجيات الخطاب التي تستعمل في الخطاب التواصلي بين طرفي العملية

التواصلية، لتدل على مرجعية النص من جهة، وأُخرى تمثل انعكاساً للمعارف التي تدل على المفرد، أو المثنى، أو الجمع فضلاً عن المطابقة، وهي بذلك تمنح النص نوعاً من التميِّز في مراعاة المخاطب.

وقد برزت الضمائر في دعاء الندبة بصفته خطاباً لتعبر عن دلالات مقننة في نظام التراكيب الجملية التي تميز بها الخطاب عبر استعمالاتها لتمثل المتكلم، والمخاطب، والغيبة... فضلاً عن الضمائر المنفصلة بتمثلاتها المتنوعة في الانعكاس الدلالي...

وكلّ هذه السمات كانت عن قصد المتكلم؛ لانَّ فيها بيان لوشائج التواصل بين طرفي الخطاب.وقد حاول البحث الوقوف على ذلك التوظيف النحوي عبر الأُصول المعرفية لبيان دلالة الضمائر وأثرها في عملية التواصل اللغوي مستثمراً خصائص التنوع في الدعاء عبر استعمالاتها، فتمثل البحث في تمهيد عن الضمائر في العربية وبيان حقيقتها والتنوع في استعمالاتها، ومحورين، فالأول تناول الضمائر المتصلة وانعكاساتها في الاستعمال، والثاني تناول الضمائر المنفصلة ومرجعيتها في النص، ثم خاتمة البحث وأبرز النتائج والتوصيات، ومظان البحث....

الكلمات المفتاحية: التوظيف النحوي، دعاء الندبة، ضمائر المتكلم، ضمائر المخاطب.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين وأفضل الصلاة وأتمها على أبي القاسم محمد وعلى آله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أمّا بعد...

فتعد الضمائر من المبنيات التي وضعت لتنوب عن الأسماء الظاهرة المعربة، وهي تمثل ما وُضَعَ لمتكلم، أو مخاطب، أو غائب سبق ذكره ولو حكماً، وهي من المعارف وغالباً ما تكون من حرف، أو حرفين، وقد تأتي على ثلاثة أحرف، وكذلك قيل فيها: إنَّ كلَّ مضمرٍ مضمرٌ معنى التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة، وهي تفتقر إلى شيءٍ لا بدَّ له من مفسَّر كالحضور في المتكلم، والمخاطب، وتقدم الذكر في الغائب، ومنها ضمائر متصلة، وأُخرى منفصلة، وتكون للمفرد، وللمثنى، وللجمع...

وهي في اصطلاح البصريين تسمى: الضمائر، وعند الكوفيين تسمى الكناية والمكني؛ لانَّ الكناية تقابل الصريح، وعندهم ليست صريحة، وغالباً ما تكون الضمائر وسيلة ربط بين أجزاء الكلام من مبتدأ وخبر، وفعل وفاعل، وتوابع التراكيب الجملية من جهة أُخرى، ولذلك فهي تؤدي وظيفة ترابطية بين مكونات الجملة باعتبارها تمثل قرينة لفظية يتم الوصول بها إلى دلالة مقاصد المتكلم، ومنها الربط بالضمير العائد على متقدم لفظاً ورتبة، أو لفظاً دون رتبة على سبيل التمثيل، ويعود قسم من الضمائر على متأخر لفظاً ورتبة كضمير الشأن، وقد يعود على مفهوم تارة بشكل مباشر، وأُخرى بشكل غير مباشر تتمثل بمفهوم السابق أو اللاحق.

وعبر تلك الوسائل، فالضمائر تؤدي وظائف متنوعة ذات دلالات متباينة تكمن في عملية التواصل اللغوي متمثلة بالاستغناء عن تكرار الأسماء بما تحمل من دلالات ومعان إعرابية فضلاً عن كونها تمثل نوعاً من الإشاريات الشخصية في استراتيجيات الخطاب التي تستعمل في الخطاب التواصلي بين طرفي العملية التواصلية، لتدل على مرجعية النص من جهة، وأُخرى تمثل انعكاساً للمعارف التي

تدل على المفرد، أو المثنى، أو الجمع فضلاً عن المطابقة، وهي بذلك تمنح النص نوعاً من التميِّز في مراعاة المخاطب.

وقد برزت الضمائر في دعاء الندبة بصفته خطاباً لتعبر عن دلالات مقننة في نظام التراكيب الجملية التي تميز بها الخطاب عبر استعمالاتها لتمثل المتكلم، والمخاطب، والغيبة... فضلاً عن الضمائر المنفصلة بتمثلاتها المتنوعة في الانعكاس الدلالي...

وكلّ هذه السمات كانت عن قصد المتكلم؛ لانَّ فيها بيان لوشائج التواصل بين طرفي الخطاب.وقد حاول البحث الوقوف على ذلك التوظيف النحوي عبر الأُصول المعرفية لبيان دلالة الضمائر وأثرها في عملية التواصل اللغوي مستثمراً خصائص التنوع في الدعاء عبر استعمالاتها وفق منهج تحليلي قائم على القراءة الدقيقة في تتبع أُصول الضمائر في العربية وبيان استعمالاتها في دعاء الندبة، فتمثل البحث في تمهيد عن الضمائر في العربية وبيان حقيقتها والتنوع في استعمالاتها، ومحورين، فالأول تناول الضمائر المتصلة وانعكاساتها في الاستعمال، والثاني تناول الضمائر المنفصلة ومرجعيتها في النص، ثم خاتمة البحث وأبرز النتائج والتوصيات، ومظان البحث....

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

المحور الأول: ضمائر المتكلم..

١ الضمير المستتر

تعد الضمائر بشكل عام من الإشاريات في الخطاب ضمن عملية التواصل اللغوي، إذ تتمثل بالتعبير عن (الأنا) الذي تتجسد دلالته عبر السياق بأنواعه المتعددة سواءٌ أكانت أحوال المشاهدة أو غير المشاهدة، والمتكلم في دعاء الندبة هو الإمام عليه السلام الذي يسعى لإيصال رسالة تربوية تتعلق بالتواصل مع الله عزَّ وجلَّ عن طريق بيان النعم والاعتراف بها التي لا عدد لها تلك نعم الله سبحانه وتعالى على عباده، فضلاً عن بيان ثوابها وعقابها في حال كون قسم من النعم نقمة على العبد... وعليه تكون الذات المتلفظة تدل على المخاطب في ذلك السياق لتتحول إلى خطابات متعددة عن شخص واحد، فتلك الذات المتلفظة به" الامام عليه السلام" تتغير بتغير السياق الذي تلفظ به بمعنى قد تتحول من المتكلم إلى الخطاب أو إلى الغيبة، وعليه تكون هي المحور الأساسي في التلفظ في الخطاب تداوليّاً؛ لانَّها تحيل إلى المخاطب، وهذه المسألة تعد من ممارسة التلفظ التي تدل على المتلقي في بنية الخطاب العميقة ممّا يجعل حضور المخاطب يرد في كلِّ خطاب[١]. ونلحظ أنَّ ضمير المتكلم المنفصل في دعاء الندبة قد تكرر ما يقارب أربع عشر مرة عبر اتصاله بالفعل، وفاعله ضمير، وقد لازم الضمير المستتر في العربية صيغاً أربع وهي" أفعلْ، وأفعلُ، ونفعلُ، وتفعلُ" ولمَّا كانت هذه الصيغ لا تصلح للأسماء الظاهرة، لذلك وجب أنْ تكون دلالة الخطاب فيها تكمن في الاستغناء بتوظيف الضمير دون الاسم الذي يمثل انعكاساً لذلك الاسم فـ(افعل) لا يكون أمراً إلّا للمُخاطب، و"افعلُ ونفعلُ" لا يكونان حديثاً إلّا عن المتكلم، و(تفعلُ) إذا كان التاء للخطاب لا يكون إلّا حديثاً عن المُخاطب[٢].

(١) ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ج١، ص١٢٤.

(٢) ينظر: الجرجاني، شرح الجمل في النحو، ص٢٦٢.

فالضمير لا يصلح لان يكون لأكثر من إنابة، وإنَّما يختص لدلالة واحدة دون الاخرى، وكأنَّه دلالة التخصيص قد تفرد بها الضمير دون غيره من الإشاريات الشخصية في الخطاب، فـ"أنا" لا يصلح إلّا للمتكلم، و"أنت" لا تصلح إلّا للمخاطب، و"هو" لا يصلح إلّا للغائب، والمضمر قسمان مستكن وهو لا صورة له في اللفظ، وبارز و"هو" ماله صورة في اللفظ [١]. فقد تميزت ضمائر الرفع المستترة بملازمتها للأفعال، والفعل ما دلَّ على حدث مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة[٢]، وقد تباين الضمير بين الأفعال العلاجية التي غالباً ما تحتاج في حدوثها إلى تحريك عضو من أعضاء الجسد وبين الأفعال غير العلاجية التي لا تحتاج إلى شيءٍ في عملها نحو العلم والظن واليقين التي تمسى أحياناً الأفعال القلبية في باب ظن وأخواتها، وعلم ورأى.

ومن أمثلة توظيف الضمير المستتر مع الأفعال في دعاء الندبة " فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِن قَبلِ اَن نَذِلَّ وَنَخزى"، و"عَزيزٌ عَلَيَّ أَن أَرَى الخَلقَ وَلا تُرى وَلا أَسمَعُ لَكَ حَسيساً وَلا نَجوى، عَزيزٌ عَلَيَّ أَن تُحيطَ بِكَ دُونِيَ البَلوى وَلا يَنالُكَ مِنّي ضَجيجٌ وَلا شَكوى، بِنَفسي أَنتَ مِن مُغَيَّبٍ لَم يَخلُ مِنّا"، وإِلى مَتى أَحارُ فيكَ يا مَولايَ وَإِلى مَتي، وَاَيَّ خِطابٍ أَصِفُ فيكَ وَأَيَّ نَجوى، عَزيزٌ عَلَيَّ أَن أُجابَ دُونَكَ وَأُناغى، عَزيزٌ عَلَيَّ أَن أَبكِيَكَ وَيَخذُلَكَ الوَرى، عَزيزٌ عَلَيَّ أَن يَجرِيَ عَلَيكَ دُونَهُم ما جَرى، هَل مِن مُعينٍ فَأُطيلَ مَعَهُ العَويلَ وَالبُكاءَ، هَل مِن جَزُوعٍ فَأُساعِدَ جَزَعَهُ إِذا خَلا، هَل قَذِيَت عَينٌ فَساعَدَتها عَيني عَلَى القَذى، هَل إِلَيكَ يَا بنَ أَحمَدَ سَبيلٌ فَتُلقى، هَل يَتَّصِلُ يَومُنا مِنكَ بِعِدَةٍ فَنَحظى، مَتى نَرِدُ مَناهِلَكَ الرَّوِيَّةَ فَنَروى، مَتى نَنتَقِعُ مِن عَذبِ مائِكَ فَقَد طالَ الصَّدى، مَتى نُغاديكَ وَنُراوِحُكَ فَنُقِرَّ عَيناً، مَتى تَرانا وَنَراكَ وَقَد نَشَرتَ لِواءَ النَّصرِ تُرى، أَتَرانا نَحُفُّ بِكَ وَأَنتَ تَأُمُّ المَلأَ...، وَنَحنُ نَقُولُ الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ"، وفَأَغِث

(١) ينظر: المرادي، شرح التسهيل، ص١٤٠.

(٢) ينظر: ابن السراج، الأُصول في النحو، ج١، ص٣٨.

يا غِياثَ الْمُستَغيثينَ عُبَيدَكَ الْمُبتَلى، وَأَرِهِ سَيِّدَهُ يا شَديدَ القُوى، وَأَزِل عَنهُ بِهِ الأسى وَالجَوى، وَبَرِّد غَليلَهُ"[1]، فالضمير المستتر الذي لازم الأفعال "نفعلُ، تفعلَ، افعلْ، أفعلُ "ما هو إلّا أحد الإشاريات التي وظفت نحوياً لتؤدي تلك الوظيفة الإسنادية بين طرفي الجملة الفعلية؛ لانها تهتم مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللغة والسياق الذي تستعمل فيه، لذلك فقد مثلت دلالة البنية العميقة للمعاني التي يظهرها المتكلم فضلاً عن ذلك فإنَّ أيَّ خطابٍ في عملية التواصل اللغوي لا يكون من دون قصد ما أو هدف معين يسعى المتكلم لتحقيقه[2].

وكذلك تعد الضمائر من روابط الإسناد بين طرفي الخطاب، فالضمير المستتر في الجملة الفعلية بصيغها المتنوعة التي وردت في دعاء الندبة فيها دلالة الإسناد المتمثلة بالعلاقة المعنوية بين الفعل والفاعل؛ لأنّها بها تكتمل العلاقة بين المسند والمسند إليه ومن ثمَّ يكتمل مفهوم الجملة عبر التوظيف النحوي للضمير الذي أدى تلك الوظيفة على الرغم من عدم ظهوره إلّا أنَّه تميز بأنَّ يكون ذا دلالة تكمن في أبراز الفاعل في تلك الجملة؛ لكونه أدى وظيفة الفاعل التي تكون للأسماء خالصة لذلك فقد لِزمَ العلاقة الإسنادية للجملة.

ولو أمعنا النظر في الأمثلة التي وردت في دعاء الندبة لوجدناها قد مثلت ذلك الأمر تمثيلاً مميزاً فضلاً عن كونها الضمائر المستترة أدت وظيفة الربط بين أجزاء الجملة الفعلية التي فعلها متعدي إلى مفعول" هَل مِن مُعينٍ فَأُطيلَ مَعَهُ العَويلَ وَالبُكاءَ" نلحظ على سبيل التمثيل أنَّ الفاعل "الضمير المستتر" أدى وظيفة الفاعلية، وكذلك وظيفة الربط بين الفعل والفاعل والمفعول عبر العلاقة الإسنادية إذ أصل العبارة (فأطيل العويل والبكاء معه) على الرغم من تقديم الظرف الذي قدم على المفعول

(١)ينظر: القمي، مفاتيح الجنان، ص ٥٥٩ـ ٥٦٠.

(٢) ينظر الماضي، سامي، الإشاريات الشخصية في إلياذة الجزائر، ص١٦٥.

إلّا أنَّ التوظيف النحوي للضمير جعل تمام المعنى في وجود تعدي الفعل إلى المفعول به(العويل)، فالضمير قد أدى وظيفته في ربط التراكيب الجملية مثلما تؤدي أدوات المعاني الرابطة كأدوات الشرط، وأدوات العطف، فضلاً عن وظيفة الربط فإنَّ لها قيمة استعمالية تكمن في الاختصار، والإيجاز في التعبير عن إعادة ما سبق إذ لو تكرر الاسم المقصود في كلِّ مرة لذهبت قوة التعبير في تماسك النص وعلاقته في البنية العميقة[١]، ولذلك فإنَّ وظيفة الضمير المستتر وظيفة نحوية وهو عمدة في الكلام وليس من الفضلات "الفاعل" وهذا يثبت أنَّ العناصر العُمَدَ لا تكون إلّا مرفوعة، وهذا يندمج مع صيغة الفعل التام المبني للفاعل ليكون فاعلاً له في التحليل، أو المبني للمفعول ليكون نائباً فاعل له[٢].

٢ الضمير المنفصل.

فقد تمثل في دعاء الندبة بشخص الإمام عليه السلام؛ لانَّه يعبر عن ذات الأنا المتكلم المتمثل بـ"أنا، ونحن"[٣] وتتمثل دلالة الجنس في ضمير المتكلم المنفصل؛ لانَّه لا يميز بين أنواع المتكلمين وإنّما يعبر عن ذاته؛ لأنَّ القائل واحد القول ضمناً أو تصريحاً، وذلك يدلُ على وجود المتكلم "المخاطب" في منظومة الخطاب اللغوي لا خارجه، وهو متجدد في كلِّ عملية تخاطب[٤]، فالإشارة هنا تبدأ من" فَقالَ وَالمَلأُ أَمامَهُ: مَن كُنتُ مَولاهُ فَعَلِيٌّ مَولاهُ اللّهُمَّ والِ مَن والاهُ وَعادِ مَن عاداهُ وَانصُر مَن نَصَرَهُ وَاخذُل مَن خَذَلَهُ، وَقالَ: مَن كُنتُ أَنَا نَبِيَّهُ فَعَلِيٌّ أَميرُهُ، وَقالَ أَنَا وَعَلِيٌّ مِن شَجَرَة واحِدَة وَسائِرُ النَّاسِ مِن شَجَر شَتّى "[٥].

(١) ينظر: دندوقه، فوزية، ضمائر العربية المفهوم والوظيفة، ص٥.

(٢) ينظر: مقداد، حوالم، الاستتار والحذف في الضمائر العربية دراسة وصفية نحوية، ص٧١٤.

(٣) ينظر: أبو الفتح، اللمع في العربية، ص١٦٠.

(٤) ينظر: سائدة، مصلح محمد، التشكيل الصوتي للضمائر في اللغة العربية، ص٢٠.

(٥) القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٥٩.

فالإشارة بالضمير "أنا" هي نوع من التناص مأخوذ من حديث غدير خم[١] فيه إشارة واضحة إلى مظلومية جده أمير المؤمنين وحق الخلافة له بعد النبي ﷺ، وتنصيبه خليفة للمسلمين بعده.

وجملة "أنا نبيه" هي جملة اسمية فيها دلالة الثبوت قد تصدرها ضمير المتكلم وهو الذي يشير إلى شخص النبي ﷺ في الاقتباس من الحديث الذي ينص على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وعبر التوظيف النحوي لضمير المتكلم الذي أعطى دلالة خاصة في ثبوت الأمر بعد النبي ﷺ من بعده إلى الإمام علي عليه السلام، وكذلك جملة "أنا وعليٌّ" هي جملة اسمية تدل على الاستقرار والثبوت فضلاً عن العلاقة الإسنادية بين طرفي الجملة، وبالتأكيد فإنّ ثبوت التنصيب سيكون له امتداد الإمامة في ولده ومنهم صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف المعني بدعاء الندبة، وإنّما هذه المظلومية التي وقعت على أهل البيت بشكل عام انما تمثل نكران للنعم التي أنعم الله عزَّوجلَّ بها على العباد.

فيكون الأمر مسلّماً للإمام عليه السلام في قيادة الامة وتوجيهها نحو الطريق الصحيح ومحاربة أهل الضلالة والشرك، ولو نظرنا إلى الإحالة التي تعلق بالضمير "أنا" بها فهي إحالة قبلية تعود إلى المنذر وهو النبي ﷺ، وبوجود الضمير العائد إلى متقدم لفظاً يكون قد أدى وظيفة الربط بين العلاقة الإسنادية.

ثم قول النبي ﷺ: «أنا وعلي من شجرة واحدة" فيه إحالة قبلية عائدة إلى النبي ﷺ ولعل توظيف دلالة عائدية الضمير هنا أكدت الثبوت والاستقرار لمفهوم ذلك المعنى المتضمن دلالة التوظيف النحوي للضمير المنفصل عبر سياق النص الذي أخذ الامام عليه السلام دلالة النص من التناص المأخوذ عن الحديث النبوي، ثم ينتقل ليشير إلى تناص آخر مأخوذ عن حديث نبوي يبيِّن فيه منزلة الإمام عليه السلام من النبي ﷺ وحديث آخر يبيِّن مكانته من علم النبي ﷺ" وَأَحَلَّهُ مَحَلَّ هارُونَ مِن مُوسى، فَقال لَهُ أَنتَ مِنّي بِمَنزِلَةِ

(١) ينظر: الكليني، الكافي، ج ٤، ص٥٦٦.

هارُونَ مِن مُوسى الّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعدي، وَزَوَّجَهُ ابنَتَهُ سَيِّدَةَ نِساءِ العالَمَينَ، وَأَحَلَّ لَهُ مِن مَسجِدِهِ ما حَلَّ لَهُ، وَسَدَّ الابوابَ اِلّا بابَهُ، ثُمَّ أَودَعَهُ عِلمَهُ وَحِكمَتَهُ فَقالَ: أَنَا مَدينَةُ العِلمِ وَعَلِيٌّ بابُها، فَمَن أَرادَ المَدينَةَ وَالحِكمَةَ فَليَأتِها مِن بابِها،"[1].

ونلحظ تأكيد دلالة الثبوت عبر توظيف ضمير المتكلم "أنا" عن طريق الإستعانة بالتناص من الحديث النبوي "أنا مدينة العلم" الذي وقع في بداية الجملة الإسمية ليؤكد العلاقة الإسنادية بين المبتدأ والخبر، والعلاقة بينهما علاقة إسناد المدينة للضمير الذي يشير للإحالة القبلية إلى النبي صلى الله عليه وآله، وهنا أفاد الضمير لكونه ناب عن أحد طرفي الجملة الاسمية دلالة الثبوت والاستقرار بما هو واضح ومعلوم عند المسلمين من كون النبي محمد صلى الله عليه وآله هو مدينة العلم باعتبار أنَّ القرآن الكريم نزل على النبي صلى الله عليه وآله عن طريق الوحي عن الله عزَّوجلَّ فهو مستوع ذلك العلم الذي بدوره علّمه بأمر من الله عزَّ وجلَّ إلى وصيه علي بن أبي طالب عليه السلام، ولكون الإمام عجل الله فرجه الشريف وارث آبائه فهو امتداد لتلك المدينة لكونه باباً من أبواب تلك المدينة الذي بالمحصلة قد أخذ العلم عن آبائه.

وهنا تجلت وظيفة الضمير في توظيف دلالة الجملة الاسمية على الثبات والاستقرار؛ لكونها تمثل مرتكزاً أساسيّاً في الخطاب فضلاً عن ذلك فإنّ ضمير المتكلم لابد له من مرجعية في الخطاب تفسره قبلية أو بعدية لتوضيح الإبهام وتخصيص المقصود بضمير المتكلم، وقد تمثلت تلك المرجعية بالإحالة إلى النبي صلى الله عليه وآله[2].

ولمّا كانت الضمائر لا تظهر عليها العلامات الإعرابية، ولا تتصرف بالاشتقاق نحو اشتقاق الأفعال، لذلك فإنّ للسياق اللغوي الأثر الأبرز في تحديد دلالتها فضلاً عن وظيفتها، فهي من المبنيات التي لا تظهر عليها حركات الإعراب ولا تقبل بعض

(١) القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٥٩ ٥٦٠؛ وينظر: الكليني، الكافي، ج٣، ص١٥٤.

(٢) ينظر: الاحالة في القرآن الكريم، ص ٤٠٢.

علامات الأسماء كالتنوين... ولا تقع موقع المضاف وإنْ صح منها أنْ تقع موقع المضاف إليه، وهي مفتقرة جميعها إلى القرائن باعتبارها شرطاً أساسيّاً لدلالتها على معين، فضمير المتكلم والمخاطب والإشارة قرينتها الحضور[١]. ومن هذا المنطلق فإنَّ الحوار في الخطاب التواصلي التداولي من شروطه أنَّ الإشاريات من ضمائر... هي علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلّا في سياق الخطاب التداولي، وهذا ناتج عن كونها ليس لها معنى في ذاتها على الرغم من ارتباطها بمرجع إلّا أنَّه مرجع غير ثابت، ولذلك فقد عدَّها النحويون من المبهمات[٢]. وهذا لم يمنع من أنْ يكون لها دوراً وظيفيّاً في تكوين بنية الخطاب عبر القيام بتلك الوظيفة الدلالية في بنية النص فضلاً عن خصوصية الخطاب نفسه عبر تلائم نسيجه في الجملة التركيبية الواحدة لوجود المعلومات المشتركة بين المتكلم والمخاطب[٣].

ومن ذلك المنطلق كانت للضمائر اعتبارات مختلفة من حيث توظيفها نحويّاً ودلالتها على تحديد المعنى الوظيفي لها عبر السياق التداولي، إذ تمثلت تلك الدلالة بالصورة التي ارتسمت في الذهن وأفضت إلى تصور بوجود علاقة بين الدلالة والمعنى الوظيفي الذي أصبح ركيزة من ركائز توظيف الخطاب بين طرفيه[٤]. وعن طريق ذلك فقد لمسنا أنَّ الإمام عليه السلام قد وظف في بنية تركيب دعاء الندبة الذي يمثل الرسالة بين طرفي الخطاب توظيفاً مميّزاً، ولاسيما في الضمائر فقد كانت مرجعية الخطاب في الدعاء واضحة وتكاد تكون في كلّ المنازل من الدعاء ظاهرة إلّا أنَّ نسق الانسجام في الدعاء هو الأبرز... ومن ذلك ضمير المتكلم "نحن" الذي يدل على المتكلم، ولخصوصية ذلك الضمير في كونه يقع في بداية الجملة، وهذا فيه توظيف

(١) ينظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص١١٠.

(٢) ينظر: إبراهيم بركات، الإبهام والمبهمات في النحو العربي، ص٣٣.

(٣) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص١٢٦.

(٤) ينظر: الماضي، سامي، الدلالة النحوية في كتاب المقتضب، ص١٤.

على الاستقلال بنفسه ولا يحتاج إلى كلمة أُخرى ليتصل بها، ولذلك فهو أتى به للاختصار عن فحوى تكرار اللفظ فقد عبّر عن الموقف الكلامي بالضمير "نحن" الذي يُحدد دلالته في الغالب قصدية المتكلم وسياق الموقف[١]، وهو من ضمائر الرفع، والرفع في الأصل هو نتيجة لعلاقة إسنادية بين طرفي الجملة الاسمية بشكل خاص الذي تدل تلك الجملة على الثبوت والاستقرار ممّا يدل على أنَّ تلك الدلالة قد ركزتها وظيفة تلك الجملة التي يمثل الضمير "نحن" أحد طرفيها عبر وجود علاقة تلازمية في تمام المعنى بين ركني التركيب الاسمي، وهذا الأمر قد اتفق عليه أغلب النحويين عبر تحقيق عملية الإسناد بين النمط الاسمي " الجملة الاسمية من المبدأ والخبر" وشريطة أنْ يؤدي الإسناد وضوحاً في المعنى مع وجود قرينة الإخبار في العلاقة المحددة وظيفتها الإسنادية[٢].

وجاء في مضمون دعاء الندبة هَل يَتَّصِلُ يَومُنا مِنكَ بِعِدَةٍ فَنَحظى، مَتى نَرِدُ مَناهِلَكَ الرَّوِيَّةَ فَنَروى، مَتى نَتَقِعُ مِن عَذبِ مائِكَ فَقَد طالَ الصَّدى، مَتى نُغاديكَ وَنُراوِحُكَ فَنُقِرَّ عَيناً، مَتى تَرانا وَنَراكَ وَقَد نَشَرتَ لِواءَ النَّصرِ تُرى، أَتَرانا نَحُفُّ بِكَ وَأَنتَ تَأُمُّ المَلاَ وَقَد مَلأتَ الأرضَ عَدلاً وَأَذَقتَ أَعداءَكَ هَواناً وَعِقاباً، وَأَبَرتَ العُتاةَ وَجَحَدَةَ الحَقِّ، وَقَطَعتَ دابِرَ المُتَكَبِّرينَ، وَاجتَثَثتَ أُصُولَ الظّالِمينَ، وَنَحنُ نَقُولُ الحَمدُ لله رَبِّ العالَمينَ"[٣]، والملاحظ أنَّ الضمير "نحن" قد وقع في موضع الابتداء، وجاء خبره جملة فعلية فمن حيث الوظيفة فهو أحد طرفي الجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والاستقرار، ومن جهة أُخرى الخبر جملة فعلية في مضمونها تدل على التجدد والاستقبال دائماً ومقول القول جملة " الحمد لله ربّ العالمين" وعيه تتم الفائدة في الخبر عبر التوظيف النحوي للضمير "نحن" الذي يتمثل بالإشارة إلى مرجعية جملة "الحمد

(١) ينظر: عبدة، مها محمد، الضمير في الجملة العربية دراسة نحوية وصفية، ص١٨١.

(٢) ينظر: الماضي، سامي، الدلالة النحوية في كتاب المقتضب، ص٣٨.

(٣) القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٦٣.

لله ربّ العالمين" التي افتتح بها الدعاء؛ لأنَّ الإنسان بشكل عام وجوده هو بنعمة من الله فضلاً عن ذلك الذي يتمثل بالتناص القرآني من قوله عزَّ وجلّ: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾"الفاتحة: ٢"، ويريد الإمام عليه السلام أنْ يستدل على "الحمدلة" بوجودها في حياة الإنسان المؤمن من كلِّ جوانبها، فكلُّ شيءٍ من فعل، أو عملٍ، أو قولٍ لابد للإنسان أنْ يحمد الله على تمام تلك النعمة بالحمد لله ربّ العالمين، فهنا الضمير يعد عبر التوظيف النحوي مؤسس على العود السابق المتمثل بالإحالة القبلية(١)، وتكمن دلالة التوظيف النحوي للضمير في دلالة سياق الكلام على المفسر التزاماً لا تضمناً؛ لأنَّ سياق الكلام فيه إشارة إلى الحمد لله على تلك النعم(٢).

وجاء في مضمون دعاء الندبة " اللّهُمَّ وَنَحنُ عَبيدُكَ التّائِقُونَ إِلى وَلِيِّكَ المُذَكِّرِ بِكَ وَبِنَبِيِّكَ، خَلَقتَهُ لَنا عِصمَةً وَمَلاذاً، وَأَقَمتَهُ لَنا قِواماً وَمَعاذاً، وَجَعَلتَهُ لِلمُؤمِنينَ مِنّا إِماماً، فَبَلِّغهُ مِنّا تَحِيَّةً وَسَلاماً، وَزِدنا بِذلِكَ يا رَبِّ إِكراماً، وَاجعَل مُستَقَرَّهُ لَنا مُستَقَرّاً وَمُقاماً، وَأَتمِم نِعمَتَكَ بِتَقديمِكَ اِيّاهُ أَمامَنا حَتّى تُورِدَنا جِنانَكَ وَمُرافَقَةَ الشُّهَداءِ مِن خُلَصائِكَ "(٣) أنَّ هذا المقطع من الدعاء قد بدأ بأُسلوب النداء الذي هو أحد أساليب الطلب الذي يمكن تحقيقه، فالإمام عليه السلام في دعائه يمثل نوعاً من العلاقة العمودية في استراتيجيات الخطاب بين طرفي الخطاب في عملية التواصل اللغوي المتمثل بالطرف الأساس وهو الله عزَّوجلَّ والإمام عليه السلام، فالمستوى التركيبي قد مثّل علاقة الإسنادية بينهما، إذ بدأ بالنداء لبيان علاقة البعد بين طرفي الخطاب، ثم انتقل إلى التركيب الإسمي الذي سبقت بـ" الواو" إذ من الممكن أنْ يأتي بعدها جملة اسمية في موضع نصب حال لبيان حال المؤمنين العباد الذين تائقون للقاء إمامهم؛ لانَّه يعمل بما أمر الله عزَّ وجلَّ به بتعاليم الرسالة الكونية لكلّ زمان ومكان وهي القرآن الكريم.

(١) يتنظر: مرجعية الضمير بين الإحالة والتفسير، ص١٠٤.

(٢) ينظر: الضمير في الجملة العربية، ص١٨٨.

(٣) القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٦٣.

فهو مذكر بك وبنيك وبالأئمة صلوات الله عليهم أجمعين الذي" خَلَقتَهُ لَنا عِصمَةً وَمَلاذاً، وَأَقَمتَهُ لَنا قِواماً وَمَعاذاً، وَجَعَلتَهُ لِلمُؤمِنينَ مِنّا إِماماً". هنا تلميح إلى دلالة الإمامة في القرآن الكريم إذا الإمامة والنبوة صنوان لا يفترقان، وهما متلازمان.

فالعلاقة هنا توضح ظاهرة التأدب في الخطاب إذ يتلفظ عليه السلام بخطابه وفقاً لما تقتضيه تلك العلاقة التواصلية في عملية التخاطب،... وهذا انعكس على استعمال اللغة فجاء التوظيف النحوي للضمير عبر الانسجام التام لفقرة الدعاء؛ لانَّ تلك الملفوظات المؤدبة ترمز للعلاقة بين الله عزَّ وجلَّ والإمام عليه السلام من جهة ولسان حال المؤمنين الذين يلتزمون بالعبادة المخلصة لله عزَّوجلَّ[١].

ونلحظ أنَّ تقدم الضمير في فقرة الدعاء جاء ليتقدم على المفسر التركيبي لتلك الفقرة فجملة" ونحن عبيدك التائقون" كلّ ما جاء بعدها من تراكيب جملية فهي مفسره لها بمعنى أنَّ التوظيف النحوي للضمير عبر تقديمه على التراكيب الجملية لم يكن اعتباطيّاً، وإنَّما لخصوصية تفسير تلك الجملة، أي: ماذا يريد هؤلاء العباد من الباري تبارك وتعالى بتقديم طلب النداء وتقديم خصوصية ذلك التركيب الاسمي.

(١) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص١٣٤.

المحور الثاني: ضمائر الخطاب

١ - المتصلة...

يتمثل ضمير المخاطب بـ" تَ" وهي انعكاس للضمير المنفصل "أنت" التي تعكس حضور خطاب، فالفعل يمتاز عن أقسام الكلام الأُخرى من حيث استقلاله بصيغ معينة...ومنها استقلاله بقبول الدخول في إسنادي ومن حيث تفرده بقبول إلصاق ضمائر الرفع المتصلة به... إذ تمثل ضمير المخاطب بقرينة الحضور(١).

وممّا جاء في دعاء الندبة من ضمائر المخاطب المتصلة "تَ" ما يقارب اثنتان وستون موضعاً تشير إلى دلالة المخاطب ومنها على سبيل التمثيل " اللّهُمَّ لَكَ الحَمدُ عَلى ما جَرى بِهِ قَضاؤكَ في أَولِيائِكَ الَّذينَ استَخلَصتَهُم لِنَفسِكَ وَدينِكَ، إِذِ اختَرتَ لَهُم جَزيلَ ما عِندَكَ مِنَ النَّعيمِ المُقيمِ الَّذي لا زَوالَ لَهُ وَلاَ اضمِحلالَ، بَعدَ أَن شَرَطتَ عَلَيهِمُ الزُّهدَ في دَرَجاتِ هذِهِ الدُّنيَا الدَّنِيَّةِ وَزُخرُفِها وَزِبرِجِها، فَشَرَطُوا لَكَ ذلِكَ وَعَلِمتَ مِنهُمُ الوَفاءَ بِهِ فَقَبِلتَهُم وَقَرَّبتَهُم، وَقَدَّمتَ لَهُمُ الذِّكرَ العَلِيَّ وَالثَّناءَ الجَلِيَّ، وَأَهبَطتَ عَلَيهِم مَلائِكَتَكَ وَكَرَّمتَهُم بِوَحيِكَ، وَرَفَدتَهُم بِعِلمِكَ، وَجَعَلتَهُمُ الذَّريعَةَ إِلَيكَ وَالوَسيلَةَ إِلى رِضوانِكَ، فَبَعضٌ أَسكَنتَهُ جَنَّتَكَ إِلى أَن أَخرَجتَهُ مِنها، وَبَعضٌ حَمَلتَهُ في فُلكِكَ وَنَجَّيتَهُ وَمَن آمَنَ مَعَهُ مِنَ الهَلَكَةِ بِرَحمَتِكَ، وَبَعضٌ اتَّخَذتَهُ لِنَفسِكَ خَليلاً وَسَأَلَكَ لِسانَ صِدقٍ فِي الآخِرينَ فَأَجَبتَهُ وَجَعَلتَ ذلِكَ عَلِيّاً، وَبَعضٌ كَلَّمتَهُ مِن شَجَرَةٍ تَكليماً وَجَعَلتَ لَهُ مِن أَخيهِ رِدءاً وَوَزيراً، وَبَعضٌ أَولَدتَهُ مِن غَيرِ أَب وَآتَيتَهُ البَيِّناتِ وَأَيَّدتَهُ بِرُوحِ القُدُسِ، وَكُلٌّ شَرَعتَ لَهُ شَريعَةً، وَنَهَجتَ لَهُ مِنهاجاً، وَتَخَيَّرتَ لَهُ أَوصِياءَ"(٢) فنلحظ أَنَّ ضمير الخطاب فيه إشارة إلى حضور المتلقي في طرفي الخطاب، وإنْ كان الحضور من غير مشاهدة بصرية فإنَّه حاضر في الحوار الروحي بين الامام عليه السلام

(١) ينظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص١١١.

(٢) القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٥٨-٥٦٤. وقد أثبت الفقرة كاملة حفاظاً على المعنى.

وبين الله عزَّوجلَّ الذي يمثل المرجع لذلك الخطاب "تَ"، إذ كلُّ هذه النعم التي أشار إليها الإمام عليه السلام هي من الله تبارك وتعالى، فالاختيار لهؤلاء الأولياء مختص بالله عزَّ وجلَّ إذ يشير الخطاب " الحَمدُ لله رَبِّ العالَمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسليماً، اللّهُمَّ لَكَ الحَمدُ عَلى ما جَرى بِهِ قَضاؤكَ في أَولِيائِكَ الَّذينَ استَخلَصتَهُم لِنَفسِكَ وَدينِكَ" إلى الإحالة للفظ الجلالة المتمثلة باختيار هذه الخصال عند أُولئك الأولياء الذين جرى فيهم قضاء الله تبارك وتعالى، ونلحظ أنَّ الضمير قد أدى وظيفة إسناد الفعل لصاحبه " الله" عزَّ وجلَّ في كلِّ شيء فهو ملزم لقضائه، ثم يأتي تفصيل ذلك القضاء بالإشارة إلى أولئك الأولياء.

إذ بعد ذكر عموم ما يوجد من صفات واختيار وشروط ووفاء ويقابله قبول ذلك القضاء جاء التفصيل ليمثل الضمير المتصل جانباً آخر من الإشارة إلى التفاصيل" فَبَعضٌ أَسكَنتَهُ جَنَّتَكَ إِلى أَن أَخرَجتَهُ مِنها" فالإشارة هنا إلى قصة البني آدام عليه السلام وهو اقتباس قرآني، " وَبَعضٌ حَمَلتَهُ في فُلكِكَ وَنَجَّيتَهُ وَمَن آمَنَ مَعَهُ مِنَ الهَلَكَةِ بِرَحمَتِكَ" والإشارة هنا إلى قصة النبي نوح عليه السلام وهو أيضاً اقباس قرآني، " وَبَعضٌ اتَّخَذتَهُ لِنَفسِكَ خَليلاً وَسَأَلَكَ لِسانَ صِدقٍ فِي الآخِرينَ فَأَجَبتَهُ وَجَعَلتَ ذلِكَ عَلِيّاً" والإشارة هنا إلى قصة النبي إبراهيم عليه السلام"، "وَبَعضٌ كَلَّمتَهُ مِن شَجَرَةٍ تَكليماً وَجَعَلتَ لَهُ مِن أَخيهِ رِدءاً وَوَزيراً" والإشارة هنا إلى قصة النبي موسى وأخيه هارون عليهما السلام"، " وَبَعضٌ أَولَدتَهُ مِن غَيرِ أَب وَآتَيتَهُ البَيِّناتِ وَأَيَّدتَهُ بِرُوحِ القُدُسِ" وهنا الإشارة إلى قصة النبي عيسى وأُمّه عليهما السلام، وَكُلٌّ شَرَعتَ لَهُ شَريعَةً، وَنَهَجتَ لَهُ مِنهاجاً، وَتَخَيَّرتَ لَهُ اَوصِياءَ[1] والبارز في الحوار هو تكرار الضمير ليقوم مقام الاسم الذي هو في الأصل الفاعل (الله) ليؤدي ضمير الخطاب تلك الرابطة في تماسك النص وما تكراره إلّا دليل على أهمية في انسجام النص.

(١) القمي، مفاتيح الجنان، ص ٥٥٨، وينظر تفصيل ذلك كلّ في موضعه من القرآن الكريم...

ثم يستمر الحوار بذكر ما وصل إليه اختيار الله من الأولياء الذين اصطفاهم " إِلى أَنِ انتَهَيتَ بِالأمرِ إِلى حَبيبِكَ وَنَجيبِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ، فَكانَ كَما انتَجَبتَهُ سَيِّدَ مَن خَلَقتَهُ، وَصَفوَةَ مَنِ اصطَفَيتَهُ، وَأَفضَلَ مَنِ اجتَبَيتَهُ، وَأَكرَمَ مَنِ اعتَمَدتَهُ، قَدَّمتَهُ عَلى أَنبِيائِكَ، وَبَعَثتَهُ إِلَى الثَّقَلَينِ مِن عِبادِكَ، وَأَوطَأتَهُ مَشارِقَكَ وَمَغارِبَكَ، وَسَخَّرتَ لَهُ البُراقَ، وَعَرَجتَ بِرُوحِهِ إِلى سَمائِكَ، وَأَودَعتَهُ عِلمَ ما كانَ وَما يَكُونُ إِلَى انقِضاءِ خَلقِكَ، ثُمَّ نَصَرتَهُ بِالرُّعبِ، وَحَفَفتَهُ بِجَبرَئيلَ وَميكائيلَ وَالْمُسَوِّمينَ مِن مَلائِكَتِكَ وَوَعَدتَهُ أَن تُظهِرَ دينَهُ عَلَى الدّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ الْمُشرِكُونَ، وَذلِكَ بَعدَ أَن بَوَّأتَهُ مَبَوَّأَ صِدقٍ مِن أَهلِهِ، وَجَعَلتَ لَهُ وَلَهُم أَوَّلَ بَيتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَهُدىً لِلعالَمينَ "[1] فنلحظ دلالة إسناد الضمير للأفعال الآتية (انتهيتَ، انتجبتَهُ، خلقتَهُ، اصطفيتَهُ، اجتبيتَهُ، اعتمدتَهُ، قدمتَهُ، بعثتَهُ، أوطأتَه، سخرتَ، عرضتَ، أودعتَه، نصرتَهُ، حففتَهُ، وعدتَه، بوَّأتَهُ، جعلتَ)، فإسناد ضمير الخطاب إلى الفعل ذي الدلالة الزمنية الماضوية ليكون حاضراً في كلّ العطايا الإلهية للنبي ﷺ وكلُّ هذه الخصال والصفات قد ورثها عنه أهل بيته إلى أن وصلت إلى القائم عجل فرجه الشريف، وهذا الحوار الحضوري بين المتكلم والمخاطب المتمثل بسياق المقام الذي يفسر ذلك التواصل ما هو إلّا توظيف لتكرار عود الضمير لمخاطب دون تكرار مرجعيته التي ذكرها الإمام عليه السلام في بداية الدعاء المتمثلة بـ" لفظ الجلالة"، إذ استغنى بضمير الخطاب ووظفه توظيفاً نحويّاً ودلاليّاً لا نظير له ولا ملل من تكراره فكلُّ النص عبارة عن انسجام تام ونسق عالٍ يتسم برصف المعاني ودلالة العبارة الواضحة غير المملة سواء من اقتباسها القرآني أو حوارها اللغوي المنتظم في وشائج الأدوات والترابط ومنها توظيف الضمير.

أمّا ضمير المخاطب " ك" فهو الآخر قد وُظّف دلاليّاً ونحويّاً في الحوار اللغوي بين طرفي الخطاب، إذ وقع في موضع النصب وكذلك في موقع الجر وفي الحالتين

(١) القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٥٩.

قام مقام الاسم؛ لأنَّ أغلبها تتوافق في اللفظ وتشاركها في الصورة عند تأخيرها في الاتيان على معنى المفعولية بمعنى أنَّهما يأتيان فضلة في الكلام[١].

ويمثل "ك" الخطاب عنصراً أساسيّاً في ضمائر المخاطب المنصوبة والمجرورة أعني التي تكون في محل نصب أو محل جر في الغالب، ولا يخلو الخطاب من قصدية المخاطب؛ لانَّها تمثل أبرز الأُسس في عملية التواصل اللغوي؛ لكونها تعتمد على القصد في نية المتكلم، إذ الأساس في طرح الحوارية اللغوية عبر مجموعة عناصر تتضافر فيما بينها لتؤدي معاني مفهومه.... لأنَّ من خصائص المتكلم أنْ يستعمل أرقى مستويات الخطاب لغرض إيصال تلك الرسالة التي مدارها طرفي الخطاب "المُخاطب والمخَاطب"[٢].

ولهذا يمكن القول: إنَّ ضمير الخطاب "ك" هو انعكاس لذلك الاسم الظاهر الذي من المفترض أنْ يقع مفعولاً به إلّا أنَّ تجنب التكرار، والميل إلى الإيجاز هما مَن جعل المتكلم يعدل عن الاسم الظاهر إلى الضمير المنعكس له الذي هو عنصر من العناصر المكملة للجملة، وهو مطلوب من الفعل على وجه اللزوم ولا يجوز حذفه[٣].

وحسب ذلك فإنَّ لكلِّ نوع من أنواع الضمائر لاسيما المتصلة الخطابية وظائف على المستوى التركيبي والدلالي؛ لانَّهما يعملان في نظام متناسق دقيق أحدهما يكمل الآخر، وفي ضوء ذلك يمكن التفريق بين الدلائل المختلفة[٤].

---

(١) ينظر: سائدة، مصلح محمد، التشكيل الصوتي للضمائر في اللغة العربية، ص١٢٥.

(٢) ينظر: الماضي، سامي، قصدية الخطاب في نهج البلاغة دراسة في مفهوم المعنى بين المتكلم والمخاطب، ج٣، ص٢٩٣.

(٣) ينظر: نحلة، محمود أحمد، الضمائر المنعكسة في اللغة العربية، ص٢٥.

(٤) ينظر:خضر، محمد، الوظائف الخطابية للضمائر العربية مع دراسة مقارنة لنظام الضمائر في كلَّ من العربية والانجليزية، ص٢٤.

ويمكن القول: إنَّ وظيفة الضمير في التركيب قام مقام المفعول به في حالة النصب، وكذلك محل الاسم المجرور في حالة الجر وكلاهما في موقع الفضلة من الجملة، وأمّا الدلالة فهي دلالة الخطاب مع طرف الخطاب الآخر عبر تلك الحوارية في عملية التواصل اللغوي، وقد جاء ما يمثل التركيب والدلالة أرقى تمثيلاً عبر استعمال ضمير المخاطب في حالتي النصب والجر وكلاهما بمعنى المفعولية. وعلى سبيل التمثيل فإنَّ " ك" الخطاب قد وردت في دعاء الندبة ما يقارب ثلاثون مرة في موقع الاسم المنصوب، وثمان وأربعون في حالة في موقع الاسم المجرور سواء أكان بحرف جر أو مجرور بالإضافة تمثل بين مرجعيات قبلية فيها إحالة إلى لفظ الجلالة نحو" اللّهُمَّ لَكَ الحَمدُ عَلى ما جَرى بِهِ قَضاؤكَ في أَولِيائِكَ الَّذينَ استَخلَصتَهُم لِنَفسِكَ وَدينِكَ "[1]. وهي الأكثر وروداً في دعاء الندبة ومرجعته أُخرى تعود إلى أهل البيت عبر التناص القرآني من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ "الأحزاب: ٣٣"وهي إحالة قبلية، وهناك مرجعية شمولية أيضاً "ثُمَّ جَعَلتَ أَجرَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ عَلَيهِ وَآلِهِ مَوَدَّتَهُم في كِتابِكَ فَقُلتَ: قُل لا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُربى وَقُلتَ ما سَأَلتُكُم مِن أَجر فَهُوَلَكُم وَقُلتَ: ما أَسأَلُكُم عَلَيهِ مِن أَجر إِلّا مَن شاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبيلاً".

إنَّ تنوع استعمال ضمير الخطاب في الدعاء بين حالتي النصب والجر فيه دلالة على حركية التوظيف النحوي للضمائر بشكل عام ولضمير الخطاب بشكل خاص.

٢- المنفصلة..

تمثل ضمائر الخطاب وظيفة نحوية في بناء الجملة إذ لها الصدارة في الكلام لتكُون جملة ذات دلالة تتعلق بطرفي الخطاب، وتربط رسالة المُخاطِب إلى المَخاطب عبر عملية التواصل اللغوي التي يسعى المُخاطب عن طريقها إلى إيصال تلك المعاني

(١) القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٥٨.

الكامنة في ذهنه بإلفاظ وعبارات متماسكة ومترابطة ومنسجمة لتكون رابطاً إيجابيّاً لقبول ذلك الخطاب أيّاً كان.

وضمير الخطاب المنفصل يعد واحداً من الإشاريات التي تتميز بوجود ذلك الطرف المشار إليه[١]، إذ يبتدأ به المعنى؛ لأنَّه يقع غالباً في أول الجملة، وبالمحصلة يكون مستقلاً بنفسه ولا يحتاج إلى كلمة أُخرى يتصل بها لتزيل إبهامه؛ لأنَّه يقوم مقام الاسم الظاهر والسياق كفيلٌ في تحديد دلالته ولا سِيَّما سياق المقام وكلّما أمكن أنْ يؤتى بالضمير المتصل لا يجوز العدول عنه إلى الضمير المتصل، وإنْ لم يمكن اتصاله تعين انفصاله[٢].

وغالباً ما يكون الضمير المنفصل يرجع إلى المرجع السابق ذي التقدم اللفظي أو المعنوي يستدل عليه من النص باللفظ المقدم أو من السياق بوجود قرينة معنوية أو لفظية [٣]؛ لأنَّ الضمائر تحتاج إلى إيضاح أو إزالة الإبهام بوجود صاحبها؛ لانَّ وظيفته تتضح في عملية الربط فضلاً عن ذلك فإنَّ معناها لا يتحدد إلّا بذكر من تعود عليه سلفاً كونها تمثل عناصر تحويل في المعاني على الرغم من كون معانيها ذات دلالات ثابتة إلّا أنَّها تبرز من حيث كون الضمير المنفصل لا يأتي إلَّا في بداية الجملة[٤].

ولَّما كانت الضمائر جزءاً من الإشاريات الشخصية التي هي من وسائل الاستراتيجيات التضامنية التي تساعد في الكشف عن المعاني لذلك فقد تمثلت وظيفتها في العملية الخطابية بين طرفي الخطاب هي تحديد معنى محدد عبر تحولاتها الخطابية؛ لأنَّ كلاً منهما يشترك في تلك المعاني قبل تحديد مرجعياتها... وعن طريق

(١) ينظر: الماضي، سامي، أثر طرق الحج في التواصل اللغوي، ص١٧.

(٢) ينظر: عبدة، مها محمد، الضمير في الجملة العربية دراسة نحوية وصفية، ص١٨١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص١٨٧ – ١٨٨.

(٤) ينظر: دندوقه، فوزية، ضمائر العربية المفهوم والوظيفة، ص١٤.

ذلك المعنى من قبل المتكلم أعطى لها معنى مقبولاً في ذهن المتلقي؛ لأنَّ الوظيفة للإشاريات المتمثلة بالضمائر" ضمير المخاطب المنفصل" تكمن في الارتباط بسياق الموقف أو الحال الذي تقع فيه العملية التواصلية[١]، ولأنَّ ضمير المخاطب تفسره المشاهدة؛ لكونها تؤدي وظيفة نحوية لمعاني الكلمة وفقاً للسياق الذي تكمن فيه.

وقد جاء الضمير المنفصل في أكثر من موضع في دعاء الندبة وتحديداً ما يقارب ستة عشر موضعاً، ومن تلم المواضع على سبيل التمثيل" قالَ: أَنتَ أَخي وَوَصِيّي وَوارِثي، لَحمُكَ مِن لَحمي وَدَمُكَ مِن دَمي وَسِلمُكَ سِلمي وَحَربُكَ حَربي وَالإيمانُ مُخالِطٌ لَحمَكَ وَدَمَكَ كَما خالَطَ لَحمي وَدَمي، وَأَنتَ غَداً عَلَى الحَوضِ خَليفَتي وَأَنتَ تَقضي دَيني وَتُنجِزُ عِداتي وَشيعَتُكَ عَلى مَنابِرَ مِن نُور مُبيَضَّةً وُجُوهُهُم حَولي فِي الجَنَّةِ وَهُم جيراني، وَلَولا أَنتَ يا عَلِيُّ لَم يُعرَفِ المُؤمِنُونَ بَعدي"[٢] فالضمير (أنت) ضمير خطاب يشير إلى سياق محدد في مقام محدد ومرجع محدد، فالمرجع يعود إلى إحالة سابقة، وهي تتمثل بالنبي محمد ﷺ الذي يتحدث عن منزلة الإمام علي عليه السلام؛ لأنَّ الحديث منقول عنه وموظف لدلالة النص في دعاء الندبة الذي يبيِّن مظلومية الإمام أمر المؤمنين، فجملة" أنت أخي"، و"أنت غداً"، " انت تقضي"، و"لولا أنت" نجد قد تصدرها ضمير الخطاب المنفصل وهو في موقع الاسم الذي يقع مبتدأ، إذ الجملة الاسمية الأُولى أسندت الأخوة للنبي ﷺ فكان خبره (أخي)، والعلاقة تلازمية لأنَّ الجملة اسمية تدل على الثبوت فضلاً عن التماسك التركيبي بين المبتدأ والخبر، والجملة الثانية الخبر ظرف زمان شبه جملة متعلق بضمير الخطاب لكونه يمثل الترابط بين عنصري الخطاب، والجملة الثالثة الخبر جملة فعلية في محل رفع، والجملة الربعة خبره محذوف يفسره الحرف "لولا"، ويمكن القول إنَّ التوظيف الأساسي لضمير الخطاب هو تلك العلاقة الإسنادية التي تمثل الترابط بين المبتدأ والخبر؛ لأنَّ سياق

(١) ينظر: الماضي، سامي، الإشاريات الشخصية في إلياذة الجزائر، ص١٦٨.

(٢) القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٥٩.

المقام يتطلب استعمال ضمير الخطاب في ذلك الموقف ليدل على ثبوت صلة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ الخطاب مباشر ووفقاً لحال المشاهدة، وهو موجه للامام عليه السلام قد لجأ المتكلم إلى ضمير الخطاب المنفصل؛ لأنَّه يفيد التوكيد بقوة مع ملاحظة أنَّ الإحالة في الضمير تعود إلى النبي صلى الله عليه وآله فهو المتكلم.

ثم تأتي الإشاريات الأُخرى المتمثلة بشبه الجملة (ظرف الزمان)، وأُسلوب النداء في جملة "لولا أنت ياعلي لم يعرف المؤمنون بعدي" ليكون مفسراً ومؤكداً لدلالة الجملة الاسمية، ثم حذف الخبر لدلالة " لولا" وهو حذف ضمني أفاد توكيد الدلالة وقصرها على المبتدأ، ثم يبرز أثر الضمير المنفصل في دلالة الخطاب في دعاء الندبة عبر توظيف الضمير وإمكانية تقديمه وتأخيره في التراكيب الجملية لغرض التأكيد وزيادة وقع ذلك في ذهن المتلقي فقد تكررت الجملة بهذه الصيغة ست مرات وهي:"، بِنَفسي أَنتَ مِن مُغَيَّبٍ لَم يَخلُ مِنّا، بِنَفسي أَنتَ مِن نازِحٍ ما نَزَحَ عَنّا، بِنَفسي أَنتَ أُمنِيَّةُ شائِقٍ يَتَمَنّى، مِن مُؤمِن وَمُؤمِنَةٍ ذَكَرا فَحَنّا، بِنَفسي أَنتَ مِن عَقيدِ عِزٍّ لا يُسامى، بِنَفسي أَنتَ مِن اَثيلِ مَجدٍ لا يُجارى، بِنَفسي أَنتَ مِن تِلادِ نِعَمٍ لا تُضاهى، بِنَفسي أَنتَ مِن نَصيفِ شَرَف لا يُساوى"[1]، فالخطاب هنا للإمام عجل الله فرجه، والتأكيد على قضية الغيبة الظاهرة والحضور الباطني؛ لأنَّ كلَّ مؤمنٍ يؤمن بوجود الإمام عجل الله فرجه الشريف، ولكن لا يراه لحكمةٍ إلهية اقتضت لها حكمته، فالتأكيد على تقديم الخبر "شبه الجملة"، وتأكيد الخطاب بالضمير المنفصل لما فيه من دلالة على خصوصية الموقف وسياق الحال، فالخطاب كأَنَّك تراه لكن عينيك لا تبصرانه، ووظيفة الضمير هي الإشارة إلى تلك المسألة عبر الإحالة القبلية التي وظّفت الخطاب لإبراز معنى تلك القضية، وهي عملية التواصل اللغوي بين طرفي الخطاب، إذ الأحالة تعود إلى بقية الله في الأرض.

(١) القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٦٢.

ويستمر الخطاب بتوظيف الضمير المنفصل " أَتَرانا نَحُفُّ بِكَ وَأَنتَ تَؤُمُّ المَلاَ"[١]، فهنا أيضاً قد وظّف ضمير الخطاب المنفصل في قيامه مكان الاسم الظاهر ليؤدي وظيفته النحوية التي تتمثل بالابتداء ليؤكد عبر ذلك الضمير انتظار المؤمنين لإمامهم عليه السلام ليؤم الملأ الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

ثم تنتقل دلالة الضمير المنفصل لينادي الله عزَّ وجلَّ عبر وشج الرابط بين ضمير الخطاب وأُسلوب النداء ومن ذلك على سبيل التمثيل" اللّهُمَّ أَنتَ كَشّافُ الكُرَبِ وَالبَلوى، وَإِلَيكَ أَستَعدى فَعِندَكَ العَدوى، وَأَنتَ رَبُّ الآخِرَةِ وَالأُولى"[٢]ليتجانس ضمير الخطاب المنفصل مع دلالة أُسلوب النداء الذي كان أبلغ عن طريق حذف أداته (ياء النداء) وجعله مباشراً من المخلوق إلى الخالق، إذ ليس غيرُك كشافاً للكرب؛ لأنَّك أنت ربّ الآخرة والأُولى، وهذه الدلالة أَقوى ممّا لو كانت أداة النداء حاضرة، وتقدم ضمير الخطاب في الأُولى " اللّهم أنت" وتأخره في الثانية" وأنت ربَّ الاخرة والدنيا" وتوظيف ضمير الخطاب وترابطه من النداء لأنَّ كلاهما من الإشاريات الشخصية في استراتيجيات الخطاب[٣].

(١) القمي، مفاتيح الجنان، ص ٥٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٦٣.

(٣) ينظر: الماضي، سامي، الإشاريات الشخصية في إلياذة الجزائر، ص١٦٣، ١٧٩.

المحور الثالث: ضمائر الغائب

ممّا لا شك فيه أنَّ الضمير هو انعكاس للاسم الظاهر في حالة تعذر ظهوره، ومن ذلك ما يتعذر ظهوره الاسم الظاهر فحينئذٍ يستدل عليه من سياق الكلام فضلاً عن صيغة الفعل الماضي التي غالباً ما يلزم معها ضمير الغائب فيكون مفهوماً عبر السياق، ولا يكون إلّا في موضع رفع على الرغم من كونه ليس له صورة في اللفظ ويكون واجب الاستتار[١].

ونلحظ إنَّ ضمير الغائب المستتر لا يكون إلّا في موضع رفع بمعنى أنَّه يقوم مقام الاسم المرفوع الذي يقع فاعلاً، وقد استغنى عن ذكره بعلامات غيره فصارت تلك العلامة له علامة في المذكر والمؤنث، فقولك: علي قام، وزينب قامت؛ لانّه بسبب عدم ظهور الفاعل فقد فرق بين المذكر والمؤنث بـ"التاء"... لأَنَّ الفاعل معلوم لا محالة إذ لا يخلو منه فعلٌ[٢] إذ كونه لا يخلو الفعل من فاعل لأنَّ العكس لا يعد جملة فيها طرفي الإسناد، والسبب أنَّ الجملة الفعلية لا بد أنّ تتوافر فيها تلك العلاقة الإسنادية بين الفعل والفاعل، وعليه فإنَّ وظيفة ضمير الغائب المستتر هي إكمال الطرف الثاني للجملة الفعلية لتكون عملية التواصل اللغوي واضحة عند المتلقي من حيث دلالة المعنى، وهذا يجعل من الضمير يقوم مقام العمدة في الجملة بسبب تأدية وظيفة الإسناد التي تمثل العلاقة بين طرفي الخطاب المتمثل بالجملة الفعلية.

وقد جاء ضمير الغائب المستتر في دعاء الندبة في مواطن كثيرة ومنها على سبيل التمثيل: "فَقالَ وَالمَلأُ أَمامَهُ: مَن كُنتُ مَولاهُ فَعَلِيٌّ مَولاهُ اللّهُمَّ والِ مَن والاهُ وَعادِ مَن عاداهُ وَانصُر مَن نَصَرَهُ وَاخذُل مَن خَذَلَهُ، وَقالَ: مَن كُنتُ أَنَا نَبِيَّهُ فَعَلِيٌّ أَميرُهُ، وَقالَ أَنَا وَعَلِيٌّ مِن شَجَرَة واحِدَة وَسائِرُ النَّاسِ مِن شَجَر شَتّى، وَأَحَلَّهُ مَحَلَّ هارُونَ مِن

(١) ينظر: عبدة، مها محمد، الضمير في الجملة العربية دراسة نحوية وصفية، ص١٨٠.

(٢) ينظر: سائدة، مصلح محمد، التشكيل الصوتي للضمائر في اللغة العربية، ص١٣٣.

مُوسى، فَقال لَهُ أَنتَ مِنّي بِمَنزِلَةِ هارُونَ مِن مُوسى الّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعدي، وَزَوَّجَهُ ابنَتَهُ سَيِّدَةَ نِساءِ العالَمَينَ، وَأَحَلَّ لَهُ مِن مَسجِدِهِ ما حَلَّ لَهُ، وَسَدَّ الأَبوابَ إِلّا بابَهُ، ثُمَّ أَودَعَهُ عِلمَهُ وَحِكمَتَهُ فَقالَ: أَنَا مَدينَةُ العِلمِ وَعَلِيٌّ بابُها، فَمَن أَرادَ المَدينَةَ وَالحِكمَةَ فَليَاتِها مِن بابِها، ثُمَّ قالَ: أَنتَ أَخي وَوَصِيّي وَوارِثي "[1] والملحظ هنا أنَّ الفعل " قال" فاعله ضمير مستتر، وفي الضمير الغائب المستتر إحالة قبلية تعود إلى النبي ﷺ، ولذلك يمكن القول: إنَّ ما يحمل الضمير من دلالة الإشاريات الشخصية التي يشار بها إلى المتكلمين والمخاطبين والغائبين[2] جعلت منه طرفاً مميزاً في أداء وظيفته النحوية في عملية التواصل اللغوي بين المتكلم والمخاطب ليكون تمام المعنى هو المرتكز في تلك العملية التواصلية.

والضمير المستتر لا يخلو من القصدية في الخطاب؛ لكونه يتجه إلى إكمال طرفي الجملة بدلالة توظيف الضمير في علاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه وإنْ كان خفيّاً فإنَّه بحكم الموجود في المنطوق به ولكنّه غير ظاهر في النطق والكتابة فيعرف من سياق النص ليقدر وجوده[3]

١- الضمير المتصل...

لقد برز ضمير الغائب المتصل في دعاء الندبة ما يقارب من مائة وسبع عشر مرة، تنوع بين حالة الرفع، والنصب، والجر، وكان نصيب حالتي النصب والجر هو الأكثر في الدعاء، وكذلك تنوع بين الإحالة إلى ضمير الغائب للمفرد والمذكر وبين ضمير الغائب الذي يدل على صيغة الجمع...

وممّا ورد على سبيل التمثيل الضمير المتمثل بـ" الهاء، هم، وا"، إذ تنوع

(١) القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٦٤ - ٥٥٩.

(٢) ينظر: المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص٤٧.

(٣) ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ص٢١٧.

الاستعمال حسب السياق والإحالة القلبية للضمير العائد على متقدم لفظاً ورتبة..

فقد تمثل في حالة الرفع "فَكانُوا هُمُ السَّبيلَ اِلَيكَ وَالمَسلَكَ إِلى رِضوانِكَ" فالضمير "وا" يدل على الجماعة الغائبين، والإحالة فيه قبلية عائدة إلى المرجع السابق ذكره (أهل البيت)"، "وَقُلتَ: ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ اَهلَ البَيتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطهيراً**﴾ ثُمَّ جَعَلتَ أَجرَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ عَلَيهِ وَآلِهِ مَوَدَّتَهُم في كِتابِكَ فَقُلتَ: ﴿**قُلْ لَا أَسأَلُكُم عَلَيهِ اَجراً اِلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُربى**﴾ وَقُلتَ ﴿**ما سَأَلتُكُم مِن اَجر فَهُوَلَكُم**﴾ وَقُلتَ: (ما أَسأَلُكُم عَلَيهِ مِن أَجر إلّا مَن شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبيلاً)"[1] ليؤدي الضمير وظيفة طرفي الإسناد في الجملة المنسوخة بـ" كان" فقام ضمير الغائب مقام الاسم الظاهر، ويعرب على أنَّه ضمير متصل في محل رفع اسم كان، فالوظيفة النحوية تمثلت في نظم العلاقة الإسنادية بين طرفي الجملة الاسمية.

وكذلك ضمير الغائب "هم" الذي غالباً ما يقع في بداية الجملة الاسمية ليقوم مقام الاسم الظاهر، فكانت جملة (هم السبيل إليك) خبر للفعل (كان) الذي دخل على الجملة الاسمية ليكون وصلة لمعنى الثبات والاستقرار."، وقد ورد ضمير الغائب المتمثل بـ"وا" متصلاً بالفعل الماضي نحو: "فَشَرَطُوا لَكَ ذلِك " ليقوم مقام الفاعل وتكون وظيفته محورية باعتباره يمثل الطرف العمدة من الجملة الفعلية التي يكتمل بها ترابط الجملة الفعلية فضلاً عن ذلك فهو يعود إلى مرجع متقدم " بَعدَ أَن شَرَطتَ عَلَيهِمُ الزُّهدَ في دَرَجاتِ هذِهِ الدُّنيَا الدَّنِيَّةِ وَزُخرُفِها وَزِبرِجِها"، وهو ضمير المخاطب الذي وقع فاعلاً وهو متقدم رتبة ولفظاً.

ومن أمثلة قيامه مقام الاسم المنصوب ممّا ورد في دعاء الندبة "وَكَرَّمتَهُم بِوَحيِكَ، وَرَفَدتَهُم بِعِلمِكَ، وَجَعَلتَهُمُ الذَّريعَةَ إِلَيكَ وَالوَسيلَةَ إِلى رِضوانِكَ، فَبَعضٌ أَسكَنتَهُ جَنَّتَكَ إِلى أَن أَخرَجتَهُ مِنها، وَبَعضٌ حَمَلتَهُ في فُلكِكَ وَنَجَّيتَهُ وَمَن آمَنَ مَعَهُ

(١) القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٥٩.

مِنَ الهَلَكَةِ بِرَحمَتِكَ، وَبَعضٌ اتَّخَذتَهُ لِنَفسِكَ خَليلاً وَسَأَلَكَ لِسانَ صِدق فِي الآخِرينَ فَاَجَبتَهُ وَجَعَلتَ ذلِكَ عَلِيّاً، وَبَعضٌ كَلَّمتَهُ مِن شَجَرَةٍ تَكليماً وَجَعَلتَ لَهُ مِن أَخيهِ رِدءاً وَوَزيراً، وَبَعضٌ أَولَدتَهُ مِن غَيرِ أَب وَآتَيتَهُ البَيِّناتِ وَأَيَّدتَهُ بِرُوحِ القُدُسِ"[1] نلحظ هنا أنَّ ضمير الغائب المتمثل بـ"الهاء" قد حل محل الاسم الذي من المفترض أنْ يكون مفعولاً به، فقام الضمير مقامه ليؤدي الوظيفة النحوية في إتمام معنى المفعولية؛ لأنَّ الأفعال متعدية لذلك فهي تحتاج إلى المفعول أو من يقوم مقامه، وهكذا يكون ضمير الغائب جزء من عملية الترابط الإسنادي للأفعال المتعدي لأنّها تفتقر إلى تمام المعنى من دون المفعولية ليكون الانسجام بين عناصر الجملة الفعلية بشكل تام، ومن ثمَّ التماسك التركيبي بين مكونات الجملة بشكل عام فضلاً عن كونها تحتاج إلى استمرارية الدلالة الزمنية على المفعولية.

ومن أمثلة قيام ضمير الغائب محل الاسم الظاهر المجرور، فإنَّه قد تباين بين الأفراد والجمع في وقوعه موقع الاسم الظاهر المجرور نحو[2]: (وَكُلٌّ شَرَعتَ لَهُ شَريعَةً، وَنَهَجتَ لَهُ مِنهاجاً، وَتَخَيَّرتَ لَهُ أَوصِياءَ).

وَيَغلِبَ الباطِلُ عَلى اَهلِهِ "، "وَسَخَّرتَ لَهُ البُراقَ، وَعَرَجتَ بِرُوحِهِ إِلى سَمائِكَ، وَأَودَعتَهُ عِلمَ ما كانَ وَما يَكُونُ إِلَى انقِضاءِ خَلقِكَ، ثُمَّ نَصَرتَهُ بِالرُّعبِ، وَحَفَفتَهُ بِجَبرَئيلَ وَميكائيلَ وَالمُسَوِّمينَ مِن مَلائِكَتِكَ وَوَعَدتَهُ أَن تُظهِرَ دينَهُ عَلَى الدّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ، وَذلِكَ بَعدَ أَن بَوَّأتَهُ مَبَوَّأَ صِدقٍ مِن أَهلِهِ، وَجَعَلتَ لَهُ وَلَهُم أَوَّلَ بَيتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَهُدىً لِلعالَمينَ، فيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبراهيمَ وَمَن دَخَلَهُ كانَ آمِناً ".

(١) القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٥٨.

(٢) ينظر في أمثلة موقع ضمير الغائب الذي وقع في محل جر، ينظر: القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٥٨ - ٥٦٤.

ويمكن القول إنَّ الضمير الغائب قد أدى وظيفته بالإسناد المتعلق بشبه الجملة؛ لأنَّ حرف الجر يحتاج إلى الاسم الظاهر المجرور، وقد قام مقامه ضمير الغائب، وكذلك بالنسبة للضمر في حالة وقعه موقع المضاف إليه لذا فقد كان تمام المعنى بوجود الضمر الذي أدى وظيفته النحوية في التركيب.

٢- المنفصل

إنَّ ضمير الغائب المنفصل يتمثل بـ" هو" في حالة المفرد الغائب، و"هم" للغائبين، وفي الأصل فإنَّ ضمير الغائب ما وضع ليكون مبهماً مشروطاً إزالة إبهامه، وعليه فإنَّ ضمير الغائب يحتاج دائماً إلى مرجع ليفسر ذلك الإبهام كونه يمثل اختصاراً موجزاً لما سبق من معنى إشاريّاً، ولذلك فهو يعد من الإشاريات الأبرز في عملية التواصل اللغوي[١]، وافتقاره للمرجع الذي يعود إليه هو نوع من الرابطة بين فواصل التراكيب النحوية لتبرز وظيفته في الإشارة إلى المرجع في النص، إذ ورد ضمير الغائب المنفصل "هو" في دعاء الندبة أربع مرات ومنه على سبيل التمثيل[٢] " وقلتَ ما سَألتُكُم مِن أَجر فَهُوَلَكُم" إذ كانَ هُوَ المُنذِرَ "، " وَهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ"، " يَا بنَ مَن هُوَ في أُمِّ الكِتابِ لَدَى الله عَلِيٌّ حَكيمٌ" نلحظ أنَّ له الصدارة في التراكيب الجملية وقد تنوع خبره بين المفرد والجملة ليعطي لنا دلالة الإسناد بين طرفي التراكيب الجملية وليكون رابطاً وظيفيّاً لتلك العلاقة مع وجود الإحالة القبلية له التي أفصح عنها المرجع السابق له وفي كلَّ المواضع التي وجد فيها فهو يقوم مقام الاسم الظاهر الذي أدى وظيفة الابتداء في الجملة الاسمية لينتج دلالة الثبوت في الابلاغ التواصلي بين المتكلم والمخاطب؛ لأنّه يبحث عن المعنى الذي يدلُ عليه ذلك الضمير.

وكذلك ورد ضمير الغائب بصيغة الجمع "هم" وتنوع في وظيفته النحوية

(١) ينظر: نحلة، محمود أحمد، الضمائر في اللغة العربية، ص٣٦.

(٢) القمي، مفاتيح الجنان، ص٥٥٩.

بين الرفع والنصب والجر ومنه على سبيل التمثيل[١]: " فَكانُوا هُمُ السَّبيلَ إِلَيكَ "، " وُجُوهُهُم حَولِي فِي الجَنَّةِ وَهُم جيراني"، و" وَاجعَلنا مِمَّن يَأخُذُ بِحُجزَتِهِم، وَيَمكُثُ في ظِلِّهِم"، و" الَّذينَ استَخلَصتَهُم لِنَفسِكَ وَدينِكَ، إِذِ اختَرتَ لَهُم جَزيلَ ما عِندَكَ مِنَ النَّعيمِ المُقيمِ الَّذي لا زَوالَ لَهُ وَلاَ اضمِحلالَ، بَعدَ أَن شَرَطتَ عَلَيهِمُ الزُّهدَ في دَرَجاتِ هذِهِ الدُّنيَا الدَّنِيَّةِ وَزُخرُفِها وَزِبرِجِها، فَشَرَطُوا لَكَ ذلِكَ وَعَلِمتَ مِنهُمُ الوَفاءَ بِهِ فَقَبِلتَهُم وَقَرَّبتَهُم، وَقَدَّمتَ لَهُمُ الذِّكرَ العَلِيَّ وَالثَّناءَ الجَلِيَّ، وَأَهبَطتَ عَلَيهِم مَلائِكَتَكَ وَكَرَّمتَهُم بِوَحيِكَ، وَرَفَدتَهُم بِعِلمِكَ، وَجَعَلتَهُمُ الذَّريعَةَ اِلَيكَ " ونلحظ أَنَّه تارة يقع موقع الاسم الظاهر الذي يؤدي وظيفة الابتداء، وأُخرى يقع موقع الاسم الظاهر الذي يؤدي وظيفة المفعولية، وأُخرى يقع مقام الاسم الظاهر الذي يؤدي وظيفة المضاف. والاحالات كلّها إلى المرجع السابق الذي يمثل تحديده سياق المقام.

ويمكن القول: إنَّ ضمير الغائب المنفصل تمثل في دعاء الندبة بصيغة المفرد الغائب للمذكر وكذلك صيغة الغائب الجمع للمذكر، وكذلك ورد بصيغة الغائب الضمير المنفصل "إيّاه، وإياهم" " وَاِيّاهُم فَليَندُبِ النّادِبُونَ، وَلِمِثلِهِم فَلتَذرِفِ الدُّمُوعُ، وَليَصرُخِ الصّارِخُونَ"، وَزِدنا بِذلِكَ يارَبِّ إِكراماً، وَاجعَل مُستَقَرَّهُ لَنا مُستَقَرّاً وَمُقاماً، وَأَتمِم نِعمَتَكَ بِتَقديمِكَ إِيّاهُ أَمامَنا حَتّى تُورِدَنا جِنانَكَ وَمُرافَقَةَ الشُّهَداءِ مِن خُلَصائِكَ".

وكلاهما ضميران منفصلان وقعاً موقع الاسم الظاهر المنصوب من حيث التركيب وأدَّى وظيفته ودلالته.

(١) القمي، مفاتيح الجنان، ص ٥٥٩ ، ٥٦٠ ،٥٦١ ، ٥٦٢.

الخاتمة:

إنَّ دعاء الندبة يعد نصاً متكاملاً من حيث كونه يمثل خطاباً تواصليّاً بين المتكلم والمخاطب في عملية التواصل اللغوي، وقد وظّف فيه الامام عليه السلام الضمير توظيفاً ينسجم مع أحوال المخاطب، إذ تمثل ذلك في استعماله الضمائر بمرتكزاتها الأساسية للمتكلم وللمخاطب وللغائب.

مثل الضمير في دعاء الندبة ميزةً في التعبير عن المظلومية التي وقعت على أئمة أهل البيت عليهم السلام، إذ كانت الاحالات فيه تشير إلى المرجع الذي يعود إلى الضمير المستعمل سواء أكان للمتكلم أو المخاطب أو الغائب، وكذلك تنوع استعماله بين المستتر والمنفصل والمتصل بأنواعه المختلفة من الإفراد والجمع.

اقترح أنْ يكون دعاء الندبة أمثلة تعليمية للطلبة؛ لأنّه يمثل أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة من التراكيب الجملية وهو عيِّنة لغوية تصلح للتطبيقات اللغوية بمستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالة والأُسلوبية؛ لانَّه نصّاً لغويّاً متماسكاً ومترابطاً من حيث الشكل والمضمون.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم بركات، الإبهام والمبهمات في النحو العربي، دار الوفاء، ط١، مصر، ١٩٨٧.

٢. ابن السراج (محمد بن سهل ت ٣١٦هـ)، الأُصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط٤، بيروت، ٢٠١٥.

٣. أبو الفتح (عثمان بن جني ت٣٩٢هـ)، اللمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٥.

٤. الأوسي، عباس علي، الإحالة في القرآن الكريم، دار الصادق الثقافية، ط١، عمان، ٢٠١٤.

٥. الجرجاني، عبد القاهر(ت٤٧١هـ)، شرح الجمل في النحو، تحقيق محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ٢٠١١.

٦. حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط٢، بيروت، ١٩٨٥.

٧. خضر، محمد، الوظائف الخطابية للضمائر العربية مع دراسة مقارنة لنظام الضمائر في كلٍّ من العربية والانجليزية، سلسة بحوث اللغة العربية وآدابها ١٤٠٩هـ.

٨. دندوقه، فوزية، ضمائر العربية المفهوم والوظيفة، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد السادس، جانفي، ٢٠١١.

٩. سائدة، مصلح محمد، التشكيل الصوتي للضمائر في اللغة العربية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٩.

١٠. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط٢، عمان، ٢٠١٥.

١١. عباس، حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٧٥.

١٢. عبدة، مها محمد، الضمير في الجملة العربية دراسة نحوية وصفية، مجلة أم درمان الإسلامية، كلية التربية، العدد التاسع، ٢٠١٧.

١٣. القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، دار الأندلس، النجف الاشرف، د ت.

١٤. الكليني محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق قسم إحياء التراث، مركز بحوث دار الحديث، قم، ١٣٨٧ق.

١٥. الماضي، سامي، أثر طرق الحج في التواصل اللغوي دراسة ابستيمولوجية، دار بغداد للنشر والتوزيع، ط١، بغداد، ٢٠١٨.

١٦. الماضي، سامي، الإشاريات الشخصية في إلياذة الجزائر دراسة في مفهوم المعنى، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الثاني، المجلد الثامن والستون، بغداد، ٢٠٢١.

١٧. الماضي، سامي، الدلالة النحوية في كتاب المقتضب للمبرد محمد بن يزيد ت٢٨٥هـ، مكتبة الثقافة الدينية، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٩.

١٨. الماضي، سامي، قصدية الخطاب في نهج البلاغة دراسة في مفهوم المعنى بين المتكلم والمتلقي، بحث منشور ضمن وقائع مؤتمر نهج البلاغة الدولي الثاني، ط١، بغداد، ٢٠١٩.

١٩. الماضي، سامي، مرجعية الضمير بين الاحالة والتفسير قصيدة عيناك واللحن القديم، مجلة سيراء، العدد السادس، ٢٠٢٣.

٢٠. المرادي، (الحسن بن أم قاسم ت٧٤٩هـ)، شرح التسهيل، تحقيق ودراسة محمد عبد النبي محمد، ط١، القاهرة، ٢٠١١.

٢١.مقداد، حوالم، الاستتار والحذف في الضمائر العربية دراسة وصفية تحليلية، مجلة معارف، المجلد السادس عشر، العدد الأول، ٢٠٢١.

٢٢. نحلة، محمود أحمد، الضمائر المنعكسة في اللغة العربية، دار العلوم العربية، ط١، بيروت، ١٩٩٠.

البحث السادس

الشيخ الغراويّ

وأثر أبعاد الزمان والمكان في ديوانه

م. د. صلاح راهي إبراهيم
مديرية تربية الرصافة/ بغداد

الملخصُ:

تعدُّ صورة المكان والزمان من الصور التي شاع حضورها في الشعر العربي قديماً وحديثاً؛ لما يملكه كُلّ منهما من تأثير مباشر في نفسية الشاعر، إذ يستطيع من خلالهما أنْ يعبرَ عن هواجسه المتعددة وحالته النفسية وبيان تجربته الشعرية، سواء أكانت وجدانية أم اجتماعية أم سياسية أم فكرية، فالمكان والزمان لهما علاقة جوهرية بوجود الإنسان بشكل عام وبالشاعر في حياته قبل أنّ يعالجها في خياله الشعري، وهذا ما يميز الشعراء بعضهم عن الآخر في توظيف المكان والزمان بمختلف دلالاته وصوره وأبعاده المحتملة التي يتشكل بها جمالية النّص الأدبي وإبراز جوانبه الفنية والموضوعية، وقد أخذ كُلًّا من المكان والزمان بحضورهما تميزاً بأبعادهما المتنوعة وقد وظّفها الشاعر؛ ليعبر عن مواقفه الفكرية والاجتماعية والسياسية والفنية.

هدف البحث إلى استجلاء وكشف صور الزمان والمكان بتنوع أبعادهما في شعر الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، الذي كان سبباً في اختيار الباحث؛ لكونه يمثل أحد أعلام مدينة سامراء وممثلاً للمرجعية فيها ومديراً للمدرسة العلمية فيها إذ كان عالماً وأديباً، إذ يمكن أنْ نلمس حضوراً لأبعاد الزمان والمكان في صوره الكثيرة من خلال تنوع أغراضه الشعرية في تجربته الشعرية التي تمثلت بتنقله بين المدن وعيشه لأبعاد زمانية مرت على العراق والوطن العربي، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال تسليط الضوء على نماذج من قصائده لبيان مواقفه الفكرية والثقافية ليس بالعراق فقط وإنَّما في مختلف المدن والبلدان التي تعرضت لكثير من الثورات بسبب الأحداث السياسية أو الكوارث الطبيعية.

وقد خلصت الدراسة لمجموعة من النتائج فبرز من أهمها وظيفة كُلّ من المكان والزمان بحضورهما بأبعاد متنوعة من خلال دراسة موضوعها الذي ارتبط بحالة الشاعر النفسية والاجتماعية وارتباط موضوع أشعاره بأغراض شعرية متنوعة لها انعكاساتها في حياته التي ترتبط بزمان أو مكان محدد.

والمكان لا يكتسب شعريته إلّا من خلال تفعيله للرؤية الشعرية والحدث أو الموقف الشعري، فكم من الأماكن لا قيمة لها شعريّاً في الحقل الفني أو الجمالي، لأنّها مجرد صور فوتوغرافية وصفية جامدة لا دور لها في تكثيف الرؤية والحدث الشعري أو تفعيل الفضاء الجمالي للقصيدة، ووفق هذا التصور، ليست كُلّ الأماكن شعرية، وليست كُلّ الأماكن لا معنى لها.

الكلمات المفتاحية: الأبعاد الفنية، الزمان، عبد الرحيم الغراوي، المكان.

مقدمة:

الحمدُ لله فالقِ الحبِّ والنوى، خالقِ الإنسان ومعلمه البيان، والصلاة والسلام على أشرف الأنَام نبي الأنس والجان محمّد وعلى آلهِ وصحبه وسلم، وبعد؛

يعدُّ كُلاً من الزمانِ والمكان من أوثق ما يكون بالشعر والشعراء صلة منذ القدم، فهما عنصران متلاصقان لوجود الإنسانية على مرَّ العصور، فلقد ارتبط الشعر منذ القدم بوصفه شعراً مكانياً ويحضر فيه الزمان أنّى يكون الشاعر الذي يكتب شعراً، فتميزت فيه هذه الظاهرة؛ لتميزه كونه نصّاً بموازاة الأجناس الأدبية الأُخرى مثل القصة والحكاية والأُسطورة والرواية الحديثة، فذكر الأطلال وظواهر الطبيعة بعنصريها الزماني والمكاني في أوصاف الشعراء الذي يمثل تصوره ممّا لا يحيد عنه أحدهم، فمن خلال ذلك كلّه يستعيد الشاعر ذكرياته وأيامه ومواقفه، إذ عبّر عنها بصور شعرية؛ لينقل لنا تجربة عاشها بمشاعره.

إنَّ من ينظر للشعر الحديث ليستوقفه كثرة ذكر الزمان والمكان بألفاظ لها دلالات متنوعة تُمثّل حال الشاعر بصور شكلت ظاهرة فيه، فقد اتّخذ الشاعر من الزمكان أبعاداً جديدة فيها تعبيراً حقيقياً ومجازياً تربطها علاقات لغوية وأُخرى بديعية من خلال أساليب بلاغية؛ لتعبر عن تجربته الشعرية بشكل مباشر وخصوصاً ما يرتبط منها بجوانب اجتماعية وأُخرى سياسية، وأهمها ما ارتبط بالجوانب النفسية معتمداً في ذلك كلّه بعواطفه وخياله لتكوين تلك الصور.

فقد اتّخذت الزمكانية من قبل الشعراء المحدثين ومنهم الشاعر الشيخ عبد الرحيم الغراويّ صور يوثق فيها أحداث كثيرة يُعبر فيها عن مرحلة من حياته أو ليُعبر بها عن حالته الشعورية المرتبطة بوجدانه وما يتعلق بها من علاقاته الاجتماعية والسياسة فيما حوله، وهو يختار لكُلّ تلك الألفاظ بأدق تفاصيل لإحياء الظاهرتين المرتبطتين بواقعه اليومي وتاريخ بلده أو ما ارتبط بمن يكتب عنهم في مدحه أو رثائه،

فكان حضور الزمكان في شعره ظاهرة مميزة، ما دعاني لحث الخطى للبحث وتقصي كُلّ مفردة في شعره ودراسة الموضوع من الجانب الفني والموضوعي في جُلِّ ديوانه واختيار الأبيات الأكثر مناسبة لذلك.

وقد تفردت هذه الدراسة عمّن سبقتها في شعر الشيخ الغراويّ بأنّ كانت مختلفة، فالدراسة السابقة عنوانها ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ دراسة أُسلوبية، وقد جاءت دراسة البحث في مقدمة وثلاث محاور، وقد عرضت فكرة الدراسة في المقدمة، وتناولت في المحور الأول جانبين مهمين أحدهما التعريف بالشاعر ونشأته وعلمه ووفاته، والآخر بينت فيه الجانب النظري للتعرف على أهمية الزمان والمكان في الشعر الحديث، أمّا المحور الثاني فتناولت فيه دلالة الزمان وأبعاده في شعر الشيخ عبد الرحيم الغراوي مع أخذ الأبيات التي توضح للبحث دلالتها، أمّا المحور الثالث فبينت فيه دلالة المكان وأبعاده في شعره مع بيان الجانب التطبيقي واستشهد بالأبيات المناسبة والمرتبطة بحياته نفسيّاً واجتماعيّاً وسياسيّاً، فقد كشفت الدراسة عن الجانب الجمالي لأبعاد الزمان والمكان في ديوان شعر الشيخ عبد الرحيم الغراوي من خلال طبيعة ذكره لدلالات كلّ ألفاظ الزمان والمكان في كثير من قصائده، وقد أظهرت التأثير المكاني والزماني بتنوعه بين طبيعة المواقف الاجتماعية والسياسية ومناسباتها التي قيلت فيها لإبراز تلك المواقف وبيان المضامين لتلك الأحوال بأبعاد مرتبطة بحالة الشاعر الوجدانية والنفسية، ولمّا انتهيت من الدراسة جاءت الخاتمة لتبين أهم ما توصلت إليه وبعدها قائمة بأهم المصادر، اللّهُمَّ بنعمتك تتم الصالحات فبما وفقتني يا ربِّ، فإنَّي فقيرٌ وإلى العلمِ أحوج، وآخر دعوانا أنْ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

المحور الأول: عن الشاعر وعن الزمان والمكان ودلالتها وأبعادهما في النص الشعري:

أولاً: الترجمة الشخصية والعلمية للشاعر الشيخ عبد الرحيم الغراويّ:

اسمه ولقبه ونسبه:

الغراويّ هو: «الشيخ عبد الرحيم بن محمّد بن قريش بن علي بن موسى بن انجيم بن عبد الله بن عبد علي بن أحمد بن رمح بن مكن بن هلول بن كزهور بن عبد الله بن حسني بن محمّد بن عبود بن سبح بن رعد بن سعد بن أشقر بن شاكر بن موزان بن عَرِد بن علي بن أفقد بن يونس بن شري بن حكل بن شاعيّ بن كون بن فارس بنجري بن مزعل بن بويا بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن اليقين بن الأغر بن معاوية بن كعب بن الخزرج» [١].

أمّا لقبه الغراويّ، فلكونه يرجع لقبيلة (الغُرة)، التي نسب إليها جده الأغر بن معاوية بن كعب [٢].

أمّا نسبه: فقبيلة آل غرة من القبائل التي ترجع إلى الخزرج في جزيرة العرب وتحديداً قبائل اليمن المعروفة بمؤازرتها رسول الله محمّدﷺ[٣]، ويرى أحد الباحثين في نسبه بأنَّه: «كان آباءه القدامى يسكنون نجد، فأصابهم القحط الشديد، وساءت أُمورهم الاقتصادية آنذاك، فنزحوا إلى العراق، وبعض الدول المجاورة أواسط القرن التاسع الهجريّ في أيام حكم الدولة العثمانية»[٤].

---

(١) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ٣٦٧.

(٢) السامرائي، يونس إبراهيم، تاريخ مدينة سامراء، ص ١٦٢.

(٣) محبوبة، الشيخ جعفر باقر، ماضي النجف وحاضرها، ج ٣، ص٣٥.

(٤) الخاقاني، علي، الكوكب الدري من شعراء الغري الشعر النجفي الغري في مدح آل بيت المصطفى، ص ٣٩٩.

ويرى آخر أنَّ أُسرته (آل غرة) بحسب رأي أحد المؤرخين ممّن تنسب إلى محمّد المحزم أو خريمان، على الرغم من أنَّهم لم ينقطع السبيل بهم عن التواصل ببني عمومتهم في مدينة العمارة[١].

ولادته: ولد الشيخ عبد الرحيم الشيخ محمّد الغراويّ في النجف الأشرف عام ١٣١٤هـ- ١٩٢٠م، وهي السنة التي اندلعت فيها ثورة العشرين ضد الاحتلال الإنجليزي على العراق، وانتفض فيها عشائر العراق لنيل الاستقلال؛ ليصبح بعدها العراق نظاماً ملكيّاً، وكانت عائلته آنذاك تسكن في النجف الأشرف؛ لأنَّ والده يسعى لطلب العلم والمعرفة[٢]، وقد أشار أحد المؤرخين لشعراء سامراء رواية مختلفة في ولادة الشاعر إذ كانت في قرية الجوزة الواقعة في ناحية الكحلاء التابعة لمحافظة ميسان الواقعة جنوب العراق[٣]، والملاحظ بعد مطابقة تحقيق ولده للديوان وتاريخ ولادته في مصادر أُخرى أنَّ محل ولادته هي محافظة النجف التي تعدُّ موطناً لوالده بعد هجرته من محافظة ميسان وهو ما مهد للشاعر لينهل من النبع الصافي لعلوم أهل البيت فضلاً عن تعلمه القرآن وحفظه له[٤].

نشأته: نشأ الغراويّ في أحضان والده المعروف بعلمه وزهده ممّا ترك في نفسه حافزاً لطلب العلم والمعرفة، فدرس على يد والده حفظ القرآن وتعلم الكتابة والقراءة، ودرس النحو، فقرأ على والده الأُجرومية وقطر الندى وقسماً من شرح الألفية لابن مالك، وقد ولع بحبه الشعر فحفظ كثيراً من شعر الشعراء عن ظهر

(١) الحكيم، حسن عيسى، المفصل في تاريخ النجف الأشرف، ج١١، ص٢٦٨.

(٢) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص٣٦٨.

(٣) السامرائي، يونس إبراهيم، تاريخ مدينة سامراء، ص ١٦٢.

(٤) الغراويّ، الشيخ عبد الرحيم، معجم شعراء الشيعة، موسوعة تاريخية أدبية منذ صدر الإسلام حتى سنة ١٤٣٧هـ، ج، ١٨، ص١١٣.

قلب لكثرة اطلاعه في كتب النحو فأعجب بها إيَّما إعجاب[١]. فكانت للبيئة التي سكنها دور مهم في نبوغه وبراعته، فحددت سمات نتاجه الشعريّ الذي نحن بصدد دراسته، فقد تأثر الشاعر بهذه البيئة الدينية التي تركت في نفسه الكثير، فضلاً عن بيئة سامراء التي تمتعت هي الأُخرى بجوانب عدة أسهمت في تميز هذا العالم المجتهد التي انتقل إليها سنة ١٩٣٧م، وعمره آنذاك ١٧ سنة بعد أنْ ساءت حال والده، فطلب منه السيد أبو الحسن الشيرازيّ الانتقال إليها؛ لتمتعها بصفاء الجو ونقاء طبيعتها وكونها ذات مناخ يسهم في شفاء والده[٢]. ولم تكن مدينة سامراء أقل شأناً من مدينة النجف الأشرف في الجانب الديني، وسكن الشاعر مع أبيه وأُسرته الكريمة، وأكمل دراسته فيها، ثمَّ عين مدرساً في واحدة من مدارسها الدينية، وقد نال رضا واستحسان الناس لتمتعه بالعلم والدين، فقد كان له مقام وسيرة حميدة بين أهالي سامراء وشيوخها، وقد وقع عليه الاختيار؛ ليكون ممثلاً عن مرجعية النجف الأشرف في مدينة سامراء وخادماً للإمامين العسكريين عليهما السلام لأكثر من خمسين عاماً من قبل زعيمها وقت ذاك السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره[٣].

وقد درس أثر البيئة العديد من النقاد ودورها على نبوغ الأدباء والعلماء ومنهم هيبولت تين وقد أشار أحد الباحثين ممّن ترجم عنه قوله: «إنَّ سرَّ الارتقاء والعبقرية والتمييز لا يأتي إلّا من تأثير البيئة بالشاعر أو الأديب وغيرهم»[٤]، وانطلاقاً ممّا تقدم في كون نتاج الشاعر له دور كبير في مجتمعه؛ لما لأثر البيئة التي يعيش فيها، إذ انقسمت

(١) الغراويّ، الشيخ عبد الرحيم، معجم شعراء الشيعة، موسوعة تاريخية أدبية منذ صدر الإسلام حتى سنة ١٤٣٧هـ، ج ١٨، ص٣٧٤-٣٧٥.

(٢) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص٢٩٠.

(٣) ينظر: شعر الغراوي دراسة موضوعية وفنية، هادي عزيز علوان الياسري، رسالة ماجستير، الجامعة الحرة في هولندة/ كلية الآداب، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م: ص١٤.

(٤) منذور، محمد، في الأدب والنقد، ص٧٢.

بدورها عند الشاعر الشيخ عبد الرحيم الغراويّ على مرحلتين كما قدمنا أحدهما بيئة النجف التي تعدُّ مسقط رأسه وصباه وأول نشأته، والأُخرى بيئة سامراء التي أتم فيها تعليمه؛ ليكون أُستاذاً في إحدى مدراسها الدينية المعروفة بمدرسة الإمام الشيرازيّ، وكُلّ هذا يعود بفضل ما أبداه والده الشيخ محمّد الغراويّ من تعهده له بالتعليم والتربية الصحيحة ولحاضرة العالم الديني مدينة أمير المؤمنين التي أشار إليها الحبوبي بقوله: «النجف الأشرف تمتاز بتاريخ طويل في العلم والدين، فهي قطب وقبلة الطلاب الذين يدرسون فيها من شتى الأمصار العربية والإسلامية»[1].

أساتذته وشيوخه: كان لمجموعة من الأساتذة في النجف الذين أخذ عنهم في مرحلة المقدمات في الحوزة الدينية الأثر الكبير، فكان فضلهم واضحاً عليه في بناء شخصيته الثقافية والعلمية ومنهم:

العلامة (والده) الشيخ محمّد قريش الغراويّ ت(١٣٨٥هـ).

العلامة أسد بن محمّد بن عيسى آل حيدر المجيراوي ت(١٩٨٥م)

وفي مرحلة انتقاله إلى سامراء أتم دراسته لما لم يستطع تعلمه، فدرس من النحو مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ومن المنطق المطول، ومن البلاغة علم المعاني والبيان والبديع، ومن الفقه اللمعة الدمشقية ووسائل الشيعة ودرس علوم أُخرى أيضاً منها الأُصول وعلم الكُلّام، وكان من أساتذته في هذا الرحلة هم:

الشيخ موسى الشيخ جعفر السودانيّ ت(١٣٤٥هـ- ١٩٢٦م).

العلامة كاظم الشيخ عودة الساعدي ت(١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م).

الشيخ ذبيح الله بن محمّد علي بن علي أكبر المحلاتي ت(١٤٠٥هـ).

الشيخ مجتبى ابن الشيخ حسن بن شكور اللنكراني الغرويّ ت(١٤٠٦هـ).

(١) الحبوبي، محمد سعيد، ديوان الحبوبي، ص ٢٨.

وبعد أنّ أتم الشيخ عبد الرحيم دراسته المقدمات كما أسلفنا شرع لدراسة البحث الخارج الذي يعدُّ من يحضره في حلقات شيوخها يصل لمرحلة الاجتهاد، إذ أفاد ممّا أُعطي إليه من الملاحظ من قبل أُستاذه (الشيخ مجتبى اللنكراني) في دروسه التي شرح فيها كتاب (مستمسك العروة الوثقى) لمؤلفه العلامة السيد محسن الحكيم[١].

تلامذته: تتلمذ على يد الشيخ الغراويّ الكثير من طلبة العلوم الدينية من العراقيين وغيرهم ممّن وفدوا مدينة سامراء المقدسة، ويناهز عدد تلامذته المائة والخمسين طالباً[٢]. ومن جملة تلامذته على سبيل الذكر: (الشيخ أحمد الدجيلّي، الشيخ عقيل بن منعم الساعديّ، الأستاذ كرم عبد اللطيف الموسويّ، الأستاذ طه الشيخ جبر الصدفيّ، الشيخ جواد محمّد الغراويّ، الشيخ علي تقي علي أكبر الهمذانيّ، السيد ماجد القميّ، السيد عبد الرزاق عبد الجليل الموسويّ، الشيخ مجيد بن الشيخ محمّد علي، الشيخ محسن الشيخ محمّد السودانيّ، وغيرهم).

مؤلفاته: بعد تقصي أخبار الشاعر عبد الرحيم الغراويّ ولانشغاله والتزامه بإدارة المدرسة العلمية الجعفرية في سامراء، فقد أخذ التدريس فيها جلّ وقته- فلم يكن متفرغاً للتأليف - وهناك سبباً أخر يرتبط في تبوئه مركزاً اجتماعياً ودينياً يحتم عليه الارتباط به تشرفاً لحضور محافل سامراء المتعدد الطوائف على الرغم من هذا إلّا أنَّه لم يترك التأليف في وقت فراغه فأوّلى لذلك أهمية لنتاجين تركهما بعد وفاته وهما:

١. المجموعة الأدبية الشعرية المعروفة بـ(ديوان الغراويّ) وهو من جزء واحد، وقد طبع في مؤسسة الكاتب في لبنان عام ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، وله طبعة أُخرى بتحقيق نجله الشيخ مهدي عام٢٠١١م، وقد ضم مجموعة من القصائد الشعرية على

(١) مغنية، محمد جواد، مع علماء النجف الأشرف، ص ١٢٥.

(٢) الغراويّ، الشيخ عبد الرحيم، معجم شعراء الشيعة، موسوعة تاريخية أدبية منذ صدر الإسلام حتى سنة ١٤٣٧هـ، ج ١٨، ص١٣٢.

وفق شكل الشعر العمودي وفي أغراض متنوعة بين المدح والوصف والغزل العفيف والرثاء لأهل البيت عليهم السلام وقصائد في الإخوانيات والشعر الاجتماعي وغيره.

٢. الموسوعة التاريخية الأدبية، وضمت مجمل شعراء الشيعة منذ صدر الإسلام وحتى عام ١٤٣٧هـ، وقد بدأ العمل بتأليفها أواخر سنة ١٩٩٧م، وانتهى منها سنة ٢٠٢٠م، وأخذت منه قرابة العشرين عاماً، وتتألف من (٥٦) جزء، وقد رتب موسوعته هذه بحسب حروف الهجاء، كما وقد راعى فيها مجموعة من الأُمور في كيفية ترتيب ومنهجه فيها[١].

دراسته ومصادر ثقافته: نهل الشاعر معظم ثقافته وعلومه التي تلقاها من حلقات المدارس الدينية، التي شهدها في صباه عند كُلّ مجلس كان يعقده والده الشيخ محمّد الغراويّ، فكان مستمعاً جيداً يتعلم القراءة، والكتابة، ثمَّ دخل المدرسة المهدويّة التي أسسها مهدي كاشف الغطاء مع عدد من طلبة العلوم الدينية، ممّن كانوا يحتشدون فيها للدروس من كُلِّ أسبوعٍ[٢].

وقد حصل في تلك المدة رعاية كاملة من لدن والده، فحرص على أنْ ينهل من ينابيع العلم التي تسهم في تنشئته النشأة الصحيحة، ثم يتهيأ له الأمر ليكون حسن السيرة وذو شأن في المجتمع، ثمَّ إنّه بدأ في أول مسيرته فكان مجتهداً بارعاً يتلقف العلوم ففاق أقرانه وواصل دراسته على يد معظم علماء عصره، ومنهم: الشيخ محسن والشيخ أسد حيدر[٣].

---

(١) ينظر: معجم شعراء الشيعة، عبد الرحيم الغراوي:ج١٠، ص١، و ديوان الغراوي وشعراء وادباء يثنون على التجربة الشعرية، خيال الجواهري، صحيفة الزمان العدد:٣٨٠ ، بغداد،٢٠١٤م، مارس، ٣٠.

(٢) ينظر: الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ٤١.

(٣) ينظر: الأميني، محمد هادي، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، ج١، ص٤٦٠.

لقد اغترف الشيخ عبد الرحيم الغراويّ من رجالات العلم في النجف الأشرف في علوم مختلفة منها: النحو والفقه وكتاب شرائع الإسلام، وقد اتيح للشاعر أنْ يعيش بين جمهور من علماء عصره فأحيط برعايتهم في سامراء ومن ثمَّ انعكس هذا الأمر على طلبته في المدرسة الجعفرية فيها عندما كان يدّرس فيها الفقه والأصول، فكان له تأثير الكبير في طلبته، فكان خير ساعد لهم وأعانه على ذلك ضبطه اللغة وفصاحتها.

أغراضه الشعرية: يعدُّ الغراويّ من الشعراء المعاصرين إذ امتاز شعره بألفاظ سهلة نبعت من صدق عاطفته، إذ تجده ينظم المدح والرثاء في أهل البيت عليهم السلام، وهو في ذلك يبتغي دقة المعنى والدلالة والألفاظ التي تليق بمكانتهم السامية، ثمَّ تجده ينظم في غرض (الشعر القومي) ليكون متناسب وطبيعة الوضع الذي يمرُّ به حال البلد، والأُمة العربية وبه يستنهض الهمم، فكان مُحبًّا لوطنه مدافعاً عنه، كما ونظم في الغزل فكان معتدل في أُسلوبه يختار ألفاظه التي لا تخدش الحياء كما في الغزل العذري، وتجد عنده الإخوانيات، والاعتذاريات، وهي من الأغراض التي ألبسها الشاعر بألفاظه ثوباً من الاعتدال وصدق العاطفة النابع من ثقافته الدينية بوصفه رجل دين من عائلة معروفة الأصل في النجف الأشرف.

أراء المعاصرين في الشاعر، وشعره: لقد أبدا النقاد والأدباء المعاصرين حول شخصيته ونتاج شعره ممّن أطلع على أغراضه الشعرية وسمعوا له في المحافل التي حضروا له فيها إعجاباً ملفتاً، فانبرت أقلامهم بقريحة صادقة لبيان رأيهم في الشيخ الغراوي وشعره ومن هذه الآراء التي أثبتها نجله: رأي الشيخ والخطيب نعمة الشيخ هادي السعديّ في قصيدة قرأها له فقال:« والقصيدة عنده ذات هدفين مقصودين واضحين، الهدف الأدنى، والهدف الأعلى أحدهما أدبيّ والآخر ولائيّ، في لغة أدبية أستعملها تحمل وتعبر عن الولاء المكنون المخزون المطبوع الذي ورثه وحلله وأدركه... وليست القصيدة عند شاعرنا إلّا ألفاظاً أصيلة واضحة مقبولة فحسب أو

سلسلة من الكُلّمات المنظومة أو حشوداً من القوافي أو ترادفاً في القوالب واتحاداً في المعنى دوّن فيها الولاء المفروض عليه....»[١].

ورأي العلامة الأُستاذ الدكتور محمّد حسين الصغير في ديوان شعره إذ قال:« وديوان الأخ العلامة الشاعر اللبيب الشيخ عبد الرحيم الغراويّ من الدواوين الشعرية الرائقة التي تشرفت بذكر أهل البيت عليهم السلام وتغنت بمأثرهم، وتعطرت بنشر فضائلهم، فكانت تجارة رابحة وذخراً ليوم الدين... ولقد كان الشاعر في ديوانه هذا صادق العاطفة، حي الضمير، ملتهب المشاعر، فجاء ديوانه مثالاً بارزاً من أمثلة الشعر العربي الرصين»[٢]. ورأي الشيخ باقر شريف القرشّي عند اطلاعه على ديوان شعره أيضاً امتدحه قائلاً: «ومن روائع ما نظم في أهل البيت عليهم السلام هذه المجموعة الرائعة... فقد تصفحت الكثير من نظمه حينما كنت في ضيافته في سامراء، فوجدته من روائع الأدب العربيّ، وكان ذلك من ألذ وأشهى الموائد التي قدمها لنا»[٣]. رأي الشيخ سعيد البدري، فقد وصف هذا الرجل الشيخ الغراوي بقوله: «تعرفت عليه شاباً مُجداً في دروسه، وبعد ذلك شاعراً مجيداً، ومديراً للمدرسة، ووكيلاً للمرجع الدينيّ الأعلى السيد أبي القاسم الخوئي...، وكان محبوباً عند أهالي سامراء وله مكانةً سامية عند رؤساء عشائرها، وكنّا ندعوه ليشاركنا في أفراحنا وأحزاننا... وكان ينظم القصائد الفريدة ويلقيها في المناسبات»[٤].

وفاته: رحل العلامة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبدالرحيم الغراوي رحمه الله وبفقده فقد كنزاً من كنوز الخير والصلاح، ومنبعاً من منابع البركة والرحمة، فقد عاش عمراً مديداً في خدمة العلم والدين، وقضى أكثر من نصف قرن في خدمة

(١) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ٤١-٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٧.

حرم الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء وكيلاً عن المرجعية الدينية، حيث كان يقيم صلاة الجماعة ويحيي أجواء الهداية والقداسة في تلك البقعة المباركة، وكان أباً وملجأً للمؤمنين المقيمين والزائرين اللائذين بالعتبة المقدسة، فكان تاريخ وفاته في ٨/ ٥/ ٢٠٢٠م الموافق في ١٥ / رمضان/ ١٤٤١هـ.

ثانياً: دلالتي المكان والزمان في النص الشعري:

تقوم الكثير من الأعمال الأدبية على ثنائيات عدة منها ثنائية الزمان والمكان بوصفهما ذي أهمية في تجربة كلّ أديب؛ لتبدوا أهميتها في كثير من قصائده بشكل ملفت للنظر لما لها من أثر في حياته وهذا ما يستدعي الكشف عنها وبيان أبعادها وانطباعها في شعره نتيجة لسلوكياته وأحاسيسه أو ثقافته المتنوعة، وهذا الكشف يلقي الضوء على ما وراء النص الأدبي لبيان ما وقف عليه الشاعر ودور ما أضافه من جماليات الزمان والمكان بالكيفية التي يخرج كلّ منها من دلالته اللفظية إلى دلالتها الجديدة في سياق النص ضمن قصائده.

إنَّ هذه العلاقة بين حضور الزمكان التي بدت واضحة في شعر عبد الرحيم الغراوي، إذ يحس بها المتلقي فكأنّهما متلازمان في حضورهما ولا ينفصلان عن بعضهما الآخر في جل موضوعاته التي سيظهر أبعادها خلال البحث.

المحور الثاني: دلالة الزمان وأبعاده في النص الشعري:

في هذا البحث نقف عند مفهوم لفظ الزمان ودلالته في المعجم العربي ومن ثم الوقوف عند التعريف الاصطلاحي به، فقد زخرت معاجم اللغة في ذكر دلالة الزمن، فهذا ابن منظور يقول: إنّ الزمن هو اسم لقليل الوقت وكثيره، فالزمن والزمان كلّ منهما بمعنى العصر والجمع منها أزمنة وأزمن وأزمان، ومن أزمن بمكان فقد أقام به زماناً، والدهر كما يقرره أبو منصور ما يقع على الوقت من الزمان وينطوي على الدنيا

كلّها، والزمن يقع في فصل من فصول السنة[١]. وجاء ترتيبها في غير معجم على أنهَّا هي الشتاء والربيع ثم الصيف (القيظ) والخريف[٢]. فالزمن ممّا سبق يحمل دلالة جوهرية ترتبط بالشيء وبالإقامة والمكوث والبقاء إذا ارتبط بالإنسان وهو الزمن الذاتي المرتبط في زمان الشاعر ونفسيته الذي لا يمكن فصله عن تجربته كإنسان.

ولقد اهتم الشعراء والنقّاد قديماً وحديثاً بقضية الزمن، فالشعراء اعتمدوا على مفردات عدة للتعبير عن الزمن وبيان تنوعه في أغراضهم وقصائدهم لبناء صورهم الشعرية منذ العصر الجاهلي وحتى عصر الشاعر الشيخ عبد الرحيم الغراوي وما بعده، ويرى أحد النقاد في الزمن أنّه من الأُمور المعروفة لدى الإنسان التي لا تحتاج لبيان كونه يدرك به الوقت الذي يحيا به[٣]. فهو مفهوم مهم له مدلولات عدة وقف عندها الفلاسفة والمتكلمين حيث إنّ افلاطون يرى أنّ الزمن ممّا يلتحم بالوجود فقال: «حين صنع الله العالم صنع صورته الأزلي متحركة وفقاً للعدد وأطلق عليه الزمن»[٤]، بينما يرى أرسطو أنّ يربط الزمن بالحركة والمتناهي واللامتناهي وبالخلاء والعلل وهو ما يثبت تخلل الزمان في مختلف المجالات. وأمّا ابن رشد فإنَّ الزمن والحركة شيئان متلازمان ولا يمكن الفصل بينهما، فقال: «إنَّ تلازم الحركة والزمان صحيح، وإنَّ الزمان هو شيء يفعله الذهن في الحركة؛ لأنَّه ليس يمتنع وجود الزمان إلّا مع الموجودات التي لا تقبل الحركة من وجود الموجودات المتحركة، أو تقدير وجودها فليلحقها الزمان ضرورة»[٥].

فإنَّ مناقشة الزمن من الجانب الفلسفي أو الفكري ليس من الضرورة بشيء

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٣ مادة (زمن).

(٢) ينظر: الرازي، مختار الصحاح، مادة (زمن). وينظر: المقريء، المصباح المنير، مادة (زمن).

(٣) البصير، عبد الرزاق، نظرات في الأدب والنقد، ص ١٨٧.

(٤) أفلاطون، طيماوس، ضمن مجموعة محاورات أفلاطون، ص ٤٢١.

(٥) ابن رشد، تهافت التهافت، ص٦٣.

لمعالجة الجماليات التي تجدها في الشعر ولكن هذا لا يمنع من الاتكاء على مفهوم الأقدمين بمقدار مقتضى الضرورة، فالإنسان ومنه الشاعر الوحيد الذي يحس بالزمن في حركته الدائبة، ويتأثر بها سلباً وإيجاباً، فكلّما ازداد وعي الشاعر زاد إدراكه في التعبير عن الزمن الذي يحيط به مؤثراً في حياته الفكرية والاجتماعية والسياسية، فالزمن بهذا كامن في وعي الإنسان/ الشاعر؛ لكونه وعي مبدع يعيش التجربة لينقلها للآخرين والزمن يعبر عن الجانب النفسي له.

فالزمن آلة للوجود، فهو أزلي لا ينتهي، يذهب بعضه ويأتي بعض ساعاته ولياليه وأيامه وفصوله وسنيّه، فهو في تحول لا يستقر به المرء دائماً، فكيف لو كان عند الشاعر، فهو أمر بديهي يبدو إيجابيّاً تارة وسلبيّاً أُخرى، فالشعراء والنقاد قد اهتموا بقضية الزمن، أمّا الشعراء ومنهم الشيخ عبد الرحيم الغراوي فقد اعتمدوا على الزمن ومفرداته في بناء صورهم الشعرية وهكذا حال من سبقه من شعراء الجاهلية وحتى عصر الشاعر، وأمّا النقاد فقديماً عرّفوا الزمن ومفرداته وأهميته لما له الأثر الكبير في الشعر، ومنهم ابن رشيق القيرواني إذ قال: «كان جرير إذا أراد أنّ يؤلف قصيدة صنعها ليلاً، يشعل سراجه ويعتزل، وربّما علا السطح وحده فاضطجع، وغطى رأسه رغبة في الخلوة بنفسه.. وروى أنّ الفرزدق كان إذا صعبت عليه صنعة الشعر ركب ناقته، وطاف خالياً منفرداً وحده في شعاب الجبال وبطون الأودية والأماكن الخربة الخالية، فيعطيه الكلام قياده»[١].

ومن النقاد المحدثين نذكر على سبيل الاهتمام بالزمن وصلته بالإنسان د. زكي مبارك فقال: «فأبو تمام مسبوق بطائفة من الشعراء والخطباء أوصوا باختيار الأوقات التي تصفو فيها النفس ويلطف الحس ويستيقظ الوجدان»[٢]، ويقول آخر: «فكرة

(١) القيروانيّ، ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج١، ص ٢٠٧.

(٢) مبارك، زكي، الموازنة بين الشعراء، ص١٣٣.

الإنسان عن الزمن أو إحساسه به من الأُمور المعروفة التي لا تحتاج إلى بيان؛ لأنَّ كلّ إنسان يدرك الوقت الذي يحيا فيه..»[١]، فالزمن إذن له مفرداته التي يجعلها الشاعر ضمن تجربته الشعرية ليعبر بها عن حالة يعيشها إذ لا يمكن أنّ يستوفي ما يمرّ به لولا وجو الزمن الذي لا بدَّ من أنّ يكون فيه أو ينتقل به من مكان لأخر بوصفه ركناً مركزيّاً في بناء النص وهو ما سوف نتحدث به في الصفحات القليلة القادمة عند الشاعر الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، الذي تمثل الزمان بحضور له دلالات متعددة تكفي لإغناء فضاء القصيدة جمالياً ليس على مستوى زمن الفعل داخل النص وإنَّما تعداه لما يتعلق بذاته شعوريّاً ونفسيّاً، فضلاً عمّا يرتبط بتماسك وغنى الصور الشعرية:

أولاً: بعد الزمن النحويّ:

في هذا النوع يمكن أنّ يصنّف الزمان لما حدث فيه الفعل في إطار دلالته النحوية، بدلالة زمنه التي دلّ عليه على الرغم من أنّه قد لا يكون الفعل الماضي في صيغته تعني دائماً أنّ الحدث تم بالماضي، كما وأنّ استخدام الفعل المضارع لا يعني أنّ الفعل قد تم في الزمن الحاضر أو أنّه سيتم في المستقبل، ولربَّما يأتي الفعل بصيغة المضارع عندما يكون مسبوقاً بأداة نفي ليدل على الماضي كما في قولنا: لم يكتبْ الدرسَ، أي: أنّه لم يكتبه في المضارع فضلاً عن الماضي، ولعلّ أقدم تعريف للفعل وصل إلينا هو ما جاء في كتاب سيبويه بقوله:«وأمّا الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولمّا يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع، فأمّا بناء ما مضى: فذهب سمع ومكث وحمد، وأمّا بناء ما لم يقع فإنَّه قولك أمرأً: أذهب، اقتل واضرب، ومخبراً: يقتل، ويذهب، ويضرب، ويُقتلُ ويذهبُ، وكذلك بناء ما لم ينقطع، وهو كائن إذا أخبرت»[٢].

(١) البصير، عبد الرزاق، نظرات في الأدب والنقد، ص١٨٧.

(٢) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، ج ١، ص١٢.

فالزمن النحويّ يعرف بأنَّه وظيفة في سياق النص يؤديها الفعل، أو صفته، أو ما ينقل إليه من المصادر الأُخرى للكلم كالمصادر والخوالف[١]، ويرى تمام حسّان أنَّ الزمن السياقي هو جزء من الظواهر الموقعية السياقية، لأنَّ دلالة كلّ فعل ما دلّ على زمن من غير توقفه على موقعه أو قرينته السياقية.[٢]، فالسياق له دور في الزمن النحوي الذي نحن بصدده، إذ يشكل الزمن أهم دعامة في هيكلية فعل الجملة إلى جانب حدث الفعل الذي يجري ويبسط فيه، فلا يكاد الفعل يأتي في الجملة إلّا وزمنه جزء منه ومن معناه، ولأنَّ الفعل لا يفصح عن الزمان بصيغته، بل بزمن الفعل من بناء الجملة وسياق المعنى، ويمكن توضيح دلالة الفعل وزمانه بمبناه الصرفي الذي يعدُّ باباً للنحو وعلى النحو الآتي بيانه:

١- زمن الفعل الماضي ودلالته:

ويرى الزمخشري أنَّ: «الفعل الماضي هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمان»[٣]، فهو ما دلَّ على الحدث المنقطع عن كلام منشئه فإنّ أخذ بالسياق فإنّ له معاني ثلاث وهي الماضي الدال على زمنه البسيط، والماضي الدال على الحاضر، وماضي متصل بالمستقبل، فأمّا الدلالة بزمانه الماضي البسيط فهو ما كان على صيغة (فَعَلَ) وهو ما خصصه النحاة القدامى؛ لأنّه ينحصر بزمانه الغير محدد، ولّما مضى من وقوع الحدث ومن الأمثلة التي يمكن أنّ نستشهد بها قوله:[٤]

أضـــاءت لنا الـدنـيـا بـنـور محمدِ ... أبي جعفر مَـن حـاز أعـلى المفاخرِ
فـقـال وذا قـاضي الـقـضـاة فإنَّه ... سيسألهُ عـن مشكلات المـصـادرِ

(١) المطلبي، مالك يوسف، الزمن واللغة، ص ٢٤٠.

(٢) حسّان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص١٠٥.

(٣) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، ج١، ص١٢.

(٤) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص٢٠٥-٢٠٦.

وقـالـوا لـه هـلّا امتحنت محمداً فـإنَّـك أعـلى مـن نـرى مـن مناظرِ
وقـدم له ما قد تـرى من مسائلَ صـعـابٍ وحتى لا نـراك بخاسرِ
فـقـالَ لهـم هـذا صغير وجاهل ولـيـس بـذي عـلـمٍ ولـيـس بماهرِ

في هذه الأبيات المقتطعة من قصيدة قالها الشيخ بمناسبة ولادة الإمام الجواد عليه السلام بلغت عدد أبياتها (٦١) بيتاً وفيها صيغة زمن الفعل (فعل) الذي استغرق الزمن واستوعبه بما فيه من حدث حمل معه ما جرى من استهداف شخص الإمام الجواد عليه السلام وكان صغيراً ولكنّه كبيراً في العلم والمعرفة، نلاحظ أنَّ الحدث الذي يمثله الفعل الماضي(قال، قالوا، قدم) في قوله قد حدث في وقت ما من الماضي قد حصل في لحظة ما وانتهى أثره ومن المعلوم أنَّ التعبير باستخدام صيغة الماضي (فعل) عن حدث منتهٍ في وقت ما من الماضي الذي يستعمل كثيراً في الحكاية، فيما دلّ عليه السياق.

٢- زمن الفعل المضارع ودلالته:

إن صيغة المضارع (يفعل) لا يمكن تصور زمنها إلّا من خلال سياق الجملة ليظهر القصد المرتبط بزمن المتكلم وغرضه، إذ تظهر في عدة سياقات غير محددة بزمن معين، بل قد تستغرق معها الماضي والحاضر والمستقبل؛ ويعود السبب في ذلك لطغيان عنصر الأحداث، إذ إنّ الحدث هو موضع الاهتمام ولا يمكن أنْ ينصرف الذهن معه إلى زمن معين، بل يفهم منه الالتزام به من قبل المتكلم، أي: كلّ ما يمكن به الإيضاح لدلالة صيغة المضارع على مختلف ما يمكن أنّ يكون عليه ويمكن توضيح ذلك بما قال به الشيخ الغراويّ في أحد قصائده: [١]

أرى قلبي المُضني عن الحبِّ يرغبُ كـأنْ لم يكن بالأمس يلهو ويلعبُ
وإن واصلتهُ الغانيات بسحرها يـصـدُّ وعـن لـذاتهـا يتجنبُ

(١) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ١٥٦-١٥٧.

وأصبحَ قلبي عن هوى الغيد معرضاً وكانَ بمغناطيسهنّ يحبّبُ
وعادَ بعيد الغيد حرّان مقفراً وبالأمسِ إنْ لاحتْ له الغيد يطربُ
لقد كنتُ إنّ نامت عيون أحبتي سهرتُ عسى ليلى من الدار تقربُ

على الرغم من أنَّ الشاعر الغراويّ يكتب هذه القصيدة بيوم يدمي القلب في ذكره، ألا وهو يوم الطفوف وما جرى فيه من مصائب لحقت بالحسين وأهل بيته الكرام، إذ يعمد إلى صيغة الفعل المضارع (يفعلُ) الدال على الماضي بدلالة السياق لما مضى من عمره ومنها: (يرغب، يلهو، يلعب، يتجنب، يحبب، يطرب، تقرب) إنّ صيغة المضارع يمكن أنّ تعبّر عن الماضي إذا وردت في سياق حكاية الحال بماضيه، بمعنى أنّه إذا كان الحدث وقع في الماضي وانتهى فإنَّ المتكلم يأتي بصيغة المضارع ليجعل الحدث كأنَّه شاخص وشاهد أمام المتلقي.

٣- زمن فعل الأمر ودلالته:

هذا هو القسم الثالث من أقسام زمن الفعل وفعل الأمر «هو قول يعبر عن فعل واجب الأداء» [١]، فالأمر المُطلق يدلّ على الوجوب ما لم تكن هناك قرينة تصرفه عن الوجوب، ويراد به التوجيه وفيه صيغ عدة منها ما يكون المراد به من أدنى إلى أعلى رتبة منه وهو الأمر، ومن النظير إلى مماثله وهو الطلب، ومن الأدنى إلى ما هو أعلى منه رتبة وهو الدعاء[٢]، ومن أمثلة ما نستشهد بها في شعر الغراويّ قوله:[٣]

ألزمْ يراعكَ شرعة الرحمنِ وأقرأْ بها ما جاء من تبيانِ
فبها حقوق الناس ترسم منهجاً متكاملاً بالعدل والإحسانِ

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: أمر.

(٢) مطهري، صفية، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، ص١٧.

(٣) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ٣٢٤.

قـارنْ بها ما حـطّ أصحاب النهى تـرفـاً ومـا قـد خُـطّ في الـقـرآنِ

هذه الأبيات من قصيدة يبدي بها الشيخ الغراوي فرحه بمناسبة صدور كتاب أحد الأخوة بعنوان (حقوق الإنسان في منظور مقارن بين التشريع الدّولي وبين التشريع السماويّ)، ويأتي بصيغة زمن فعل الأمر الموجه لخطاب المفرد الذي يدل على الطلب كونها بمنزلة متقاربة فيعمد للأفعال(ألزمْ، اقرأْ، قارنْ) وغيرها ممّا ذكره في القصيدة، ومن الأمر ما أورده ويريد به الأمر قوله: (١)

لا تـلـومـانِ في البكا واعـــذراني وإذا مـا ضـجـرتمـا فـاتـركـاني
خـلـيـاني أصـــبُّ دمـعـي دمـــاً ذا فـــؤادي هـاجـت بـه الأحـــزانِ
أتـــركـــاني يـا صـاحـبـي وشـأني فـبـهـذا المـــلام لا تـردعـاني
ويـقـيـنـاً لـو تـعـلـمان بـمـا بي مـن أسـى كنتما إذاً تـعـذراني

هذه الأبيات من قصيدة تقع في (٣٧) بيتاً في رثاء آل البيت الأطهار وهو يكرر صيغة الأمر أكثر من خمس مرات، فهو إذ يكثف لهذا النوع من البنى الأمرية، إنَّ تكرار فعل الأمر في هذه القصيدة يثير لدى المتلقي أهمية الزمن، ويكسب النّص إيقاعاً موسيقيّاً لما يهدف إليه الشاعر، فضلاً عن إظهار مقدرته اللغوية في اختياره لهذا النوع من الأفعال، ويبدو أنَّ الزمن المعبر عنه فيما سبق يعتمد على الدلالة بالمحددات الإشارية المرتبط بشكل مباشر بزمن تلفظ الشاعر أو ما يمكن أنّ يخبر به بالجملة الفعلية عن الحال المرتبط بالماضي أو المستقبل وبلفظ الفعل.

ثانياً: بعد الزمن الموضوعي: وهو ما يكون خارج عن ذات الإنسان، وينقسم إلى قسمين:

١- الزمن ذو البعد الدائري: كلّ ما يتعلق بحركة الزمن الدائري أو ما يدور في

(١) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ١٥١.

حلقة زمنية مفرغة مثاله الليل الذي يعقبه النهار وألفاظه أو فصول السنة إذ ما أنّ يحل الشتاء حتى ينقضي ليأتي من بعده الربيع وبعد فصلين حتماً يعود الشتاء، فتكرار ما يتصف به الزمان وتواتره يعني تعاقب كلّ شيء، وهو ما ورد في شعر المعاصرين ومنهم الغراويّ في شتى أغراضه، التي بلغت الأكثر من معجمه الشعريّ من بين ألفاظ الزمان، ومنه ما نجده في قوله: (١)

في ليلة من ربيع الخير ألبسها ... ربُّ السماوات أنواعاً من الحللِ
يا ليلة من ربيع شع مبسمها ... فبات منها السما والأرض في جذلِ
فيا ربيع بدا في ليله العطر ... من كان معجزة الدنيا من الأزلِ

تجد الشاعر في هذه الأبيات من قصيدة عبّر بها بوجدان صادق وفرح غامر بذكرى مولد الرسول الأعظم وحفيده الإمام الصادق عليهما السلام، فيبدو الزمن المعبّر عنه بلفظ الليلة ويردفها بالوصف بأنّها من ربيع الخير ولكن يحتفى بها من كلّ عام فهو من الزمن الدائري التي تكررت في معظم شعره، وهو يبرز مقدرته على تسخير اللفظ عبر الزمن ليعبر عن مشاعره ووجدانه في مثل هكذا مناسبة تمرُّ على المحبين، وقد كرر مثل هكذا توظيف في قصيدة مماثلة للمناسبة ذاتها ولكن في نظم له بعد مدة، إذ يصف هذه الليلة من الربيع بأنَّها ليلة العيد فيقول:(٢)

يا بلبل الروض هذي ليلة العيد ... هلّا تجود بتلحين وتغريدِ
في ليلة من ربيع الخير قد ظهرت ... أنوار قدس فعمت كلّ موجودِ

ومن أمثلة ما يعبر عنه بالزمن الدائري لفظ اليوم الذي اقترن ذكره بيوم الغدير

(١) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ٩٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ١١٠-١١١.

تلك الواقعة المشهورة التي يحتفي بها المسلمون في كلّ عام ومنه قوله: (١)

اليوم أكملت ديني في ولايـة من تعاظم الدين في صمصامة الخدمِ
لا يقبل الله أعـمـلاً بـيـوم غـدٍ إلّا بـحـبِّ عـلي فـارس الأُمـمِ

فهو إذ يجعل من هذه المناسبة فرح وسرور في قصيدته، ويربط هذه المناسبة بيوم الآخرة الذي يقبل الله من قدَّمَ حُبَّ عليٍّ عليه السلام وأهل بيته الذي أوصّى به النبي صلى الله عليه وآله في حديثه المعروف بحديث الثقلين.

٢- الزمن ذو البعد الخطي: وهو الزمن الذي يسير بخط له اتجاه واحد لا عودة فيه، واستحالة تكرار الماضي فيه، فإنَّ الوجود له بداية وله نهاية، فالبداية كانت بخلق آدم وحواء، ونهاية الكون تكون بيوم القيامة، ونرى هذا اللون من الزمن في شعر الشيخ الغراويّ في القصائد التي تحدث فيها عن الموت، وبخاصة قصائده في الرثاء، ومنها قوله: (٢)

رمـتـك سـهـام الـلـيـالي الحـداد فـأصـابـت بهـنَّ فـؤاد الـرشـادِ
وأودت بمن كـان يحكي النسيم بـحـسـن الـسـجـيـة في كـلّ نـادِ
أبـوك رثـاك بـدمـع الـعـيـون يـصـوب عليك كـصـوب العهادِ

فالشيخ الغراويّ في هذه الأبيات التي يرثي بها فلذة كبده ابنه الشهيد أحمد الذي استشهد على يد أزلام المقبور الطاغية صدام أثر اتهامه بإقامة الصلاة والتردد في أحد الجوامع فحكم عليه بالإعدام وقد كان طالباً في معهد الفنون الجميلة بتاريخ ١٤/ ٦/ ١٩٨٩م، وقد أحدث هذا اليوم من حياته جرح كبير، لكن إيمانه بالله (عزّ وجلّ) في أنَّ ما يكتبه الله محتوم على البشر وبالخصوص ولادة وموت البشر فهو ومع

(١) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ١٢٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٠.

حزنه إلّا أنّه مؤمن بوفوده على كريم ودود وسيلتحق بركب الشهداء.

ولم يقتصر هذا النوع من ذكره الزمان الخطي كما يبدو فيه إذ ظهرت بلاغته في تصوير ذكره في فضل الأئمة ومنهم الإمام الجواد عليه السلام ومثاله ما قد مرَّ ذكره قوله: [١]

أضـــاءت لنا الـدنـيـا بـنـور محمد ... أبي جعفرٍ من حـاز أعـلى المفاخرِ
وأنوارهم تهدي الضليل إلى الهدى ... كهدي ظليل بالنجوم الـزواهـرِ
إذا ظلّ ليلاً حائراً في طريقه فهم ... لحـيـارى الـنّـاس مـن كُـلِّ سائرِ

فهو إذ يشيد بمفخرة لأمجاد الإمام الجواد عليه السلام وفي الوقت ذاته تراه يصور مكانتهم الرفيعة ويذكر أنّ من أهتدى بهم فلا يضل بوصفهم السراج الذي لا يطفئ وما نعنيه بالزمن الخطي هو ذلك البعد الذي يصل بين الهداية والضلال، أي: كما هو الليل والنهار والنور في النهار أبين فمن تمسك بهديهم سار إلى الطريق الواضح.

ثالثاً: بعد الزمن الذاتي: يتمثل بالزمان الشعوري أو النفسي الذي لا ينفصل عن تجربة الإنسان كشاعر، وقد عني به علم النفس بوصف أنَّ الإنسان اتخذه موضوعاً يعبّر عنه ككائن حي له الرغبة والإحساس والشعور والإدراك، وهو يعقل ويفكر[٢].

ويرى الدكتور عز الدين أنَّ أيّ عمل فني في نهايته يمثل بنية زمانية ومكانية ثم يندمج كلٌّ منهما ليتشكل الزمن الدرامي أو ما يعبر عنه عبد الرحمن بدوي بـ(الزمن الوجودي) [٣]، ولعل مثل هذا النوع يكثر عند الشعراء في المدح، ويرى الباحث أنّه من الممكن أنّ نجده في وصف مشاعر الرثاء أو الوصف في غرض الغزل، لأنّه ممكن أنّ يعبر الشاعر في كلّ ما قدمنا تجربة الشاعر وما يبديه من مشاعر ومن ذلك قصيدته

(١) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ٢٠٤-٢٠٥.
(٢) صلاح، عبير، الزمن بين الفلسفة والفن، ص ١٩.
(٣) بدوي، عبد الرحمن، الزمن الوجودي، ص ٩٧.

في ولادة الإمام المهدي(عجل الله فرجه) ومنها:[١]

نـورٌ أطـلَّ على الإسـلامِ والأمـمِ ... في ليلةٍ هـي لـلأزمـان كالعلمِ
في ليلةٍ شعتْ الأنـوار وارتفعتْ ... إلى الـسماواتِ فالكرسي فالقلمِ
في ليلةٍ هـي بـالأفـراحِ مفعمة ... فيها تغني طيورُ الـروضِ بالنغمِ
فيها الجنـان تـبـدّتْ في مباهجها ... والحـور تعتنق الـوالـدان في نهمِ
فيها السماوات فيها الأرض ضاحكة ... لم يبقَ في الكونِ شيء غير مبتسمِ
في ليلة النصف من شعبان قد ظهرت ... أنـوارُ ذاتـكَ وهـي الأمـن للأممِ

تعدُّ هذه القصيدة من أبرز القصائد التي يكرر فيها الشاعر لفظ الليلة ويذكر في كلّ مرة معها وصف لا يشبه ما سبقه وما بعده، فهو إذ يصور مشاعر لحظات اختلجت صدره معبراً بفرح لهذه الذكرى العطرة وفي الوقت ذاته وفي آخر القصيدة يربط مسألة مهمة من حياة المسلمين قد نعرض لها في دلالة المكان فيتمنى أنّ يَصحَ المسلمون لما قد سلب من أرض المسلمين، ألا وهي القدس المشرّفة لما حوته من المسجد الأقصى الذي ارتبط تاريخياً بمعراج النبيﷺ، فالليل على الرغم من دلالته الزمانية المتعلقة باللون ذهنياً وبالهدوء نفسياً إلّا أنّه يعطيه فضلاً عمّا سبق دلالة جديدة فيعطي له خاصية كونه نوراً بسبب من ولد فيه فالليلة التي يتحدث عنها لا تشبه ما يسبقها فيها ولادة منقذ البشرية والمخلص والذي ينتظره كلّ العالم بمختلف اعتقادهم وتسميته له.

وقد ارتبط ذكر الليل كلفظ زماني بدلالة الحزن الذي قد بدد أحلامه ومنه قوله: [٢]

(١) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ٢٣٠ -٢٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٥٢-٣٥٣.

يـا ليلة أنـذرتـنـي مـن علقت بها قطع الوصال فكانت ليلة العتمِ
فكم نظمت مـن الأشـعـار علَّ بها يشفى غليلي وما لاقيت من ألمِ
وكم شربت دخـان التتن مُلتمساً منه الشفاء لما في القلب من كلمِ
لم يشفِ دائـي سوى وصل لغانيةٍ تسقيني من خمرها رشفاً فـماً بفمِ

يلحظ مدى ارتباط الزمن بحالة الشاعر النفسية وما يتركه لفظ الليل واستحضاره من واقع تجربته التي عبر بها عن الأذى الذي لحق به من السهر والشعور بالألم على الرغم من أنَّه يذكر أنّه لما يشفى ممّا مرَّ به وقد ارتبط موضوع القصيدة الغزلي بين القطع والوصال الحاصل مع محبوبه الذي لم يكشف عنه.

المحور الثالث: دلالة المكان وأبعاده في النص الشعري:

أمّا لفظ المكان فمما لا شكّ في أنّها وردت في القرآن الكريم في ثمانٍ وعشرين موضعاً[١]، وقد حملت معانٍ ودلالات متنوعة، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً**﴾ [مريم/ ١٦] فدلالتها تعني موضعاً أو محلاً شرقيّاً عن أهلها، أو البيت المقدس[٢]، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف/ ٧٨]، ولفظة مكانه تعني (بدله) أو بدلاً منه[٣]، ومن المعاني الأُخرى التي حملتها لفظة المكان ما تدل على (المنزلة) في قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً**﴾ [مريم/ ٧٥] فالمعاني الأبرز في دلالة لفظ المكان تعني موضع أو

(١) بركات، محمد فارس، المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته، ص ٤٥٨.

(٢) السيوطيّ، جلال الدين، تفسير الجلالين، ص ٣٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣١٥.

المحل، وبدل منه، ومنزلة، وفي معاجم اللغة فإنَّ الخليل ذكر أنَّ المكان «في أصل تقدير الفعل مفعل لأنَّه موضع للكينونة»[١]، ويرى صاحب الجمهرة أنّ معنى لفظ مكان يدل على المنزلة إذا ارتبط ذكره بالإنسان فمكان المرء من السلطان أو الرجل من القوم، إي: منزلته[٢]، وهو هنا يشير إلى المعنى الواقعي لها ومن ثم معناه المجازي بمعنى علو منزلته من الآخرين، أمّا الأخرون، فإنّهم لا يختلفون عمّا تقدم إلّا الزبيدي فإنّه قد توسع في دلالة اللفظ معتمداً برأيه على فلسفة المتكلمين فيرى أنَّ:« المكان الموضوع الحاوي للشيء، وعند بعض المتكلمين أنّه عرض، وهو اجتماع جسمين حاوٍ ومحوي، وذلك ككون الجسم الحاوي محيطاً بالمحوي، فالمكان عندهم هو المناسبة بين هذين الجسمين وليس هذا المعروف في اللغة»[٣]، وهو بهذا يقترب من مفهوم المكان الاصطلاحي، فقد وجدت لفظة المكان صداها في شتى الميادين العلمية والأدبية التي تأثرت بالبعد الفلسفي اليوناني عند أفلاطون(٣٤٨- ٤٢٨ ق.م) إذ يعدُّ أوّل من صرح باستعماله فعدّه حاوياً للشيء وقابلاً له[٤]، وجاء من بعده أرسطو فجعل المكان خاص لكلّ جسم يشغله ومشترك لجسم أو أكثر، وقد شغل المكان فلاسفة العرب، فكان له التأثير المباشر في فكرهم، فوجد عند (الكندي، والفارابي، وإخوان الصفا، وفلاسفة بغداد) هو سطح الجسم الحاوي، أمّا عند أبو بكر الرازي ت(٣١١هـ) فقد ميز بين نوعين من المكان، أولهما الكلي أو المطلق: فهو يساوي الخلاء الذي لا يوجد فيه متمكن، وثانيهما المكان الجزئي: وهو الذي لا يمكن تصوره بدون متمكن، لكنّه لا ينتهي بنهاية الجسم، بل هو الامتداد في الجهات. إنَّ الاختلاف الذي ورد في التعريف لمفهوم المكان نتيجة لاختلاف تصور الفلاسفة والعلماء الذين استدلوا عليه

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٥، مادة مكن.

(٢) البصريّ، ابن دريد الأزديّ، الجمهرة في اللغة، ج٣ مادة مكن.

(٣) الزبيدي، السيد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مج٩: مادة (مكن).

(٤) الربيعي، حسن مجيد، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، ص ١٩.

من خلال تجربتهم أو من نظرة متخيلة عند بعضهم الآخر لإثبات نظرتهم الفلسفية.

ولقد أفادت الدراسات الأدبية من مفهوم المكان ودراسة دلالته لغويّاً وممّا عرضه الفلاسفة والمتكلمون وتحديد إطاره لما يمكن أنّ يخدم النص وتحليل خباياه وعلاقته بالحالة الشعورية للأديب، فالمكان له أهميته التي تمثلت في عدة اتجاهات ما جعلت أحدهم يقول: «إنَّ العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفتقد خصوصيته وبالتالي أصالته».[١]، وتبعه (ياسين النصير) بقوله مؤكداً أهميته: «إنَّ المكان دون سواه يثير إحساساً ما بالمواطنة، وإحساساً آخر بالزمن والمخيلة حتى لنحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه»[٢]، وتجد للمكان مسارات يجب أنّ يحتذيها الأديب إذا أراد أنّ يذكرها في نصه الأدبي، أحدهما: أنّ يكون المكان في القصة أو القصيدة هويته التاريخية والوطنية، والآخر أنّ يحمل المكان طموحاته الثقافية فضلاً عن إضافة الأديب فعله في للمكان إلى فعل يبحث فيه إلى شخوص متطلعة للواقع غير وهمية[٣]، فضلًا عن أنَّ المكان أهميته بوصفه يمكّن الأديب من تجسيد أفكاره ورموزه وحقائق مجردة ومن ثم تقريبها إلى الواقع[٤].

إنَّ ما يميز شعرية المكان وتوظيفه في النص بحسب رأي أحد الباحثين في كونه واقعاً ضمن أمرين، أحدهما يقع في التشكيل الشعري وفقاً لرؤية شعرية يحكمها الخيال ومن ثم يمنحها بعداً ذو تأثير جمالي، والآخر في التأويل إذ يدخل فيه دور المتلقي وإحساسه بمعرفة المكان وذوقه النقدي الذي له الأثر الكبير في قراءة النص

(١) باشلار، جاستون، جمالية المكان، للطباعة، ص ٦.

(٢) النصير، ياسين، إشكالية المكان في النص الأدبي، ص٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦.

(٤) قاسم، سيزا، محفوظ، نجيب، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية سلسلة دراسات أدبية، ص٧٤، إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، ص٦٧.

وبما تقدم يكون للمكان أهميته في بنية القصيدة التي تجعله نصاً منفتحاً[١].

ولربّما يرتبط المكان من وجهة نظر أُخرى بخبرة الشاعر وتوظيفه له ولا تنحصر في المكان وحده الذي يتعامل معه الآخرون[٢]. فالمكان يحمل قيمته في الشعر عندما يقوم الشاعر بإعادة انتاجه إذ يستوحي بخياله ما ينسجم وحالته الشعورية ونسجه للمكان بصورة خلق شعري جديد شرط أنّ لا يعزله عن منظومته الفكرية. وعندما تلتقي حدود المكان الواقعية مع حدود خياله.

ويرى الدكتور محمد صابر عبيد أنّ الشاعر أفاد من معطيات المكان في نصه وتأسيس نظام حركي محدد وذلك باختياره لغة شعرية ذات نشاط يتخلله خيال ليخلق فضاء يلائم ما يستوعب أفكاره لما يستحثه من المكان الجديد الذي يعيشه في تجربته ويعطفه بخياله وخصوبة تعابيره المصورة بدقة[٣].

فإنَّ رؤية الشاعر وثقافته وبراعته في خلق المكان هي كلّ ما يتشكل بها جمالته وطرحه لتجربته وتأييداً من علاقة صلته بمجتمعه وبالكيفية التي يقدّم بها الصور وبها تظهر قدرته وبراعته لإظهار أبعاد المكان المتنوعة بحقيقتها اللفظية أو المجازية منها، وهو ما سيعرض له في الصفحات القادمة، فالرؤية الجمالية لأبعاد المكان لكلّ شاعر قد لا تبدو متشابهة فهي متباينة وإن كان المكان في تحديده في اللفظ واحد، ولقد استطاع الشاعر الشيخ عبد الرحيم الغراوي نقل صوره الشعرية المعبرة عن الحالة لشعورية للأماكن التي تركت في نفسه حالة خاصة لينقل أحداث حصلت أو تحصل معه فكأنّه يصورها بكاميرا المبدع ليثير فينا الإحساس بحجم المعاناة التي أثارته من

(١) جاسم، علي متعب، منى، شفيق، فاعلية المكان في الصورة الشعرية، سيفيات المتنبي أنموذجاً، ص٤.

(٢) إبراهيم، أحمد ملحم، شعرية المكان قراءة في شعر مانع سعيد العتيبة، ص ٨.

(٣) عبيد، محمد صابر، المغامرة الجمالية للنص الشعري، ص ١٩٥.

خلال صوره الفنية الجمالية وذلك بتقسيم أبعاد المكان عنده إلى:

أولاً: البعد الحقيقي للمكان الاجتماعي:

يمكن ملاحظة أنَّ خصوصية المكان في الحقبة التي عاشها الشاعر ذات طابع يتسم بنقل صور واقعية للأشياء، فهو إمّا يقوم بوصف تلك الأماكن أو وصف من فيها، فصوره حسية وتشبيهاته مادية افتقدت في بعض الأحيان للتأمل الحقيقي إلّا ما قد ندر منها، ولقد شكل المكان الرقعة الأوسع من الواقع الذي عاشه الشاعر الشيخ عبد الرحيم الغراوي على الرغم من صدق العاطفة في التعبير عن أثر الحالة الاجتماعية التي كان يصورها في كلّ حقبة مرت به لما لها من ارتباط في شعوره فمن ذلك قصيدة يمتدح بها النبي ﷺ في مولده فيذكر صفاته وفرحه بهذه الذكرى العطرة على قلوب المسلمين، ومن ثم يذكر في آخرها أبياتاً لسوء ما يحصل بالشباب وتأثرهم بالغرب وانحرافهم عن الدين الحنيف فيقول:[1]

وهـذا شباب العصر وا أسفي له تزيا بـزي الغرب والغرب مفسدُ
تغص المـلاهـي مـن جمـوع شبابنا وأقـفـر محـراب وعـطـل مسجدُ

فهو إذ يشير إلى جهة الغرب ويريد بها المكان الذي يعرفه الجميع من الناحية الدلالية وهي بلاد الغرب التي تصدر لفكرها الذي يدمر به الشباب بكلّ ما فيه من محرمات يزينوها، ثم إنَّه يذكر لفظ الملاهي الذي أصبح مكان الرذيلة على العكس من المكان الآخر الذي يرتبط به المسلم إلى الله وهو المسجد ليتعبد به ويتقرب إلى خالقه.

ومن الأمثلة الأُخرى التي يمكن الإشارة إلى أثر المكان والكيفية التي ارتبط بالحالة الاجتماعية عند الشيخ الغراوي في إحدى البلدان وهي مدينة (بعلبك)، التي قصدها للاستجمام مع صحبة له، فصور لنا حالته الشعورية بصور فنية موحية لما

(١) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ١٠٩.

تركت له الأوقات والأمكنة التي زارها أو قصدها، يقول فيها: (١)

بعلبك ذات المحاسن والبشر ... قضيت بها أحلى الليلات من العمرِ
وردت إليها ظامئ القلب والحشا ... واطفأت ما بي من جوى هو كالجمرِ
فديتك يا من كنت أشرف منزل ... وأجمل مصطاف وأكرم من يقري
بها للحشا ري وللنفس بهجة ... وللقلب من سلسالها عذب الخمرِ

هذه الأبيات من قصيدة بلغت ٢٩ بيتاً يتغزل الشيخ في صور لمدينة بعلبك المكان الذي أثر في نفسه حيث يقصده الكثير من الناس للتمتع بتلك المناظر الجميلة فيصفها وصفاً دقيقاً إذا يصف أنّ من يقدم محزونا يذهب حزنه لما لها من خواص عدة تمتعت بها.

كذلك فإنَّ تحول المكان واحداً من دلالاته في شعر الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، التي لها أثرها الاجتماعي فجعلت من الشاعر يعيش تجاذبات وصراعات نفسية، حولت كلّ قصائده وإن كانت في غير مناسبة تذكر أكثر الأمكنة انطباعاً في نفسه محوراً لطلب الآخرين ليشاركوا معه أو ليتحملوا عبء البعد الاجتماعي الذي هو مشترك بين أبناء المجتمع الذين يجمعهم أحد روابطه، فحول الشاعر صوره إلى مشاهد أكثر إيحاء فليس هو صاحب شاعرية فقط، بل شاهد على التحول لذلك المكان أو اضمحلال مشاهده، ومن تلك الأماكن المؤثرة في قوله من قصيدة بحق ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف: (٢)

هذي فلسطين قد حلت بها فئةٌ ... لبأسها الذلّ محشوراً بأوزارِ
وأهلها ما لهم مأوى ولا وطن ... والطيرُ لا بُدَّ أنّ يأوي لأوكارِ

(١) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ٣٣٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٧-٢٢٩.

فـــشردوا أهلها في البيد هائمةً عـلى البسيطة لا تـــؤدي إلى دارِ

ففي هذه الأبيات وغيرها التي يربط الشاعر المكان بإرثه الحضاري والديني المرتبط بالمسلمين وبما حالت به الأيام من فهو بين نزعة اجتماعية وبين نزعة سياسية مرتبطة بالعرب ككل لما للقدس من أهمية في نفوس العرب والمسلمين فهي قبلة المسلمين قبل أنّ أصبحت الكعبة قبلتهم بأمر من الله وبلغ بها النبي، فقد كان لهذا التأثير على الفرد الشاعر بوصفه يعيش المحنة.

ثانياً: البعد السياسي للمكان:

كذلك ويعدُّ المكان هو الآخر مشاركاً للشاعر في صياغة صوره الشعرية لما له تأثير في نفسه، كما وإنَّ تركيز الشاعر على المكان في شعره يعطيه العمق والغزارة في انتمائه الوطني، إذ تتوسع دائرة الانتماء الذاتي في نفس الإنسان، وتقوّي من بناء الوعي الوطني والانتماء لديه، وتشحذ في داخله مشاعر الحس القومي، إنّ الشاعر من خلال إضفائه بعد الانتماء للمكان فإنَّه يعكس الجاذبية التي تحدد هويته الإنسانية والقومية العربية التي يعتز بها، فالمكان لربّما يتجاوز كونه حيزاً جغرافياً بوصفه هندسة مغلقة، ليصبح مكاناً قائماً في مجموعه بعصبية الشاعر، ومن ثمَّ تتحدد ملامح ذلك المكان مع ردود أفعاله تجاه المكان وعلاقاته التي تربطه به، وقد حمل البعد السياسي للمكان في شعر الشيخ الغراويّ ملمح يبرز رؤية الشاعر السياسية للمكان، وهو على النحو الآتي:

أ- البعد القومي والوطني للمكان:

يتمسك الفرد بأصالته بين أبناء الأُمّة وقوميته، والقومية التي تعني «الانتماء إلى أُمّة معينة والتعلق بها، ومن مقوماتها: اللغة والأرض والأصل، والشعور

بالانتماء»[١]. فقد شغلت قضية فلسطين العرب جميعاً أفراداً وجماعات فحشد لها كلّ الشعراء طاقاتهم، فثورة فلسطين قد احتلت قلوب العرب جميعاً منذ اندلاعها عام ١٩٣٦م، وكان العرب يتسابقون لمساعدة هذه الثورة بالعدة والعدد، وما زالت قضية فلسطين ما يشغل جميع العرب والمسلمين، فهو إذ يستذكر فلسطين وما حلّ بها في كلّ مناسبة ليستنهض الهمة وليحرر عقول المتلقين من الغفلة ومن ذلك قوله: [٢]

هــذي فلسطين ضحية أهلها ... تدعو العروبة مـن بني قحطانِ
تدعو رجـال المسلمين فلم يعوا ... فـكـأنَّهـا ليست مـن الأوطـانِ
هــذي بني صهيون أرذل أُمـة ... أخـذت بـلادكـم بـغـير طـعـانِ

وفي مورد آخر يصف كيف أنّ الأعداء قد أحكمت مكائدها على العرب والإسلام فاستهدفوا القدس وكلّ مقدس بسبب فرقتنا ولا بدَّ من اتحاد الجميع ليحرروا كلّ ما دنسه الصهاينة اليهود، إذ يقول: [٣]

إنَّ اتحدنا يمت غيظاً يمت حنقاً ... فـالاتحـاد طـريـق الخـير والـنـعـمِ
هذي هي القدس حلت فيه شرذمة ... خسيسة الأصـل لا تبقي على ذممِ
حثالة الـغـرب حلت في مرابعنا ... واحتلت القدس من سهل ومن قممِ
فالقدس يستصرخ الإسـلام قاطبة ... لا يرجع القدس إنّ لم نسقه بدمِ
لا يرجع القدس إلّا والنّهار دجى ... مـن الـدخـان وبـركـان مـن الحممِ

فهو يكرر لفظة (القدس) سبع مرات في هذه القصيدة التي قالها بمناسبة ولادة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) في الخامس عشر من شعبان، إذ نجد أنّ الشاعر،

(١) ماوردي، عبد الغني، الفضاء المكاني في القصص القرآني، ج٢، ص٧١٢.
(٢) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ٢٢٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٤-٢٣٥.

قد نهض مع أحداث الوطن والأُمة العربية، وبين الأحداث التي مرت بها الأُمة العربية من هزائم، وانتصارات، فتأثر الشاعر بالأحداث السياسية التي جرت على أرض المكان المقدس عند المسلمين، والمكان العربي بشكل عام وعبر الشاعر عن هذه الأحداث بصدق، فلم يترك هذه الأحداث تمر دون أنّ يكون له فيها رأي أو يصف فيها مشاعره بصدق.

نجد أنّ القومية العربية، هي شغل الشاعر الذي يؤرقه، ويزيد من ألمه، ويتمنى أنّ تكون كلمة العرب واحدة، فهم ليس بالعدد القليل فنجده يجسد المكان بذكره وحدة العرب من خلال تذكيره لهم بأنّ المسجد الأقصى وأول القبلتين محتل، وعلينا أنّ نتكاتف ونتوحد ونقف يد بيد لتحريره.

ب- البعد النفسي للمكان:

وقد اهتم الشعراء بالمكان، وكان ارتباطهم به قويّاً، فالمكان يتخذ بعداً نفسياً فيكون محور الاهتمام والعناية عند توظيفه في العمل الفني، «فالمكان الذي لا يثير مقداراً ما من المشاعر تعاطفاً أو تنافراً، طالما استحوذ على اهتمام الفنان، وإضفاء البعد النفسي أو الشعور على المكان يبدأ من لحظة اختياره لاستخدامه في العمل الفني»[1].

أتخذ الشعراء من المكان ملاذاً للحرية والدفء، فلجأوا للأماكن التي عاشوا فيها وسكنت في أنفسهم عديد من الذكريات، وعاش فيها طفولته البريئة، فهي أولى الأمكنة التي تدشّن قيم الأُلفة لدى الإنسان، وربّما يكون المكان قد سكن في خيال الشاعر ومحفوراً في أعماقه دون أنّ يعايشه بصورة مباشرة، وتربطه به علاقات قوية تجسد عمق الانتماء مع مفرداته وأشيائه، وذلك من خلال استنطاقه للأشياء عن طريق إحساسه المرهف وصدق العاطفة، إذ يقوم المكان بشحن الإنسان بالطاقة النفسية والوجدانية أينما يكون.

(١) صالح، صلاح، قضايا المكان الروائي، ص ٥٥.

والغراوي ممّن وظّفوا المكان وانعكاساته النفسية في تجربته الشعرية وما أثارته من أحوال في ذاته، ومن تلك القصائد التي قد أخذت بالشاعر في بعد ترك في نفسه الحسرة فذكر مآثر من يرثيه وغياب شخصه وأنّه لا يحل محله أحد الرثاء بحق الشيخ حاتم الهذال رئيس بني تميم، فيقول: (١)

أنـخ ركـابـك في أكـنـاف روضته ... تنل مناك ومـا تـرجـوه مـن وطـرِ
هــذا محـل ابــن هــذال وأسرتــه ... هـذا محـل سـما شــأواً عـلى القمرِ
نـما بـه حـاتـم حـتـى غـدا مثلاً ... بـجـودهِ وسـما مجـداً عـلى البشرِ

فهو إذ يستذكر مرثيه فإنَّه يستذكر طيب مكانته وما خلفه من ذكرى حزينة أثرت في نفس كلّ من عاشره من أهله وجيرانه ومن صحبه ويبدأ قصيدته هذه بمقدمة طللية من بيتين ومن ثم ينتقل على عادة العرب بذكر محامد المرثي، وأنّ تركه المكان يترك حزناً حتى للمكان الذي كان له الأثر في إصلاح الناس وعمل الخير، فنفسية الشاعر هنا يائسة من فقدان مرثيه، فعرض لنا الأبيات هذه بأُسلوب حزين ومشاعر صادقة. ومن الأبيات التي تظهر صورة المكان ومدى التأثر النفسي الذي يعيشه الشاعر في ذكر السيدة زينب وما ارتبط من المواقف التي وقفت بها في أماكن عدة لتكون رمزاً للصبر والشجاعة قوله: (٢)

لـبـنـت عـلي لأخـت الشهيد ... لزينب رمـز الإبـاء والصمود
سـلام عـلـيـهـا عـلـى حـرّةٍ ... تـسـامـى الجـهـاد كـصرح مشيد
تـشـعُ عـلى الـشـام أنـوارهـا ... فـيـنـجـابُ عنها ظـلام العبيد
إلى الآن في كـربـلاء صـوتها ... وكـوفـان يهـتـزُ مـثـل الـرعـود

(١) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص٢٩٨-٢٩٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٧-١٦٨-١٦٩.

إلى الآن في الشام آثارها تعيد لنا ذكرها من جديد

هذه الأبيات بحق صاحبة المقام الرفيع التي حملت على عاتقها رسالة عظيمة بعد واقعة الطف وما حدث لها من الألم والحزن والمشقة، فكلّ مكان لها فيه ثبات وصمود من كربلاء إلى الكوفة إلى الشام فمواقفها تمثل للشاعر بعداً نفسيّاً لما لها من رمزية في نفوس محبيها، وما تقدم لا يعني أنّ الشاعر لم يوظف بعد المكان النفسي في مواقف وحالات المشاعر المفرحة ومنها في الغزل الذي سنتناول جزء منه في البعد الجمالي من أبعاد المكان.

ثالثاً: البعد التراثي والتاريخي للمكان:

تمثل الشاعر في كثير من قصائده لأماكن مثلت في مخيلته عبر الزمن التاريخي في ذاكرته حيث مثل التعبير عن مشاعره وأحاسيسه التي عند استحضارها تجلب معها الأفراح تارة أو الأحزان تارة أُخرى لما لها من ترابط بين الألفاظ وحالة الشاعر النفسية ومن تلك الأمثلة التي يمتدح بها الإمام السيد الخوئي قدس سره ويستذكر فيها مدينة النجف الأشرف فيقول فيها: (١)

يا من بإخلاصه التدريس قد فتحت أبوابه فغدا ناراً على علمِ
وأقبلت زُمرُ الطلاب قاصدةً مدينة العلم مأوى الجود والكرمِ
مدينة النجف الميمون قد عرفتْ بأنَّها مصدر العرفان للأُممِ
لتنهل العلم من وادي الغري ومن قد سال كوثره الصافي لكلّ ظمي

لحضارة النجف الأثر الكبير في نبوغ الكثير من العلماء كونها تخرج من مدارسها الكثير وتعدُّ من أقدم مدارس الأدب العربي تلك المدرسة التي مشى لها الركب من جزيرة العرب إلى الحيرة ومنها إلى الكوفة ومنها إلى النجف فهي مورد اعتزاز الشيخ

(١) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ٢٤٠ .

الغراويّ وفخره ويمتدح في هذه القصيدة أحد أعلامها ألا وهو السيد الخوئي، إذ يربط الشاعر بين تاريخ المدينة ومن تنور بعلمها فزادت بذكر من سكنها الفرح كونه قد سكن فيها زمناً مع أبيه، فهو إذ يبرز هويتها التاريخية والثقافية، فإبراز هذه الصورة تطلب وصفاً تقريريّاً كما في أنّها مصدر العرفان للأمم، ومجاز كما في سال كوثره لكلّ ظمي.

ومن الأمثلة الأُخرى ذكره الطف وما جرى في أرض كربلاء من قتل الحسين وآل بيته وصحبه فيقول:[١]

هلمَّ بنا نمضي إلى الطف كي نرى ... مـآسي أجـرتهـا يـد الكفر والعهرِ
وسالت دمـاء القوم بالطف أنهـراً ... جرت مثلما تجري السيول إلى البحرِ
فلهفي لأصحاب الحسين على الثرى ... مضرجةُ الأجسام مرضوضة الصدرِ

تعد كربلاء من المدن الإسلامية التي خلّدها الشعراء؛ لأنّها قصة عبر الزمن خطت بها دماء الشهداء، لكي تبقى أبد الدهر ترمز للتضحية والإباء وعنوان للحق والكرامة، فلحظة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام تعدُّ بداية لجريان نبع يفيض ليرتوي منه المسلمون على مرّ العصور لأنّها احتضنت الحسين الشهيد رمز المعاني الروحية والقيم الإنسانية النبيلة، فليس غريباً أنّ نرى الشعراء يسخّرون أقلامهم وأشعارهم ليبرزوا دور واقعة الطف دينيّاً وثقافيّاً وهذا ما ذهب إليه الشاعر الشيخ الغراويّ، بالرغم من أنّ الشاعر ذكر واقعة الطف التي طالما ذكرها الشعراء وجسدوها في أشعارهم بصور الحزن والأسى إلّا أنّ الشاعر يؤمن بأنّ دم الشهادة أضحى عطاءً يروي الظمآن ويتجدد في كلّ مكان وهو نوع من أنواع الرثاء للمكان التاريخي ولمن تخلد ذكره فيها لأنّ بذكرها تذرف العبرات لرمزية الصمود والتحدي[٢]، فالشاعر ينظر إلى كربلاء الطف والشهادة بأنّها مدينة لها مكانتها المتألقة على الرغم من المأساة

(١) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ١٤٨.

(٢) الكوفيّ، أبو محمد أحمد بن أعثم، كتاب الفتوح، ج٥، ص١١٠.

التي حصلت فيها، وقد ذكر ذلك في أكثر من موضع [١].

رابعاً: البعد الجمالي للمكان:

يعدُّ المكان من أهم العناصر التي تشكل جمال النص، إذ إنَّ المكان الجغرافي ينبني بلغة؛ لتشكيل النص عبر جمالية مكانية حيث تبرز تعامل الشاعر مع العنصر المكاني وجوانب رؤيته له، والأهداف المتوخاة من ذلك، ولا يكون ذلك إلّا بتصور الشاعر للمكان بالإشارات الجميلة المرتبطة بنفسيته دفاعاً عنه، ولا غرابة في أنّ دفاعه عن قضاياه الإنسانية في أيّ مكان، ونضاله لأجل قضية الحرية لما في لها من معنى، فكان ذلك السبب في تشابك الأمكنة وتعددها في نصه الشعري، فالحديث عن الوطن الأُم لم يعد هماً وحيداً له، بل تعداه إلى أماكن وأوطان أُخرى، ليتجاوز ضيق المكان بمعناه، إذ وظف الشاعر الغراويّ الأمكنة وفضاءاتها بشتى أنماطها، وبذلك قدم إنجازا ضخما تمثل في وعيه بزمانه ومكانه، وإنسانيته.

ومن الأبيات التي ترى الوصف الذي طغى على كلماته ما يذكره في أحد مصايف شمال العراق فيقول:[٢]

رأيتك بيخال في كُلّ لحظةٍ تغرد ألحاناً وتعزف موسيقا
وتحي قلوباً شفها الحزن والأسى ومزّقها بُعدُ المحبين تمزيقا

يصف الشاعر في هذين البيتين جمال المكان الذي تريح النفوس به بوصفه من الأماكن التي أبدع الله في خلقه فالماء له هدير يشبه عزف الموسيقى فضلاً عن تشبيه ألحانه بتغريد الطيور ذات الصوت الجميل، فكل من قصده يذهب عنه الحزن ويعود مسروراً.

ومن الأمثلة التي ترى فيها البعد الجمالي ما يذكر فيه الشيخ الغراويّ المكان ليس

(١) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ١٥٢-١٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٥٤.

كما عهد بواقعه الحقيقي، بل ببعد مجازي وقد ورد عنده في موارد عدة، ومنها قصيدة في مولد الرسول الأعظم وميلاد حفيده الصادق (عليهما الصلاة والسلام) فقال: [١]

نــوراً خلقت بـأصـلاب مطهرة ... حتى بـدا النور والدنيا على أملِ
أيــوان كـسرى لقد هـدّت قوائمهُ ... ونـــاره لم تـعـد وقـــادة الشعلِ

ففي هذين البيتين ترى أنّ الشاعر يجعل للمكان الذي وظفه على غير العادة في طبيعة لفظه (أصلاب مطهرة) فالنبي خلق من صلب طاهر فهو وأهل بيته مطهرين من الرجس، ويضيف لذلك أنّ في مولده قد هدّ إيوان كسرى وهي من الآيات العظيمة التي حدثت عند ولادة النبي صلى الله عليه وآله، فقد عبر بجمالية المكان لخلق النبي هذه البعد مالم نألفه فيما سبق، ومنه أيضاً قوله في ولادة الإمام الحسين عليه السلام [٢]:

ولــد الحـسـين فـزغـرد الـطـيرُ ... وهـفـا لـسـاحـة مجـده الـشـعـرُ
ومـشـى إلى عـلـيـائـه خـجـلاً ... حـتـى يحـلّـقُ نـحـوهُ الـفـكـرُ
الـيـوم سُرّ بـه الـنـبـيُّ كـما سُر ... الـــوصي وفـــاطـــم الـطـهـرُ
ومـلائـك الـرحمـن قـد هبطت ... لـتـعـودُ مـنـهُ ومـلـؤهـا أجـرُ

هذه الأبيات من قصيدة تقع في (٣٣) بيتاً، امتلأت بالوجدان المعبر عن فرح توهج فيه قلب المحب لذكرى مولد الحسين عليه السلام الذي ملء الخافقين عند مولده بالمحبة فضلاً عن الملائكة في السماء، فكلّ ما في الوجود معبر عن الفرح والسرور، الطيور تغرد ولساحة مجده الشعر تهفو، وهو ما يشعرنا بصدق ما يعبّر به الشاعر عن جمال المكان والفكر يمشي إلى عليائه، والملائك هبطت لبيت النبي لتبارك في ذلك النبي وأهل بيته. فتجسيده للمكان وتفننه باللغة الشعرية، والديباجة المحكمة، ولّد عنده صورة مكانية فنية محكمة.

(١) الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، ص ٩٩.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤١-١٤٢.

نتائج البحث:

بعد العرض المسهب لأبعاد الزمان والمكان في شعر الشيخ عبد الرحيم الغراويّ توصل البحث لأهم النتائج التي يمكن أجمالها بالآتي:

١- تناثرت مفردات الزمان في أغراض شعر الشيخ الغراوي وموضوعاته الشعرية، وتباينت تبايناً ملحوظاً، وقد شاعت بمختلف أغراضه كالمديح، والرثاء، والغزل، والفخر، وشعره القومي، والإخوانيات، وغيرها.

٢- خرج لنا بنماذج من الوصف التي اتكأ فيها على مفردات الزمن استجابة لعواطفه فكانت طوعاً لمشاعره وأحاسيسه مهتماً في كلّ ذلك ببلاغة جعل منها الاستعارة والتشبيه والكناية لينقل لنا تجربته من معناها اللغوي لمعنى أوسع وأرحب لبيان جمال أُسلوب شعريته.

٣- تنوع معجم الألفاظ الزمانية للشيخ عبد الرحيم الغراوي، فتعددت صنوفها واتجاهاتها ممّا يشير لثقافته الواسعة وقدرته في توظيف واستخدام تلك المفردات في موضوعات شعره وأغراضه.

٤- يتفق الدارسون على أنَّ المكان مشتقّ من الكينونة والوجود الإنساني، ومدى ارتباط الإنسان بالمكان، وتعميق شعور الانتماء به.

٥- أخذ المكان في النص الشعري الحديث أبعاداً شتى، نفسية، واجتماعية، ووطنية وسياسية وتاريخية ودينية وهذه دلالة على أنّ المكان ليس مجرد حيز جغرافي ضيق، بل هو حيز لغوي، ينبض بالحركة والحياة، وقد تفاعل الشاعر معه إنسانيّاً وحمل همه وثقافته في شعره.

٦- استخدم الشاعر المكان للتعبير عن أحواله النفسية المختلفة، فكان المكان أليفاً يحُّس فيه بكلّ مشاعر الدفء والحب والحنان؛ لما فيه من ذكريات عدة وصور خالدة في خياله.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. إبراهيم، أحمد ملحم، شعرية المكان قراءة في شعر مانع سعيد العتيبة، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، ط١، ٢٠١١م.

٢. ابن رشد، تهافت التهافت، تقديم وتعليق وضبط: محمد العريبي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

٣. ابن رشيق ت(٤٥٦هـ)، العمدة في صناعة الشعر ونقده، القيروانيّ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت لبنان، ج١، ط٥، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٤. إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ط.ت).

٥. أفلاطون، طيماوس: ضمن مجموعة محاورات أفلاطون، نقلها إلى العربية شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٩٩٤ م.

٦. الأميني، محمد هادي، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٤م.

٧. باشلار، جاستون، جمالية المكان، ترجمة غالب هلسا، دار الأقلام ودار الجاحظ، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، دار الحرية للطباعة، (د.ط)، ١٩٨٠م.

٨. بدوي، عبد الرحمن، الزمن الوجودي، مكتبة النهضة المصرية العامة، ط٢، ١٩٥٥م.

٩. بركات، محمد فارس، المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته، المكتبة الهاشمية، دمشق، ط١، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م.

١٠. البصريّ، ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الأزديّ ت(٣٢١هـ)، الجمهرة في اللغة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، مكتبة المثنى، بغداد، ط١، ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م.

١١. البصير، عبد الرزاق، نظرات في الأدب والنقد، سلسلة كتاب العرب، الكتاب الثامن والعشرون، ١٩٩٠م.

١٢. جاسم، علي متعب، شفيق، منى، فاعلية المكان في الصورة الشعرية، سيفيات المتنبي أُنموذجاً، مجلة ديالى، العراق، العدد٤٠، ٢٠٠٩م.

١٣. الجواهري، خيال، ديوان الغراوي وشعراء وادباء يثنون على التجربة الشعرية، صحيفة الزمان العدد: ٣٨٠، بغداد، ٢٠١٤م.

١٤. الحبوبيّ، محمد سعيد، ديوان الحبوبي، إعداد عبد الغفار، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ١٩٨٣م.

١٥. حسّان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٤م.

١٦. الحكيم، حسن عيسى، المفصل في تاريخ النجف الأشرف، مطبعة شريعت، قم، د.ط، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٨م.

١٧. الخاقاني، علي، الكوكب الدري من شعراء الغري الشعر النجفي الغري في مدح آل بيت المصطفى، اعتنى به وهذبه: محسن عقيل، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٨هـ، ٢٠٠١م.

١٨. الرازيّ، مختار، الصحاح، طبعة عيسى البابي الحلبي.

١٩. الربيعي، حسن مجيد، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، مراجعة وتقديم عبد الأمير الأعسم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٧٨م.

٢٠. الزبيدي، مرتضى ت(١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، السيد دار صادر، بيروت، (د.ط)، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

٢١. السامرائي، يونس إبراهيم، تاريخ مدينة سامراء، مطبعة دار البصري، ١٩٩٢م.

٢٢. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط١، ١٩٨٨.

٢٣. السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى، قدّم له وعلق عليه: محمد كريم بن سعيد راجح، مكتبة النهضة، بغداد، (د.ط.ت).

٢٤. صالح، صلاح، قضايا المكان الروائي، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، ١٩٩٧م.

٢٥. صلاح، عبير، الزمن بين الفلسفة والفن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ٢٠٠٧م.

٢٦. عبيد، محمد صابر، المغامرة الجمالية للنص الشعري، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٧. الغراويّ، الشيخ عبد الرحيم، معجم شعراء الشيعة، موسوعة تاريخية أدبية منذ صدر الإسلام حتى سنة ١٤٣٧هـ، مؤسسة المواهب للطباعة، بيروت، لبنان، ٢٠١٦م.

٢٨. الغراوي، عبد الرحيم، ديوان الشيخ عبد الرحيم الغراويّ، لبنان، ٢٠١١م.

٢٩. الغراويّ، محمّد عبد الواحد، وكالات المراجع الدينية الكبرى وسيرة الشيخ عبد الرحيم الغراويّ في سامراء المقدسة، بغداد، ٢٠١٩م.

٣٠. الفراهيدي، الخليل بن أحمد ت(١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، (د.ط)، ١٩٨٢م.

٣١. قاسم، سيزا، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، سلسلة دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د. ط)، ١٩٨٤م.

٣٢. الكوفيّ، أبو محمد أحمد بن أعثم (ت ٣١٤هـ)، كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، الطبعة الأُولى، ١٩٩١م.

٣٣. ماوردي، عبد الغني، الفضاء المكاني في القصص القرآني، المكتبة التعاونية الاشتراكية، اليمن، د.ط، ١٩٨٧م.

٣٤. مبارك، زكي، الموازنة بين الشعراء، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٣، ١٩٧٣م.

٣٥. محبوبة، الشيخ جعفر باقر ت(١٣٧٧هـ)، ماضي النجف وحاضرها، مطبعة دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٣٦. المحلاتي، الشيخ ذبيح الله بن محمّد علي بن علي أكبر ت (١٤٠٥هـ)، مآثر الكبرياء في تاريخ سامراء، مطبعة شريعتي، قم، ١٤٢٦هـ.

٣٧. المطلبي، مالك يوسف، الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

٣٨. مطهريّ، صفية، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٥م.

٣٩. مغنية، محمد جواد، مع علماء النجف الأشرف، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د.ط، ١٩٨٤م

٤٠. المقرئ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح

الكبير، تحقيق عبد العظيم الشناوي، طبعة دار المعارف، مادة (زمن).

٤١. منذور، محمد، في الأدب والنقد، دار النهضة، القاهرة، مصر، ١٩٩٤م.

٤٢. النصير، ياسين، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.

البحث السابع

وصايا الإمام الحسن العسكري عليه السلام

دراسة تحليلية دلالية

أ.د. فضيلة عبوسي محسن العامري
كلية الفقه- جامعة الكوفة

الملخص:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

وبعد...

قال تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ سورة الأحقاف/ ١٥، فأفتتح الحديث بالآية الكريمة لبيان منزلة الوصية وأثرها في سلوك الإنسان، ومن ثم انعكاس ذلك في سلوك الفرد في المعاملات وفي العبادات، فكيف إذا كانت الوصية صادرة من إمام معصوم مفترض الطاعة فلابد أن يكون لها الصدى الأكبر والأثر البليغ في سلوك الفرد، ومن ثم أثر ذلك في المجتمع؛ولبيان الأثر الدلالي لذلك فقد جاء البحث بعنوان (وصايا الإمام الحسن العسكري عليه السلام دراسة تحليلية دلالية).

فكانت مشكلة البحث تدور حول دلالة الوصايا، وفرضية البحث تركز على أثر هذه الوصايا في الفرد والمجتمع، وتألفت خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، اشتمل المبحث الأول على مطلبين؛ تناول الأول: لآلئ من سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وتضمن المطلب الثاني: التعريف بعلي بن الحسين أبي الحسن القمي المعروف بالصدوق الأول، وخصص المبحث الثاني بالدراسة الدلالية للوصايا

التي قسمت على مطلبين:

المطلب الأول: وصية الإمام العسكري عليه السلام إلى علي بن الحسين المعروف بالصدوق الأول، وتضمن المطلب الثاني: الوصايا العامة، وقد سبقهما تمهيد تضمن التعريف بمفهوم الوصايا في اللغة والاصطلاح، ومن ثم جاءت الخاتمة مسبوقة بالهوامش ومتبوعة بالمصادر، وكان المنهج المتبع في الدراسة المنهج التحليلي.

الكلمات الإفتتاحية: الإمام العسكري عليه السلام، التحليل، الدلالة، الوصايا.

التمهيد

مفهوم الوصايا في اللغة والاصطلاح

الوصايا جمع وصية، وهي في اللغة مأخوذة من الفعل أَوْصى الرجلَ ووَصَّاه: عَهِدَ إِليه؛ قال رؤبة وَصَّانيَ العجاجُ فيما وَصَّن أَراد: فيما وَصَّاني، فحذف اللام للقافية، وأَوْصَيْتُ له بشيء وأَوْصَيْتُ إِليه إِذا جعلتَه وَصِيَّكَ وأَوْصَيْتُه ووَصَّيْته إِيصا وتَوْصِيةً بمعنى، وتَواصى القومُ، أَي: أَوْصى بعضهم بعضاً، وفي الحديث "اسْتَوْصُوا بالنساءِ خيراً فإِنَّهن عندكم عَوان»[١].

والاسم الوَصاة والوَصايةُ والوِصايةُ، والوصِيَّةُ أَيضاً: ما أَوْصَيْتَ به، والوَصِيُّ: الذي يُوصي والذي يُوصى له، وهو من الأَضداد[٢].

وأمّا الوصية في الفقه فهي ما يوصي به الإنسان من أعمال ينبغي أن تُؤدَّى عنه بعد موته، وهي على أنواع الوصية التبرعية، والوصية التمليكية، والوصية العهدية، والوصية المطلقة أن يكون مقصود الموصي وقوع مضمون الوصية والعمل بها بعد موته في أيّ زمان قضى الله عليه[٣].

والوصية في فن الأدب بمعنى النصح والإرشاد والتوجيه، وهي قول بليغ مؤثر، ويتضمن حثًّا على سلوك طيب نافع، حبّاً فيمن توجه إليه الوصية، ورغبة في رفعة شأنه وجلب الخير له. وعادة تكون من أولياء الأمور وبخاصة الأب والأم لأبنائهما عند حلول الشدائد، أو حدوث الأزمات أو الإحساس بدنو الفراق، وهي نتيجة الخبرة الطويلة والملاحظة الدقيقة، والعقل الواعي والتفكير السليم ويدفع

---

(١) النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل، ج ١٤، ص٢٠١

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٢٢٧.

(٣) ينظر: فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، ص٤٤٤- ٤٤٥

إليها المودة الصادقة والحب العميق.[١]

ويظهر ممّا تقدّم أنّ معنى الوصية الأخير هو المقصود في البحث من حيث التوجيه والإرشاد التربوي مع فارق الموصي والموصي له.

فالموصي هو الإمام الحسن العسكري المعصوم المفترض الطاعة، والموصي له الناس عامة، والشيعة على وجه الخصوص، من أجل إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، وبعض هذه الوصايا جاءت من طريق بعض الصحابة المقربين للامام الحسن العسكري عليه السلام، ومنهم علي بن الحسين القمي المعروف بأبي الحسن، وهو والد الشيخ الصدوق صاحب كتاب من لايحضره الفقيه، فقد كان من الشيوخ الثقاة المقربين عند الإمام العسكري عليه السلام، وهو فقيه محدّث، وله العديد من المؤلفات، ويعرف بالصدوق الأول.

(١) ينظر: الجندي، علي، كتاب في تاريخ الأدب الجاهلي، ص ٢٦٨.

المبحث الأول

المطلب الأول: لآلئ من سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

جاءت ترجمته في دلائل الإمامة للطبري الشيعي بأنّه الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ويكنى: أبا محمد، وأبا الحسن. ولقبه: الهادي، والمهتدي، والنقي، والزكي. وأمه أم ولد تسمى: شكل النوبية. ويقال: سوسن المغربية. ويقال: سقوس ويقال: حديث(١).

وتوفي بسر من رأى، ولمّا اتصل الخبر بأمه وهي في المدينة، خرجت حتى قدمت سر من رأى، وجرى بينها وبين أخيه جعفر أقاصيص في مطالبته إيّاها بميراثه، وسعى بها إلى السلطان، وكشف ما ستر الله، وادعت صقيل عند ذلك أنّها حامل، وحملت إلى دار المعتمد، فجعل نساءه وخدمه، ونساء الواثق، ونساء القاضي ابن أبي الشوارب، يتعاهدون أمرها إلى أن دهمهم أمر الصفار، وموت عبد الله بن يحيى ابن خاقان، وأمر صاحب الزنج، وخروجهم عن سر من رأى ما شغلهم عنها، وعن ذكر من أعقب من أجل ما يشاء الله ستره وحسن رعايته بمنه وطوله.(٢).

وبوابه: عثمان بن سعد العمري. ويقال: محمد بن نصير، ويرى الطبري أنّ الأول هو الأصح(٣).

نقش خاتمه عليه السلام وكان له خاتم نقش فصه: الله وليي.

ذكر ولده عليه السلام: الخلف الصالح القائم صاحب الزمان الإمام المنتظر لأمر الله

---

(١) ينظر: الطبري، دلائل الإمامة، ص ٤٢٣- ٤٢٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(صلوات الله عليه وعلى آبائه وسلم)[١].

وجاء في معجم المؤلفين أنّ الحسن بن علي بن محمد العسكري، العلوي. من أئمة الشيعة. قطن بسامراء، وتوفي بسر من رأى في ربيع الأول. من آثاره: كشف الحجب في التفسير[٢].

وعُرف بالعسكري نسبة إلى عسكر؛ وعسكر سر من رأى، فإنّ سر من رأى لمّا بناها المعتصم وانتقل إليها بعسكره قيل لها العسكر وينسب إليها كثير، منهم: أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العسكري وإنّما قيل له ذلك؛ لأنّ المتوكل أشخصه من المدينة إلى سر من رأى فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر وتوفي بها وهو أحد أئمة الإمامية، وكان مولده سنة أربع عشرة ومائتين، وتوفي بسر من رأى يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين، ودفن في داره، وابنه أبو محمد الحسن بن علي بن محمد العسكري أيضاً وكان من الأئمة الاثني عشر عند الإمامية وكانت ولادته سنة إحدى وثلاثين ومائتين ووفاته في ربيع الأول سنة ستين ومائتين بسر من رأى ودفن بجنب أبيه[٣].

سماته

ذكر السيد محسن الأمين[٤] أن الإمام الحسن العسكري عاصر ثلاثة من ملوك بني العباس المعتز والمهتدي والمعتمد وكانت أيّامه أيام شدّة وضيق وخوف ومع ذلك أخذ الإمام عن علي الهادي عليه السلام من العلوم الشيء الكثير، ونقل السيد محسن الأمين

(١) ينظر: الطبري، دلائل الإمامة، ص ٤٢٣- ٤٢٥.

(٢) كحالة، عمر، معجم المؤلفين، ج ٣، ص ٢٦١.

(٣) ينظر: ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج٢، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

(٤) ينظر: الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، ج١، ص١٠٢-١٠٣.

إقرار أحمد بن عبيد الله بن خاقان وهو عامل الخراج بكورة قم وكان شديد النصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام بمنزلة الإمام الحسن العسكري عليه السلام قائلاً: ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى رجلا من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا ولا سمعت به في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته والسلطان وجميع بني هاشم، وتقديمهم إيّاه على ذوي السن منهم والخطر، وكذلك القواد والوزراء والكتّاب وعوام الناس، وما سألت عنه أحداً من بني هاشم والقوّاد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلّا وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على أهل بيته ومشايخه وغيرهم، ولم أر له وليّاً ولا عدوّاً إلّا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه.

وذكر السيد المرعشي[1] أنّ الإمام الحسن العسكري أُزعج كثيراً في السنوات الأربع أو الخمس الأخيرة من عمره بمنع الخليفة الخمس عن آل محمد. وكانت لهم قبل ذلك فدك بعد أن أقرهم عمر بن عبد العزيز، ثم انتزعها الخلفاء أخيرا منهم إلى بيت المال.

ونقل السيد المرعشي[2] اتفاق المؤرخين على أنّ الإمام الحادي عشر أبا محمد الحسن العسكري عليه السلام توفي سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٣) في بيته في سامرا، فدفن مع أبيه. أمّا الكتب التي بين أيدي الناس فتذكر أنّه مات مسموماً، سمّه المعتمد العباسي من غير أن يشير إلى تلك الكتب.

تفسيره عليه السلام للقرآن الكريم

وللإمام العسكري عليه السلام تفسير منسوب له، وممّا أجاب به أبو الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض أن قال: «اجتمعت الأُمة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك: أنّ القرآن حق لا ريب فيه عند

(١) ينظر: السيد المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج٢٩، ص٧٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

جميع فرقها، فهم في حالة الاجماع عليه مصيبون، وعلى تصديق ما أنزل الله مهتدون، ولقول النبي صلى الله عليه وآله: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»[١] فأخبر عليه السلام: أنّ ما اجتمعت عليه الأُمة ولم يخالف بعضها بعضاً هو الحق، فهذا معنى الحديث لا ما تأوله الجاهلون، ولا ما قاله المعاندون من إبطال حكم الكتاب واتّباع حكم الأحاديث المزوّرة والروايات المزخرفة، واتّباع الأهواء المردية المهلكة التي تخالف نصّ الكتاب، وتحقيق الآيات الواضحات النيّرات. نحن نسأل الله أن يوفّقنا للصواب، ويهدينا إلى الرشاد.[٢]

محاججة المخالفين

نقل الشيخ الطبرسي[٣] مواقف الإمام العسكري عليه السلام ضد مَنْ ابطلوا حكم الكتاب واتباع حكم الأحاديث المزورة والروايات المزخرفة، اتباع الأهواء المردية المهلكة التي تخالف نص الكتاب، وتحقيق الآيات الواضحات النيرات، حين قال عليه السلام: فإذا شهد الكتاب بتصديق خبر وتحقيقه فأنكرته طائفة من الأُمة، وعارضته بحديث من هذه الأحاديث المزورة، فصارت بإنكارها ودفعها الكتاب كفاراً ضلالاً، وأصح خبر ما عرف تحقيقه من الكتاب مثل الخبر المجمع عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: «إنّي مستخلف فيكم خليفتين: كتاب الله وعترتي، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[٤] واللفظة الأُخرى عنه في هذا المعنى بعينه قوله عليه السلام: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لم يفترقا حتى يردا علي الحوض ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا»[٥]

(١) المازندراني، شرح أصول الكافي، ج ٤، ص٦٠.

(٢) ينظر: الريشهري، محمد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، ج ٩، ص ٢٦٤.

(٣) ينظر: الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص ٢٥١.

(٤) السيد الطباطبائي، سنن النبي صلى الله عليه وآله، ج ١٨، ص٦٥.

(٥) المصدر نفسه.

فلمّا وجدنا شواهد هذا الحديث نصّاً في كتاب الله مثل قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ سورة المائدة/٦٦، ثم اتفقت روايات العلماء[١] في ذلك لأمير المؤمنين عليه السلام: أنّه تصدق بخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه، ثم وجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أبانه من أصحابه بهذه اللفظة: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه»[٢]، وقوله صلى الله عليه وآله: «علي يقضي ديني وينجز موعدي وهو خليفتي عليكم بعدي)»[٣]، وقوله صلى الله عليه وآله حيث استخلفه على المدينة فقال: يا رسول الله أتخلفني على النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي»[٤]

المطلب الثاني: التعريف بعلي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق الأول)

يعرف بالصدوق الأول والد صاحب كتاب من لايحضره الفقيه، وقد ذكر النجاشي[٥] أنّ عليّاً بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي أبو الحسن، شيخ القميين في عصره، ومتقدمهم، وفقيههم، وثقتهم. كان قدم العراق واجتمع مع أبي القاسم الحسين بن روح رحمه الله وسأله مسائل ثم كاتبه بعد ذلك على يد علي بن جعفر بن الأسود، يسأله أن يوصل له رقعة إلى الصاحب عليه السلام ويسأله فيها الولد. فكتب إليه: "قد دعونا الله لك بذلك، وسترزق ولدين ذكرين خيرين"[٦]. فولد له أبو جعفر وأبو عبد الله من أم ولد.

(١) ينظر: الشيخ الطوسي، تفسير التبيان، ج٣، ص٥٥٧.

(٢) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص ٢٨٨.

(٣) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ج ٢، ص١٠٣.

(٤) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٢، ص٢٢٦.

(٥) ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٦١، وينظر: السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١٢، ص٣٩٩.

(٦) ابن المطهر الحلي، خلاصة الأقوال، ج ٣، ص٢٢.

وكان أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله يقول: سمعت أبا جعفر يقول: "أنا ولدت بدعوة صاحب الأمر عليه السلام "، ويفتخر بذلك.له كتب، منها: كتاب التوحيد، كتاب الوضوء، كتاب الصلاة، كتاب الجنائز، كتاب الإمامة، والتبصرة من الحيرة، كتاب الإملاء نوادر، كتاب المنطق، كتاب الإخوان، كتاب النساء والولدان، كتاب الشرائع – وهي الرسالة إلى ابنه –، كتاب التفسير، كتاب النكاح، كتاب مناسك الحج، كتاب قرب الإسناد، كتاب التسليم، كتاب الطب، كتاب المواريث، كتاب المعراج.

وأمّا عن وفاته فقيل «ومات علي بن الحسين سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وهى السنة التي تناثرت فيها النجوم»[١] وقال: جماعة من أصحابنا: سمعنا أصحابنا يقولون: كنّا عند أبي الحسن علي بن محمد السمري رحمه الله فقال: "رحم الله علي بن الحسين "بن بابويه". فقيل له: "هو حي"، فقال: "إنه مات في يومنا هذا". فكتب اليوم، فجاء الخبر بأنّه مات فيه»[٢]، ولم تذكر المصادر سنة ولادته، إلّا أنّه ولد في القرن الثالث الهجري في قم، ووصفه صاحب الفهرست بأنّه الفقيه الثقة الوجه الحسن بن الحسين بن بابويه القمي[٣].

وجاء في مقدمة تحقيق كتاب الإمامة والتبصرة أنّ العلامة المجلسي قد أكثر من النقل عن والد الصدوق في مجلدي السادس عشر – السابع عشر (ج ٧٤ – ٧٨

(١) ذكر في وجه تسمية هذه السنة بسنة تناثر النجوم هو أنّه رأى الناس فيها تساقط شهب كثيرة من السماء، وفسر ذلك بموت العلماء، وكان ذلك إذ قد مات في تلك السنة جملة من أعيان هذه الطائفة وأساطين لم يكتحل حدقة الزمان بمثلهم ولا نظير، منهم: الشيخ المذكور، ومنهم: ثقة الإسلام محمد الرازي الآتي ذكره، ومنهم: علي بن محمد السمري آخر السفراء، وغيرهم من القدوة. ينظر: البروجردي، السيد علي، طرائف المقال، ج٤، ص٢.

(٢) النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٦٢، وينظر: البروجردي، السيد علي، طرائف المقال، ج٣، ص٥٠٠-٥٠١.

(٣) ينظر: الشيخ الطوسي، الفهرست، ص١٣.

الطبعة الحديثة) من البحار، ناسباً له إلى أبي الحسن علي بن الحسين والد الصدوق، الذي مر أنّه نسب النجاشي كتاب الإمامة والتبصرة لوالد الصدوق، وعند التحقيق في سند الروايات»يحصل الجزم بأنّه ليس هذا الكتاب لوالد الصدوق، لأنّه يروي مؤلفه فيه:عن أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري المتوفى سنة ٣٨٥. وعن أبي الفضل محمد بن عبد الله الشيباني المتوفى سنة ٣٨٧.

وعن الحسن بن حمزة العلوي. وعن سهل بن أحمد الديباجي المتوفى سنة ٣٧٠. وعن أحمد بن علي الراوي عن محمد بن الحسن بن الوليد الذي توفي سنة ٢٤٣. فكيف يكون من يروي عن هؤلاء المشايخ المتأخرين هو والد الصدوق الذي توفي سنة ٣٢٩؟[١]، أي: أنّ الرواة متأخرين عن وفاة والد الصدوق فكيف تم النقل عنه وهو متوفي قبلهم وهم متأخرون عنه.

المبحث الثاني: الوصايا دراسة تحليلية دلالية

المطلب الأول: الوصية الخاصة

من الوصايا الخاصة التي كتبها الإمام الحسن العسكري عليه السلام وصيّته إلى علي بن الحسين بن بابويه القمي «شيخ القميين، وفقيههم، وثقتهم»[٢] جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للموحدين، والنار للملحدين، ولا عدوان إلّا على الظالمين، ولا إله إلّا الله أحسن الخالقين، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين. أمّا بعد: أوصيك يا شيخي ومعتمدي وفقيهي أبا الحسن علي بن الحسين ابن بابويه القمي – وفقك الله لمرضاته، وجعل من ولدك أولاداً صالحين برحمته – بتقوى الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإنّه لا تقبل الصلاة من مانعي الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة

(١) ينظر: القمي، ابن بابويه، الإمامة والتبصرة، مقدمة التحقيق، ص١٥.

(٢) النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج١، ص١٥٠.

الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأُمور، والتعهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله عزوجل: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ سورة النساء/ ١١٤، واجتناب الفواحش كلّها. وعليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل فإنَّ النبي صلى الله عليه وآله أوصى علياً عليه السلام فقال: يا علي عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل. ومن استخف بصلاة الليل فليس منّا، فاعمل بوصيتي، وأمر جميع شيعتي بما أمرتك به حتى يعملوا عليه، وعليك بالصبر وانتظار الفرج، فبن النبي صلى الله عليه وآله قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، ولا تزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: إنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. فاصبر – يا شيخي ومعتمدي أبا الحسن – وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين. والسلام عليك، وعلى جميع شيعتنا، ورحمة الله وبركاته، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير»[١].

دلالة التصريح بفعل الأمر (أوصيك)[٢] المسند إلى كاف الخطاب، ولم يصرّح باسمه ففيه دلالة صريحة إلى توجيه الخطاب إلى غيره وإن كان خاصّاً به بقوله عليه السلام: «شيخي، ومعتمدي، وفقيهي»؛ بدلالة ياء المتكلم على التخصيص ومدى قوة الاتصال بينهما[٣]؛ ولبيان منزلته عنده، والتأكيد على تنفيذ ماجاء في وصيته عليه السلام، ثم ذكر بعد ذلك مضمون الوصية التي افتتحت بتقوى الله وقيام الصلاة، وإيتاء الزكاة)، فجاءت هذه الوصايا من جزأين هما المصدر المضاف (التقوى، والإقامة، والإيتاء،

(١) النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج ٢، ص ٢٧٦– ٢٧٧، وينظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٥.

(٢) ينظر: الاسترابادي، شرح الرضي على الكافية، ص١٥٦٧.

(٣) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٦٢.

والمضاف إليه (لفظ الجلالة) الله، والصلاة، والزكاة)، ونلحظ دلالة الترتيب في تقديم الأصل الذي هو مصدر فعل كلّ خير وهو (تقوى الله) على مايترتب عليه من عبادات ومعاملات من قيام الصلاة وإيتاء الزكاة في قوله عليه السلام: «أوصيك... بتقوى الله وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة...»[١].

١- دلالة التوكيد

فقد جاءت الوصية مستأنفة الكلام بالتوكيد بالجملة المركبة من إنّ واسمها الضمير وخبرها الجملة الفعلية، وفي ذلك دلالة على التنبيه لتلازم العبادات مع بعضها إذ لاتقبل الصلاة من مانع الزكاة، وجاءت لفظة (مانع) بصيغة اسم الفاعل الذي يدل على التجدد والحدوث، وهذا مايلاحظ في عصرنا أنّ كثيراً من ملتزمي الصلاة عندما يصل الأمر إلى الزكاة يبقى في حيرة من أمره في التماس الأعذار لعدم دفع الزكاة، فجاءت وصية الإمام الحسن العسكري مشيرة إلى هذه الظاهرة منذ ذلك الزمان في قوله عليه السلام: «فإنّه لا تقبل الصلاة من مانع الزكاة...»[٢].

٢- دلالة تكرار الفعل (أوصيك) مع مكارم الأخلاق التي أرادتها الشريعة الإسلامية من كظم الغيظ، وصلة الرحم في قوله عليه السلام: «وأوصيك بمغفرة الذنب وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الإخوان...»[٣].

٣- دلالة التضاد

التضاء يعني استعمال اللفظ وضدّه لبيان أهمية فعل الخير في العسر واليسر،

(١) البيهقي، شعب الإيمان، ج ٢، ص ٤٣ ح ١١٢٤ وعنه في، القمي، الأنوار البهية، ص ٣١٩.

(٢) النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج ٢، ص ٢٧٦- ٢٧٧، وينظر: الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص٥.

(٣) النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج ٢، ص ٢٧٦- ٢٧٧، وينظر الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص٥.

والحلم عند الجهل، مقدماً في ذلك حالة العسر على اليسر حيث الناس في أمس الحاجة إلى العون والمساعدة من وقت اليسر لقضاء حوائجهم، وكذا تقدّم الحلم على الجهل لدوره في علاج كثير من القضايا التي يتعرض لها الفرد في المجتمع في قوله عليه السلام: «والسعي في حوائجهم في العسر واليسر والحلم عند الجهل...»[١].

٤- التفقه في الدين من الأمور المهمة التي أكدتها الشريعة الإسلامية إذ جاء في قوله تعالى ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾، ومن هنا جاءت الوصية مشتملة على التفقه في الدين، والتثبت في الأمور في قوله عليه السلام: «والتفقّه في الدين، والتثبت في الأمور...»[٢]

٥- التعاهد للقرآن

ثم جاءت الوصية مؤكّدة التعاهد للقرآن، والتعاهد في اللغة من الفعل عاهد بمعنى الالتزام بما جاء به من الأوامر والنواهي، والعبادات والمعاملات فـ «الاعْتِهاد والتَعَهُّدُ والتَّعَاهُد: الاحتفاظ بالشيء. وقيل: التَّعاهُد يكون من اثنين. وَعَهِيدُكَ: الذي يُعاهدُك. وقرحة عَهِيْدَة: قديمة. واسْتَعْهَدَ منه: اشترط عليه»[٣] «والتعاهد: بمعنى التعهد، وهو التحفظ بالشيء وتجديد العهد. ومنه قوله صلى الله عليه وآله: تعاهدوا القرآن

وقوله: إذا رأيتم الرجل يتعاهد الصلاة فكذا»[٤]، ونلحظ استعمال حرف اللام الذي يفيد التعليل والسببية في بيان دلالة أن التعاهد ليس بين طرفين كما هو معروف، بل جاء التعاهد من طرف واحد وهو الإنسان الملتزم بما جاء به من عند الله تعالى

---

(١) النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج ٢، ص ٢٧٦- ٢٧٧، وينظر: الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٥.

(٢) النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج ٢، ص ٢٧٦- ٢٧٧، وينظر: الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٥.

(٣) الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، ج١، ص٧.

(٤) ينظر: الطريحي، مجمع البحرين، ج ٣، ص ٨٨.

لذا قال عليه السلام: «والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق...»[١]، ثم عطف التركيب الإضافي (حسن الخلق) على التعاهد للقرآن، فعادة مايكون ذو الأخلاق الحسنة هو من يلتزم بكتاب الله عزّ وجل.

٦- دلالة الاقتباس

الاقتباس «هو أن تدرج كلمة من القرآن أو آية منه في الكلام تزيينا لنظامه وتضخيما لشأنه»[٢]، وقد جاء الاقتباس بآي من القرآن الكريم مع التصريح بلفظ الجلالة الله في باب التأكيد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله عليه السلام: «والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾[٣]».

٧- دلالة التوكيد المعنوي

جاء استعمال (كلّ) التي تفيد الشمول[٤] في التأكيد على اجتناب الفواحش في قوله عليه السلام: «واجتناب الفواحش كلّها...»[٥]، وفي ذلك دلالة إيحائية تشير إلى قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ سورة الأعراف / ٣٣.

(١) النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج ٢، ص ٢٧٦- ٢٧٧، وينظر: الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص٥.

(٢) الرازي، نهاية الإيجاز، ص١١٢، وينظر: الإيضاح في شرح مقامات الحريري، ص ١٩، مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج ١، ص١٥٩.

(٣) سورة النساء، الآية ١١٤.

(٤) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج٣، ص٢٠٨.

(٥) النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج ٢، ص ٢٧٦- ٢٧٧، وينظر: الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص٥.

٨- دلالة استعمال اسم فعل الأمر

اسم الفعل هو «لفظ يدل على معنى الفعل ويعمل عمله، ولكن لا يقبل علاماته ولا يتصرف تصرفه»(١)، وقد ورد في الوصية استعمال اسم فعل الأمر (عليك) بمعنى التزام في أثناء الوصية بصلاة الليل لبيان فضل هذه الصلاة وأثرها في حياة من التزم بها، وقد أكدّت روايات أهل البيت عليهم السلام فضل صلاة الليل، ومن هنا جاءت الوصية مؤكدة ذلك في قوله عليه السلام: «وعليك بصلاة الليل...»(٢).

٩- دلالة حسن التضمين والتكرار في بيان فضل صلاة الليل

فحسن التضمين «هو أن يضمّن المتكلم كلامه كلمة من بيت، أو من آية، أو معنى مجرداً من كلام، أو مثلاً سائراً أو جملة مفيدة، أو فقرة من حكمة كقول علي عليه السلام في جواب كتاب لمعاوية: "وما الطلقاء وأبناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين الأولين وتبيين درجاتهم، وتعريف طبقاتهم، هيهات لقد حن قدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها "فضمّن كلامه هذا المثل العربي وهو قوله: "لقد حن قدح ليس منها"»(٣)، وجاء حسن التضمين بواسطة التصريح بوصية النبي محمد صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام في درج الوصية، مع استعمال الماضي (أوصى) في قوله عليه السلام: «فإنّ النبي صلى الله عليه وآله أوصى علياً عليه السلام فقال: يا علي، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل...»(٤).

---

(١) الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج٣، ص٢٨٨، وينظر: دليل السالك إلى الفية ابن مالك، ص٤٨.

(٢) النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج٢، ص٢٧٦- ٢٧٧، وينظر: الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص٥.

(٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص١٤.

(٤) النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج٢، ص٢٧٦- ٢٧٧، وينظر: الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٥.

١٠- دلالة أُسلوب الشرط وجوابه المنفي

ورد استعمال أُسلوب الشرط المركّب من فعل الشرط وجوابه المنفي بـ (ليس) التي تفيد النفي في الحاضر والمستقبل، و«إذا قلت: ليس زيد قائماً الآن أو غداً أدت ذلك المعنى الذي في يكون فلمّا كانت تدل على ما يدل عليه المضارع استغني عن المضارع فيها ولذلك لم تبن بناء الأفعال التي هي من بنات الياء مثل باع وبات»[١]، فجاءت لبيان عقوبة من يستخف بصلاة الليل فهو ليس ممّن يسلك مسلك أهل البيت عليهم السلام باستعمال ضمير المتكلم (نا)[٢] الذي يدل على جماعة المتكلمين، في حين أنّ الوصية جاءت على لسان الحسن العسكري عليه السلام في قوله عليه السلام: «ومن استخفّ بصلاة الليل فليس منّا»[٣].

١١- دلالة التصريح بفعل الأمر

إنّ فعل الأمر يدل على الوجوب[٤]، وقد جاء في ذيل الوصيّة للتأكيد على العمل بما جاء بها، ومن ثم استعمال فعل الأمر الصريح (أمر)، «إنّما يفعل ذلك توكيداً لما أُجري عليه فعل الأمر لمكان العناية بتحقيقهِ»[٥]، ولفظ (الجميع)[٦] الذي يدل على العموم والشمول في التأكيد على العمل بمضمون الوصية من قبل الشيعة خاصة، ودلّ على ذلك إضافة لفظ (شيعة) إلى ياء المتكلم (شيعتي) للتنبيه على الدور الكبير الذي يقع على عاتقهم في اتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله، وأهل البيت عليهم السلام، والعمل بها في قوله عليه السلام:

(١) ابن السراج، الأصول، ج١، ص٨٣.

(٢) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج ١، ص٩٣.

(٣) النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج ٢، ص ٢٧٦- ٢٧٧، وينظر: الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص٥.

(٤) ينظر: ابن الأثير، المثل السائر، ج٢، ص١٢.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج٢، ص٢٠٧٦.

«فاعمل بوصيّتي وأمر جميع شيعتي بما أمرتك به حتّى يعملوا به...»[١].

١٢- دلالة حسن الختام «وهذا النوع الذي يجب على الناظم والناثر أن يجعلاه خاتمة لكلامهما مع أنّهما لا بد أن يحسنا فيه غاية الإحسان فإنّه آخر ما يبقى في الأسماع وربّما حفظ من دون سائر الكلام في غالب الأحوال فلا يحسن السكوت على غيره»[٢]؛ باستعمال اسم فعل الأمر في التزام الصبر، وانتظار الفرج مع التضمين لقول النبي صلى الله عليه وآله الذي يوصف الانتظار بأفضل الأعمال، ومن ثم تركت ثلاث نقاط للإشارة إلى بقاء سبل الانتظار مفتوحة أمام الشيعة حتى يقوم القائم عجل الله فرجه الشريف في قوله عليه السلام: «وعليك بالصبر وانتظار الفرج فإنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج ولا تزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشّر به النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: إنّه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ...»[٣].

١٣- دلالة النداء على التخصيص بـ (يا) النداء، ويا المتكلم التي نؤكد نسبه وقربه إلى الحسن العسكري عليه السلام بوصفه بالشيخ والمعتمد، ومن ثم نداؤه بكنيته (أبا الحسن) ليلفت انتباه السامعين والمتلقين إلى الالتزام بما جاء به وهو يمثل قول المعصوم عليه السلام، ومن ثم تخصيص الشيعة وتوصيتهم بالصبر في قوله عليه السلام: «يا شيخي ومعتمدي أبا الحسن - وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين...»[٤].

---

(١) النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج ٢، ص ٢٧٦- ٢٧٧، الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص٥٥.

(٢) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب: ٢/ ٤٩٣.

(٣) النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج ٢، ص ٢٧٦- ٢٧٧، وينظر: الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص٥.

(٤) النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج ٢، ص٢٧٦- ٢٧٧، وينظر: الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص٥.

١٤- حسن الختام بالسلام عليه وعلى الشيعة جميعهم، ومن ثم التوكّل على الله فهو نعم المولى ونعم النصير في قوله عليه السلام: «والسلام عليك، وعلى جميع شيعتنا، ورحمة الله وبركاته، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير»[١]

المطلب الثاني: الوصايا العامة

ونعني بها الوصايا التي لا يوجهها إلى شخص بعينه من أصحابه، بل إلى عامة الناس من الشيعة ومنها:

قوله عليه السلام لشيعته: «أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم، والإجتهاد لله، وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمّد صلى الله عليه وآله، صَلّوا في عشائركم، واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدّى الأمانة، وحسَّن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرّني ذلك، اتّقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جُرّوا إلينا كلّ مودّة، وادفعوا عنّا كلّ قبيح فإنّه ما قيل فينا من حُسْن فنحن أهله وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك. لنا حقٌّ في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهيرٌ من الله لا يدّعيه أحد غيرنا إلّا كذّاب. أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، فإنّ الصلاة على رسول الله عشر حسنات، احفظوا ما وصّيتكم به واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام»[٢].

نلاحظ كثيراً من الدلالات التي وردت في الوصية أعلاه منها:

١- دلالة التصريح بالفعل (أوصيكم) المسند إلى كاف الخطاب وميم الجمع، من

---

(١) النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج ٢، ص ٢٧٦- ٢٧٧، وينظر: الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٥.

(٢) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٧-٤٨٨، وينظر: الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص٣٥٤٧، وينظر: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص٣٧٢.

أجل لفت الانتباه إلى ما يوصي به، ثم نلحظ الترتيب في الموصى به بألفاظ مركّبة من المضاف والمضاف إليه (تقوى الله) وهو خير وسيلة للنجاح قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

ومن ثم عطف عليه الاجتهاد لله في قوله عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم، والإجتهاد لله...»[١].

٢- ثم جاء دلالة التأكيد بالعطف بين المركبات في التعامل مع الناس في الحديث الصادق، وأداء الأمانة إلى أهلها من بر أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار في قوله عليه السلام: «وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار...»[٢].

٣- دلالة الالتفات[٣] في الانتقال من الفعل الماضي إلى فعل الأمر لبيان دور العشائر، فقد قرر الشريعة التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله بالفعل الماضي (جاء)، والفاعل الاسم الصريح محمد صلى الله عليه وآله، وبعد إقرار الشريعة انتقل بالوصية إلى الأمر الذي يدل على الوجوب في تحقيق مكارم الأخلاق من الصلاة بالعشائر ففيه دلالة إيحائية إلى أهمية صلاة الجماعة، وحضور الجنائز، وعودة المرضى ممّا يقوي أواصر الجماعة بينهم، ويشدّ أزرهم في الملمات، وهذا مانلحظه اليوم بما تقوم به العشائر من دور مهم في حلّ النزاعات والخلافات والتآزر في بينها، وإعطاء كلّ ذي حقٍ حقّه، بعيداً عن الظواهر السلبية مما يسمى بالدكة العشائرية، والفصل وغيرها من الظواهر السلبية التي نهى عنها الإسلام، وأنّ ما جاءت به الشريعة الإسلامية هو الذي يحقق الترابط والتعاون

(١) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٧-٤٨٨، وينظر: الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص٣٥٤٧، وينظر: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص٣٧٢.

(٢) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٧-٤٨٨، وينظر: الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص٣٥٤٧، وينظر: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص٣٧٢.

(٣) ينظر: القزويني، جلال الدين، الايضاح في علوم البلاغة، ص ٢٣

بينهم، كما جاء في قوله عليه السلام: «فبهذا جاء محمّد صلى الله عليه وآله، صَلّوا في عشائركم، واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم...»[١].

٤- وقال عليه السلام لشيعته في سنة ستين ومائتين: «أمرناكم بالتختّم في اليمين ونحن بين ظهرانيكم والآن نأمركم بالتختم في الشمال لغيبتنا عنكم إلى أن يظهر الله أمرنا وأمركم فإنّه أوّل دليل عليكم في ولايتنا أهل البيت.فخلعوا خواتيهم من أيمانهم بين يديه ولبسوها في شمائلهم»[٢].

٥- دلالة التفصيل بعد الاجمال لطلب التقرير[٣] في بيان سمات الرجل الذي يقال عنه شيعي أي: ينتمي إلى أهل البيت عليهم السلام فيدخل السرور إلى قلوبهم؛ باستعمال الجمل المركبة من إنّ واسمها وخبرها، وتداخل اسلوب الشرط المبدوء بـ (إذا) في قوله عليه السلام: «فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدّى الأمانة، وحسَّن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرّني ذلك...»[٤].

٦- اجتماع التقابل الدلالي الذي فيه تحريكاً وإيلاعاً بالإنفعال إلى مقتضى الكلام[٥]، وقد ورد بين الجملتين الفعليتين اللتين جمعت بين ما يدل على الوجوب من الأمر والنهي في كلّ تركيب من الوصية في قوله عليه السلام: «اتّقوا الله وكونوا زيناً ولا

(١) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٧-٤٨٨، وينظر: الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص٣٥٤٧، وينظر: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص٣٧٢.

(٢) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٨.

(٣) ينظر: القزويني، جلال الدين، الايضاح في علوم البلاغة، ص٦١.

(٤) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٧-٤٨٨، وينظر: الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص٣٥٤٧ وينظر: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص٣٧٢.

(٥) ينظر: القرطاجني، ابن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٤٤.

تكونوا شيناً»[١]، وقوله عليه السلام: «جُرّوا إلينا كلّ مودّة، وادفعوا عنّا كلّ قبيح...»[٢].

٧- التقابل الدلالي بين الجملتين الاسميتين المبدوء بـ (إنّ) التي تفيد التوكيد لبيان مايقال عنهم عليهم السلام في كلّ زمان ومكان، ثم جاء لفظ الاختصاص بالضمير (نحن) لبيان مااختصوا به من حسن، ونفي السوء عنهم في وقوله عليه السلام: «فإنّه ما قيل فينا من حُسْن فنحن أهله وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك...»[٣].

٨- دلالة التقديم والتأخير و«هو بابٌ كثيرُ الفوائد جَمُّ المحاسن واسعُ التصرُّف بعيدُ الغاية. لا يزالُ يفتَرُّ لك عن بديعةٍ ويُفضي بكَ إلى لطيفةٍ. ولا تزالُ ترى شِعراً يروقُك مسمَعُه ويَلْطُف لديك موقعُه ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أنْ راقك ولُطف عندك أن قُدِّم فيه شيءٌ وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان»[٤]، وقد ورد التقديم في بيان حقهم في كتاب الله وقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ قدّم الخبر الجار والمجرور (لنا) على المبتدأ النكرة (حق)، ثم العطف بالواو الذي يفيد الجمع والتشريك في قوله عليه السلام: «لنا حقٌّ في كتاب الله وقرابة من رسول الله...)[٥].

٩- دلالة الاستثناء من المنفي[٦] في تخصيص التطهير بأهل البيت عليهم السلام، ومن يدعيه غيرهم فهو كذّاب، واستعمل صيغة المبالغة (فعّال) لبيان كذب وافتراء

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٢، ص١٥٤٤.

(٢) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٧-٤٨٨، وينظر: الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص٣٥٤٧، وينظر: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص٣٧٢.

(٣) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٧-٤٨٨، وينظر: الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص٣٥٤٧ وينظر: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص٣٧٢.

(٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٩٦.

(٥) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٧-٤٨٨، وينظر: الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص٣٥٤٧، وينظر: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص٣٧٢.

(٦) ينظر: المبرد، المقتضب، ج١، ص٢٧٩.

غيرهم، وتخصيص التطهير بهم في قوله عليه السلام: «وتطهيرٌ من الله لا يدّعيه أحد غيرنا إلّا كذّاب...»[١]، وفي ذلك دلالة ايحائية تشير إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾.

١٠- التصريح بفعل الأمر الذي يدل على الوجوب في الاكثار من الصلوات على محمد وآل محمد عليهم السلام ففيها تضاعف الحسنات عشر أمثالها، ومن جاء ذكر الموت، وتلاوة القرآن في قوله عليه السلام: «أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، فإنّ الصلاة على رسول الله عشر حسنات...)[٢].

١١- حسن الختام[٣] في الحفاظ على الوصية والالتزام بتنفيذها ومن ثم استودعهم الله، وقرأ عليهم السلام، أي: الدعوة لهم بالسلامة في قوله عليه السلام: «احفظوا ما وصّيتكم به واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام»[٤].

١٢- إشاعة وصايا أهل البيت عليهم السلام حين قال عليه السلام لهم: «حدّثوا بهذا شيعتنا»[٥]، بصيغة فعل الأمر (حدّثوا) تدلّ على الوجوب في اللغة، وهي«صيغة يصح أن يطلب بها الفعل، لكان أصرح في عمومه لكل ما يسميه النحاة أمراً، وذلك أنّهم يسمون به كلّ ما يصح أن يطلب به الفعل من الفاعل المخاطب بحذف حرف المضارعة، سواء طلب به الفعل على سبيل الاستعلاء وهو المسمى أمراً عند الأصوليين، نحو

(١) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٧-٤٨٨، وينظر: الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص٣٥٤٧، وينظر: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص٣٧٢.

(٢) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٧-٤٨٨، وينظر: الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص٣٥٤٧، وينظر: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص٣٧٢.

(٣) ينظر: الحموي، ابن حجة، خزانة الأدب، ج٢، ص٤٩٣.

(٤) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٧-٤٨٨، وينظر: الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص٣٥٤٧، وينظر: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص٣٧٢.

(٥) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٨٨.

قولك: اضرب، على وجه الاستعلاء»[١]، وخصّ الشيعة بالحديث لأنّهم الأصل في نشر مناقب أهل البيت عليهم السلام في مشارق الأرض ومغاربها من طريق الاقتداء بأقوالهم وأفعالهم عليهم السلام لنكون زينا لهم ولانكون شيناً.

الخاتمة ونتائج البحث:

١- تنوع الأساليب الدلالية في وصايا الإمام العسكري عليه السلام إذ جمعت بين التصريح بفعل الأمر، واستعمال اسم فعل الأمر، والالتفات في الخطاب من المفرد إلى الجمع، ومن الفعل الماضي إلى فعل الأمر، واستعمال التقابل الدلالي بين الجمل الفعلية مرة، وبين الجمل الاسمية مرة أخرى؛لتباين الدلالة في الاستعمال، واستعمال التقديم والتأخير، والعطف، والشرط والجزاء فضلاً على ذلك حسن الختام بالدعوة لهم بالسلامة. والالتزام بالوصية، وبذلك ينسجم مع مايريده الإمام من الوصايا فاستعمل الأسلوب المناسب مع كلِّ وصيةٍ.

٢- التأكيد في الوصية على الإكثار من الصلوات على محمد وآل محمد ففيها تُضاعف الحسنات عشر أمثالها.

٣- استعمال الاقتباس من القرآن الكريم، والتضمين من السنة النبوية الشريفة في التأكيد على كثير من القضايا المهمة التي وردت في الوصية التي لابد من العمل بها، وتنفيذ ماجاء فيها من أوامر ونواهي تنسجم مع ماجاءت به الشريعة السمحاء بوصف القرآن والسنة معياراً لقبول سلامة المسلم من الإنحراف عن الطريق الصحيح.

٤- إنّ ثمار وصايا الإمام العسكري عليه السلام لم تكن تقتصر على زمن أو مكان بعينه، بل هي حاكية لكلّ زمان ومكان، وماورد في الوصية من أثر مترتب على الصلاة في العشائر من توجيه وإرشاد جماعي يشار فيه إلى كثير من أمور الإصلاح والأمر

(١) الاسترابادي، الرضي، شرح الرضي على الكافية، ج١، ص١٥٦٧.

بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلاً عن صلة الأرحام، وحضور الجنائز، وإيداء الحقوق، ففيه إشارة إلى تأثير العقل الجمعي في كثير من جوانب الحياة الاجتماعية، وماصلاة الجماعة التي وصّى بها الإمام العسكري عليه السلام إلّا دليل على دور الجماعة في تحقيق الأمن والاستقرار، ونشر مكارم الأخلاق التي وردت في الشريعة الإسلامية، والتي جسدت في سيرة أهل البيت عليهم السلام.

٥- نلحظ من طريق الوصية تأكيد أهل البيت عليهم السلام في أكثر من موضع على ضرورة التزام الشيعة خاصة بمناقبهم قولاً وفعلاً؛ لنكون لهم زيناً ولانكون شيناً، وفي ذلك تنبيه علينا بأنّ نعيد النظر في كلّ مايصدر عنّا من قول أو فعل تحت اسم شيعة أهل البيت عليهم السلام، فلاننطق ببنت شفه إلّا ونحن واثقون من مصدرها وأنّها حقاً صدرت عن أهل البيت عليهم السلام.

٦- وجدنا الوصية بتقوى الله قد تصدرت الوصايا كلّها، وفي ذلك دلالة على أهمية التقوى فهو مفتاح كلّ نجوى، وهي التي تمهّد السبيل لكلّ خير من قول أو فعل.

٧- التأكيد على إقامة الصلاة فهي حلقة الوصل بين العبد وربّه، وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر فإن قُبِلَت قُبِلَ ماسواها، وإن رُدَّت رُدَّ ماسواها.

٨- التأكيد على تلاوة القرآن فهو ربيع القلوب، وتطمئن به النفوس، وتخشع له القلوب ففيه ذكر الله وأوامره ونواهيه، وفيه قصص الأمم الماضية، وفيه كثير من العبر والمواعظ ناهيك عن العبادات والمعاملات وغيرها كثير لايسع المجال التفصيل فيه.

٩- حسن الجوار من مكارم الأخلاق التي أكدّت عليها الوصية، وماحاجة المجتمعات اليوم إلى حسن الجوار فهو أساس التعايش السلمي بين المجتمعات وتحقيق الاستقرار.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. ابن الأثير، مجد الدين المبارك محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الشافعي(٦٠٦هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة، مصر.

٢. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيديّ، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨.

٣. الأزراري، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي (ت٨٣٧هـ)، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شعيتو، ط١، الناشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧م.

٤. الاسترابادي، الرضي (ت٦٨٨ه)، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، وضع هوامشه: اميل يعقوب، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٥. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر شعب، الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦. التستري، نور الله الحسيني، إحقاق الحق وازهاق الباطل، قم، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.

٧. الجرجاني، عبد القاهر (ت٤٧١هـ)، دلائل الاعجاز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، الناشر محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٨. الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة (ت ق٤)، تحف العقول، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤٠٤، ١٣٦٣ ش.

٩. الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر، معجم رجال الحديث، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٠م.

١٠. الرازي، فخر الدين، نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، تحقيق: نصر الله حاجي مفتي، دار صادر، لبنان، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

١١. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دارالحكمة، قم، ١٤٢٢هـ.

١٢. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي (ت٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٣. السيد الطباطبائي، سنن النبي صلى الله عليه وآله، تحقيق: الشيخ محمد هادي الفقهي، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩هـ.

١٤. الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٥. الشيخ الطوسي، الفهرست، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، ط١، شعبان المعظم، ١٤١٧هـ.

١٦. الصاحب إسماعيل بن عباد(٢٨٥هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٤م.

١٧. الصبان، أبو العرفان محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٨. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، الاحتجاج، تعليق

وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، الناشر دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م.

١٩. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم، دلائل الإمامة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

٢٠. الطريحي، فخر الدين بن محمد بن علي (ت١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط٢، الناشر مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٤٠٨هـ.

٢١. العقيلي، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت٧٦٩هـ)، شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، منشورات سيد الشّهداء، (د.ط).

٢٢. العلامة الحلي، خلاصة الأقوال، تحقيق: جواد القيومي، ط١، عيد الغدير، ١٤١٧هـ.

٢٣. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث، بيروت.

٢٤. فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٢٥. الفوزان، عبد الله، دليل السالك إلى شرح ألفية ابن مالك، ط١، دار المسلم، ١٩٩٩م.

٢٦. القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم، منهاج البلغاءوسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م.

٢٧. القزويني، الخطيب (ت٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، ط٤، دار إحياء علوم الدين، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٨. القمي، الشيخ عباس، الأنوار البهية، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم المقدسة، ١٤١٧هـ.

٢٩. المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الأعلمي، بيروت،

١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٣٠. مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط١، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٤م.

٣١. النجاشي، أحمد بن أبي العباس، رجال النجاشي، ط٥، ١٤١٦هـ.

٣٢. النوري الطبرسي، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل، ط١، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الناشر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

٣٣. النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٦هـ.



البحث الثامن

دراسة تداولية بلاغية في بعض أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام

مدرس مساعد : طيف حاتم شردغلي

جامعة بابل

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة الإنكليزية



الملخص

تُعد أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام مصدرًا مهمًا في عدة مجالات بما في ذلك البلاغة والفصاحة. يمكن للدراسات اللغوية الحديثة أن تستخدم خطبه كمجموعة بيانات مناسبة للتحليل. لذا تهدف هذه الورقة البحثية إلى استكشاف التحليل البراغماتي-البلاغي لبعض أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

وتتمحور أهداف الدراسة حول: ١- تسليط الضوء على الموضوعات التي يتناولها الإمام الحسن العسكري عليه السلام في خطبه.٢- تحديد أنواع المحسنات البلاغية التي يستخدمها في خطبه. ٣- التعرف على أكثر المحسنات البراغماتية-البلاغية شيوعًا في خطبه.

و تفترض الدراسة بناءً على ذلك ما يلي: ١-أن الكذب والغضب من بين الموضوعات التي يوضحها الإمام في خطبه. ٢-يستخدم الاستعارة والسخرية والتورية والمبالغة والتقليل والسؤال البلاغي في خطبه. ٣- أن الاستعارة هي المحسن البلاغي البراغماتي الأكثر استخدامًا في خطبه.

وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: ١-أن الكذب والغضب من الموضوعات التي يذكرها الإمام في خطبه. ٢- استخدم الإمام الحسن العسكري عليه السلام الاستعارة والمبالغة كأنواع من المحسنات البديعية في خطبه. ٣- ان الاستعارة هي الاداة البلاغية السائدة في خطبه.

الكلمات المفتاحية: الإمام الحسن العسكري عليه السلام، التداولية، المحسنات البديعية.

and New York: Routledge.

Wales، K. (2011). *A Dictionary of Stylistics*. London and New York: Routledge.

Walton، D. (2004). *Informal Logic*. Cambridge: Cambridge University Press.

Yule، G. (1996). *Pragmatics*. Oxford: Oxford University Press.

Web Sources

Web Source 1

https://www.grammarly.com/blog/figure-of-speech/

Web Source 2

https://thefluentlife.com/content/pun-figure-speech-examples-meaning/

Web Source 3

https://www.vedantu.com/question-answer/are-examples-of-overstatements-class-11-english-cbse-60a65436d13f1000c94bd569

المصادر العربية:

المجلسي. محمد باقر.(١٩٨٣) بحار الأنوار. الجزء ٧٥. الطبعة الثانية بيروت. مؤسسة الوفاء..

Korta، K. and J. Larrazabal (2001). *Pragmatics and Rhetoric for Discourse Analysis*. University of Basque Country (4)، pp: 7-13.

Kroeger، P. R. (2018). *Analyzing Meaning: An Introduction to Semantics and Pragmatics.* Berlin: Language Science Press.

Lo Castro، V. (2012). *Pragmatics For Language Educators: A Sociolinguistic Perspective.* New York: Roultedge

McQuarrie، E. F. and Mick، D. V. (1996). Figures of Rhetoric in Advertising Language. Journal of Consumer Research 22.424-438.

Mey، J.L. (2009). *Concise Encyclopedia of Pragmatics*. 2nd ed. Amsterdam: Elsevier Ltd.

Mikics، D. (2007). *A New Handbook Of Literary Terms*. London: Yale University Press.

Quirk، R.، Greenbaum، S.، Leech، G. and Svartvick، J. (1985). *A Comprehensive Grammar of the English Language*. London: Longman Group، Ltd.

Roberts R. (2004). Rhetoric: Aristotle. New York: Dover Publications

Senft، G. (2014). *Understanding Pragmatics*. London

References

Archer، D. et al (2012). *Pragmatics: an Advanced Resource Book for Students.* Routledge: Applied Linguistics.

Armstrong، W.S and Fogelin، R.J. (2015).*Understanding Arguments: An Introduction to Informal Logic.*9th ed. United States: Cen gage Learning.

Baldick، C (2001). *The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms*.2nd ed. Oxford: Oxford University Press.

Brown، K. (2006).*Encyclopedia of Language and Linguistic*. 2nd ed. London and New york. Routledg

Childs، P. and Fowler، R. (2006).*The Routledge Dictionary of Literary Terms*. London and New york. Routledge.

Geeraerts، D. (2010). *Theories of Lexical Semantics*. Oxford: Oxford University Press.

Horn L.، R. and Ward G. (2006) *The Handbook of Pragmatics*. Oxford: Blackwell Publishing.

Huhmann، B. A. (2008) "A Model of the Cognitive and Emotional Processing of Rhetorical Works in Advertising". In McQuarrie، E. F. and Phillips، B. J. (eds) *Go Figure: New Directions in Advertising Rhetoric.* Armonk/ NewYork: M.E. Sharpe، Inc.

He conveys his message succinctly.

7.Conclusion

1.Al-Imam Al-Askari (peace be upon him) possesses a deep religious knowledge that allows him to engage with various aspects of life. His contributions spanned across religious and social spheres. He speaks about the negative impacts of lying and anger، as unethical behaviors degrade one's worth in society.

2. He employs only metaphor and overstatement as a kind of Pragma-rhetorical tropes in his speech.

3. It is evident that by reviewing Al-Askari's (peace be upon him) speeches، metaphor is the most commonly used pragma-rhetorical trope speech which reflects his desire to convey the deeper meaning behind the images he chooses.

The table and figure above indicate that Al-Imam Al-Askari (peace be upon him) frequently utilizes metaphor as a pragma-rhetorical trope، scoring a high percentage (82.352%). This showcases how Al-Imam Al-Askari (peace be upon him) uses in his eloquent speech a vivid imagination by drawing comparisons between different things، such as "من ركب ظهر» الباطل"، as a means of guiding towards the path of truth.

Then، in the texts analyzed، he demonstrates his tendency to exaggerate by highlighting negative qualities that have a detrimental impact on society، such as "الحقد" or antagonism; he employs the pragma-rhetorical tropes of overstatement، with a percentage of (17.647%.).

As pun، irony، understatement and rhetorical questions are not utilized by Al-Imam Al-Askari، thus، scoring a ratio (of 0%).

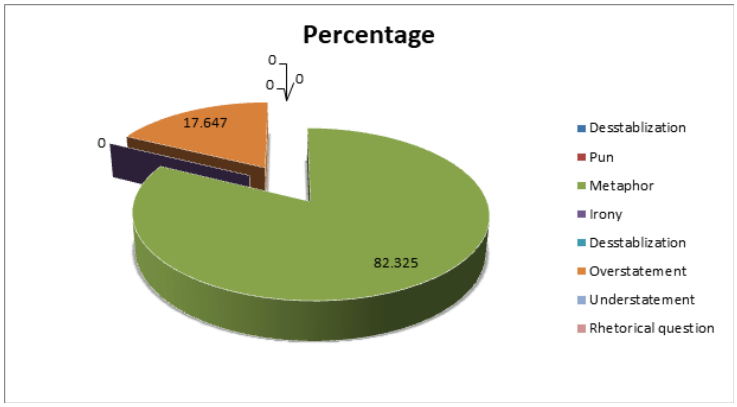
Ultimately، metaphor scores the highest ratio in Al-Imam Al-Askari's speeches. It gives the impression that metaphor، in general، is a type of figure of speech that involves an indirect comparison between two things using words that are not related. Comparisons are frequently employed to aid in the comprehension of complex concepts.

and pure imam embodied a source of knowledge، literature، rhetoric، and moral values.

To analyze this text، the researcher first classifies the Pragma-rhetorical tropes into destabilization and substitution. Then، identifying the dominant device used by Al-Imam Al-Askari(peace be upon him) in his speech by depending on a quantitative method to show the percentages of pragma-rhetorical tropes utilized by Al-Imam Al-Askari.

Table (1): The Overall Frequencies and Percentages of Pragma-rhetorical Tropes Utilized by Al- Imam Al-Askari.

Pragma-rhetorical Tropes	Frequency		Percentage
Destabilization	Pun	0	0%
	Metaphor	14	82.352%
	Irony	0	0%
Substitution	Overstatement	3	17.647%
	Understatement	0	0%
	Rhetorical Question	0	0%
Total	17		



Text 2

وقال عليه السلام: «اقل الناس راحة الحقود» (المجلسي، ١٩٨٣:٣٧٣)"

People have different emotions، like love and hate. Al-Imam Al-Askari (peace be upon him)describes a bad trait، "الحقد," and said that "اقل الناس راحة الحقود" as an overstatement referring to those who spend their time watching and criticizing others. In brief، it implies that finding happiness، comfort، and reassurance involves avoiding feelings of hatred toward others.

Text 3

وقال عليه السلام: «قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه».(٣٧٤: ١٩٨٣، المجلسي).

Al-Imam Al-Askari refers to "الحكيم" as an individual who exhibits good intentions in both their words and actions، as well as possessing extensive knowledge. This person is also adept at organizing things in their appropriate place.

6. Discussions of the Results

The history of Al-Imam Al-Askari " peace be upon him" is characterized by his generous and virtuous acts، both in terms of humanity and religion. Every honorable

er in their words; they are careful with what they say. As Al-Imam Al-Askari states، "وفم الحكيم في قلبه," to illustrate that wise individuals think before they speak because once words are spoken، they cannot be taken back.

Hyperbole

Text 1

وقال عليه السلام: «من الفواقر التي تقصم الظهر (١) جار إنّ رأى حسنة أخفاها وإن رأى سيئة أفشاها» (المجلسي ١٩٨٣: ٣٧٢).

Al-Imam Al-Askari (peace be upon him) discusses the importance of exhibiting noble morals and socially acceptable behavior towards one's neighbors. He even states that harming neighbors in any way is a calamity that can break a person's back. This is conveyed using an overstatement "من الفواقر التي تقصم الظهر". He elucidates that talking about neighbors in a way that offends them is not desirable، as he views them as allies rather than adversaries.

In the Holy Quran، treating one's neighbors with kindness is one of the most vital commandments. A faithful neighbor should hide their neighbor's mistakes and not expose them.

Text 7

وقال عليه السلام: «إنّ الوصول إلى الله عزّ وجلّ سفر لا يدرك إلّا بامتطاء الليل» (٣٨٠: ١٩٨٣، المجلسي)

This text highlights the importance and virtues of night prayer in Islam. It is a significant reason for attaining Paradise and getting closer to Allah. Al-Imam Al-Askari (peace be upon him) uses a metaphorical reference to "سفر" that requires a means of transportation، which is the night prayer. Night prayer is a regular practice of the righteous and a trade of the faithful، which Allah rewards His servants who perform it abundantly. Thus، he mentions "بامتطاء الليل".

Text 8

وقال عليه السلام: «قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه»(٣٧٤: ١٩٨٣، المجلسي).

Al-Imam Al-Askari (peace be upon him) shares a valuable insight that requires deep understanding. He uses a metaphor of "قلب الأحمق في فمه" to depict how foolish people talk excessively without considering their words. One should not underestimate the power of words when spoken by an individual. One word can elevate a person to heights، while another can bring them down.

On the contrary، wise individuals possess great pow-

"الجهل" ignorance can be likened to a "خصم" metaphorically. He explains that ignorance leads to losing one's culture، knowledge، and thinking abilities، causing all aspects of civilized، cultural، and intellectual life to vanish.

Also، he adds that if a person lacks knowledge about the fundamentals of religion، he may turn away from obedience and good deeds. Ignorance can lead to committing acts that go against the faith.

In his eloquence speech، he embodies "الحلم" and "الحكم" which represent the measure of man and one of the fundamental pillars of society.

Text 6

وقال عليه السلام: «من ركب ظهر الباطل نزل به دار الندامة» (٣٧٩: ١٩٨٣، المجلسي).

Al-Imam Al-Askari's words provide excellent and inclusive general advice for everyone. They are precise and remarkable. He uses the metaphor "ركب ظهر الباطل" to elucidate that when someone takes any means of transportation، they do so to reach their desired destination. He advises us to choose the right path، as falsehood is like a vehicle that leads to regret. Those who follow the true path will reach a place of safety.

This metaphorical behavior can be compared to a key that closes off the inside and opens up the outside. Anger can have far-reaching consequences، such as causing violence، animosity، and disrupting social relationships. Therefore، Al-Imam describes anger as a key that can unlock many negative and forbidden behaviors.

Text 4

وقال عليه السلام: «المؤمن بركة على المؤمن وحجة على الكافر» (١٩٨٣:٣٧٣، المجلسي).

Al-Imam Al-Askari (peace be upon him) mentions two groups of people: "المؤمن" (the believers) and "الكافر" (the non-believers). A believer has faith in Allah and the messengers and prophets sent by Allah. On the one hand، Al-Imam Al-Askari "peace be upon him" metaphorically refers to the believer as "المؤمن بركة" as they support and strengthen each other through love and affection. On the other hand، he mentions the believer as "حجة" (evidence) to argue against the infidel due to their lack of faith.

Text 5

وقال عليه السلام: «الجهل خصم والحلم حكم، ولم يعرف راحة القلب من لم يجرعه الحلم غصص الغيظ» (المجلسي ١٩٨٣:٣٧٧).

According to Al-Imam Al-Askari (peace be upon him)،

One of Allah's blessings to humanity is possessing a mature mind، which enables individuals to differentiate between right and wrong. Hence، he refers to it as an inner beauty، along with the physical beauty found in the human form.

Text 2

قال عليه السلام: «جعلت الخبائث في بيت، والكذب مفاتيحه» (١٩٨٣:٣٧٣، المجلسي)».

Al-Imam Al-Askari "peace be upon him" uses metaphor to depict the act of lying. He states that "جعلت الخبائث في بيت"، in which he mentions that a house is a residence، and if evils are represented in a house، then people who live in this house are surrounded by evils. It leads to chaos، turmoil، and social disintegration. He also clarifies that "الكذب مفاتيحه" to elucidate that lying is the key to evil، and the liar will likely engage in other vices.

Text 3

قال عليه السلام: «الْغَضَبُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ» (١٩٨٣:٣٧٣، المجلسي).

According to Al-Imam، «الغضب" anger is a prominent aspect of human behavior. It involves internal feelings that manifest externally through actions.

strongly positive one. As in "***Can anyone doubt the wisdom of this action ?"*** which means "***Surely no one can doubt "*** *and "****Haven't you got anything better to do ?***" which means" ***Surely you have something better to do ".*** Additionally، there are rhetorical wh-questions. The positive question is equivalent to a statement in which a negative element replace the wh-element**.** As in **"*what difference does it make ?" which implies "it makes no difference".***

6. Data Description، Analysis، and Discussions of the Results

6.1 Data Description

To draw certain conclusions، the researcher analyzes and discusses a representative selected of Al-Imam Al-Askari's speech data qualitatively.

Text Analysis

Metaphor

Text 1

وقالعليه السلام: «حسن الصورة جمال ظاهر، وحسن العقل جمال باطن» (المجلسي، ١٩٨٣:٣٧٣).

Al-Imam Al-Askari (peace be upon him) uses a metaphor to convey that the mind is a divine gift from Allah.

thing in a way that suggests one meaning but intends another. It is up to the listener to recognize this and clarify the intended meaning. McQuarrie and Mick(1996:433) identify three main types of substitution tropes، which can be briefly highlighted:

1) Overstatement

It is a rhetorical device where the depiction given by the speaker is more exaggerated than the actual situation (Leech، 1983:145).For example: "If I ever met Brad Pitt in person، I'd die."(Web Source 3).

2) Understatement

It is a way of expressing something with less seriousness، quantity، or intensity than the reality to impact the listener or reader(Cruse، 2006:186). For instance "*It rained a bit more than usual" - When depicting an area flooded by heavy rainfall"*(Web Source 3)

3) Rhetorical Question

This type of question does not require an answer from the person asked. Its purpose is to catch the attention of the addressee. (Shaffer، 2009:167). Also، Quirk et al. (1985: 825-6) mention that a positive rhetorical question implies a negative assertion، while a negative question implies a

(Kroeger، 2018:98).According to Mikics (2007:180-1)، it is a form of thought and of speech that makes us see something as something else as in "**Time is a river**"

2)Pun

A pun is a figure of speech that utilizes wordplay to convey multiple meanings. Arranging the words in a particular manner creates a rhetorical effect. Paronomasia is another term for puns، derived from the Greek word 'paronimazein,' meaning a name change. For example: " ***Writing with a broken pencil is pointless".***(Web Source 2)**.**

3)Irony

Irony is a rhetorical device recognized since ancient times as a figure of speech. According to the traditional definition، It involves saying something that means the opposite of what is meant. For instance، "It seems to be a little windy"(uttered in the middle of a violent storm)، in which the speaker is middle of a violent storm)، in which the speaker is saying less than what is meant. (Mey,2009:406).

It is a way of communicating that conveys meanings often opposite to those stated or intended(Childs and Fowler، 2006:123).

Substitution tropes involve a speaker saying some-

rative language or figures of speech persuade the audience using the most effective form of expression—two types of figures of speech that are distinguished: Schemes and tropes (ibid.).

Schemes involve rearranging or changing linguistic elements، such as repetition or ellipses. On the other hand، tropes use words in unconventional ways to create semantic or lexical deviation، as seen in metaphors، metonymy، and synecdoche (Wales، 2011:162).

As for Huhmann (2008: 90)، there are two types of tropes: destabilization and substitution. Destabilization requires more cognitive effort to understand the intended meaning، while substitution involves interpreting the intended meaning by replacing the literal meaning with the intended one.

Mulken (2003: 119) mentions that destabilization tropes in pragma-rhetorical operations involve utilizing expressions whose meaning is indeterminate in the given context. Destabilization tropes comprise:

1)Metaphor

Metaphor is a figure of speech that involves an implied comparison between two dissimilar objects or ideas

According to Larrazabal and Korta (2002:1)، the hybrid field combines two disciplines to explain intentional phenomena that occur in most communicative language using the communicative intention and the intention of persuading.

Walson (2004: 21) mentions that this field aims to discuss language's effectiveness in specific contexts to convince the addressees.

5.Figure of Speech

A figure of speech is a turn of speech that also involves the turning or inventive use of a word's sense: a turning away from the proper or literal meaning. (Mikics، 2007:300-1).

According to Wales (2011:161)، a figure of speech is commonly linked to expressive language techniques like metaphors and similes. These techniques evoke imagery by comparing one object to another، e.g. "***Women are angels***."

A figure of speech is the creative use of language to produce an effect. Examples of figures of speech that are commonly used in everyday language include metaphor، simile، and metonymy(Web Source 1).

According to McQuarrie and Mick (1996:424)، figu-

the available means of persuasion in any given situation.

In the same vein، Mikics(2007: 263)، defines it as the art of persuading an audience through the skillful use of words. This skill is essential for politicians، poets، and even philosophers.

It is the study of effective or persuasive speaking and writing، particularly in public speech. Classical rhetoricians identified numerous rhetorical figures، which classify how words can be arranged to achieve stylistic effects. Some of these concepts are still used in modern stylistic analysis، including metaphor، simile، personification، and paradox (Crystal، 2008: 416).

Rhetoric is the art of using language to convince people. It has been a longstanding subject in school curriculums from classical times to the present day (Geeraerts، 2010: 5).

4. Pragma-rhetoric

Pragma-rhetoric refers to the use of pragmatic and rhetorical devices and strategies to analyze specific speech stretches. According to Archer et al. (2012: 148-9)، the convergence of the two fields occurs in the way language is employed، whether directly or indirectly، to steer others towards a particular act.

signs to the objects to which the signs are applicable"; and pragmatics، which studies how signs relate to interpreters (ibid.).

It is a field of linguistics that focuses on the practical use of language. It is not just about grammar and vocabulary but also considers cultural، situational، and interpersonal factors influencing communication. The main goal of pragmatics is to study how these factors contribute to meaning and comprehension in the broadest sense possible(Senft، 2014:3).

It is the study of the interlocutor's intended meaning، which includes the invisible meaning that can be recognized even when not explicitly stated. It focuses on the importance of intentionality in understanding the meaning of an utterance (Yule، 1996: 3-4).

It focuses on understanding the meaning behind people's words and how they convey a message beyond the literal meaning of the words used(Lo Castro، 2012: 3).

3. Rhetoric

Rhetoric is an ancient field of knowledge traced back to Aristotle، Isocrates، and Plato. According to Roberts (2004)، rhetoric refers to the ability to observe and utilize

ered in this study. Tropes are Pragma- rhetorical strategies used in communication that occur when the typical rules of conversation are broken in a particular circumstance.

The term "Trope" originates from the Greek language and refers to a creative way of expressing an idea "، turn of phrase"، "twist of plot"، and "turn of thought". Thus، the purpose of the current study is to investigate selected speeches of Al-Imam Al-Askari “peace be upon him” from this point of view. It attempts to answer these questions: 1) What are the specific topics that the Al-Imam Al-Askari (peace be upon him) discusses in his speech ? 2) What sorts of tropes that he states in his speech، and 3) What are the most prevalent devices that distinguish his speech?

2. Pragmatics

The term "pragmatics" in its modern usage was coined by philosopher Charles Morris in 1938. Morris was interested in developing a science of signs، also known as semiotics or semiotic، building on the ideas of Locke and Peirce"(Levinson,1983:1).

Morris identifies three branches of study in semiotics: syntactics (or syntax)، which examines the formal relationship between signs; semantics، the study of"the relations of

1 .Introduction

Language is a crucial role in society as it serves as a medium for communication. People conduct their affairs through language. It allows individuals to share information and convey their ideas، thoughts، opinions، and emotions. It is a shared system of conventions that enables communication between individuals (Armstrong and Fogelin,2015:19). In various situations، there are numerous ways to convey a message، and one of these methods is using of rhetorical figurative language.

A figure of speech، Also known as a 'rhetorical figure'، refers to using a word or a group of words in a way that deviates from its strict literal meaning or common word order and sentence structure (Brown، 2006:222).

As for Baldick(2008: 140),it is expressions used to enhance the beauty and effectiveness of language. It can be described as "an expression that departs from the accepted literal sense or the normal order of words، or in which patterns of sound produce an emphasis."(ibid.).

This study distinguishes between two types of figures of speech: Schemes and tropes. However، only tropes will be explained by the researcher. Schemes will not be cov-

Key words: Al-Hasan Al-Askari; Pragmatic; Figure of speech.

Abstract

Imam Al-Hassan Al-Askari's (peace be upon him) speeches are considered a significant source for various fields، including rhetoric and eloquence. Modern linguistic theories can use his speeches as a suitable analysis corpus. Thus، this paper explores the pragma-rhetorical analysis of some speeches of Al-Imam Al-Hasan Al-Askari. It aims at 1) Shedding light on the topics that Al-Imam Al-Hasan Al-Askari "peace be upon him" mentions in his speech. 2)Finding out the types of tropes that he mentions in his speech and 3) Identifying the most common pragma-rhetorical tropes used in his speech.

Consequently، it hypothesizes that 1) lying and anger within the topic that he elucidates in his speech 2) He uses metaphor، irony، pun، overstatement، understatement and rhetorical question in his speech، 3) metaphor is the prevalent pragma-rhetorical trope he employs in his speech.

Finally، it concludes that 1)lying and anger within the topic that he states in his speech 2)Al-hasan Al-Askari "peace be upon him" exploits only metaphor and overstatement as a type of tropes in his speech. 3) The predominant rhetorical device he uses in his speech is a metaphor.

البحث الثامن

A Pragma-rhetorical Analysis in Some Speeches of Al-Imam Al-Hasan Al-Askari

Taif Hatam Shardaghly

University of Babylon
College of Education for Human Sciences

بحوث
العمارة والآثار

البحث الأول

تعزيز القيم التراثية غير المادية في عمارة العتبة العسكرية المقدسة

أ.م.د. علي ناجي عطية
جامعة الكوفة- كلية الهندسة

الملخص:

تزايد في العقود الأخيرة اهتمام المنظمات العالمية المعنية بالتراث الثقافي بالقيم الثقافية غير المادية للمعالم التراثية من أجل تعزيز الحفاظ على الموروث العمراني للبشرية. تُعد العتبة العسكرية المقدسة من المعالم العمرانية المهمة في المراقد الإسلامية، وقد تطورت عمارتها عبر الزمن على وفق أصول نابعة من القيم الروحية لزيارة المراقد الدينية. تعرضت القيم التراثية غير المادية المرتبطة بالعتبة العسكرية المقدسة إلى التهديد من جهتين: الأولى تدمير المرقد والثانية الإعمار غير المدروس عبر مراحل مختلفة من الزمن. الدراسة الحالية استعرضت مراحل تطور عمارة العتبة العسكرية المقدسة ومقارنة عمارتها مع باقي العتبات المقدسة لاستخلاص أصول تلك العمارة. توصلت الدراسة إلى إن فلسفة زيارة المراقد وآداب الزيارة قد ساهمت على نحو مؤثر في عمارة العتبات المقدسة عبر التاريخ، وإن أي تطوير في هذا المجال يجب أن يحافظ على تلك الأصول.

يمكن تلخيص أصول عمارة العتبة العسكرية بأن القيم الروحية للجهات المحيطة بالمرقد الشريف ترتبط على نحو مباشر بأسلوب الدفن المتبع لدى المسلمين. الجهة الجنوبية والتي تتجه إلى القبلة هي وجه المزور والغربية تمثل الرأس بينما الشرقية تكون القدمين، وأما الجهة الشمالية فهي كالوقوف خلف المزور والائتمام به. إن آداب الزيارة للمراقد التي وردت في النصوص المأثورة تعزز شعور الزائر بحياة المزور فكلمات الاستئذان والسلام والمناجاة والدعاء تتسلسل مكانيًا خلال حركة الزائر في الجهات المحيطة بالمرقد الشريف. وفي نفس الوقت كانت العناصر المعمارية في العتبة

المقدسة تتناغم مع تلك الآداب وتميز كل جهة عن الجهات الأخرى، وهذا ما أوصت به الدراسة في المراحل القادمة لتوسعة العتبة المقدسة.

الكلمات المفتاحية: العتبات المقدسة، عمارة المراقد، التراث الثقافي، التراث الحي، التراث غير المادي، العتبة العسكرية

المقدمة:

تعد المراقد والمزارات من المعالم التراثية المهمة في العالم الإسلامي، وقد حظيت عبر الزمن باهتمام المجتمع لما تمثله من أماكن للسكن الروحي والسلام النفسي. من بين تلك المباني التراثية، تتميز مراقد الأئمة المعصومين عليهم السلام في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء في العراق وفي مشهد في إيران بعمارتها الفريدة. عمارة العتبات المقدسة تطورت كثيرًا عبر الأجيال وكانت تتشكل على وفق ركيزتين: الأولى البعد الروحي والثانية الجانب الوظيفي. إضافة الفضاءات وتطوير الخدمات المقدمة للزائرين يمكن أن تُعد أهم ميزات التطوير في الجانب الوظيفي وفي نفس الوقت كان هناك تقيد كبير بالأبعاد الروحية التي ترتكز عليها فلسفة الزيارة لهذه الأماكن المقدسة.

يحمل التراث العمراني المادي الذي ورثته البشرية بكافة أنواعه العديد من الخصائص الفريدة التي تمثل بالفعل كنزًا بشريًا ينبغي الحفاظ عليه. تنامى اهتمام المنظمات الدولية بالحفاظ على هذا التراث على نحو متسارع في النصف الثاني من القرن الماضي وفي مقدمتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو). وضعت المنظمة المذكورة اتفاقية ١٩٧٢ لحفظ التراث المادي بنوعيه الثقافي والطبيعي[١] بإمضاء الدول الأعضاء فيها، ليثمر ذلك لاحقًا عن لائحة التراث العالمي. وقد تسابقت البلدان فيما بينها لإدراج المواقع التراثية فيها على تلك اللائحة من أجل الحفاظ عليها وعلى القيمة العالمية الاستثنائية التي تمتلكها. تنص الاتفاقية على إن أي ممتلك له قيمة استثنائية عالمية يمكن إدراجه على اللائحة العالمية ليبقى شاهدًا ثقافيًا للأجيال القادمة. ويتحقق ذلك عبر توفر سمات في هذا الممتلك تدل على وجود واحد أو أكثر من ستة معايير نصت عليها المبادئ التوجيهية لتنفيذ

(١) اليونسكو، «اتفاقية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي»، ١٩٧٢.

الاتفاقية[١]. المعيار السادس من هذه المعايير ينص على إن القيمة الاستثنائية العالمية يمكن أن تقترن على نحو مباشر أو ملموس بأحداث أو تقاليد حية، أو بأفكار، أو بمعتقدات، أو بمصنفات أدبية أو فنية ذات أهمية عالمية بارزة. ولكن من جهة أخرى، أُشير إلى إن هذا المعيار لوحده لا يكفي كإثبات لاستثنائية المعلم التراثي ولابد من توفر معايير أخر فيه.

بمرور السنوات تحول اهتمام المختصين بالتراث نحو القيم الدفينة فيه، وقد أثمرت العديد من الكتابات إلى وضع اتفاقية اليونسكو لعام ٢٠٠٣ لحفظ التراث الثقافي غير المادي[٢]. التراث الثقافي غير المادي أو كما يطلق عليه التراث الحي يتألف من التقاليد الشفوية والفنون الأدائية والممارسات الاجتماعية والطقوس والشعائر والمناسبات الاحتفالية والمعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون والمعارف والمهارات المتعلقة بالفنون الحرفية[٣]. وتأتي أهمية التراث الحي من كونه ينمي لدى الجماعات والأفراد الإحساس بالهوية والشعور بالاستمرارية. هذا إلى جانب دوره في تعزيز التماسك الاجتماعي واحترام التنوع الثقافي والإبداع البشري، وكذلك تعزيز قدرة الجماعات على بناء مجتمعات مرنة وسلمية وشاملة للجميع[٤].

لا يمكن الاهتمام بالتراث الحي من دون الحفاظ على روح المكان فالكثير من ممارسات هذا النوع من القيم المتوارثة عبر الأجيال ترتبط بأماكن محددة، كما هو الحال في المراقد حيث تُمارس طقوس مختلفة

(١) اليونسكو، «المبادئ التوجيهية لتنفيذ اتفاقية التراث العالمي»، ١٩٧٢.

(٢) اليونسكو، «اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي»، ٢٠٠٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) اليونسكو، «التراث الحي والتعليم»، ٢٠١٩.

فيها خلال الزيارة. يذكر الدكتور منير بوشناقي بأن التراث الثقافي غير المادي هو الإطار الأكبر للتراث حيث تأخذ منه المباني التراثية الشكل والأهمية[١]. في هذا السياق يأتي إعلان منظمة الإيكوموس للحفاظ على روح المكان عام ٢٠٠٨ كوثيقة عالمية مهمة تستكشف الترابط الوثيق بين التراثين المادي وغير المادي، والإيكوموس تُعد المستشار الرئيس لليونسكو في مجال التراث الثقافي المادي. يعرِّف إعلان الإيكوموس روح المكان بأنه يتمثل في العناصر المادية والروحية التي تعطي المعنى والقيمة والعاطفة والغموض للمكان[٢].

البحث الحالي يهدف إلى استكشاف المرتكزات الأساسية لعمارة العتبة العسكرية المقدسة للتوصل إلى الترابط بين القيم المتوارثة المتمثلة بآداب الزيارة والمعالم العمرانية للعتبة. بقاء تلك القيم من شأنه أن يساهم في أن تحافظ مشاريع إعمار العتبة والمناطق المحيطة بها على روح المكان.

مراحل بناء العتبة العسكرية والمعاني الروحية لها

تتشابه المباني المتوارثة عبر الأجيال في بعض العناصر المعمارية وتختلف في عناصر أخر، ويأتي هذا الاختلاف أحيانًا بسبب التنوع في الوظيفة لكل من هذه المباني. وفي العمارة الدينية كالمساجد والمراقد تتميز تلك المباني بالأسس التي بنيت عليها ففي المسجد هناك المحراب والمنبر والمئذنة وتلك المفردات فرضتها وظيفة المسجد في حياة المسلمين فهو مع كونه موضع أداء صلاة الجمعة والجماعة كان مركزاً للحكومة والقيادة. أما المراقد فتختلف مكوناتها كلياً عن المساجد فالحرم وهو الفضاء المحيط

(1) Bouchenaki, M., "The Interdependency of the Tangible and Intangible Cultural Heritage", ICOMOS 14th General Assembly and Scientific Symposium, 2003.

(٢) الإيكوموس، «إعلان كيبك للحفاظ على روح المكان»، ٢٠٠٨.

بالقبر يُعد الجزء الأهم في البناء لكون المقصود الأول للزوار هو زيارة القبر ويضاف عادة مسجد وأروقة لأداء الصلاة وقراءة القرآن. هذان المكونان الرئيسيان لأي عتبة: الحرم والمصلى كيف بنيا؟ وكيف تطور بناءهما عبر العصور المتعاقبة؟ وهل لمراحل تطورهما علاقة بنصوص الزيارة المأثورة؟ هذه الأسئلة ستُناقش إجابتها بتتبع مراحل بناء العتبة العسكرية المقدسة مع مراجعة لنصوص وآداب الزيارة لاحقاً.

١- فضاء الحرم :

بعد شهادة الإمام علي الهاديعليه السلام ومن بعده الإمام الحسن العسكريعليه السلام في عام ٢٦٠ هجري (٨٧٤ ميلادي) دُفنا في نفس الدار التي سكنا فيها في محلة عسكر في مدينة سامراء وكان الإمام الهاديعليه السلام قد اشتراها من دليل بن يعقوب النصراني لتتحول بعد ذلك إلى مزار لهماعليهما السلام[١].

ونُصب على حائط الدار شباك مشرف على الشارع ليزور الناس من وراء الشباك ولا يدخلون إلى البيت وقد ورد ذكر ذلك مع النصوص الأولى للزيارة حيث قيل: إن وصلت إلى قبرهما فقل كذا وكذا وإلا اومأت بالسلام من عند الباب الذي على شارع الشباك[٢].

يتبين إذن بأن فضاء الحرم المسقف بقبة كان المرحلة البنائية الأولى للعتبة العسكرية كما هو الحال في جميع العتبات المقدسة ويمكن ملاحظة ذلك في مباني المراقد التي تطور بناؤها عبر التاريخ ولم تتعرض للهدم والبناء كما في الحرم الرضوي الشريف، حيث وُثقت تواريخ البناء على جدرانه المباركة. وقد يتصور البعض إن الباعث لإنشاء البناء فوق القبر هو أغراض وظيفية بحتة كتوفير الظل والراحة

(١) المحلاتي، الشيخ ذبيح الله، «مآثر الكبراء في تاريخ سامراء ج١»، جابخانة سبهر تهران، ١٩٤٩.

(٢) القمي، ابن قولويه، «كامل الزيارة»، دار المرتضى، ٢٠٠٨.

للزوار أو لتمييز المرقد كمعلم واضح لهم من خلال القبة المرتفعة، ولكن هناك شأن روحي آخر يتبين من خلال التأمل في أدب الاستئذان الوارد في آداب الزيارة.

جاء في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام المروية عن الشيخ المفيد المتوفى عام ٤١٠ هجري (١٠١٩ ميلادي) وغيره من العلماء إن الزائر يقف على باب القبة ويقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد إن محمداً عبده ورسوله ...حتى يقول أأدخل يا مولاي أأدخل يا أمير المؤمنين ...إلى نهاية الاستئذان»[١]. ووردت عبارات مشابهة في الاستئذان لزيارة الإمام الحسين عليه السلام يرددها الزائر عند وقوفه على باب الحائر الحسيني قبل دخوله وتشرفه بالزيارة.

وذكر الشيخ الكفعمي العاملي المتوفى عام ٩٠٥ هجري (١٥٠٠ ميلادي) استئذاناً لدخول مسجد النبي صلى الله عليه وآله أو أحد مشاهد الأئمة عليهم السلام يُقرأ على أبوابها جاء فيه: «اللهم إني وقفت على باب من أبواب بيوت نبيك صلواتك عليه وآله وقد منعت الناس أن يدخلوا إلا بإذنه فقلت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم. اللهم إني أعتقد حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبته كما أعتقدها في حضرته وأعلم أن رسولك وخلفاءك عليهم السلام أحياء عندك يرزقون يرون مقامي ويسمعون كلامي ويردون سلامي وأنك حجبت عن سمعي كلامهم وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم ...إلى نهاية الاستئذان»[٢].

عبارات الاستئذان المختلفة تدل بوضوح لا يقبل التأويل على إن زيارة العتبات المقدسة هي حضور حقيقي للزائر بين يدي من يزوره من الأنبياء والأئمة والصالحين عليهم السلام فطلب الإذن بالدخول لا يتم إلا من الأحياء إذ لا معنى لأن يقف الزائر ويكلم من لا يسمعه. واعتقاد الزائر بحياة المزور يجري على لسانه قبل أن يدخل

(١) القمي، الشيخ عباس، «مفاتيح الجنان»، الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٨.

(٢) المصدر نفسه.

الحرم عندما يشهد بأن الرسول صلى الله عليه وآله وخلفاءه عليهم السلام يرونه ويسمعونه بل ويردون سلامه كذلك، غير إن هناك حجابًا بين العالمين عالم الحياة وعالم ما بعد الموت يمنع من سماع الجواب.

مداخل الحرم والجهات المحيطة به:

يدفن المسلمون موتاهم باتجاه متعامد مع جهة القبلة بأن يوضع الميت على جانبه الأيمن موجهاً وجهه إلى القبلة، لذلك أعطت هذه الكيفية للزائر اعتبارات مختلفة للمكان في الاتجاهات الأربعة لفضاء الحرم. الشكل (١) يبين مخططاً قديماً لحرم الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام موضحاً عليه الاتجاهات الأربعة، فالجهة الغربية للضريح تمثل الرأس الشريف والجنوبية منه الوجه وشرق الضريح القدمين لتكون الجهة الشمالية الخلف أو الظهر بالنسبة للضريح. ولابد من الإشارة إلى إن العتبة العسكرية المقدسة التي نتطرق لها في الدراسة الحالية تقع إلى الشمال أو شمال الشرق قليلًا من مكة المكرمة، لذلك يمثل اتجاه القبلة بالنسبة لها بصورة عامة الجهة الجنوبية. أثر هذا الاختلاف في التعريف المكاني للجهات الأربع لفضاء الحرم على نحو كبير على مداخل الحرم وبالتالي على حركة الزائر خلال دخوله إليه وخروجه منه، وقد ارتبط ذلك بآداب الزيارة وماورد من نصوص لها كما سيتبين في السطور اللاحقة.

في البدء ينبغي تتبع تطور عمارة المداخل لفضاء الحرم للعتبة المقدسة ومحاولة إيجاد العلاقة بين التسلسل التاريخي لها والنصوص الواردة في العبارات التي تقرأ عند الزيارة والآداب المرتبطة بها. كانت أغلب العتبات المقدسة في بادئ أمرها خافية عن عامة الناس بسبب الظروف السياسية آنذاك لذلك كانت الزيارة تتم بصورة غير مباشرة في حينها. ففي إحدى الروايات المروية عن الرضا عليه السلام إنه قال صلوا في المساجد حوله يقصد قبر أبيه الكاظم عليه السلام وفي أخرى عندما قال سائله إن خفت ولم

يمكن لي الدخول داخلاً أجابه عليه السلام سلم من وراء الجدران. وهكذا كان شأن عتبة الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام في سامراء حتى جُعل لها شباك إلى الخارج فكان الزوار يسلمون على الإمامين عليهما السلام من وراءه أو كانوا يزورونهما من مسجد مجاور للدار وهذا المسجد كان الإمامان يصليان فيه عليهما السلام. بمرور الأيام تمكن الموالون من هدم الدار وشيدوا في موضعه القبة والحرم والرواق والإيوان فأصبح المسجد داخل الحرم الشريف والمشهور إن الإيوان المستطيل المتصل بالرواق خلف العسكريين عليهما السلام هو المسجد المذكور[١].

كان ناصر الدولة الحمداني أول من بنى قبة على المرقدين الشريفين عام ٣٣٣ هجري (٩٤٥ ميلادي) وتعرضت تلك العمارة إلى عدة أطوار من البناء والخراب بسبب عدة حرائق تعرض لها المبنى . ومنها الحريق الذي وقع في عام ٦٠٤ هجري (١٢٠٨ ميلادي) فأتى على الضريحين الشريفين ليقوم الخليفة العباسي الناصر لدين الله بإعادة البناء عام ٦٠٦ هجري (١٢١٠ ميلادي) ثم وقع حريق آخر للحرم عام ٦٤٠ هجري (١٢٤٢ ميلادي) فبادر الخليفة العباسي المستنصر بالله إلى عمارته وأعاده إلى أجمل حالاته .

أعاد السلطان حسن الجلائري بناء القبة والمآذن وعمل البهو لها في العام ٧٥٠ هجري (١٣٤٩ ميلادي) وفي ذلك أول إشارة إلى وجود مدخل رئيسي للحرم يفضي بالزوار إلى البهو ومنه إلى فضاء القبة[٢]. تعرضت هذه العمارة إلى حريق أيضاً في العام ١١٠٦ هجري (١٦٩٥ ميلادي) فأمر الشاه حسين الصفوي بترميم المبنى وتدعيم أركانه. وفي العام ١٢٠٠ هجري (١٧٨٦ ميلادي) تطور عمران العتبة بشكل كبير على يد الأمير أحمد خان الدنبلي وهو من ملوك آذربيجان حيث قام بتوسيع ساحة

(١) القمي، الشيخ عباس، «مفاتيح الجنان»، الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٨.

(٢) الخليلي، جعفر، «موسوعة العتبات المقدسة ج١٢»، الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٧.

الحرم والرواق والبهو والصحن. والبهو المبني في جهة القبلة المكون من الإيوان والطارمة كان مكشوفاً كما يظهر ذلك الشكل (٢) ورُفع فوقه سقف الطارمة في وقت لاحق على نفقة الشيخ عبد الواحد أحد شيوخ الفرات الأوسط[١].

قُتل أحمد خان الدنبلي خلال الحروب مع كريم خان زند أحد أمراء قبائل الزند وقد قام ولده حسين قلي خان بإكمال العمارة التي بدأها والده فأضاف عليها بناء الجامع الذي فوق سرداب الغيبة وسماه مسجد الصاحب وقد عمر السرداب أيضاً فغير مدخل السرداب الذي كان من داخل الحرم وجعله من الجهة الشمالية من داخل الجامع الذي جعل له رواقاً وصحناً[٢].

وفي العام ١٢٨٢ هجري (١٨٦٥ ميلادي) أرسل ناصر الدين شاه القاجاري الشيخ عبد الحسين الطهراني للإشراف على أعمال ترميم البناء وتذهيب القبة الشريفة وقد كان الصحن الرئيسي حينها من ثلاث جهات فقط وهناك صحن خلف الحرم منفصل عنه بباب كما يبين ذلك الشكل (٣). وبعد ذلك استمرت أعمال الترميم والتزيين للعتبة الشريفة ومنها تذهيب المآذن كما يلاحظ في الشكلين (٤) و(٥) وتوسيع الصحن ليكون صحناً واحداً من الجهات الأربع للحرم. وفي التسعينات من القرن الماضي أضيفت طارمة ومدخل من الجهة الغربية خلافاً لما كان متعارفاً في عمارة العتبات المقدسة كما يظهر في الشكل (٦). ويوضح الشكل (٧) العمارة الأخيرة للحرم قبل إضافة الطارمة الغربية حيث الجانبين الشمالي والغربي للحرم المقدس لا يوجد فيهما أي باب أو مدخل فضلاً عن وجود طارمة.

(١) المحلاتي، الشيخ ذبيح الله، «مآثر الكبراء في تاريخ سامراء ج١»، جابخانة سبهر تهران، ١٩٤٩.

(٢) المصدر نفسه.

٢- المسجد أو المصلى:

كان فضاء المسجد أو المصلى من اوائل المباني التي أضيفت على العتبات المقدسة لكون الصلاة وقراءة القرآن من الفعاليات الرئيسة للزائر. في حرم أمير المؤمنين علي عليه السلام وحرم الحسين عليه السلام بنى عمران بن شاهين مسجداً ورواقاً في عام ٣٦٨ هجري (٩٧٩ ميلادي) ولازالت بعض آثارهما باقية إلى اليوم وتلك الآثار تدل على اختيار الفضاء خلف الضريح لبناء المسجد آنذاك في العتبتين المقدستين كما هو ظاهر في الشكلين (٨) و(٩) . كان مسجد عمران بن شاهين في حرم الإمام علي عليه السلام متصلاً بالحرم المقدس وقد فصل عنه بسبب تشييد الصحن الشريف من قبل الشاه عباس الصفوي[١] لذلك قد يكون هذا المسجد هو الذي دخله ابن بطوطة ووصفه في رحلته الشهيرة . وقد بني في المدة نفسها (أي أواخر القرن العاشر الهجري) صحن أيضاً في الجهة الشمالية لحرم الحسين عليه السلام[٢] ولكن يبدو إنه أبقى على المسجد .

ومما ذكر في التاريخ عن مسجد عمران بجوار الحسين عليه السلام هو تهديم الجدار بينه وبين الحرم الشريف عام ١٢١٣ هجري (١٧٩٨ ميلادي) على يد السيد محمد مهدي الشهرستاني رغم معارضة الحاكم التركي آنذاك مراد بك[٣]. اتفقت كلمة الأهالي على ذلك بسبب ضيق الحرم و وقع نزاع بين سكان حيين في كربلاء قد يكون مصطنعاً فأغلقت أبواب الحرم والصحن لعدة أيام وشرع العمال بهدم الجدار ليفتح بعدها الحرم فيرى الجميع بمن فيهم الحاكم التركي إنهم أمام أمر واقع فأذعنوا لذلك.

في القرن الثامن الهجري أضيف إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام مسجد آخر عند

---

(١) الكليدار، عبد الجواد، «تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام»، المطبعة الحيدرية، ١٩٦٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

رأسه الشريف ليكون أكبر المساجد الملحقة بالحرم[١] بعد اضمحلال مسجد عمران بن شاهين عند فتح الصحن الشمالي.

من أهم المباني التي أضيفت إلى مشهد الكاظمين عليهما السلام عند تجديد عمارته في أوائل القرن العاشر الهجري هو الجامع المعروف بالجامع الصفوي في شمال الحرم ويظهر تحت القبة المزينة بالقاشاني وخلف القبتين المنورتين للإمامين عليهما السلام في الشكل (١٠).

لا يوجد في مراحل تطور عمارة العسكريين عليهما السلام أي ذكر لإضافة مسجد وقد يعود ذلك إلى إن أول عمارة أقيمت مكان الدار التي كان يسكنها الإمامين عليهما السلام بعد هدمها لغرض التوسعة شملت المسجد الذي يقع إلى جوارها وذُكر سابقاً إن موقع هذا المسجد حالياً في الإيوان المستطيل المتصل بالرواق خلف قبري الإمامين العسكريين عليهما السلام. وفي تاريخ لاحق أضيف الصحن الصغير خلف هذا المكان لإيجاد مكان أكبر لأداء الصلاة كما يبين ذلك الشكل (٣).

مرتكزات عمارة العتبات المقدسة

من المراجعة التاريخية الموجزة لتاريخ عمارة العتبة العسكرية المقدسة يمكن تلخيص المرتكزات التي قامت عليها تلك العمارة بالنقاط الآتية التي سيجري بحث فلسفتها بالمقارنة مع نصوص الزيارة وآدابها في الفقرات القادمة :

- تتكون العتبات المقدسة من: فضاء الحرم أو الروضة و المسجد والأروقة والصحون .
- المدخل الرئيس للعتبة العسكرية أنشيء من الجهة الجنوبية وبقي على نفس الحال مع تطور العمارة.

(١) ماهر، سعاد، «مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف»، دار المعارف، ١٩٦٨.

- لا يوجد مدخل رئيسي في الجانب الغربي أو جهة الرأس الشريف للعتبة المقدسة. وإن وجد الباب لاحقًا فهو أما للخروج أو للانتقال إلى فضاء المسجد في هذا الجانب .

- توجد أبواب ومداخل في الجهات الأخرى من العتبة المقدسة ولكنها عادة تكون صغيرة ومظهرها يوحي بكونها ثانوية وأغلبها لا يقع على محور مستقيم مع الضريح الشريف وقد تكون مثل هذه المداخل أنشئت لتخفيف الزحام أو للخروج من الحرم.

- المسجد أو المصلى تم تشييده خلف الضريح أو في جهة الرأس الشريف.

المراقد والعلاقة بين الأحياء والأموات:

يتصور البعض إن القبر لا تتعدى قيمته ما عليه من أحجار ولكن الثقافة الإسلامية أسست لمفهوم معاكس عن الموت فما بعد الموت حياة أخرى والموتى لا تنقطع علاقتهم مع الأحياء بمجرد الوفاة. نقلت كتب السيرة النبوية إن النبي الأكرمﷺ قد أسس لهذا الاعتقاد عندما خاطب القتلى من مشركي قريش بعد معركة بدر منادياً إياهم بأسمائهم: «يا أهل القليب يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة و يا أُميّة بن خلف و يا أبا جهل ـ وهكذا عدّد من كان منهم في القليب ـ هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً فإنّي وجدت ما وعدني ربّي حقّاً ؟». فقال له بعض أصحابه: «يا رسول الله أتنادي قوماً موتى؟». فقالﷺ: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبوني»[1].

وروي عنهﷺ نقلاً عن ابن عباس (رض) إنه قال: «من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيدًا أو قال شفيعًا «. وأخرج هذا الحديث كل من الحافظ أبو جعفر العقيلي المتوفى عام

(١) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، «السيرة النبوية»، دار الفيحاء بالتعاون مع دار المنهل، ٢٠١٦.

٣٢٢ هجري (٩٣٤ ميلادي) في كتاب (الضعفاء) في ترجمة فضالة بن سعيد المازني والحافظ بن عساكر المتوفى عام ٥٧١ (١١٧٦ ميلادي) في كتابه (شفاء السقام)[١]. المتأمل في الرواية الشريفة يجد أن النبي الأكرمﷺ يؤكد على الارتباط المكاني بينه وبين المسلمين بعد وفاته صلوات الله عليه وآله فلا يكتفي بقول من زارني بل زاد عليه حتى ينتهي إلى قبري أي إن زيارة قبره الشريفﷺ بمثابة الحضور عنده في حياته.

من هذا يمكن التوصل إلى إن المرقد في الفكر الإسلامي هو الأثر الدنيوي لوجود الميت بعد وفاته ومشاهد الأولياء والصالحين هي بمثابة موضع الارتباط المكاني بينهم وبين زوارهم وبناءً على ذلك كانت القبور على الدوام مركزًا لأي عمارة تقام عليها لتستمد تلك العمارة الحرمة والقدسية من حرمة من دفن فيها. تلك الحرمة كانت الأساس لوضع ممارسات متوارثة عبر الأجيال يُطلق عليها آداب الزيارة.

آداب الزيارة:

أكد المسلمون في العصور الإسلامية السالفة ترسيخ الشعور بالحضور المادي عند زيارة قبور النبيﷺ والأئمة من ولدهعليهم السلام والشهداء والأولياء من الصحابة والتابعين (رض) من خلال وضع آداب يتقيدون بها عند أدائهم الزيارة وستُستعرض هنا نصوصاً تاريخية في هذا السياق .

نقل القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المتوفى سنة ٥٤٤ هجري (١١٤٩ ميلادي) في كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) المناظرة التي جرت بين أبي جعفر المنصور والإمام مالك فقال: حدّثنا ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر ـ يعني المنصور ـ مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإنّ الله تعالى أدّب قوماً فقال: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيّ﴾ (الحجرات:٢) ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ الّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ

(١) الجلالي، محمد حسين، «مزارات أهل البيت وتاريخها»، www.14masom.com.

عِنْدَ رَسُولِ الله أُولئِكَ الَّذينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى﴾ (الحجرات:٣) وذم قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ (الحجرات:٤)، ثمّ أضاف الإمام مالك: وإنّ حرمته ميّتاً كحرمته حيّاً. فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال مالك: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفّعه الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ (النساء:٦٤)[١].

ذكر الشيخ محمد بن مكي العاملي الملقب بالشهيد الأول المتوفى سنة ٧٨٦ هجري (١٣٨٤ ميلادي) في كتابه (الدروس الشرعية في فقه الإمامية) مجموعة من الآداب تؤدى في زيارة النبي صلى الله عليه وآله وفي سائر المراقد المقدسة ومنها الغسل والمجيء إلى المرقد بخضوع وخشوع في ثياب طاهرة نظيفة والوقوف على بابه والاستئذان بالمأثور واستقبال وجه المزور واستدبار القبلة حال الزيارة والزيارة بالمأثور و ذكر إن السلام يكفي في الزيارة. كذلك من الآداب صلاة ركعتين عند الفراغ وتلاوة شيء من القرآن عند الضريح وإهداؤه إلى المزور[٢].

دوَّن الشيخ عبد القادر بن أحمد الفاكهي المكي المتوفى سنة ٩٨٩ هجري (١٥٨١ ميلادي) في كتابه (حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل) أربعة وتسعين مورداً من آداب الزيارة منها الغسل والتطيب ولبس الثياب النظيفة وأن يقف عند إرادة الدخول وقفة يسيرة كالمستأذن وأن يكون حال دخوله لابساً ثوب الخشوع والسكينة والخضوع والتعظيم وإذا أراد السلام فليسلم بصوت مقتصد وأن يتلذذ بالخطاب في مقام السلام مستحضراً إن إطالة الخطاب مع الأحباب تلذذاً من

(١) السبحاني، الشيخ جعفر، «الوهابية بين المباني الفكرية والنتائج العملية»، www.imam-sadeq.org .

(٢) مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، «موسوعة زيارات المعصومين»، www.mah10.org.

مقاصد أولي الألباب[٢]. وقد أكد الشيخ الفاكهي على إحساس الزائر بالحضور عند حي بقوله: «ملاحظًا -أي الزائر- إنه صلى الله عليه وسلم حي كسائر الأنبياء في قبره يراه ويجب له من الاحترام ماله قبل الموت ومنه عدم رفع الصوت بحضرته». حدد الشيخ أيضًا مكان الزيارة بقوله: «أن يتوجه بعد التحية ونية الزيارة مستعينًا بالله متضرعًا إليه مع رعاية الأدب ويكون توجهه إليه على ما عليه العمل وصرح به المحقق ابن الهمام وبعض الأئمة الأعلام من جهة القبلة وقال شيخنا أبو الحسن البكري يأتي القبر الشريف من جهة أرجل الصحابة لأنه أبلغ في الأدب من إتيانه من جهة الرأس». في هذه العبارات إشارة واضحة إلى ضرورة التأدب بآداب الزيارة كالدخول من الجهة الشرقية -القدمين- حيث أشار الشيخ الفاكهي إلى ذلك بأن الأدب الثامن والخمسون هو الدخول من باب جبريل والذي يقع في جدار المسجد الشرقي. ولا بد من الإشارة هنا إلى إن كون الجهة الشرقية هي المدخل الرئيس للحرم مختصة بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وابن عمه أمير المؤمنين عليه السلام.

بالرغم من إن هذه الآداب تهدف إلى حفظ حرمة المراقد والأضرحة وتعظيم شأن من دُفن فيها إلا أنها تستبطن تهيئة الزائر روحياً للوقوف بين يدي المزور ومخاطبته بإحساسه الوجداني قبل لسانه لذلك وضع المعمار كل فنه في بناء العتبات للمساهمة في تعزيز هذا الترقي المعنوي للزائر عند حضوره في تلك المواضع المباركة .

تأثير نصوص الزيارة وآدابها في عمارة العتبة العسكرية المقدسة:

الفقرة الحالية تحاول إيجاد العلاقة بين المرتكزات التي قامت عليها عمارة العتبة العسكرية المقدسة ونصوص الزيارة المأثورة وآدابها. نصوص الزيارات بعضها تسمى مخصوصة أي يقرأ عباراتها الزائر عند المزور في أوقات مخصوصة من السنة كزيارة الأربعين للحسين عليه السلام وزيارة الغدير لأمير المؤمنين عليه السلام وبعضها تسمى مطلقة وهي التي تقرأ في سائر الأوقات الأخرى لذلك تنوعت العبارات والمعاني التي تنطوي

عليها تلك الزيارات باختلاف المزور ووقت الزيارة.

مع ذلك جميع الزيارات تشترك في كونها تحوي على خطاب مع المزور والجزء الأساسي فيه هو السلام وهذا الخطاب على نوعين: مباشر كما في قول السلام عليك يا ... وغير مباشر كقول السلام على ... والسلام لا تخلو منه زيارة من الزيارات . في الزيارة آداب عديدة كما مر ذكره سابقاً ومنها ما يتصل بحركة الزائر خلال الزيارة فيربط بين عبارات الزيارة وأماكن ترديدها فمثلاً ورد في بعض زيارات الأئمة عليهم السلام: إذا تراءت لك القبة من بعيد فقل كذا وإن وقفت على باب القبة فقل كذا وغير ذلك .

عند مراجعة نصوص الزيارات المعروفة يلاحظ المتأمل إن الجزء الرئيسي في جميع زيارات الأئمة المعصومين عليهم السلام هو الخطاب المباشر ولا يُقرأ هذا الخطاب إلا في حال استقبال القبر واستدبار القبلة أي يكون الزائر واقفاً في مواجهة الإمام عليه السلام أو مما يلي الرأس الشريف أي في الزاوية الجنوبية الغربية لفضاء الحرم . أما باقي عبارات الزيارة فبعضها خطاب غير مباشر وبعضها طلب شفاعة الإمام عليه السلام في قضاء الحاجة وفي موارد أخرى الدعاء للإمام عليه السلام والصلاة عليه والدعاء للنفس ولسائر المؤمنين. تلك العبارات تُقرأ في أماكن مختلفة فالخطاب غير المباشر يُقرأ في سائر الجهات عدا الوجه الشريف وأغلب عبارات الدعاء وطلب شفاعة الإمام عليه السلام في قضاء الحاجات تُقرأ عند رأس الإمام عليه السلام مع التوجه إلى القبلة. ويكون هناك تسلسل في تلك المعاني خلال الزيارة يمكن إيجازه على نحو الإجمال بالمراحل الآتية: شكر الله تعالى على التوفيق للزيارة – الاستئذان – السلام والخطاب المباشر– طلب الشفاعة في قضاء الحاجة – الدعاء للإمام عليه السلام والصلاة عليه .

أما تسلسل أماكن الوقوف وقراءة نصوص الزيارة المشتملة على المعاني المتقدمة فهي كالآتي: الوقوف عند المدخل – الوقوف على باب القبة – مواجهة القبر واستدبار القبلة – الوقوف عند الرأس الشريف. إن الحضور عند المزور قد

حصل بمجرد الوصول إلى الحرم ولكن لترسيخ الإحساس بحياة الإمام عليه السلام جُعل الخطاب بصيغ متنوعة فابتداءً بعد الاستئذان يُوجه مباشرة للإمام عليه السلام ملتذاً بالحديث مع المحبوب واستذكار منزلته الرفيعة عند الله تعالى ومآثره في نصرة الدين الحنيف. لينتقل بعد ذلك الزائر إلى جهة الرأس والرأس أشرف ما في البدن فيكون الزائر قد وصل إلى مقامات القرب والمناجاة فيطلب من بركات شفاعته في قضاء الحاجات ويدعو للإمام عليه السلام ولنفسه ولسائر المؤمنين.

من وجهة نظر علماء البلاغة تتدرج مستويات الخطاب من المباشر إلى غير المباشر إلى غير المعروف وهي درجات على سلم الحضور ففي الأول تتوافر شروط التواصل الكامل مع المخاطب باستخدام أدوات تحدد توجيه الخطاب إلى أحد بعينه كضمير كاف المخاطب. وأما المستوى الثاني فلا يحتوي على مثل هذه الأدوات إنما يُفهم من سياق الخطاب وجهته بينما في المستوى الثالث يكون تحديد المخاطب غير مهم بالنسبة للمتكلم كتوجيه الخطاب لجميع الناس أو لشريحة معينة[١].

وقد أشكل بعض المسلمين في الوقت الحاضر على صيغة السلام على النبي صلى الله عليه وآله في الصلاة الواجبة بعد وفاته صلوات الله عليه وآله من إنها يجب أن تكون من باب نداء الغائب بصيغة «السلام على النبي ورحمة الله وبركاته» بدلاً من «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته». وقد أجابت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية على هذا الإشكال بقولهم إن الصحيح أن يقول المصلي «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» لكون هذه الصيغة ثابتة في الأحاديث وقد علمها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لأمته وهو يعلم إنه سيموت[٢].

(١) السبحاني، الشيخ جعفر، «الوهابية بين المباني الفكرية والنتائج العملية»، www.imamsadeq.org .

(٢) مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، «موسوعة زيارات المعصومين»، www.mah10.org.

واستدل بعض العلماء أيضاً على الرأي المتقدم للجنة بما قال بن تيميه في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم من إن صيغة السلام المباشر على النبيﷺ هي لقوة استحضاره عليه الصلاة والسلام حين السلام عليه بحيث يتصوره المصلي كأنه أمامه(١).

وبذلك يتبين أهمية الخطاب المباشر وعباراته لشعور الزائر بالحضور عند المزور لا سيما مع الوقوف في جهة بعينها لترديد ذلك الخطاب والإحساس بالفارق فيما بين الوجه الشريف وما ينبغي أن يقال أمامه وما بين الجهات الأخرى. ولم تكن تلك المفاهيم لقيمة المكان بالنسبة للجهات الأربع عند القبر الشريف وليدة العصور المتأخرة أو مستوردة من ثقافات أخرى بل هي متأصلة كأصالة عقيدة المسلمين في زيارة النبيﷺ والائمةعليهم السلام ففي الرواية التي تقدم ذكرها عن سؤال المنصور العباسي للإمام مالك عن الجهة التي يتوجه إليها دلالة على إن الخليفة العباسي كان يقف عند الجهة القبلية لقبر النبيﷺ. هذا الموقف لا يمكنه من جمع الأمرين فأما التوجه نحو القبر الشريف والحديث مع من دُفن فيهﷺ أو الاستدارة باتجاه القبلة وكان جواب مالك له كما مر لا يقبل التأويل بل يستبطن الاستنكار للتفكير بصرف الوجه عن قبر الرسول الكريمﷺ.

تنتهي فعاليات الزيارة عادة بأداء صلاة الزيارة وتلاوة شيء من القرآن الكريم وإهداؤهما إلى المزور وقد ورد في آداب الزيارة فعل ذلك عند الرأس الشريف أو خلف القبر(٢). لذلك كانت المساجد والأروقة المخصصة للصلاة قد أضيفت للعتبات المقدسة في الجهتين الغربية والشمالية من الروضات المنورة. أما الأروقة والأواوين التي يقف فيها الزائر لقراءة نصوص الزيارة فقد بنيت في الجهتين الشرقية والجنوبية

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب على الانترنت
. http://www.islam-qa.com/ar/ref/34535

(٢) القمي، الشيخ عباس، «مفاتيح الجنان»، الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٨.

مع تمييز أبواب الدخول عن أبواب الخروج (أو كما كانت تسمى أبواب الوداع) أو تلك التي يخرج منها الزائر إلى المسجد (أو رواق الصلاة) باستخدام بوابات مختلفة من حيث الحجم أو النوعية مع تنويع أساليب التزيين على نحو متفاوت للإيحاء بأهمية كل باب.

المضمون الاعتقادي لزيارة العتبات المقدسة هو تجديد عهد وولاء مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام وقيادتهم مستمرة للأمة لم تنته بوفاتهم صلوات الله عليهم أجمعين بل استمرت من خلال حضور المسلمين في مشاهدهم الشريفة. ويدل على هذا المعنى دعوة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله المسلمين بأن يشدوا الرحال إلى قبره الشريف بعد وفاته وهم بذلك كأنهم يحضرون بين يديه في حياته صلى الله عليه وآله . وبذلك تبقى الأمة مشدودة إلى قائدها صلى الله عليه وآله تشتاق للقائه بين حين وآخر لتستمد منه العزم في نشر الدعوة السمحاء التي جاء بها صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين. وهناك رواية أخرى عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أشار فيها إلى العهد بين كل إمام معصوم وشيعته وأوليائه: «إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة»[1]. بينَّ في كلامه عليه السلام بأن الوفاء بهذا العهد لا يتم إلا بزيارة قبور الأئمة عليهم السلام ولا شك إن هذا العهد هو الاتباع لعلومهم عليهم السلام من خلال الإيمان والعمل بها وتمام الوفاء يكون بالحضور في عتباتهم المقدسة عليهم السلام وزيارتها على أن يكون الباعث لتلك الزيارات التصديق بما دعوا إليه وضحوا بالغالي والنفيس من أجله.

يودع الزائر العتبات المقدسة بترديد كلمات العهد بينه وبين مشرفيها عليهم آلاف التحية والسلام: «... آمنا بالله وبرسوله وبكتابه وبما جاء به من عند الله اللهم

(١) الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، «تهذيب الأحكام»، الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥.

فاكتبنا مع الشاهدين ...». هذا العهد يكون آخر كلام يسمعه القائد من أتباعه ليحفظوه ويراعوه قولاً وفعلاً حتى يعودوا إليه تارة أخرى ويؤكدون له بأنهم على العهد باقون.

نظرة في مشاريع إعمار العتبة العسكرية:

تطورت عمارة العتبة العسكرية على نحو ملحوظ عبر الزمن وتطورت معها كذلك المدينة المحيطة بها، حتى تحول المرقد الشريف إلى مركز لها وهُجرت سامراء التاريخية كما هو واضح في الشكل (١١). كانت عمارة العتبة مطلع القرن العشرين المبينة في الشكل (٣) تحمل السمات الروحية التي تجسد آداب الزيارة فالمدخل القبلي واضح المعالم وقد زاد وضوحًا بإنشاء سقف له (طارمة)، وأنشئ أمامه صحن واسع لاستقبال الزوار. أما بقية جهات الحرم وأروقته فخالية من المداخل الواضحة مما يميز وجه المزور عليه السلام واستقباله لزواره. أماكن الصلاة أُضيفت في الجهة الشمالية أي خلف المرقد الطاهر ليكون مرتبطًا بفعاليات الزيارة ويعزز كذلك شعور الائتمام بالمزور عليه السلام. تمتاز العتبة العسكرية عن سائر العتبات الأخرى بوجود سرداب الغيبة ويعتبر من مقاصد الزيارة كذلك ويُزار عادة بعد إتمام زيارة الإمامين عليهما السلام. أنشيء مبنى خاص للسرداب كما هو موضح في الشكل (١٢) له صحن ومدخل منفصل تمامًا عن العتبة واتجاه المدخل معاكس لمدخل الحرم مما يجعل الزائر يزور السرداب بعد خروجه من جهة الشمال -الظهر- أو الغرب -الرأس- أو بعبارة أخرى بعد إكمال زيارة الإمامين عليهما السلام.

تتكون المدينة المحيطة بالمرقد من نسيج عضوي متلاصق معه من جميع الجهات كما هو الحال في مدن المراقد المقدسة سابقًا قبل فتح الشوارع فيها. الشكل (١٣) يوضح المدينة المسورة والجهة الجنوبية من المرقد المليئة بالخانات وأماكن الضيافة الخاصة بالزائرين والمباني العامة الأخرى. برزت الحاجة إلى فتح الشوارع للسيارات

في منتصف القرن العشرين لتسهيل وصول الزوار للعتبة المقدسة ويظهر الشكل (١٤) إن ثلاثة شوارع تؤدي إلى المرقد قد فُتحت بالإضافة إلى الشارع الذي يحيط به من جميع الجهات. الشوارع الثلاثة كانت بالاتجاهين الجنوبي والغربي والثالث كان يمتد شمالًا وينتهي عند سرداب الغيبة. ويُلاحظ

كذلك من الشكل الذي يمثل جزءً من المخطط الأساس للمدينة في ثمانينات القرن الماضي إن ساحة لوقوف السيارات قد استُحدثت بجوار سور المرقد الغربي.

أصبحت الجهة الغربية بمرور السنوات هي المحور الرئيس لحركة الزوار مما جعل هذه الجهة تصبح أكثر أهمية من الجهة القبلية، وجهة الرأس الشريف التي يُفترض أن تكون نهاية فعاليات الزيارة وباب الوداع للزائرين أصبحت المدخل الرئيس للحرم. هذا الأمر دعا القائمين على العتبة المقدسة إلى إنشاء طارمة وفتح أبواب كبيرة من الجهة الغربية كما أشير إلى ذلك سابقًا.

ابتدأت مرحلة إعمار جديدة في العتبة العسكرية المقدسة بعد حادث التفجير الأليم الذي وقع في مطلع القرن الحالي. أهمها كان إنشاء المصلى المسقف في الجهة الشمالية كما هو موضح في الشكلين (١٥) و(١٦) وإنشاء طارمة مناظرة من الجهة الشرقية. تحافظ هذه الإضافات إجمالًا على القيم الثقافية الروحية للمرقد الشريف ولكن بشرط مهم هو التمييز من خلال العناصر المعمارية بين الطارمة الرئيسة في الجهة القبلية عن تلك المضافة في الجهتين الشرقية والغربية. كان التمييز المعماري واضحًا في العتبة الكاظمية المقدسة حينما أُضيفت هناك أيضًا طارمة في كل من الجهتين الغربية والشرقية. رُفع سقف طارمة باب المراد فوق ٢٢ عمود من الخشب لتظليل المدخل الشرقي ليختلف عن سقف الطارمة الجنوبية التي رُفعت فوق ١٤ عمود من الخشب لتظليل المدخل الجنوبي. بالرغم من إن الطارمتين بنيتا في نفس الفترة إلا إن الطارمة الجنوبية ظلت متميزة معمارياً فهي بارتفاع أكبر من نظيرتها الشرقية وتستند إلى أعمدة

أقل كما يظهر ذلك في الشكلين (١٧) ورقم (١٨) . الأمر نفسه يمكن أن يقال عن الطارمة والمنائر المضافة في الجهة الشمالية والتي ستكون بابًا للوداع قد تسلب الأهمية الروحية مستقبلًا من الواجهة القبلية التي تمثل وجهي الإمامين عليهما السلام.

الاستنتاجات والتوصيات:

التطور العمراني للعتبات المقدسة ارتبط بنحو وثيق بالمفهوم العقائدي لزيارة قبور النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام والأولياء والصالحين من أبنائهم وأنصارهم (رض). إن الباعث الأساس لديمومة هذه العبادة لدى المسلمين عبر العصور الإسلامية المتعاقبة هو كونها تمثل التواصل بين الأمة وقادتها عليهم السلام وحتى زيارة غيرهم صلوات الله عليهم من الذين أخلصوا الصحبة لهم وأوفوا بالعهود معهم تدور بنفس المدار.

تهدف آداب الزيارة إلى تعزيز الشعور القوي بالحضور عند الحي من خلال الاستئذان أولاً والوداع آخراً وبينهما تتدرج لغة الزائر وحركته نحو القبر الشريف من البعد إلى القرب المادي والمعنوي مع انتقاء عبارات التبجيل والاحترام تشريفاً للمزور وترك الأثر في قلب الزائر من خلال الخضوع والتواضع لصاحب المقام الشريف. لذلك كان بناء الأروقة لمخاطبة المزور من المعصومين عليهم السلام في الجهتين الشرقية والجنوبية من القبور الشريفة والأروقة والمساجد للدعاء والصلاة في الجهتين الشمالية والغربية منها بينما كانت الأروقة في الجهة الشمالية في قبور غير المعصومين (رض) مخصصة للزيارة والجهة الغربية منها للصلاة والدعاء.

تُعزز مشاريع العتبة للعسكرية إجمالًا من القيم الثقافية الروحية المتمثلة بآداب الزيارة ولكن تلك القيم يهددها التناظر في العناصر المعمارية بين الأجزاء الأصيلة من المبنى وتلك المضافة لاحقًا. لذلك يوصي البحث بالمحافظة على الفوارق ليمتلك المبنى تلك السمات غير المادية التي تعزز شعور الزائر بأنه في محضر قادة أحياء يسمعون كلمات العهد منه وينتظرون منه الوفاء بها.

المصادر

(١) اليونسكو، «اتفاقية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي»، ١٩٧٢

(٢) اليونسكو، «المبادئ التوجيهية لتنفيذ اتفاقية التراث العالمي»، ١٩٧٢

(٣) اليونسكو، «اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي»، ٢٠٠٣

(٤) اليونسكو، «التراث الحي والتعليم»، ٢٠١٩

(5) Bouchenaki, M., "The Interdependency of the Tangible and Intangible Cultural Heritage", ICOMOS 14th General Assembly and Scientific Symposium, 2003.

(٦) الإيكوموس، «إعلان كيبك للحفاظ على روح المكان»، ٢٠٠٨.

(٧) المحلاتي، الشيخ ذبيح الله، «مآثر الكبراء في تاريخ سامراء ج١»، جابخانة سبهر تهران، ١٩٤٩.

(٨) القمي، ابن قولويه، «كامل الزيارة»، دار المرتضى، ٢٠٠٨.

(٩) القمي، الشيخ عباس، «مفاتيح الجنان»، الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٨.

(١٠) الخليلي، جعفر، «موسوعة العتبات المقدسة ج١٢»، الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٧.

(١١) الكليدار، عبد الجواد، «تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام»، المطبعة الحيدرية، ١٩٦٧.

(١٢) ماهر، سعاد، «مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف»، دار المعارف، ١٩٦٨.

(١٣) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، «السيرة النبوية»، دار الفيحاء بالتعاون مع دار

المنهل، ٢٠١٦.

(١٤) الجلالي، محمد حسين، «مزارات أهل البيت وتاريخها»، www.14masom.com

(١٥) السبحاني، الشيخ جعفر، «الوهابية بين المباني الفكرية والنتائج العملية»، www.imamsadeq.org

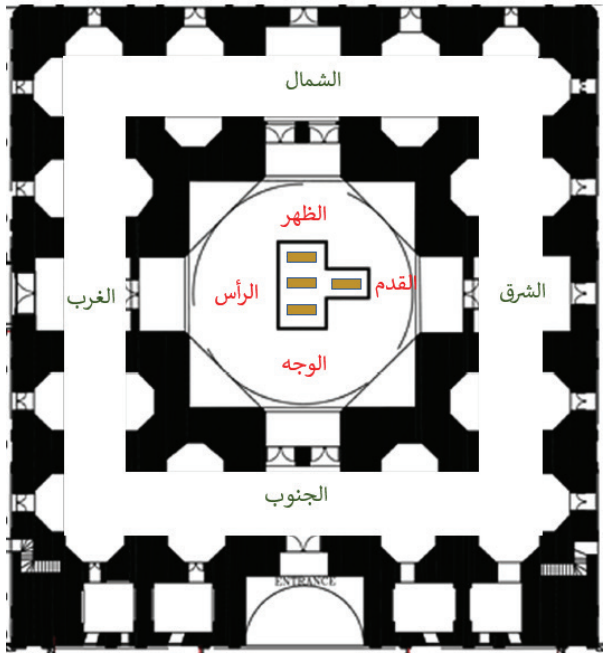
(١٦) مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، «موسوعة زيارات المعصومين»، www.mah10.org

(١٧) العجمي، فالح بن شبيب، «أسس اللغة العربية الفصحى»، جامعة الملك سعود، ٢٠٠١.

(١٨) الفتوى رقم ٦٠٣٥ من كتاب فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، دار المؤيد، ٢٠٠٤.

(١٩) موقع الإسلام سؤال وجواب على الانترنت .http://www.islam-qa.com/ar/ref/34535

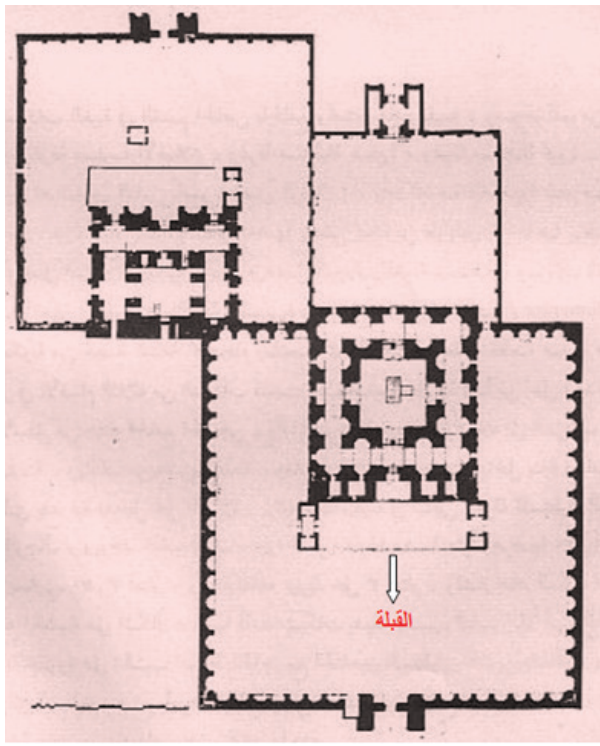
(٢٠) الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، «تهذيب الأحكام»، الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥.



شكل (١): مخطط حرم الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام يوضح الجهات الاعتبارية



شكل (٢): صورة جوية للعتبة العسكرية مطلع القرن العشرين قبل إنشاء الطارمة القبلية



شكل (٣): مخطط قديم للعتبة العسكرية يوضح الحرم ومسجد الصاحب والصحون المحيطة بهما



شكل (٤): العتبة العسكرية قبل تذهيب المآذن



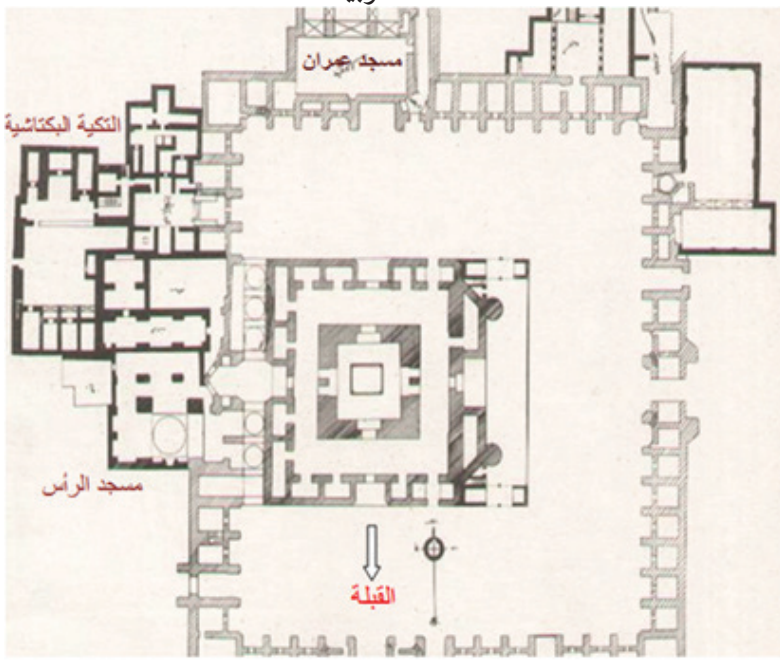
شكل (٥): العتبة العسكرية بعد تذهيب المآذن



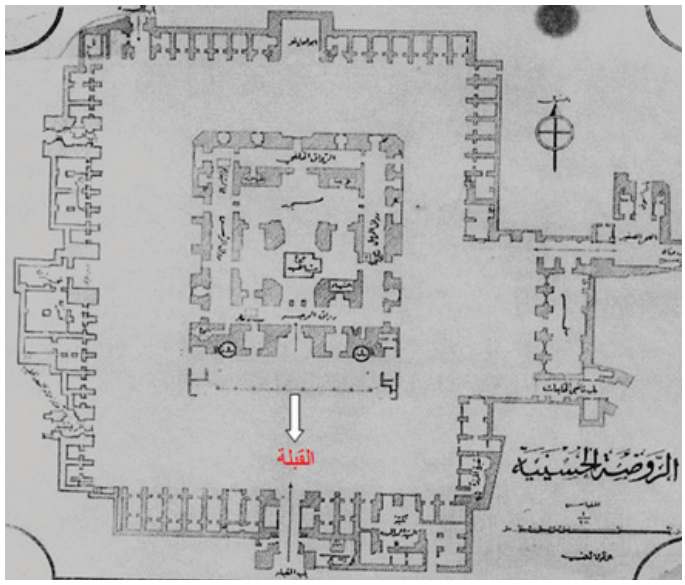
شكل (٦): العتبة العسكرية بعد إنشاء الطارمة الغربية



شكل (٧): الجهتان الغربية والشمالية للعتبة العسكرية قبل إنشاء الطارمة الغربية



شكل (٨): مخطط قديم للعتبة العلوية المقدسة



شكل (٩): مخطط قديم للعتبة الحسينية المقدسة



شكل (١٠): صورة جوية للعتبة الكاظمية المقدسة



شكل (١١): صورة جوية قديمة لمدينة سامراء مطلع القرن العشرين



شكل (١٢): صورة جوية قديمة للعتبة العسكرية مطلع القرن العشرين والأبنية المحيطة بها



شكل (١٣): صورة جوية قديمة لمدينة سامراء المسورة مطلع القرن العشرين



شكل (١٤): المخطط الأساس للمنطقة المحيطة بالعتبة العسكرية في ثمانينات القرن الماضي



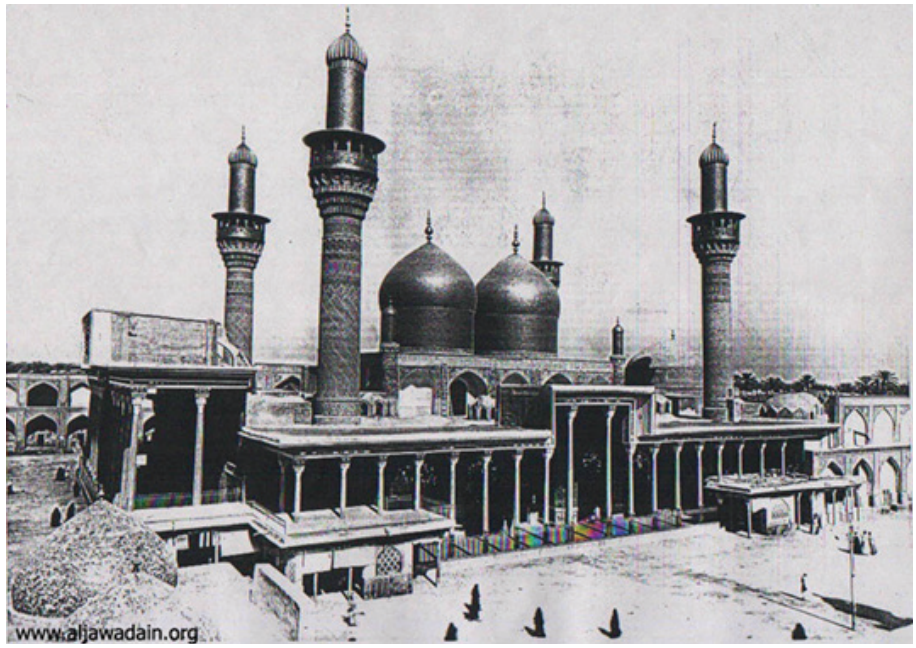
شكل (١٥): صورة جوية حديثة للعتبة العسكرية من الجهة الجنوبية



شكل (١٦): صورة جوية حديثة للعتبة العسكرية من الجهة الشمالية



شكل (١٧): صورة جوية قديمة للعتبة الكاظمية توضح الطارمة الجنوبية



شكل (١٨): صورة جوية للعتبة الكاظمية توضح الطارمة الشرقية

البحث الثاني

تحليل دور المعمارية الاستراتيجية في تحقيق الاستدامة الشاملة للعتبة العسكرية المقدسة

م.د. محمد مجيد الحمداني
م.د. حسين محمد علي كشكول
أ.م.د. فهد مغيمش الشمري
م.د. محمد نبيل الحبوبي
أ.م.د. نضال عبد الله المالكي

جامعة وارث الأنبياء/ كلية الإدارة والاقتصاد

الملخص:

هدف الدراسة: يهدف هذا البحث إلى تحليل كيفية توظيف المعمارية الاستراتيجية في تحقيق الاستدامة الشاملة للعتبة العسكرية المقدسة وكيفية تحسين تخطيط وتصميم المباني والبنية التحتية لتحقيق الأهداف البيئية والاقتصادية والاجتماعية.

أهمية الدراسة: تأتي أهمية هذا البحث من أهمية العتبة العسكرية المقدسة كموروث تاريخي وثقافي ومعماري، ومن ضرورة الحفاظ عليها وتطويرها بطريقة مستدامة. إلى جانب ذلك، يعتبر البحث أسهاماً في مجال المعمارية الاستراتيجية والاستدامة المعمارية.

منهج الدراسة: تعتمد هذه الدراسة على منهج تحليلي شامل يشمل مراجعة للأدب المتخصص ودراسات سابقة في مجال المعمارية الاستراتيجية والاستدامة المعمارية. سيتم أيضاً إجراء مسح ميداني وجلسات استشارية مع خبراء في المجال لجمع البيانات، حيث تم توزيع ١٣٣ استبانة لمجموعة من الخبراء في مجال المعمارية الاستراتيجية والاستدامة والمتمثلة بأساتذة الجامعات في كليات التخطيط العمراني وكليات الإدارة والاقتصاد.

الاستنتاجات: من خلال التحليل والبحث، يمكن الاستنتاج بأنّ المعمارية الاستراتيجية تلعب دوراً حاسماً في تحقيق الاستدامة الشاملة للعتبة العسكرية المقدسة. يمكن أنّ تسهم استراتيجيات التصميم والتخطيط في تحقيق الأهداف البيئية والاقتصادية والاجتماعية للمشروعات المعمارية.

التوصيات: ضرورة تطبيق مبادئ المعمارية الاستراتيجية في تصميم وتخطيط المشروعات العتبة العسكرية المقدسة لتحقيق الاستدامة الشاملة، وتعزيز التعاون بين المعماريين وخبراء الاستدامة لضمان تكامل العوامل البيئية والاقتصادية والاجتماعية في المشاريع.

الكلمات المفتاحية: المعمارية الاستراتيجية، الاستدامة الشاملة، للعتبة العسكرية المقدسة، أساتذة الجامعات العراقية.

المبحث الأول: المنهجية العلمية للدراسة

أولاً: مشكلة الدراسة

في سياق تزايد الاهتمام بالاستدامة البيئية والاقتصادية والاجتماعية، يُعتبر المحافظة على المعالم التاريخية والثقافية مثل العتبة العسكرية المقدسة من أهم الأولويات. تعد المعمارية الاستراتيجية من العوامل المؤثرة بشكل كبير في الحفاظ على هذه المعالم وتحقيق الاستدامة الشاملة لها. ومع ذلك، يظل هناك استفسار حول الدور الفعال الذي تلعبه المعمارية الاستراتيجية في هذا السياق ومدى تأثيرها على المحافظة على العتبة العسكرية المقدسة وتطويرها بطريقة تحقق التوازن بين الحفاظ على الهوية التاريخية وتلبية الاحتياجات المعاصرة، وفي ضوء التطورات الحديثة والتغيرات الاجتماعية والبيئية، تنشأ تحديات كبيرة تجاه الحفاظ على التراث التاريخي والثقافي للعتبة العسكرية المقدسة وفي الوقت نفسه تحقيق الاستدامة الشاملة لها. لذا يشكل المعمار الاستراتيجي مكوناً أساسياً لتحقيق هذه الأهداف، حيث يمكن أنّ يلعب دوراً حاسماً في توجيه الجهود نحو تحقيق التوازن بين الحفاظ على الهوية والتطور المستدام. وتنبثق منها التساؤل الآتي: ما هو دور المعمارية الاستراتيجية في تحقيق الاستدامة الشاملة للعتبة العسكرية المقدسة وتنبثق منها مجموعة من التساؤلات ومنها:

١. كيف يمكن أنّ تسهم المعمارية الاستراتيجية في الحفاظ على التراث التاريخي والثقافي للعتبة العسكرية المقدسة؟

٢. ما هي الاستراتيجيات والأدوات التي يمكن استخدامها لدمج مفهوم الاستدامة الشاملة في التصميم والتنفيذ المعماري للعتبة العسكرية المقدسة؟

٥. كيف يمكن قياس أثر المعمارية الاستراتيجية على الاستدامة الشاملة للعتبة العسكرية المقدسة وتقييم فعاليتها؟

ثانياً: أهمية الدراسة

تتعلق أهمية هذه الدراسة بعدة جوانب حيوية تشمل:

١. يعتبر الحفاظ على العتبة العسكرية المقدسة والتمتع بتراثها الثقافي والتاريخي جزءاً أساسيّاً من الهوية الوطنية والإرث الثقافي للأُمم. تهدف هذه الدراسة إلى فهم كيف يمكن تحقيق الاستدامة الشاملة لهذا التراث من خلال المعمار الاستراتيجي.

٢. في ظل التحديات البيئية والتغيرات المناخية، يلعب التصميم المعماري الاستراتيجي دوراً في تحقيق الاستدامة البيئية من خلال استخدام مواد مستدامة وتقنيات بناء صديقة للبيئة.

٣. تساهم العتبة العسكرية المقدسة كمورث ثقافي وتاريخي في التنمية المستدامة للمجتمعات المحيطة بها. يمكن للمعمار الاستراتيجي أنّ يعزز دور هذه العتبة في تعزيز التنمية المحلية.

٤. تسهم هذه الدراسة في إثراء المعرفة العلمية حول دور المعمار الاستراتيجي في تحقيق الاستدامة الشاملة، ممّا يمكن من توجيه سياسات واستراتيجيات للمحافظة على المواقع الثقافية والتاريخية.

٥. تقدّم هذه الدراسة إطاراً نظريّاً وتوصيات عملية يمكن للجهات المعنية والمختصين في المجال المعماري استخدامها في تخطيط وتنفيذ مشاريع استدامة للعتبة العسكرية المقدسة.

ثالثاً: أهداف الدراسة

١. تهدف هذه الدراسة إلى فهم دور المعمار الاستراتيجي كأداة لتحقيق الاستدامة الشاملة للعتبة العسكرية المقدسة. ستحلل الدراسة مفهوم المعمار الاستراتيجي وكيفية تطبيقه في هذا السياق.

٢. تهدف الدراسة إلى تقدير تأثير مشاريع المعمار الاستراتيجي على البيئة والتراث الثقافي للعتبة العسكرية المقدسة وكيفية تحقيق التوازن بين الحفاظ على هذا التراث وتحقيق الاستدامة.

٣. تهدف الدراسة إلى تطوير نموذج عمل يمكن استخدامه لتصميم وتنفيذ مشاريع المعمار الاستراتيجي التي تحقق الاستدامة الشاملة للعتبة العسكرية المقدسة.

٤. تهدف الدراسة إلى تقديم توصيات تسهم في دعم صنع القرار ووضع السياسات الخاصة بالحفاظ على العتبة العسكرية المقدسة وتعزيز استدامتها.

٥. تسعى الدراسة إلى زيادة الوعي بأهمية الاستدامة الشاملة ودور المعمار الاستراتيجي من خلال نشر المعرفة والمعلومات حول هذا الموضوع.

رابعاً: مسوغات الدراسة

١. **أهمية العتبة العسكرية المقدسة المقدسة:** تعتبر العتبة العسكرية المقدسة من المعالم التاريخية والثقافية الهامة، ولها دور كبير في تشكيل الهوية الوطنية والتراث الثقافي. لذا، تبرز أهمية دراسة كيفية تحقيق الاستدامة في هذه العتبة.

٢. **الاهتمام بالاستدامة:** يشهد العالم تزايداً في الاهتمام بقضايا الاستدامة والحفاظ على البيئة. تأتي هذه الدراسة كجزء من هذا الاهتمام المتزايد وتسعى إلى تطبيق مفهوم الاستدامة على المعمار الاستراتيجي.

٣. **التحديات البيئية والثقافية:** تواجه العتبة العسكرية المقدسة تحديات بيئية مثل التلوث والاستنزاف البيئي، بالإضافة إلى التحديات الثقافية المتعلقة بالحفاظ على التراث الثقافي. هذه التحديات تبرز أهمية البحث في كيفية تحقيق التوازن بين الاستدامة والمحافظة على التراث.

٤. **تطور المعمارية الاستراتيجي:** يشهد المعمار الاستراتيجي تطورات مستمرة في

مفاهيمه وأساليبه. لذا، تعد هذه الدراسة فرصة لفحص كيفية استخدام هذا التطور في سياق العتبة العسكرية المقدسة.

٥. **التوجهات السياسية والمجتمعية**: تشجع التوجهات السياسية والمجتمعية نحو الاستدامة وحماية البيئة على البحث والعمل نحو تحقيق هذه الأهداف. تعكس هذه المسوغات الضغوط المجتمعية لتحقيق الاستدامة.

خامساً: فرضيات الدراسة

تتمثل فرضيات الدراسة كالاتي:

الفرضية الرئيسية الأُولى: توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين المعمارية الاستراتيجية والاستدامة الشاملة.

وتنبثق عنها الفرضيات الآتية:

١. توجد علاقة تأثير معنوية بين التراث التنظيمي والاستدامة الشاملة.

٢. توجد علاقة تأثير معنوية بين الخارطة الاستراتيجية والاستدامة الشاملة.

٣. توجد علاقة تأثير معنوية بين الرقمنة والابتكار التكنولوجي والاستدامة الشاملة.

٤. توجد علاقة تأثير معنوية بين الإطار التنظيمي والاستدامة الشاملة.

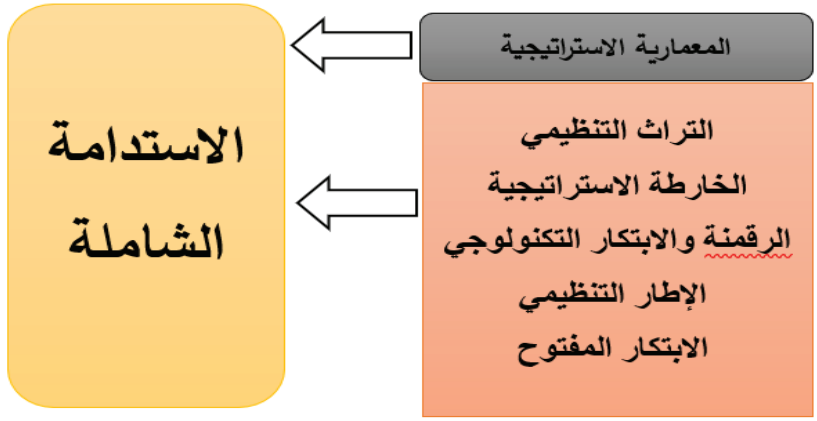
٥. توجد علاقة تأثير معنوية بين الابتكار المفتوح والاستدامة الشاملة.

خامساً: أُنموذج الدراسة الفرضي

يتضمن الأُنموذج الفرضي الاتي:

١. **المتغير المستقل: (المعمارية الاستراتيجية)**: وتشمل (التراث التنظيمي، الخارطة الاستراتيجية، الرقمنة والابتكار التكنولوجي، الإطار التنظيمي، الابتكار المفتوح).

٢. المتغير المعتمد: (الاستدامة الشاملة)



الشكل (١) أُنموذج الدراسة الفرضي

المصدر: من إعداد الباحثين

سادساً: مجتمع وعينة الدراسة

تم تطبيق هذه الدراسة وفقا لآراء عينة من الخبراء في مجال المعمارية الاستراتيجية والاستدامة والمتمثلة بأساتذة الجامعات في كليات التخطيط العمراني وكليات الإدارة والاقتصاد، حيث تم اختيار عينة عشوائية من بينهم، تم حسابها بحسب معادلة (Richard Geiger equation) والتي تحسب من المعادلة التالية:

حيث إنّ:

$$n = \frac{\left(\frac{z}{d}\right)^2 \times (0.5)^2}{1 + \frac{1}{N}\left[\left(\frac{z}{d}\right)^2 \times (0.5)^2 - 1\right]}$$

N	حجم المجتمع
Z	الدرجة المعيارية المقابلة لمستوى الدلالة ٠,٩٥ وتساوي ١,٩٦
d	نسبة الخطأ

ومن المعادلة اعلاه تم التوصل إلى أنّ حجم العينة يجب ان يكون (n>=133)، وبناءً عليه تم اختيار العينة عشوائيّاً، وبلغ عدد الاستمارات الموزعة (148) استمارة، تم استرجاع (141) استمارة، استبعدت (8) استمارة غير صالحة، وكان عدد الصالح للتحليل منها (133) استمارة، وبنسبة استرجاع (85.6%)، وهنا أصبح حجم العينة (n=133)، وهي مطابقة للعدد المطلوب.

المبحث الثاني: الإطار النظري للدراسة

أولاً: المعمارية الاستراتيجية

١. مفهوم المعمارية الاستراتيجية

تعتبر المعمارية الاستراتيجية في جوهرها هي إطار عمل رفيع المستوى ونهج تستخدمه المؤسسات لمواءمة استراتيجيات أعمالها طويلة المدى مع قراراتها التكنولوجية والمعمارية. وهو بمثابة خريطة طريق لكيفية تخطيط المنظمة لاستخدام التكنولوجيا والأنظمة والعمليات لتحقيق رؤيتها وأهدافها الاستراتيجية. يساعد هذا التوافق الاستراتيجي المؤسسات على القيام باستثمارات تكنولوجية مستنيرة، والتكيف مع ظروف السوق المتغيرة، ودفع الابتكار والنمو. تشمل البنية الاستراتيجية جوانب مختلفة، بما في ذلك توافق استراتيجية الأعمال، وهندسة المؤسسات، والتخطيط التكنولوجي، وإدارة البيانات، والحوكمة، وكلّها تعمل معاً لضمان مساهمة القرارات التقنية في نجاح المنظمة على المدى الطويل.

وأشار (Kent &Tobiska، ٢٠٢٣: ١) أنّ المعمارية الاستراتيجية هي عبارة عن تصميم وتنفيذ خطة أو إطار استراتيجي يوجه إجراءات وقرارات المنظمة نحو تحقيق أهدافها وغاياتها. وهي تنطوي على مواءمة العناصر المختلفة مثل الموارد والقدرات والعمليات والتقنيات لدعم الاتجاه الاستراتيجي للمنظمة. تساعد البنية الاستراتيجية في تحديد المبادرات الرئيسية وتحديد أولوياتها، وتخصيص الموارد بفعالية، وضمان توافق جميع الأنشطة مع الاستراتيجية العامة. يوفر خارطة طريق لنمو المؤسسة ونجاحها.

كما عرّف (Rahmanto، ٢٠٢٣: ٥٢٠) المعمارية الاستراتيجية بأنّها عبارة عن مجموعة من الإجراءات والتي تتضمن تخطيط نظام معلومات يدعم عملية صنع القرار بفعالية وكفاءة، بالإضافة إلى دمج الوظائف والعمليات المختلفة في الوحدات

التنظيمية المختلفة في المنظمات، كما يتم استخدام طريقة تخطيط هندسة المؤسسات (EAP) لتصميم أنظمة المعلومات الاستراتيجية في المنظمات. وتتضمن هذه الطريقة تصميم ثلاثة نماذج معمارية وهي بنية البيانات وهندسة التطبيقات وبنية التكنولوجيا.

وأضاف (Syafrizal، ٢٠٢٣: ٧٦٣) أنّ المعمارية الاستراتيجية تشير إلى الإطار أو الهيكل الذي يوجه صياغة وتنفيذ الاستراتيجيات داخل المنظمة. يوفر نهجاً منهجيّاً لمواءمة أهداف المنظمة ومواردها وإجراءاتها لتحقيق النتائج المرجوة.

في حين يعرف (Krasna & Lasry، ٢٠٢٣: ٢١٠) أنّ المعمارية الاستراتيجية تشير إلى الإطار العام وهيكل السياسات والخطط والعلاقات الاستراتيجية للبلد أو المنطقة. وهي تشمل العناصر المختلفة التي تشكل نهج الأُمّة للأمن والدفاع والسياسة الخارجية.

ويرى (Reza .et، ٢٠٢٢: ٧٣) أنّ المعمارية الاستراتيجية هي الإطار والهيكل الذي تستخدمه المؤسسات لمواءمة استراتيجيات أعمالها مع قدرات وموارد تكنولوجيا المعلومات الخاصة بها. يتضمن تصميم وتخطيط وتنفيذ أنظمة تكنولوجيا المعلومات والبنية التحتية لدعم الأهداف والغايات الاستراتيجية للمؤسسة.

كما أكّد (Marina& Holodova، ٢٠٢٢: ٩٢) أنّ المعمارية الاستراتيجية هي تصميم وهيكل نظام يدمج العناصر الرئيسية للاستراتيجيات في إطار متماسك، كما يوفر خارطة طريق لتحقيق الأهداف والغايات الاستراتيجية.

كما أضاف (Michelle .et، ٢٠٢٢: ٢) أنّ المعمارية الاستراتيجية هي عبارة عن الخطة الشاملة وتصميم المهمة أو المشروع الذي يهدف إلى تحقيق أهداف وغايات محددة.

وأشار (Aidan .et، ٢٠٢٢: ١٠١) أنّ المعمارية الاستراتيجية هي الإطار أو الهيكل الذي يوجه القرارات والإجراءات الاستراتيجية للمؤسسة. وهي تنطوي

على تصميم ومواءمة العناصر المختلفة داخل المنظمة لتحقيق أهدافها الاستراتيجية.

تعد البنية الاستراتيجية الفائزة أمراً بالغ الأهمية للنجاح، وأضاف (١٠٢: ٢٠٢٢، Aidan .et) أنّ هنالك سبع ركائز لهيكل استراتيجي ناجح في المنظمات أو الأسواق وهي:

أ. يمكن أنّ تكون المركزية والتكامل الرأسي مفيدين في بنية استراتيجية ناجحة في المنظمات.

ب. الرضا، أو إيجاد حلول مرضية بدلاً من السعي لتحقيق الكمال، هو ركيزة مهمة في صنع القرار الاستراتيجي.

ج. يعد تجنب قصر النظر قصير المدى والتركيز على الأهداف طويلة المدى والنهج العلائقية أمراً بالغ الأهمية للنجاح في المنظمات.

د. يعد تطوير المواهب الداخلية ورعايتها بدلاً من الاعتماد على التعيينات الخارجية ممارسة أساسية في بنية استراتيجية ناجحة.

هـ. يمكن أنّ يؤدي التأكيد على المرح والتجريب إلى حلول مبتكرة والقدرة على التكيف في المنظمات.

و. يعد تطوير المنتجات التي يحركها العملاء أمراً ضروريّاً لتلبية احتياجات وتفضيلات السوق المستهدفة.

ز. يمكن أنّ توفر الأنواع الجديدة من ابتكارات العمليات، مثل اعتماد تقنيات جديدة أو تحسين الكفاءة التشغيلية، ميزة تنافسية في الأسواق الناشئة.

كما عرّف **الباحثون** المعمارية الاستراتيجية على أنّها إطار صنع القرار أو الهيكل الذي يوجه عمليات صنع القرار الاستراتيجي داخل المنظمة أو النظام. وهو ينطوي على دمج الأساليب والمناهج المختلفة لإبلاغ ودعم القرارات الاستراتيجية، من

خلال تطوير وتنفيذ خطة استراتيجية داخل المنظمة، مع مراعاة أهداف المنظمة ومواردها وبيئتها الخارجية. وهي تنطوي على مواءمة موظفي المنظمة وعملياتها وتقنياتها لدعم الأهداف الاستراتيجية ودفع التحولات الرقمية.

٢. أبعاد المعمارية الاستراتيجية

١. **الابتكار المفتوح**: هذا البعد يُمثل النهج الذي يركز على تبادل الأفكار والمعرفة مع الجهات الخارجية بما في ذلك الشركاء، الباحثين، والجهات المجتمعية. يهدف الابتكار المفتوح إلى تطوير حلول مبتكرة من خلال تجميع مجموعة واسعة من المشاركين.

٢. **الإطار التنظيمي**: هذا البعد يشمل هيكلية وتنظيم المؤسسة، بما في ذلك توزيع السلطات والمسؤوليات وتنسيق الأقسام والوحدات. يهدف الإطار التنظيمي إلى تحقيق التنسيق الفعال وتسهيل تحقيق الأهداف.

٣. **الرقمنة والابتكار التكنولوجي**: هذا البعد يرتبط بتبني التكنولوجيا واستخدام الابتكارات التكنولوجية لتحسين العمليات وتحقيق تطوير مستدام. يشمل الرقمنة استخدام التقنيات الرقمية لتحسين الكفاءة والتفاعل مع البيئة المحيطة.

٤. **الخارطة الاستراتيجية**: يعبر هذا البعد عن رؤية المؤسسة للمستقبل والأهداف التي تسعى لتحقيقها. تتضمن الخارطة الاستراتيجية تحديد الأهداف وتوجيه الجهود وتحديد الخطوات الرئيسية لتحقيق هذه الأهداف.

٥. **التراث التنظيمي**: هذا البعد يشمل القيم والسلوكيات والتقاليد التي تميز ثقافة المؤسسة. يمثل التراث التنظيمي الأُسس التي تشكل تفكير الموظفين وتوجه سلوكهم، ويتضمن الجوانب التاريخية والقيمية للمؤسسة.

بتضمين هذه الأبعاد، يمكن أنّ تكون المعمارية الاستراتيجية أداة قوية لتحقيق الاستدامة الشاملة للعتبة العسكرية المقدسة من خلال توجيه الجهود نحو

الابتكار وتحسين الأداء التنظيمي والاستفادة من التكنولوجيا وتحقيق الأهداف الاستراتيجية والحفاظ على التراث التنظيمي.

ثانياً: الاستدامة الشاملة

١ .مفهوم الاستدامة الشاملة

في عصر يتسم بالمخاوف بشأن تغير المناخ، واستنزاف الموارد، والتفاوت الاجتماعي، وعدم الاستقرار الاقتصادي، أصبحت الاستدامة الشاملة مفهوماً مركزيّاً. إنّه يدرك أنّ أفعالنا لها عواقب بعيدة المدى ويؤكد الحاجة إلى اتخاذ قرارات مسؤولة ومدروسة تأخذ في الاعتبار رفاهية الأجيال الحالية والمستقبلية، وتسترشد الاستدامة الشاملة بمبدأ تلبية احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها الخاصة، وهو ما يشار إليه غالباً بمفهوم "التنمية المستدامة». وهو يعترف بأنّ هذه الأبعاد الرئيسية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والتكنولوجية مترابطة، وأنّ تحقيق مستقبل مستدام يتطلب إيجاد توازن دقيق فيما بينها. كما تتضمن الاستدامة الاقتصادية تعزيز النمو الاقتصادي والاستقرار مع ضمان الإدارة المسؤولة للموارد. تركز الاستدامة الاجتماعية على إنشاء مجتمعات عادلة ومنصفة وشاملة حيث يتم تلبية احتياجات الناس الأساسية واحترام حقوقهم. تركز الاستدامة البيئية على الحفاظ على العالم الطبيعي وحمايته، بما في ذلك النظم البيئية والتنوع البيولوجي والمناخ، ولا يشكل مفهوم الاستدامة الشاملة هذا مبدأ توجيهيّاً للحكومات وصناع السياسات فحسب، بل أيضا للشركات والمنظمات والأفراد. ويدعو إلى بذل جهود جماعية لاتخاذ الخيارات وتنفيذ الممارسات التي تدعم رفاهية كوكبنا وسكانه، لذا تعد الاستدامة الشاملة في جوهرها بمثابة دعوة للعمل، وتشجّعنا على التفكير بشكل شمولي، والنظر في العواقب طويلة المدى لأعمالنا، والعمل معاً لبناء مستقبل أكثر توازناً واستدامة للجميع. إنّها رؤية لعالم يسير فيه الرخاء والإنصاف والإشراف

البيئي جنبا إلى جنب.

ويرى (Verena .et ،٢٠٢٣ :٦) أنّ الاستدامة الشاملة تشير إلى التقييم الشامل للاستدامة البيئية والاجتماعية للمنتج أو العلامة التجارية. يشمل تقييم فوائد الاستدامة البيئية والاجتماعية للمنتج أو العلامة التجارية. يشكل المستهلكون الخضر، الذين يعطون الأولوية للاستدامة في خياراتهم الاستهلاكية، تصورهم للاستدامة الشاملة بناءً على المعلومات المقدّمة حول فوائد الاستدامة البيئية والاجتماعية للمنتج أو العلامة التجارية.

كما أشار (Aicha .et ،٢٠٢١ :٢٢) إلى أنّ الاستدامة الشاملة هي تقييم وإدارة العوامل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية من أجل ضمان الجدوى والقدرة التنافسية على المدى الطويل لصناعة أو قطاع، كما تتضمن الاستدامة الشاملة دمج الممارسات المستدامة في عمليات التصنيع لتقليل التلوث والحفاظ على الموارد وتقليل استهلاك الطاقة. وهو يشمل نهج المحصلة النهائية الثلاثي، الذي يأخذ في الاعتبار الآثار الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للأنشطة.

في حين يعرف كلّ من (Nicolas .et ،٢٠٢٣ :٢٠٨) & (Jon .et ،٢٠٢٣ :١) الاستدامة الشاملة على أنّها تلبية احتياجات الجيل الحالي دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها الخاصة، مع الحفاظ أيضاً على العمليات البيئية والوظائف والتنوع البيولوجي والإنتاجية في المستقبل. وهي تشمل الأساس العلمي للاستخدام المستدام للموارد، فضلاً عن الآثار الاجتماعية والاقتصادية وتكاليف الممارسات المستدامة. يتطلب تحقيق الاستدامة الشاملة منظوراً متعدد التخصصات، مع مراعاة التحديات التي تواجه المجتمع اليوم، مثل الطبيعة المحدودة للعديد من الموارد الطبيعية، والاستهلاك المفرط، والتلوث، واستخدامات الأراضي سيئة التخطيط.

كما يرى (Koray .et، ٢٠٢٠: ٤) الاستدامة الشاملة بأنّها تشير إلى تقييم وقياس الجدوى على المدى الطويل والتوازن بين العوامل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية في نظام أو سياق معين. يتضمن تقييم قدرة النظام على تلبية احتياجات الجيل الحالي دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها الخاصة. في سياق استدامة الطاقة، وأضاف أنّ تقييم أنظمة وممارسات الطاقة من حيث آثارها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، بهدف تحديد حلول الطاقة المستدامة وتعزيزها.

في حين عرف (Sandra .et، ٢٠١٨: ٤٨) أنّ الاستدامة الشاملة هي التقييم الشامل للأداء البيئي والاجتماعي والاقتصادي لصناعة أو قطاع معين.

كما أضاف (Mohd .et، ٢٠١٥: ٥٣٨) أنّ الاستدامة الشاملة هي قدرة الأعمال على إدارة عملية الابتكار بفعالية وكفاءة وتعزيز قدرتها التنافسية في مواجهة المنافسة الشديدة، تنطوي على تقييم استدامة القدرة الابتكارية الشاملة للشركة. في سياق هذه الدراسة، يتم قياس استدامة قدرة الابتكار الشاملة باستخدام مقياس موثوق وصالح يتكون من ثمانية أبعاد: الإدارة الاستراتيجية، والثقافة والبنية الداعمة، وتخصيص الموارد، والاتصالات والشبكات، وإدارة المعرفة والتكنولوجيا، وإدارة الأفكار، وتطوير المشاريع، وقدرات التسويق.

ويرى (Dewulf .et، ٢٠١٤: ٢٣) أنّ الاستدامة الشاملة هي تقييم الاستخدام المستدام للموارد الطبيعية، مع مراعاة الجوانب البيئية والاقتصادية والاجتماعية. يتضمن تقييم الاستخدام الفعال للموارد وتأثيرها على البيئة والاقتصاد والمجتمع. غالباً ما يتم النظر في مفهوم الاستدامة الشاملة في أطر تقييم الاستدامة المختلفة، مثل تقييم دورة الحياة (LCA) وإطار خدمات النظام البيئي وغيرها.

في حين أكد (Jonkutė&Gintė، ٢٠١٥: ٤٤) أنّ الاستدامة الشاملة هي تقييم حالة الشركة من حيث ممارسات الاستهلاك والإنتاج المستدامين (SCP)، بما

في ذلك عمليات التصنيع والمنتجات/ الخدمات والعلاقات مع مختلف أصحاب المصلحة. وهي تنطوي على اختيار وتنفيذ مؤشرات الأداء المناسبة ونظم التقييم لمعالجة قضايا الاستدامة.

ويرى الباحثون أنّ الاستدامة الشاملة هي نهج شامل ومتكامل لمعالجة التحديات المعقدة التي تواجه عالمنا اليوم، وهو يشمل فكرة تحقيق حياة متناغمة ومتوازنة عبر مختلف الأبعاد، بما في ذلك الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والتكنولوجية.

٢. أهمية الاستدامة الشاملة

الاستدامة الشاملة تعني النهج الشامل للنظر في الجوانب الاجتماعية والمالية والبيئية في تحقيق الأداء المستدام، بما يتضمن دمج مبادئ الاستدامة في جميع جوانب عمليات المنظمة، بما في ذلك الاستراتيجية وصنع القرار وقياس الأداء، كما يعترف المفهوم بأنّ الاستدامة لا تقتصر على الاهتمامات البيئية ولكنّها تشمل أيضاً الأبعاد الاجتماعية والمالية والتكنولوجية. (٤٢: ٢٠١٩، Nadine .et)، يؤكد الباحثون على حاجة المنظمات إلى تحقيق التوازن بين النمو الاقتصادي والرفاهية الاجتماعية والإشراف البيئي، والذي تتطلب الاستدامة الشاملة تحديد واعتماد النماذج المناسبة ومؤشرات الأداء الرئيسية (KPIs) التي تتناول جميع المجالات الأربعة بفعالية، بشكل عام، تتضمن الاستدامة الشاملة اتباع نهج شامل للاستدامة من خلال النظر في الجوانب الاجتماعية والمالية والبيئية. يتطلب الأمر من المنظمات دمج مبادئ الاستدامة في جميع جوانب عملياتها وتحقيق التوازن بين النمو الاقتصادي والرفاهية الاجتماعية والإشراف البيئي. يجب تحديد النماذج المناسبة ومؤشرات الأداء الرئيسية واعتمادها لمعالجة المجالات الثلاثة بفعالية. وعلية فإنّ أهمية الاستدامة الشاملة حسب ما يراها (٣: ٢٠١٦، Amjad .et):

أ. زاد الطلب المجتمعي والسياسي على التنمية المستدامة بشكل كبير خلال العقود الماضية بسبب زيادة عدد سكان العالم والطلب المرتبط بالموارد الطبيعية.

ب. يشكل تقييم التنمية المستدامة تحديا، ولكن من الأهمية بمكان ضمان تلبية احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها الخاصة.

ج. الاستدامة الشاملة مهمة لأنّها تسمح لشركات التصنيع بتقييم آثارها البيئية والاجتماعية والاقتصادية بشكل شامل.

د. يعد تطوير أداة تقييم الاستدامة لشركات التصنيع أمراً مهماً؛ لأنّه يتيح تقييم الاستدامة الشاملة والنسبية للشركة بأقل وقت وجهد.

في حين يرى (Ahmed .et ،٢٠١٦: ٣٣١) أنّ أهمية الاستدامة الشاملة تتضمن بالأتي:

أ. الاستدامة الشاملة مهمة للشركات؛ لأنّها تتطلب دمج أهداف التنمية المستدامة في جوانب عملها، بما في ذلك العدالة الاجتماعية (social eq-uity) والكفاءة الاقتصادية (economic efficiency) والأداء البيئي (environmental performance). هذا يضمن أنّ الشركات تساهم في تحقيق التوازن بين الأبعاد المختلفة للاستدامة.

ب. يتعين على الشركات التي تتنافس عالمياً الالتزام بأداء الاستدامة العام والإبلاغ عنه؛ ذلك لأنّ العملاء والمستهلكين يصبحون أكثر توجهاً نحو دعم الشركات التي تولي اهتماماً للقضايا البيئية والاجتماعية.

ج. قد لا تكون أطر المؤشرات الحالية لقياس الاستدامة العامة للأعمال كافية لقياس جميع جوانب الاستدامة على المستوى التشغيلي، وخصوصا في

البلدان النامية حيث الاحتياجات والتحديات متنوعة.

د. يجب أيضاً مراعاة المعايير الاجتماعية في إطار الاستدامة الشاملة. غالباً ما تغيب المعايير الاجتماعية عن الاعتبار الواجب في الأطر الحالية، ولذلك يجب تعزيز الالتزام بها.

هـ. يعد تقييم استدامة العمليات في قطاع التصنيع أمراً بالغ الأهمية. يُقترح إطار عمل جديد في المقالة لتلبية هذه الحاجة، ممّا يظهر أهمية تحسين استدامة الإنتاج والتصنيع.

باختصار، الاستدامة الشاملة أصبحت أمراً بالغ الأهمية للشركات، وذلك لأنّها تساهم في تحقيق النجاح المستدام وتلبية توقعات العملاء والمستهلكين والمجتمعات المحلية، بالإضافة إلى تلبية التحديات البيئية والاجتماعية المتنوعة.

ثالثاً: تحليل العلاقة بين المعمارية الاستراتيجية والاستدامة الشاملة في العتبة العسكرية المقدسة

يمكن تحليل العلاقة بين المعمارية الاستراتيجية والاستدامة الشاملة في العتبة العسكرية المقدسة على النحو التالي:

١. **الحفاظ على التراث والثقافة:** المعمارية الاستراتيجية يمكن أنّ تساعد في الحفاظ على التراث التاريخي والثقافي للعتبة العسكرية من خلال تكييف التصميم والتنفيذ مع العناصر التاريخية والثقافية الأصلية. ذلك يمكن أنّ يشمل الحفاظ على التفاصيل المعمارية واستخدام التقنيات والمواد التقليدية.

٢. **الاستدامة البيئية:** المعمارية الاستراتيجية يمكن أنّ تضمن تضمين مفاهيم الاستدامة الشاملة في التصميم والتنفيذ. على سبيل المثال، يمكن تصميم المباني لاستخدام مصادر الطاقة المتجددة مثل الطاقة الشمسية وتقليل استهلاك المياه واستخدام مواد صديقة للبيئة.

٣. التوازن بين الهوية والتطور: المعمارية الاستراتيجية يمكن أنّ تسعى لتحقيق التوازن بين الحفاظ على الهوية التاريخية والثقافية للعتبة العسكرية واحتياجات المجتمع والبيئة الحالية. يجب أنّ يتم تكييف التصميم بحيث يلبي متطلبات الوقت الحالي دون فقدان الروح والجاذبية التاريخية.

٤. التشريعات والسياسات الحكومية: المعمارية الاستراتيجية يمكن أنّ تتأثر بالتشريعات والسياسات الحكومية. يمكن أنّ تكون هناك تشريعات تعزز مفاهيم الاستدامة والحفاظ على التراث وتقديم الدعم المالي أو الحوافز للمشاريع التي تتبنى هذه المبادئ.

٥. قياس الأثر والتقييم: يمكن قياس أثر المعمارية الاستراتيجية على الاستدامة الشاملة من خلال مؤشرات محددة مثل استهلاك الطاقة، وانبعاثات الكربون، وجودة المياه، واستدامة المواد. يمكن إجراء تقييم دوري للمشروع للتحقق من فعالية استراتيجيات التصميم والتنفيذ.

بالاعتماد على هذا التحليل، يمكن للبحث والدراسات الاستشرافية استكشاف كيفية تكامل المعمارية الاستراتيجية مع مفاهيم الاستدامة الشاملة في العتبة العسكرية المقدسة، وكيف يمكن تحقيق التوازن بين الحفاظ على التراث وتحقيق الاستدامة.

المبحث الثالث: الإطار العملي للدراسة

أولاً: ترميز فقرات الدراسة

يوضح الجدول الاتي ترميز فقرات المقياس:

الجدول (١) ترميز فقرات

المتغير	الابعاد	ترميز	عدد الفقرات
المعمارية الاستراتيجية DSC	التراث التنظيمي	DEE	٣
	الخارطة الاستراتيجية	DRR	٣
	الرقمنة والابتكار التكنولوجي	DGG	٣
	الإطار التنظيمي	DTT	٣
	الابتكار المفتوح	DUU	٣
الاستدامة الشاملة CBN	الاستدامة الشاملة	CBN	١٢

المصدر: من اعداد الباحثين

ثانياً: اختبار الفرضيات

يتم اختبار فرضيات التأثير من خلال معاملات المسار في الأُنموذج الهيكلي، ويتم تقييم الأُنموذج الهيكلي في نمذجة المربعات الصغرى وفقا لـ (Hair et al.، 2014) من خلال المعايير في الشكل معايير وكما يظهر في الجدول (١) ادناه:

جدول (١) معايير تقييم الأُنموذج الهيكلي

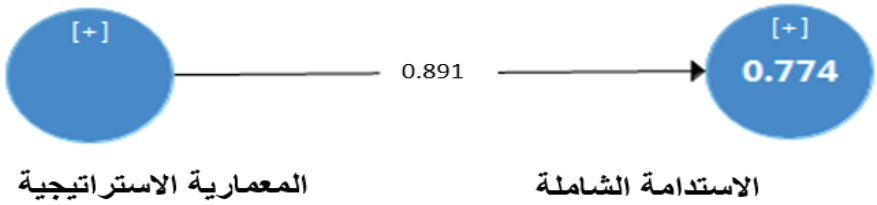
المعيار		العتبة (الحد المسموح)
معنوية معامل المسار	قيمة t	أكبر أو تساوي ١,٩٦
	قيمة p	أقل أو تساوي ٠,٠٥
معامل التفسير	R^2	٠,٢٥ ضعيف، ٠,٥ متوسط، ٠,٧٥ عالي

المصدر: **إعداد الباحثين بالاستناد إلى**

Hair، J. (2014). A primer on partial least squares structural equations modeling (PLS-SEM. Los Angeles: SAGE.

١. اختبار الفرضية الرئيسية

نصت الفرضية الرئيسية الأُولى على أنّ "يوجد تأثير معنوي بين المعمارية الاستراتيجية والاستدامة الشاملة» **لغرض اختبار هذه الفرضية فقد تم بناء الأُنموذج الهيكلي وكما يظهر في الشكل (٢) ادناه:**



شكل (٢) الأُنموذج الهيكلي لاختبار الفرضية الرئيسية الأُولى

ملاحظة: **الأرقام في الأسهم تمثل معامل المسار في حين الأرقام في الدوائر فتمثل معامل التحديد، ويشير الرمز [+] إلى إخفاء الفقرات التابعة للمتغير بسبب انتفاء الحاجة لها في تقييم الأُنموذج الهيكلي.**

جدول (٢) نتائج تقييم الأُنموذج الهيكلي الخاص بالفرضية الرئيسية الأُولى

الفرضية	المسار	VIF	معامل المسار	t Value	p Value	النتيجة	حجم التأثير f^2	معامل التحديد R^2	R^2 المعدل
H1	DSC → CBN	١	٠,٨٩١	١٥,٧٠	٠	قبول	١,٦٩٨	٠,٨٧٧	٠,٥٢٦

المصدر: مخرجات برنامج SmartPLS

أظهرت النتائج التي استعرضها الجدول (٢) إلى أنّ معامل المسار (التأثير المباشر) قد بلغ (٨٩١ , ٠) وبمعامل تحديد R2 (تفسير) قدره (٨٧٧ , ٠)، وللتحقق من معنوية معامل المسار فإنّ كلّ من قيمة t وp تحقق الحدود المطلوبة في الجدول (٢) ممّا يدل على معنوية العلاقة وبالتالي يتم قبول الفرضية الرئيسية الأُولى.

٢.اختبار الفرضيات الفرعية

لغرض اختبار الفرضيات الفرعية للفرضية الرئيسة الأُولى (H1-1, H1-2, H1-3, H1-4, H1-5) فقد تم بناء الأُنموذج الهيكلي وكما يظهر في الجدول (٣) ادناه:

جدول (٣) نتائج تقييم الأُنموذج الهيكلي الخاص بالفرضيات الفرعية

الفرضية	المسار	VIF	معامل المسار	t Value	p Value	النتيجة	حجم التأثير f^2	معامل التحديد R^2	R^2 المعدل
H1-1	DEE→ CBN	3.501	0.231	8.422	0.006	قبول	0.089	0.839	0.939
H1-2	DRR→CBN	2.647	0.055	6.27	0.008	قبول	0.088		
H1-3	DGG → CBN	2.701	0.266	8.528	0.005	قبول	0.098		
H1-4	DTT →CBN	2.632	0.455	5.267	0.007	قبول	0.068		
H1-5	DUU →CBN	3.772	0.278	6.299	0.006	قبول	0.089		

المصدر: مخرجات برنامج SmartPLS

أظهرت نتائج التحليل التي يستعرضها الجدول (٣) إلى أنّ الفرضيات (H1-1 ,H2-2, H3-3, H4-4, H5-5) قد حققت المعايير المطلوبة من قيمة t وقيمة p وبالتالي تقبل هذه الفرضيات، وقد بلغ معامل التحديد ٨٣٪.

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات

١. تظهر الدراسة أهمية دور المعمارية الاستراتيجية في تحقيق الاستدامة الشاملة للعتبة العسكرية المقدسة، حيث يمكن لهذا الدور أنّ يجمع بين الحفاظ على التراث الثقافي والبيئي وتلبية الاحتياجات الحديثة.

٢. تتضمن أهمية الدراسة السعي للتوازن بين العناصر الثقافية والبيئية والاقتصادية، ممّا يتطلب تطوير استراتيجيات تخطيطية وتصميمية مستدامة.

٣. يُظهر البحث أنّ تحقيق الاستدامة الشاملة يتطلب تضمين مفهوم الاستدامة في جميع جوانب التخطيط والتصميم، ويشمل ذلك استخدام مواد بناء صديقة للبيئة وإدارة النفايات وتشجيع وسائل النقل المستدامة.

٤. تسلط الدراسة الضوء على أهمية دعم الجهات الرسمية والحكومية لتحقيق الاستدامة الشاملة من خلال التوجيه وتقديم التمويل والدعم.

٥. يمكن أنّ تستفيد الدراسات المقارنة والتجارب الدولية من توجيه الجهود نحو تطوير معمارية استراتيجية مستدامة للعتبة العسكرية المقدسة.

ثانياً: التوصيات

١. يجب أنّ تبدأ العملية بتطوير رؤية استراتيجية تتضمن أهدافاً واضحة للتنمية المستدامة للعتبة العسكرية المقدسة هذه الرؤية يجب أنّ تشمل الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

٢. يجب تطوير استراتيجية معمارية استدامة تستند إلى الرؤية الاستراتيجية. هذه الاستراتيجية يجب أنّ تشمل تصميم المباني والبنية التحتية وأنظمة الطاقة وإدارة المخلفات بطريقة تدعم الاستدامة.

٣. اعتماد تقنيات ومصادر طاقة مستدامة مثل الطاقة الشمسية والرياح والتكنولوجيا البيئية لتوفير الطاقة للعتبة العسكرية المقدسة. يمكن تطبيق أنظمة طاقة فعالة لتقليل استهلاك الكهرباء والوقود.

٤. تطبيق استراتيجيات فعّالة لإدارة المخلفات والتدوير داخل العتبة العسكرية المقدسة. ذلك يشمل فصل وتدوير المواد القابلة للإعادة والاستخدام، والحد من النفايات.

٥. يُفضل تكامل مبادئ العدالة الاجتماعية في التصميم المعماري والتشغيل وإدارة العتبة العسكرية المقدسة. هذا يشمل توفير فرص عمل محلية وتعزيز التميز الاجتماعي.

٦. يجب توجيه جهود لزيادة التوعية بالاستدامة بين الموظفين والزوار والمجتمعات المحلية. يمكن تنظيم دورات تدريبية وفعاليات توعية حول مفهوم الاستدامة وأهميته.

٧. يجب على العتبة العسكرية المقدسة الالتزام بالإبلاغ الشفاف عن أدائها في مجال الاستدامة، بما في ذلك تحقيق أهداف الاستدامة وتأثيرها الاجتماعي والبيئي.

٨. تشجيع البحث والابتكار في مجال الاستدامة يمكن أنّ يسهم في تطوير تقنيات وممارسات أكثر فعالية واستدامة للعتبة العسكرية المقدسة.

المصادر والمراجع

1. W.، Kent، Tobiska. (2023). A strategic architecture for growing a space economy utilizing foundational space weather.
2. Rahmanto، R. J. (2023). Design Of Strategic Information System Blueprint With Enterprise Architecture Planning Method. *Interdiciplinary Journal and Hummanity*, *2*(6)، 519-528.
3. Syafrizal. (2023). Strategic Architecture Formulation At Hotel ABC. Devotion، 4(3):761-777. doi: 10.36418/devotion.v4i3.429
4. Krasna، J. S.، & Lasry، H. (2023). Israel and the Emerging Strategic Architecture in the Middle East. *Orbis*, *67*(2)، 208-227.
5. Reza، Suriansha.، Hendro، Sasongko. (2022). Enterprise Architecture Management and its Role in Corporate Strategic Management. Journal of Economics & Business، 11(1):72-78. doi: 10.52644/joeb.v11i1.83
6. Michelle، A.، Rucker.، Douglas، A.، Craig.، Laura، M.، Burke.، Patrick، Chai.، Michael، B.، Chappell.، Bret، G.، Drake.، Stephen، Edwards.، Stephen، J.، Hoffman.، Andrew، C.، McCrea.، Doug، Trent.، Patrick، A.، Troutman. (2022). NASA's Strategic Analysis Cycle 2021 (SAC21) Human Mars Architecture. 1-10. doi: 10.1109/AERO53065.2022.9843237

7. Aidan، J.، Connolly.، Damien، McLoughlin.، Federica، Pazzaglia.، Karan، Sonpar.، Mary، Shelman. (2022). The seven pillars of a winning strategic architecture in emerging markets. Journal of Asia Business Studies، 17(1):100-107. doi: 10.1108/jabs-07-2021-0298

8. Marina، Holodova. (2022). Strategic planning architecture development of the agricultural sector. Agrarnyj vestnik Urala، 225(10):91-102. doi: 10.32417/1997-4868-2022-225-10-91-102

9. Aicha، Lamjahdi.، Hafida، Bouloiz.، Maryam، Gallab. (2021). Overall performance indicators for sustainability assessment and management in mining industry. doi: 10.1109/ICOA51614.2021.9442635

10. Verena، Hüttl-Maack.، Jose، Maria، Gil.، Djamel، Rahmani. (2023). The Influence of Green Consumption Values on How Consumers Form Overall Sustainability Perceptions of Food Products and Brands. Journal of sustainable marketing، 1-19. doi: 10.51300/jsm-2023-103

11. Jon، Marco، Church.، Andrew، Tirrell.، William، R.، Moomaw.، Olivier، Ragueneau. (2023). Sustainability. Development in Practice، 33(1):1-2. doi: 10.1080/09614524.2022.2155621

12. Nicolas، Cavan.، Bertrand، Omon.، Clotilde، Toque.، Bastien، Van، Inghelandt.، Wilfried، Queyrel.، Nathalie، Col-

bach.، Frédérique، Angevin. (2023). Model-based evaluation in terms of weed management and overall sustainability of cropping systems designed with three different approaches. Agricultural Systems، 208:103637-103637. doi: 10.1016/j.agsy.2023.103637

13. Koray، Altintas.، Ozalp، Vayvay.، Sinan، Apak.، Emine، Çobanoğlu. (2020). An extended GRA method integrated with Fuzzy AHP to construct a multidimensional index for ranking overall energy sustainability performances. Sustainability، 12(4):1602-. doi: 10.3390/SU12041602

14. Mohd، Nizam، Ab، Rahman.، Mahmood، Doroodian.، Yusniza، Kamarulzaman.، Norhamidi، Muhamad. (2015). Designing and validating a model for measuring sustainability of overall innovation capability of small and medium-sized enterprises. Sustainability، 7(1):537-562. doi: 10.3390/SU7010537

15. Sandra، S.، Tralhão.، Rita، Martins.، Joao، Paulo، C.، L.، da، Costa. (2018). Overall assessment of environmental sustainability: The Portuguese water industry case. 47-58. doi: 10.14195/2183-203X - 47 - 3

16. Gintė، Jonkutė. (2015). Assessment of Overall SCP State of Company: Results of Application of New Integrated Sustainability Index ISCP in 2 Enterprises. Environmental Research، Engineering and Management، 71(2):42-53. doi:

10.5755/J01.EREM.71.2.12332

17. Jo، Dewulf.، Gian، Andrea، Blengini.، Lucia، Mancini.، Serenella، Sala.، David، Pennington. (2014). Towards an overall framework to assess the sustainability of the use of natural resources.

18. Ahmed، Abu، Hanieh.، Sadiq، Abdelall.، Afif، Hasan. (2016). Decision Support System for Industrial Social Performance. Procedia CIRP، 40:329-334. doi: 10.1016/J.PROCIR.2016.01.052

19. Amjad، Khalili.، Yusof، Ismail.، A.N.M.، Karim. (2016). A comparative evaluation of the prevailing models for measuring sustainable performance.

20. Nadine، Madanchi.، Sebastian، Thiede.، Manbir، Sohdi.، Christoph، Herrmann. (2019). Development of a sustainability assessment tool for manufacturing companies. 41-68. doi: 10.1007/978-3-319-93730-4 - 3

البحث الثالث

تل الصوان (أُس المدينة العراقية)

شاهد حضارة سامراء القديمة

م. د. عامر ناجي حسين الجعيفري
الكلية التربوية المفتوحة/ مركز واسط الدراسي

المُلخص:

يتناول بحث "تل الصوان (أُس المدينة العراقية) شاهد حضارة سامراء القديم»، قرية تل الصوان إحدى قرى أو مناطق سامراء القديمة التي يعود تاريخ استيطانها إلى الألف السادس قبل الميلاد، وجاء تناوله لإعطاء هذه القرية حقّها الطبيعي في أنّ تتبوأ مكان الصدارة في تاريخ الإنسانية لما قدمته للبشرية على الصعيدين الفكري والمادي، وقد تم تناول البحث وفق سبعة محاور هي القرية والمدينة، الموقع والتنقيبات والمنقبون والسكان والدين والنظام السياسي والاستقلال السياسي والحياة الاجتماعية والاقتصادية والفن ومقابر القرية، وصولاً إلى النتائج وكان أبرزها إنّ هذه القرية كانت البذرة الأُولى للمدينة في العراق والعالم بأسره بالدلائل الأثرية التي سيقت خلال البحث.

الكلمات المفتاحية: تل الصوان، سامراء، القرية، المدينة.

المقدمة:

شغل موضوع تحديد بوادر نشأة المدن الأُولى؛ أين، ومتى الدراسات المعنية بالآثار والتاريخ على حدٍ سواء؛ لما لهذا الأمر من أهمية كبيرة على الصعيدين التاريخي والفكري؛ إذ إنّ إماطة اللثام عن ذلك له أهميته التاريخية في تحديد المكان الأول تاريخيّاً، ومن ثم معرفة طبيعة المنطلقات الفكرية الأُولى التي قادت إلى نشوء المدينة ورسمت آفاقها المستقبلية، وهذا البحث: "تل الصوان (أُس المدينة العراقية) شاهد حضارة سامراء القديم» يأتي في هذا السياق لتبيان حقيقة البوادر الأُولى لنشأة المدينة في ظل حقيقتين مهمتين الأُولى تتمثل بسعة المعلومات التاريخية وتوافرها في وقتنا الحاضر وخصوصاً في ظل الثورة المعلوماتية الكبيرة التي يشهدها عالمنا المعاصر ممّا لم يتوافر لمن سبق من الباحثين، والحقيقة الثانية تتمثل بحالة التجدد الفكري التي يشهدها العالم المعاصر ممّا ترك أثره على المادة التاريخية وطبيعة التعامل معها، والابتعاد عن القوالب الجامدة في التعامل معها، وكلا الأمران المشار إليهما قد تركا بدورهما أثراً على طبيعة المنهج الذي اتبعناه في تناول موضوع البحث؛ إذ تم اعتماد المنهج الاستقرائي الذي يبدأ بالجزئيات بغية الوصول إلى الكليات، إلى جانب التحليل الموضوعي للأفكار التي توصل إليها من سبق من الباحثين عند دراستهم لموقع تل الصوان في سامراء لغرض الوصول إلى الإثباتات الممكنة والبرهنة عليها، وكذلك دعم فرضية البحث من أنّ تل الصوان أحد مواقع حضارة سامراء القديمة كان أساساً انبثقت عنه المدن الأُولى في العراق القديم.

اقتضت منهجية البحث تقسيمه إلى سبعة محاور، هي تباعاً أولاً: القرية والمدينة، ثانياً: الموقع والتنقيبات والمنقبون والسكان، ثالثاً: الدين، رابعاً: النظام السياسي والاستقلال السياسي، خامساً: الحياة الاجتماعية الاقتصادية، سادساً: الفن، سابعاً: مقابر القرية، وقد جاءت نتيجة البحث في المحاور المذكورة دالةً ومؤكدةً بما لا يقبل الشك على أنّ موقع تل الصوان في سامراء كان أُس المدينة العراقية وشاهداً على حضارة سامراء القديم.

المحور الأول:

أولا: القرية والمدينة

لم يكن مجرد الزيادة السكانية في القرية سبباً في أنّ تتحول إلى مدينة؛ لأنّ امكانات القرية محدودة بالأساس، وأنّ متطلبات عيش سكانها كانت وافية، بمعنى: أنّ لا حاجة للتوسع في تحقيق هذه المتطلبات لذا فالقرية لا بد وأنّ تعرضت إلى متغير خارجي انتزعها وأبعدها عن مجرد فكرة تلبية الغذاء وتحقيق التناسل إلى مسألة تحقيق البقاء إلى مدى أبعد[١]، ويتمثل هذا المقوم أو المتغير الخارجي بانفتاح القرية على نوعية سكن لعناصر مهنية كالمهندس والملاح والتاجر والحداد وبالتالي الاحتياج إلى أرباب مهن أُخرى بفعل هذا التوسع كالجندي والمصرفي وغيرهم، لذا تمكنت المدينة من أنّ تجند اليد العاملة وتسيطر من ثمَ على وسائل النقل والنهوض بها لتصل إلى مرحلة الاختراع وتطور الهندسة المدنية وكان للعبادة الأعم والأوسع سطوتها متمثلة بآلهة السماء أو آلهة الأرض التي حلت محل الآلهة المحلية المألوفة المجسدة بتماثيل صغيرة[٢]، وقد هيأت البيئة الطبيعية وتضاريس العراق للعراقيين القدماء سبل التقدم والتحضر والتمدن[٣].

لم يكن هناك فرق كبير كالذي نحياه حالياً بسبب الصناعة بين المدينة والريف في العراق القديم[٤]، كانت طلائع المدن الُأولى في العراق القديم قد تشكلت في الجزء الأوسط منه وبالتحديد في تل الصوان في سامراء ومن ثم في الجزء الجنوبي من البلاد في

(١) ممفورد، لويس، المدينة على مر العصور أصلها وتطورها ومستقبلها، ج١، ص٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٢.

(٣) أبو الصوف، بهنام، العراق وحدة الأرض والحضارة والإنسان، ص٥.

(٤) فراكفورت، هنري، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ص٧٠.

اور والوركاء واريدو[١]، وقد عُدت قرية الصوان البذرة الأُولى للمدينة العراقية نظراً لما حصل فيها من تطور معنوي ومادي[٢]، فكان للعمق الثقافي الذي تبناه السومريون من مستوطناتهم الأُولى التي تعرف بالعبيد إلى جانب التطور الاجتماعي والاقتصادي في المنطقة السامرائية شمالاً دور في نشوء المدينة[٣]، من خلال نقل المكتسبات الحضارية إلى جنوب البلاد بطرق عدة منها التأثر بالاتصال أو نتيجة هجرة السكان من وسط البلاد إلى جنوبه كما سيتضح لنا من خلال فقرات البحث اللاحقة.

ثانياً: الموقع والتنقيبات والمنقبون والسكان

يقع تل الصوان على الضفة الشرقية لنهر دجلة بالقرب من الضواحي الجنوبية لمدينة سامراء[٤]؛ فالعيش في بلاد الرافدين بعيداً عن دجلة والفرات أمر صعب لارتفاع درجات الحرارة[٥]، وتل الصوان عبارة عن قرية على ضفة نهر دجلة الشرقية (١١كم) جنوب مدينة سامراء ويتألف من ثلاثة مواقع هي عبارة عن تلول تم تسميتها بالأحرف (A، B، C) كان أوسطها الأعلى ارتفاعاً وقد أقتصر التنقيب في التلين (B، C) ولم يتم التنقيب في التل (A)، وموقع تل الصوان يتألف من طبقات خمس أثرية تعود بتاريخها إلى عصور قبل التاريخ والطبقة الثالثة من بينها ضمت مرحلتين بنائيتين أُشير إليهما بالحرفين (A، B)[٦]، وهو على شكل بيضوي يبلغ طوله (٢٣٠م) وأعلى ارتفاع له يصل إلى (٣,٥م) وارتفاعه ناجم عن تراكمات البناء المتكررة للطبقات

(١) البدراوي، عدنان مكي، المدينة العراقية، حضارة العراق، ج٣، ص٢٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٠٦.

(٣) اوتيس، ديفيد وجوان، نشوء الحضارة، ص٢٦٦.

(4) (Kent V Flannery and Jane C Wheeler، Animal Bones From Tell As_ Sawwan Level111 (Samaran Period)، Sumer، Vol23، No 12-، P179.

(٥) غولاييف، فاليري، المدن الأُولى، ص٢٠.

(٦) الشيخ، عادل عبد الله، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، ص٨٦.

الخمس أو القرى التي تعاقبت على سكن الموقع واندثرت تباعاً لأسباب تتعلق بتقادم الزمن وضعف مقاومة مواد البناء ورغبة التجديد عند الإنسان[١]، وبحسب فحص الكاربون الاشعاعي لمنطقة الصوان تم تحديد الطبقة رقم (١) بأنّها تعود إلى تاريخ (٥٥٠٦ ق. م) زائد أو ناقص (٧٣) سنة، أمّا الطبقة (٢) فحددت بزمن يعود إلى (٥٣٤٩ ق. م) زائد أو ناقص (١٥٠) سنة، والطبقة (٣) بتاريخ (٤٨٥٨ ق. م) زائد أو ناقص (٨٢) سنة[٢]، ويعد تل الصوان الموقع النموذجي لحضارة سامراء في العصور القديمة[٣]، وتمثل حضارة تل الصوان وسامراء ضمن العصر الحجري المعدني (Chalcolithic) (٥٦٠٠-٣٥٠٠ ق. م)[٤]، وكان لاكتشاف تل حسونة بين عامي (١٩٤٣-١٩٤٤م) أثره في تحديد تاريخ الطبقات الأثرية للمدنية العراقية التي تم اكتشافها قبل هذا الموقع متمثلاً بسامراء وتل حلف[٥]، وإنّ عدم العثور على أيّة قطعة فخار من فخار حسونة في تل الصوان دليل على وجود تفاوت تاريخي بين حضارتي كلا الموقعين[٦]، وقد توصلت التنقيبات في تل الصوان إلى نتيجة مفادها أنّ الموقع يتطابق من مرحلتيه السكنيتين أو طبقتيه الحضاريتين الأُولى والثانية مع حضارة سامراء الأُولى[٧].

وفيما يتعلق بالتنقيبات والمنقبون كان هرتسفيلد قد حدد اثرية موقع تل

(١) أبو الصوف، بهنام، ظلال الوادي العريق، الموسوعة الصغيرة، ص١٠٦-١٠٧.

(٢) ديفيد، وجوان اوتيس، نشوء الحضارة، ص٣٠٠.

(٣) الدباغ، تقي، الجادر، وليد، عصور قبل التاريخ، ص١٤٤.

(٤) الأسود، حكمت بشير، الرموز الفكرية في حضارة وادي الرافدين، منشورات كلية بابل الحبرية للفلسفة واللاهوت، ص١٦٣.

(٥) بارو، اندريه، سومر فنونها وحضارتها، ص٨٩.

(٦) لويد، سيتون، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري حتى الاحتلال الفارسي، ص٨٢.

(٧) الدباغ، تقي، الجادر، وليد، عصور قبل التاريخ، ص١٤٦.

الصوان[١]، وهرتسفيلد عالم آثار الماني ويعد أول من نقب في موقع أو مدينة عربية وذلك في السنوات (١٩١١-١٩١٣م)[٢]، وبشكل عام كان له دور في إثارة الاهتمام بالتاريخ القديم[٣]؛ إذ نقب في سامراء عام ١٩١١م وقد تكلل عمله باكتشاف طبقة أثرية تعود إلى عصر فجر التاريخ[٤]، وقد أدرجت مؤسسة الآثار موقع تل الصوان أثرياً في سجلاتها عام (١٩٤٩م) إلى جانب توثيق اللقى الأثرية التي علت سطحه وحددت أزمانها، وقررت في عام (١٩٦٤م) إجراء التنقيبات الموسعة فيه[٥]، وكان قرب النهر من موقع تل الصوان سبباً في ان تقرر مؤسسة الآثار العراقية عام (١٩٦٤م) التنقيب أملاً في العثور على ما يمكن تحديد نوع العلاقة الحضارية بين شمال وجنوب العراق في الألف الخامس قبل الميلاد[٦]، وقد بدأت التنقيبات في تل الصوان منذ عام (١٩٦٤) واستمرت طيلة السنوات السبعة اللاحقة[٧]، ويعود الفضل في اكتشاف مكنونات تل الصوان إلى عالم الآثار العراقي بهنام أبو الصوف وذلك في عام (١٩٦٤م)، وكان اكتشافه محط دهشة الكثيرين[٨]، ففي ستينيات القرن الماضي شكلت دائرة الآثار لجنتان أحدهما خصصت للأبحاث الإسلامية وأُخرى للأبحاث في التاريخ القديم شغل الدكتور بهنام أبو الصوف سكرتاريتها وتقرر زيارة موقع تل الصوان وبموجب هذه الزيارة تأكد للدكتور بهنام أنّ الموقع يضم بقايا تشير

(١) أبو الصوف، بهنام، ظلال الوادي العريق، الموسوعة الصغيرة، ص١٠٧م.

(٢) الآلوسي، سالم، رواد علم الآثار في العراق، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٣) ديفيد، وجوان اوتيس، نشوء الحضارة، ص٨٣.

(٤) بارو، اندريه، سومر فنونها وحضارتها، ص٦٣.

(٥) أبو الصوف، بهنام، ظلال الوادي العريق، الموسوعة الصغيرة، ص١٠٧.

(٦) المصدر نفسه، ص١٠٧-١٠٨.

(٧) المصدر نفسه، ص١٠٩.

(٨) لويد، سيتون، آثار بلاد الرافدين، ص٨١.

إلى زمن حسونة الأقدم منه والذي يعود بتأريخه إلى بداية الألف السادس قبل الميلاد، وزمن لاحق على حسونة عرف بدور سامراء[١]، وكانت نتائج التنقيبات التي أجراها الدكتور بهنام أبو الصوف في تل الصوان ربيع وصيف العام المذكور كبيرة من حيث اللقى والمكتشفات[٢]، وفي عام (١٩٦٨) أدت التنقيبات العراقية في تل الصوان إلى اكتشاف قبور وموقع دفاعي وبنايات وفخار[٣]، ويضم المتحف الوطني العراقي آثاراً لهذا التل إذ تضم قاعة العصور الأُولى في المتحف الوطني العراقي الخزانات (٦-٨) آثار متنوعة من تل الصوان تعود جميعها إلى أوائل الألف السادس قبل الميلاد، وقد ضمت الخزانة رقم (٦) قلائد من الحجر واللازورد والشذر والعقيق والصدف والعظام، إلى جانب تماثيل من الرخام صغيرة الحجم، وقد التفت على رقبة التمثال قلادة من حجر الشذر تم تثبيتها بالقير، أمّا الخزانة رقم (٧) فضمت أدوات مصنعة من الحجارة والعظام والزجاج البركاني الأسود "الاوبسيدي» إلى جانب أواني من الحجر "رخام شمعي اللون» بأشكال متنوعة وبأحجام مختلفة، أمّا الخزانة بالرقم (٨) فضمت أيضاً تماثيل أُنثوية من وضع الوقوف والجلوس علا رؤوسها شعر تم تصنيعه من القار وطعمت أعين بعضها بالأصداف، وكانت صناعة بعض هذه التماثيل باستخدام الطين المشوي، إلى جانب تمثال واحد لرجل عاري من وضع الجلوس صنع باستخدام الطين المشوي وقد تم طلاء التمثال باللون الأحمر، وإلى جانب ذلك ضمت هذه الخزانة أوانٍ اسطوانية رفيعة الشكل من الرخام إلى جانب أدوات أُخرى رخامية[٤].

(١) المطبعي، حميد، الدكتور بهنام أبو الصوف، موسوعة المفكرين والأُدباء العراقيين، ص١٣١.

(٢) المطبعي، حميد، الدكتور بهنام أبو الصوف، موسوعة المفكرين والأُدباء العراقيين، ص١٣٢.

(3) Khalid Ahmad Al A'dami، Excavation At Tell es Sawwan، (Second Season)، Sumer، Nos 12-، PP3839-.

(٤) بصمجي، فرج، كنوز المتحف العراقي، مديرية الآثار العامة، ص١٢٩؛ وينظر:
Faraj Basmachi، Treasures of the Iraq Museum، Al Huria Printing House

ثالثاً: السكان

أظهرت التنقيبات أنّ الطبقات الخمس للموقع تم السكن فيها على التوالي(١)، وأنّ تاريخ السكن في تل الصوان يعود إلى حوالي (٥٦٠٠ ق. م)(٢)، وهذا الموضوع يمكننا تناوله وفق ثلاثة معطيات هي:

١-الهجرة من شمال العراق إلى وسطه؛ إذ كان لازدياد أعداد السكان في المناطق الشمالية سبباً في انتشار السكان إلى مناطق أُخرى وخاصة مناطق حضارة سامراء(٣)، حيث انحدر إنسان انتاج القوت من شمال العراق نحو وسطه(٤)، وكان اللجوء إلى الزراعة باعتماد الري الاصطناعي في عموم مناطق غرب آسيا عائد أساساً إلى تناقص كميات الأمطار المتساقطة(٥)، لذا كان هذا السبب في تزايد أعداد السكان في شمال البلاد سبباً في التوجه للعيش في مناطق تقع إلى الجنوب من خط المطر حتى بلغ بسكناه سامراء(٦).

٢-هجرة سكان من وسط العراق إلى جنوبه: إذ إنّ طور اريدو أقدم مستوطنة في جنوب العراق يقابل شمالاً عصري حلف وسامراء زمنيّاً(٧)، ويرى بعض الباحثين

---

and Al Jumhuriya، pp105106-.

(١) لويد، سيتون، آثار بلاد الرافدين، ص٨١.

(٢) الدباغ، تقي، الجادر، وليد، عصور قبل التاريخ، ص١٤٦.

(٣) رشيد، فوزي، أثر المجتمع في تكوين القيم الجمالية في سومر وأكد، مجلة فنون عربية، العدد١، ص٨.

(٤) صاحب، زهير، فخاريات بلاد الرافدين عصور قبل التاريخ، ص١٦٩.

(٥) زودن، فون، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ص١٦.

(٦) رشيد، فوزي، وئد البنات ونظام تعدد الأزواج في عصور ما قبل التاريخ، مجلة سومر، مج٣٦، ص٥٤.

(٧) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص٣٦.

أنّ مستوطني اريدو هم السومريون الأوائل، وآخرون يرون أنّهم هجرة اتت بهم من حلف وسامراء استناداً إلى التشابه بين فخاري اريدو وسامراء[١]، وكان لعدم وجود تماثيل الإلهة الأُم في طبقات اريدو الجنوبية التي اشتهرت بها حضارتي حلف وسامراء سبباً في أنّ يقال بعدم وجود علاقة بين كلا المجموعتين البشريتين[٢]، وهنا نتساءل لِمَ لا يكون ذلك سبباً في أنّ بعضها بقي متمسكاً بعبادة الإلهة الأُم والذين هاجروا مالوا إلى عبادة الظواهر الطبيعية، كما سيتبين لنا من طرح الدليل على هجرة سكان من حضارة سامراء بما فيهم سكان من تل الصوان إلى جنوب البلاد، إذ من المؤكد أنّ أواخر الألف السادس وأوائل الألف الخامس قبل الميلاد عملية استيطان جنوب العراق[٣]، وواحدة من أسباب ذلك يتعلق بطبيعة المعتقد الديني الذي ساد وسط البلاد ممثلاً بحضارة سامراء وبحسب هذه الفكرة أو النظرية فإنّ السومريين جاءوا إلى جنوب البلاد من شماله نتيجة زيادة عدد السكان ونتيجة حيف ألم بهم نتيجة نشوء معتقد ديني جديد يدعو إلى عبادة الظواهر الطبيعية بدلاً عن الإلهة الأم[٤]، وإنّ انصار الديانة الجديدة قد وجدوا ضرورة مغادرة مناطق سكناهم التي تعرضوا فيها إلى الاضطهاد في المنطقة الشمالية ووسط العراق في سامراء وخصوصاً مستوطن تل الصوان والتوجه جنوباً حيث مارسوا معتقدهم الديني الجديد بحرية مع السكان الذين سبقوهم في الاستيطان فيه، وأنّ السومريين هم الوافدون الجدد على هذه المنطقة ولعل تسمية سومر هي اشتقاق لتسمية سامراء[٥]، وأنّ تقديس خصوبة

(١) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص٣٦-٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٩-٤٠.

(٣) المطبعي، حميد، الدكتور بهنام أبو الصوف، موسوعة المفكرين والأدباء العراقيين، ص١٣٠.

(٤) رشيد، فوزي، من هم السومريون، ص٨٣-٨٤.

(٥) رشيد، فوزي، حركة تحررية في فترة عصور ما قبل التاريخ وعلاقتها بالفن السومري، ص٧٨-٧٩.

الأرض وهي ديانة المناطق الوسطى والشمالية من العراق كان لوجود العوامل الجوية المسببة للمطر من رياح وتكاثف وبالتالي توفر عامل المطر اللازم للإنبات وبالتالي فقط الحاجة إلى خصوبة التربة وبين مجموعات من الناس وجدت بأنّ عبادة الخصوبة في ظل تذبذب الأمطار وعدم انتظامها ليس له مسوغ ومبرر لذا من الضروري أنّ تتم عبادة الظواهر الجوية المسببة للأمطار وقد قوبل التوجه الجديد بالرفض من قبل أصحاب الديانة الأُولى ولعله بقسوة إلى جانب مقابلة ذلك بعملية إصلاح ديني تمثل بإدخال عامل الإخصاب الذكري إلى جانب عامل الإخصاب الأُنثوي الذي رمز إليه مسبقاً بتمثال الإلهة الأُم[١]، وإنّ من عوامل الإغراء التي مورست لدعم توجه مريدي الديانة الأُولى بالإبقاء على توجهاتهم الدينية المتمثلة بعبادة الخصوبة في التربة وحمل المخالفين على التخلي عن أفكارهم الجديدة قيامهم بنحت أعداد كبيرة من الرموز المعبرة عن الذكورة والأُنوثة ومن مادة المرمر وهذا ما تدل عليه مكتشفات تل الصوان وحضارة سامراء بشكل عام بينما بقية مناطق العراق الأُخرى وجدت فيها بأعداد قليلة ومصنعة من مادة الطين، وكذلك ما دل عليه فن الرسم عندهم التي وزعت فيها رسومات النباتات والحيوانات بشكل دائري للتعبير على استمرارية الحياة التي تتم بفعل الخصوبة والتكاثر[٢]، وكانت الحركة الاصلاحية بإدخال رمز الذكورة هي محاولة لحمل الرجال على عدم الانسياق وراء تغيير المعتقد الخاص بخصوبة الأرض لكونه قد أصبح طرفاً مؤثراً فيها[٣]، ولعل المشاهد الفنية التي تظهر حالة تكبيل اليدين من الخلف والنساء العاريات التي وجدت في حضارة سومر هي تصوير لبقايا ذكرياتهم التي نالوا فيها التعذيب بسبب معتقدهم الديني الجديد قبل

(١) رشيد، فوزي، حركة تحررية في فترة عصور ما قبل التاريخ وعلاقتها بالفن السومري، ص٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٥.

(٣) رشيد، فوزي، أثر المجتمع في تكوين القيم الجمالية في سومر وأكد، مجلة فنون عربية، ص١٠.

هجرتهم[١]، على اعتبار أنّ الفن يعكس واقعاً حقيقيّاً الم بالإنسان[٢]، ومّما يؤكد حقيقة الانتقال من عبادة الخصوبة إلى عبادة العوامل المؤثرة في المطر وخصوصاً الرياح أنّ الأساطير قد اسندت إلى إله الرياح (انليل) فعل خلق الكون والإنسان[٣]، وهناك رأي يرى أنّ انتقال سكان منطقة سامراء إلى جنوب البلاد كان نتيجة الضغط الذي مورس عليهم من جيرانهم في تل حلف[٤].

٣-أمّا الرأي الآخر فيرى أنّ استيطان الجزء الجنوبي من بلاد الرافدين جاء نتيجة هجرة السكان عن منطقة سامراء في عصرها الأخير متوجهين إلى جنوب العراق حيث المناطق التي غمرتها مياه المستنقعات[٥]، وبالنتيجة فإنّ سبب هجرة الناس عن سامراء لأسباب تتعلق باكتمال السهل الرسوبي[٦].

المحور الثاني: الدين

ضمت البناية رقم (١) في الطبقة الأُولى، أي: السفلى اربعة غرف كانت جميع مداخلها على محور واحد وضم الجدار الشمالي للغرفة الأخيرة على كوة أو حنية عثر في أرضيتها على مجموعة دمى مصنعة من الحجر الشمعي، فسرت على أنّها آلهة أُنثوية ممّا يعني أنّ هذا المبنى كان ذا وظيفة دينية، وثمة رأي يرى ان البناية ذي الرمز (B) من الطبقة الثالثة هي المبنى ذي الوظيفة الدينية[٧]، وقد استدل الُأستاذ بهنام أبو الصوف

(١) رشيد، فوزي، حركة تحررية في فترة عصور ما قبل التاريخ وعلاقتها بالفن السومري، ص٧٩.

(٢) رشيد، فوزي، من هم السومريون، ص٨٤.

(٣) رشيد، فوزي، الثورات الثقافية في معتقدات العراق القديم، ص١٠٣.

(٤) تي بوتس، دانيال، حضارة وادي الرافدين الأُسس المادية والتراث، ص٩٢.

(٥) ديكانوف ي م وآخرون، تاريخ الشرق القديم نشوء المجتمعات الطبقية القديمة والمواطن الأُولى للحضارات العبودية، ص٧٢.

(٦) القيسي، محمد فهد، سامراء في العصور القديمة، ص٢٣١.

(٧) الشيخ، عادل عبد الله، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، ص٨٧.

على الوظيفة الدينية للمبنى الذي اكتشفه من: "كُبر حجمه، وضخامة سمك جدرانه، وخلوه من آثار الأدوات الحياتية»[١]، وفسر وجود معظم البنايات التي على شكل الحرف (T) على أنّها مخازن للغلال إلّا أنّ احداها تأكد أنّها ذات صفة دينية[٢]، وبهذا يكون الألف السادس قبل الميلاد قد شهد تشييد أول مزار للإلهة الأُم (Mother god-dess) في تل الصوان[٣]، وبهذا أيضاً يعد المعبد نتاج العصر الحجري الحديث ويعد أول أنواع الأبنية العامة وإذا ما تأكد أنّ المبنى الذي اكتشف في تل الصوان هو معبد فإنّ ذلك يعني أنّ هذه المنطقة شهدت أول ظهور له وممّا يدعم كونه معبداً وجود تماثيل مرمرية تجسد الإلهة الأُم[٤]، وأنّ أول معبد سومري في جنوب العراق تأكد وجوده في الطبقة السادسة من مدينة الوركاء[٥]، أي: بعد معبد تل الصوان بزمن طويل.

كانت أبنية تل الصوان تضم في احد جوانبها محلاً للعبادة توضع فيه تماثيل الإلهة الأُم رمز الخصوبة وقد صنعت من حجر المرمر أو الطين[٦]، وتماثيل الإلهة الُأم عثر على نماذج منه في مواقع عصور قبل التاريخ حسونة وتل الصوان وحلف في العصور الحجري المعدني القديم والعصر الحجري المعدني الوسيط ودور العبيد ولا يعرف إنّ كانت هذه التماثيل ترمز لإلهة واحدة اشتركت في عبادتها هذه المواقع على اختلاف تسلسلها التاريخي أم كانت كلّ منها ترمز لإلهة مستقلة عن الأُخرى[٧]، وتم

(١) صاحب، زهير، مملكة الفن دراسة في الحضارة العراقية، ص٧٧.

(٢) لويد، سيتون، آثار بلاد الرافدين، ص٨١-٨٢.

(٣) أبو الصوف، بهنام، ظلال الوادي العريق، ص٦٨.

(٤) الدباغ، تقي، الفكر الديني القديم، ص٢٨.

(٥) لينتسن، هاينرش، العمارة في منطقة إي أنا في عصر الطبقة الرابعة لمدينة الوركاء، ص٣١.

(٦) أبو الصوف، بهنام، ظلال الوادي العريق، الموسوعة الصغيرة، ص١١١.

(٧) حنون، نائل، شخصية الإلهة الأُم ودور الإلهة إنانا عشتار في النصوص السومرية والاكدية، ص٢٢.

الاعتقاد بها على نطاق واسع في الديانات القديمة وقد ميزت عن سائر الآلهة الرئيسية أو الخالقة وكان من صفاتها الخلق والإنجاب ومن خصائصها أنّها مظهر أصيل في الكون، ولها قدرة إدامة الحيوية في الآلهة وأنّها في الغالب زوجة للإله الرئيسي في مجمع الآلهة[١]، وقد دلت اشكالها على الخصب من خلال تضخيم أجزاء جسم المرأة الدال على التكاثر ولابد أنّ هذه الفكرة ناجمة عن مشاهدة الفنان لحال المرأة عند الحمل[٢]، وقد فسر عبادة الإلهة الُأم على حالة الموائمة بين المرأة والأرض من أنّ كلّ منهما يخلق الحياة بفضل التكاثر التي يكون كلاهما قناةً لحصوله[٣]، وأنّ ذلك جاء لانتقال الإنسان من حياة الصيد إلى الزراعة وتربية المواشي والذي دفع باتجاه عبادة الإلهة الأُم التي تتعهد أمر الزراعة[٤]، وأنّ الانتقال من طور الزراعة المعتمدة على الأمطار إلى تلك المعتمدة على الري الاصطناعي لم يفقد عبادة عناصر الطبيعة من قبل الإنسان شيء بل زاد رسوخاً في التعبد إليها بدليل أنّ الرسومات التي زينت منحوتاته الحجرية والفخارية جاءت لتمثل فكرة النماء والتكاثر بصورة رمزية[٥]، وكانت بعض نماذج تماثيل الإلهة الأُم قد تم تلوين منطقة البطن فيها بالألوان وفي ذلك دلالة على تحديد منطقة الخصب[٦]، وأنّ عبادة الإلهة الُأم كان عملياً تعبيراً وظيفيّاً لطبيعة الدور الذي تؤديه الأُم من خلال الحمل والولادة ورفد المجتمع بالقوى العاملة لمجتمع اتسعت نشاطاته في الألف السادس قبل الميلاد وخصوصاً في قرى منطقة سامراء

(١) حنون، نائل، شخصية الإلهة الأُم ودور الإلهة إنانا عشتار في النصوص السومرية والاكدية، ص٢٣.

(٢) صاحب، زهير، الخطاط، سلمان، تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين، ص٣٣.

(٣) بلباس، كاروان صديق بكر، المعابد الطولية من عصر العبيد حتى نهاية العصر البابلي القديم (٤٠٠٠-١٥٩٥ ق. م)، ص٣١.

(٤) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج١، ص١٩.

(٥) صاحب، زهير، فخاريات بلاد الرافدين عصور قبل التاريخ، ص٤٣.

(٦) المصدر نفسه، ص١٨٨.

ودور حلف، وأنّ هناك ترويضاً للبيئة القاسية لا سيما ما يتعلق بالري الاصطناعي قد شهده هذا الزمن[١].

عثر في تل الصوان على أكثر من مائة قبر دفن فيها أثاثاً مرمريّاً غريب الشكل، إلى جانب تماثيل لإلهة الخصوبة صغيرة الحجم بوضع الوقوف كانت عيون بعضها من الصدف وشعر رأسها من القطران[٢]، وعثر في مقابر الأطفال واتصفت بالكثرة في الطبقة السفلى من البناية رقم (١) على دمى مصنعة من الحجر الشمعي أو المرمر وأُخرى من الطين والجص وربّما يفسر ذلك على وجود طقوس دينية تتعلق بالدفن[٣]، ووجدت في قبور البالغين والتي تم تلوين بعض رؤوسها باللون الأحمر آنية فخارية وصناعات عظمية وحلي شملت خواتم وأساور وقلائد تم تصنيعها من الحجر إلى جانب أشكال ترمز إلى عضو الرجل كما يعتقد، أمّا الأطفال فقد دفنوا وقد عنيت قبورهم بجهاز جنائزي بسيط يتمثل بدمى مصنعة من الشمع إلى جانب عدد قليل من الآنية الفخارية صغيرة الحجم غير مزخرفة[٤]، وعثر في قبور تل الصوان عائدة إلى العصر الحجري الحديث أواني حجرية ودمى مرمرية وحلي من العقيق والنحاس والفيروز[٥]، وهناك من فسر وضع الدمى في القبور على أنّه لرغبة الُأم التي فقدت ولدها بأنّ ترزق بآخر[٦]، وعثر في قبر من الطبقة الُأولى لتل الصوان على سكين تم

(١) مهدي، علي محمد، الملاحم والأساطير في العراق القديم، ص١٠٧.

(٢) عكاشة، ثروت، تاريخ الفن العراقي القديم سومر وبابل وآشور، الكتاب الرابع، ص٩٠.

(٣) الشيخ، عادل عبد الله، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، ص٨٨-٨٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٨٩.

(٥) حنون، نائل، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار، ص٤٩-٥٠.

(٦) كسار، أكرم محمد عبد، النحت في العصرين الحجري الحديث والحجري المعدني، ص١٠٣.

ثقب أحد نهايتيه[١]، ويعود جذر دفن الحاجيات أو مستلزمات الشخص مع المتوفى في العراق القديم إلى كهف شانيدار في شمال البلاد إذ تم العثور على مغرة حمراء وقلادة صغيرة من الخرز في قبر أنثى وعلى سكين من حجر الصوان ثبتت قبضة لها من العظم بمادة القير في قبر آخر[٢]، وكلّ ما تم ذكره يؤكد حقيقة حالة إيمان بحياة بعد الموت، وأنّ هناك حاجة للمتوفى إلى لوازم تعينه على الاستمرار في تلك الحياة.

تم دفن الأموات في قرية الصوان بوضعية القرفصاء بشكل غالب ويكون اتجاه الرأس بشكل عام إلى الجنوب أو الغرب، وتم وضع رؤوس بعضهم باتجاه الشرق[٣]، وأنّ قيام سكان تل الصوان بدفن أمواتهم بهذه الوضعيات يؤكد على أنّ هناك طقوس دينية تلازم فعل الدفن[٤].

كان مشهد النساء الراقصات عثر عليه في معظم مواقع سامراء الأثرية[٥]، وعُدت رسومات النسوة الراقصات التي امتاز بها عصر سامراء ذي مغزى سحري أو خاصّاً بالزراعة[٦]، وكانت الرقصات التي تؤديها النسوة فيها استعطاف لقوى الطبيعة لاستدرار المطر وتحقق الخصب والنماء[٧]؛ وهذا يؤكد حقيقة استمرار عبادة الظواهر الطبيعية إلى جانب عبادة الإلهة الأُم الدالة على الأرض ولعل هذا يقودنا إلى التفكير بأنّ مجتمع تل الصوان وسامراء عامة في هذه الفترة الحضارية قد تعبد لكلا

(١) عادل عبد الله الشيخ، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، ص٩٠.

(٢) حنون، نائل، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، ص٤٩.

(٣) حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة، ص٢٤٢.

(٤) الراوي، شيبان ثابت، الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي الحديث، ص١٩٠.

(٥) اوتيس، ديفيد وجوان، نشوء الحضارة، ص٩٠.

(٦) الدباغ، تقي، الجادر، وليد، عصور قبل التاريخ، ص١٥٠.

(٧) صاحب، زهير، فخاريات بلاد الرافدين عصور قبل التاريخ، ص٤٧.

المعبودات الطبيعية العليا السماوية والدنيوية الأرضية أو لعله انقسم إلى قسمين من يتعبد هذه أو تلك وبالنتيجة اندفع أصحاب العبادات الأرضية نحو الجنوب.

المحور الثالث: النظام السياسي والاستقلال السياسي

أولاً: النظام السياسي

في أحد اطراف مستوطنة تل الصوان في طبقتها الثالثة تم الكشف عن دار واسعة يمكن أنّ يطلق عليه بتحفظ أنّه قصر ضم في داخله غرف كبيرة الحجم يتوسط هذه الغرف فناء وهذه الغرف ربّما كانت مكاناً لعيش شيخ القرية ومكاناً لإدارة شؤونها وإنّ صح هذا التفسير فيكون هذا القصر أقدم دار للحكومة في تاريخ العراق القديم(١)، وأول استخدام لمعنى قصر ملكي لإدارة الشؤون السياسية والإدارية كان قد خص به قصور من عصر فجر السلالات الثالث (٢٦٠٠-٢٣٧٠ ق. م) كالتي عثر عليها في كيش وأريدو وماري وتل اسمر(٢).

وكان تمثال رجل تل الصوان العاري تجسيداً لفكرة القوة الجسمانية التي تقود إلى الزعامة(٣)، وأنّ فهمنا لطبيعة المهام التي كانت قد أدت إلى وجود الملك وانبثاق فكرة الملوكية تؤكد لنا حقيقة أنّ هذا التمثال رمز للقوة وهي رمز لقوة من يحكم(٤)، ولا ننسى أنّ التحكم بماء النهر والتخلص من آثار العواصف الشديدة أحد أهم متطلبات المدينة العراقية القديمة لذا نجد أنّ التعبئة أمراً لا يمكن إلّا به التصدي

(١) أبو الصوف، بهنام، ظلال الوادي العريق، ص١١٤.

(٢) لويد، آثار بلاد الرافدين، ص١٠٥.

(٣) العبيدي، محمد جاسم، الأشكال النحتية على سطوح الآنية الفخارية الرافدينية والخزفية العراقية المعاصرة، ص١١٢.

(٤) عن كرة الملك وطبيعة الملوكية ينظر: ه فرانكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة الإنسان في مغامراته الفكرية الأُولى، ص٢٢٣-٢٢٤.

لهذين الخطرين[١].

كانت القرى التي نشأت منذ الألف التاسع قبل الميلاد قد شهدت نشوء أولى المجالس النيابية متمثلة بمجلس القرية وتدار من قبل الأكثر حنكة لتحقيق المصلحة العامة للقرية[٢]، وبقدر تعلق الأمر بقرية الصوان نجد في المجموعات البنائية في طبقات تل الصوان أنّ هناك ظاهرة بنائية فريدة تتمثل بوجود مصاطب لصق جدران بعض المباني وكانت تستخدم لغرض جلوس شيوخ القرية لغرض التداول في شؤون القرية[٣]، ولو أخذنا بالرأي الذي يقول بأنّ مجلس المدينة في العصر السومري والعصور التالية في العراق القديم كانت تدار من قبل مجلس عام[٤]، وغايته الوصول إلى رأي يحظى بالقبول الكلي للمجتمعين[٥]، فإنّ هذا المجلس الذي أقر بوجوده في قرية الصوان سيكون هو الأول من نوعه في بلاد الرافدين القديمة المؤكد وجوده من الناحية الأثرية.

ثانياً: الاستقلال السياسي

يعد تل الصوان أقدم موقع في بلاد الرافدين له سور دفاعي[٦]، إذ عثر في الطبقة الأُولى على خندق دفاعي لقرية الصوان يمتد من الجهة الشرقية ليحيط بها من ثلاثة جهات وقد استمر وجوده طيلة تاريخها وقد شهد في عهد الطبقتين الثالثة والرابعة تشييد سور دفاعي ضخم دعم بالطلعات والدخلات ليكون بذلك حصناً

(١) ممفورد، لويس، المدينة على مر العصور أصلها وتطورها ومستقبلها، ج١، ص٢١٢.

(٢) مهدي، علي محمد، الملاحم والأساطير في العراق القديم، ص١٠٥.

(٣) أبو الصوف، بهنام، ظلال الوادي العريق، الموسوعة الصغيرة، ص١١٠.

(٤) فرانكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة الإنسان في مغامراته الفكرية الأُولى، ص١٤٩.

(٥) فرانكفورت، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ص٨٥-٨٦.

(٦) ساكز، هاري، البابليون، ص٤١.

منيعاً لها وإنّ وجود كرات المقلاع يؤكد على أنّ وجوده لغايات دفاعية وربّما يدل ذلك وقوع معركة تصدت فيها القرية لمهاجمين من خارجها[١]، وإنّ عد سور الوركاء الذي يعود إلى عام (٢٧٥٠ ق. م) بأنّه أول سور دفاعي في تاريخ العراق القديم[٢] أمر يتنافى وهذا الاكتشاف الأثري في تل الصوان، وبذلك فان أول تحصين دفاعي في بلاد الرافدين تم اكتشافه في تل الصوان[٣]، وكان وجود السور والخندق دليلًا على أنّ مساحة الإرواء الاصطناعي صغيرة الحجم ممّا يستوجب حمايتها والحفاظ عليها لصالح سكان المستوطنة لذا كان العنصر المدافع بصورة رئيسية يتمثل بالرجال ممّا قاد إلى أنّ يجسد بصورة فنية على هيأة تمثال فخاري[٤]، وكان الدخول إلى المستوطنة عبر الخندق والسور يتم عبر ممر متعرج غايته إعاقة تقدم الأعداء في حالة مهاجمتهم للمستوطن[٥]، وحدد الخندق المحاط بسور تل الصوان بعرض وعمق يصلان إلى ثلاثة أمتار ويتم ملؤه بالماء من جدول متصل به[٦]، وبذلك يعد السور أول سور من نوعه في بلاد الرافدين، وأنّ وجوده يدل على وجود هجوم، وإنّه كذلك يدل على الاستقلالية السياسية، وهو بذلك ربّما يدل على هجرات أرادت مزاحمة هذه الموجة البشرية التي سبقتهم إلى هذا المكان، وإنّ صح هذا فهو دلالة على خصب أراضيهم وبالتالي رغبة الآخرين السيطرة عليها.

---

(١) الشيخ، عادل عبد الله، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، ص٨٨.

(٢) رشيد، فوزي، الجيش والسلاح، حضارة العراق، ج٢، ص٤٨.

(٣) صالح، عبد العزيز حميد، القلاع والتحصينات الدفاعية في بلاد الرافدين، المجلة العربية للثقافة، مج٢٦، العدد٥٠، ص٩.

(٤) صاحب، زهير، فخاريات بلاد الرافدين عصور قبل التاريخ، ص١٧٣-١٧٤.

(٥) حمود، حسين ظاهر، العصر الحجري المعدني أبرز الإنجازات الحضارية في بلاد الرافدين، ص٩٥.

(٦) غولاييف، فاليري، المدن الأُولى، ص٤٠-٤١.

المحور الرابع: الحياة الاجتماعية الاقتصادية

إنّ وجود البذور في جرار فخارية صغيرة عادية الصنع داخل مبنى هو عبارة عن مخزن للغلال وعدم وجود هذه الجرار الفخارية في بيوت السكن إلى جانب وجود البذور والأدوات الزراعية دليل كبير على أنّ مجتمع تل الصوان كان مجتمعاً منظماً اجتماعياً واقتصاديّاً إلى حد كبير[١]، ممّا يعني أنّ أهل قرية الصوان كانوا يخزنون منتجاتهم الغذائية من زراعية وحيوانية في مكان واحد على أنّه ناتج مشترك لهم جميعاً، ومن ثم فإننا نفترض أنّ تناول الطعام في هذه الحالة إمّا أنّ يكون بصورة وليمة مشتركة، وبذلك هم يسبقون ما كانت عليه مدينة اسبارطة اليونانية التي عُرفت بهذا الشكل[٢]، أو لربّما يتم توزيع ما تجنيه القرية من منتجات زراعية وحيوانية على شكل حصص غذائية، ونرى أنّ الافتراض الأول هو الأرجح في ظل عدم وجود جرار فخارية ومواد زراعية في بيوت السكن.

عاش مستوطن تل الصوان رخاءً من الناحية الاقتصادية[٣]، والدليل على ذلك استخدام مواد البناء[٤] المتميزة بدقة صناعتها[٥]، وكانت معظم الغرف التي استخدمت كمخازن للغلال تضم بقايا من الغلال وعظام حيوانات خصصت

---

(1) Ghanim Wahida، the Excavations of the Third Season At Tell as_ Sawwan 1966، Sumer، Vol23، No، P171.

(٢) عن ظاهرة تناول الطعام بصورة مشتركة بين جميع أبناء مدينة اسبارطة ينظر: باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، ص٥٩٤.

(٣) صاحب، زهير، فخاريات بلاد الرافدين عصور قبل التاريخ، ص٥٤.

(٤) عن المواد المستخدمة في البناء في تل الصوان ينظر: جاسم، جاسم عبد الأمير، مخططات ومبانٍ من سامراء في عصور قبل التاريخ، مجلة تراث سامراء، العدد٢، ص٢٦٣.

(٥) الجادر، وليد محمود، زهير رجب عبد الله، رأي في التخطيط الثلاثي في العمارة العراقية القديمة في ضوء تنقيبات جامعة بغداد في تل عياش (حوض سد حمرين)، ص٢١٣.

للطعام بالإضافة إلى الآلات والأدوات المصنعة من الحجر التي استخدمت للحراثة والحصاد وتهيئة الطعام[١]، وقد عثر في تل الصوان على بقايا حبوب وخضراوات وعظام أسماك وحيوانات بكميات كبيرة ممّا يدل على أنّ اقتصاد هذا المستوطن كان مختلط قائم على الزراعة المروية اصطناعيّاً إلى جانب ممارسة الرعي والصيد[٢]، وتم العثور في تل الصوان عام (١٩٦٤) على رواسب صغيرة من الحبوب والبذور المتفحمة داخل سور المستوطن وعلى الرغم من قلة ما وجد إلّا أنّ لها أهمية؛ لأنّها تكشف عن أول دليل على هذه الأنواع النباتية في أحواض أنّهار بلاد الرافدين، متمثلة بحنطة اينكورن وأمير وقمح الخبز وعشب وجه الماعز والشعير المقشر وبذور الكتان وأنواع من النباتات الشوكية [٣]، وتم العثور على كميات كبيرة من الحبوب والنباتات المزروعة منها أنواع أربعة من الشعير وثلاثة من الحنطة ومن الكتان نوع واحد إلى جانب ستة أنواع من الشعير ذي الستة صفوف وجميعها تم الاعتماد في زراعتها على الري الاصطناعي[٤]، وكانت أهمية الشعير تأتي من تحمله للملوحة وجفاف أشد ممّا تتحمله الحنطة لذا كان مادة غذائية مهمة لصناعة الخبز وتخمير الجعة[٥]، ويعد الشعير ذي الصفوف الستة متطوراً وراثيّاً عن الشعير ذي الصفين الذي كانت تتم زراعته في الأراضي المرتفعة التي تعتمد في زراعته على الأمطار في حين تتم زراعة الشعير ذي الصفوف الستة باستخدام الري الاصطناعي[٦]، وهذه واحدة من الُأمور التي

(١) أبو الصوف، بهنام، التنقيب في تل الصوان الموسم الرابع ربيع ١٩٦٧، ص٣٩.

(٢) لويد، سيتون، آثار بلاد الرافدين، ص٨٢.

(3) Hans Helback، Early Hassunan Vegetable At Es_ Sawwan Near Samarra، Vol20، Sumer، P45.

(٤) ديكانوف ي م وآخرون، تاريخ الشرق القديم نشوء المجتمعات الطبقية القديمة والمواطن الأُولى للحضارات العبودية، ص٧٠.

(٥) جون اوتس، بابل تاريخ مصور، ص٢٩٥.

(٦) تي بوتس، دانيال، حضارة وادي الرافدين الأُسس المادية، ص٩٨.

يستند إليها في تحديد هجرتهم إلى وسط العراق من شماله، وعرفت منطقة سامراء بصورة عامة زراعة حنطة اينكورن البرية وكذلك المدجنة، وأثرياً ثبتت زراعتها في تل الصوان إلى جانب مناطق أُخرى في الألفين السابع والسادس قبل الميلاد[١]، وكان تطور أساليب الري سبباً في حصول التماسك الاجتماعي والسياسي إذ باتت كلّ مستوطنة تعتمد على جاراتها[٢]، وقد فسر انبثاق المدن على أنّه نتيجة اقفار الزراعة ونشوء النظام الهايدروليكي أو نظام الري الاصطناعي في الزراعة الذي نتج عنه نشوء المدن إلى جانب نشوء الدولة على الرغم من وجود رأي يناقض ذلك مفاده أنّ أنظمة الري سبقت نظام الحكم السياسية والاجتماعية، وقد عزى بعضهم نشوء المدينة إلى حصول الاتصالات الدائمة والمعقدة بين المزارعين الحضر والرحل الرعاة، فيما يرى تفسير آخر أنّ تطور الإنتاج والتقسيم الاجتماعي للعمل هو مَن ساهم في ظهورها[٣]، وكان تطوير الري الاصطناعي وزيادة الانتاج في جنوب العراق قد بدأ في أواخر الألف السادس قبل الميلاد نتيجة هجرات السكان إليها، ومنها هجرات سكان منطقة سامراء[٤]، وكان لسكان تل الصوان دورهم في نقل وسائل الري إلى جنوب العراق[٥]، والقول: إنّ تأخر سكن السهل الرسوبي جاء لعدم إمكانية الإنسان التصدي لفيضان النهرين واستغلالهما[٦] رأي غير سليم في ظل ثبوت حقيقة استيطان جنوب العراق قبل السومريين، بل من الممكن أنّ يكون لقابليات سكان تل الصوان ومن هاجر من وسط العراق إلى جنوبه الأكثر تطوراً في التحكم

(١) تي بوتس، دانيال، حضارة وادي الرافدين الأُسس المادية، ص١٠٤-١٠٥.

(٢) هنري فرانكفورت، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ص٤١.

(٣) غولاييف، المدن الأُولى، ص٦١-٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٥) بوتس، دانيال، حضارة وادي الرافدين الأُسس المادية، ص٩٢.

(٦) زودن، فون، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ص١٣.

بالمياه سبباً في أنّ يعمروه.

إنّ البيئة التي تتوفر فيها نباتات وحيوانات برية يصبح تهجين النبات والحيوان فيها ممكناً[١]، كذلك عثر على مناجل تم تصنيعها من أربعة شظايا تم تثبيتها بالقار[٢]، وكانت أنواع الأسماك كثيرة لم يتمكن من معرفة أصنافها بالنظر لعدم أمكان ذلك في ظل تهرئ بقاياها العظمية[٣]، وكذلك قيام سكان هذه القرية بتدجين الحيوانات كالأغنام والماعز إلى جانب صيد الحيوانات البرية كالغزال والثور والقطط البرية[٤]، وان واحدة من دلالات الرخاء الاقتصادي أنّ القبور التاريخية أظهرت مقدار الواقع الاقتصادي لسكان المنطقة التي تتواجد فيها هذه القبور وذلك من خلال ما يتم دفنه من حاجيات مع المتوفى[٥]، وعثر في تل الصوان على زجاج بركاني أسود من النوع المعروف بـ»الاوبسيدي» من المعتقد أنّ تم استيراده من منطقة دوغو بايزيد الواقعة عند سفح جبل ارارات[٦].

المحور الخامس: الفن

عثر المنقب الألماني هرتسفيلد تحت المباني الإسلامية في مدينة سامراء على أواني رخامية شبيهة لتلك التي عثر عليها في تل الصوان إلى جانب فخاريات ملونة

(١) حازم، حسين يوسف، مفهوم الثورة الزراعية عند باحثي عصور ما قبل التاريخ نظرية كوردن تشايلد نموذجاً (دراسة تحليلية)، ص١٧٦.

(٢) الشيخ، عادل عبد الله، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، ص٨٩.

(3) Kent V Flannery and Jane C Wheeler، Animal Bones From Tell As_ Sawwan Level111 (Samaran Period)، P181.

(٤) الشيخ، عادل عبد الله، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، ص٩٠.

(٥) حنون، نائل، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، ص٧٦.

(٦) الدباغ، الجادر، عصور قبل التاريخ، ص١٤٧.

وقلائد من الخرز[١]، ممّا يدل على وجود صلات بين سكان هذا التل ومنطقة سامراء وهذا يدل على أحد أمرين إمّا أنّ تكون أحداهما تحت نفوذ الأُخرى سياسياً، أو أنّ ارتباطات اجتماعية وتجارية واقتصادية جمعت بينهم، وكانت فخاريات منطقة سامراء ذات تقنية وحرفية أعلى من تلك التي عثر عليها في تل حسونة الأقدم تاريخاً منها وقد أتصفت بكونها مزخرفة[٢]، وتوصلت تنقيبات دائرة الآثار العراقية لدى تنقيبها في تل الصوان عن فخار من طراز سامراء[٣]، وكانت الأواني من تل الصوان شبيهة قليلاً بما عثر عليه في تنقيبات جبال زاكروس[٤]، وعُدت صناعة الأواني والجرار باستخدام الحجر الشمعي (الرخام) أول نوع للصناعة في هذه المنطقة، وأنّها سبقت الصناعات الفخارية ويحدد تاريخ ذلك في نهاية النصف الأول من العصر الحجري الحديث لمنطقة جنوب غرب آسيا والأخيرة تعد المنطقة النموذجية التي ظهرت فيها الحضارة النموذجية الهامة، وقد امتازت صناعته في تل الصوان بالدقة ورفعة الذوق لشفافيتها، كما يدل سعة استخدام هذا النوع من الحجر دليلاً على توافره بكثرة[٥]، وقد ظهر الفخار بديلاً عن الأواني الحجرية في مطلع العصر الحجري الحديث[٦]، والجرار الفخارية التي تم العثور عليها في تل الصوان تمتاز بأعناقها التي تتجه حافاتها إلى الخارج وبفوهاتها البيضوية الشكل، وأنّ جوانبها الحادة دفعت بالباحثين إلى ترجيح أنّ تكون صناعة هذه الجرار جاء تشبيهاً بصناعات مماثلة تمت باستخدام المعدن في حين أنّ الدور الحضاري اللاحق متمثلاً بحضارة حلف لم يتأكد استخدام

(١) بصمجي، فرج، كنوز المتحف العراقي، ص١٧.

(٢) بارو، اندريه، سومر فنونها وحضارتها، ص٩٢.

(٣) اوتيس، ديفيد وجوان، نشوء الحضارة، ص١٢٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٠٩.

(٥) الدباغ، الجادر، عصور قبل التاريخ، ص١٤٨-١٤٩.

(٦) الدباغ، تقي، الفخار القديم، مجلة سومر، مج٢٠، ص١٠٠.

الحديد فيه[١]، ودلت الطبقة الثالثة والرابعة والخامسة من تل الصوان على وجود معالم لحضارة سامراء التقليدية وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بالإنتاج الفخاري والذي تميل فيه الطينة المستخدمة في انتاجه إلى اللون الأخضر الناجم عن درجة شيّه وتركيبة الطين المستخدم[٢]، وقد عثر في تل صغير يعود بتاريخه إلى الألف السادس قبل الميلاد يعرف بتسمية (Ws298) شمال شرق الوركاء بعشرة كيلومترات على فخار ملون يشابه فخار منطقة سامراء وجوخا مامي[٣]، واتصفت الأواني النذرية في مقبرة الأطفال في تل الصوان برشاقتها العالية وجودتها وجماليتها التي تفوق التصور[٤]، وتماثيل تل الصوان كانت تعبيراً عن فكرة انتصار الشكل كونه وسيطاً بين الطبيعة المادية والعالم الروحي[٥]، وقد دلت فخاريات هذه الحضارة على بدء ظهور الخزافين المتخصصين في هذا المجال[٦].

إنّ ظاهرة صناعة تماثيل الإلهة الأُم التي كشفت التنقيبات عنها في قبور تل الصوان عمل فني فريد من نوعه من حيث طريقة تصنيعها وقدمها في العراق وخارجه وهي تسبق فن النحت المجسم السومري بثلاثة آلاف سنة تقريباً وكانت رؤوس هذه التماثيل النسائية مدببة غطيت رؤوسها بالقار كناية عن شعر الرأس[٧]، وامتازت بهيبة أشكالها ومصاحبة مسحة غريبة جعلتها غامضة لغرض جلب الأفراد إلى تقديسها وعبادتها، وكانت بعضها قد زينت لتبدو جميلة وكان بعضها قد زينتها

(١) الدباغ، الجادر، عصور قبل التاريخ، ص١٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٩-١٥٠.

(٣) تي بوتس، دانيال، حضارة وادي الرافدين الأُسس المادية، ص٨٤.

(٤) صاحب، زهير، فخاريات بلاد الرافدين عصور قبل التاريخ، ص٥٤.

(٥) صاحب، زهير، جذور الحضارة العراقية عصر قبل الكتابة، ص١٣٢.

(٦) صاحب، زهير، الخطاط، سلمان، تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين، ص٤٨.

(٧) أبو الصوف، بهنام، ظلال الوادي العريق، الموسوعة الصغيرة، ص١١٢.

قلائد حقيقية من الشذر مع تلوين بعضها بلون واحد، وأنّها جميعاً قد صنعت من الحجر، في حين أنّ تمثال الرجل قد صنع من الطين وكان لونه على وجه التحديد الأحمر[١]، ويبدو أنّ في هذا إشارة إلى أنّ الرجل قد خلق من طين وأنّ اللون الأحمر هو دلالة على الدم اللازم للحياة[٢]، في حين أنّ المرأة لم تكن من طين ولعله في ذلك أول إشارة إلى أنّ خلقها جاء من ضلع الرجل، ولعل صنع تمثال الرجل في تل الصوان جاء تخليداً له لدوره في حماية المستوطن من المهاجمين الغرباء في ظل صغر مساحة الأرض الصالحة للزراعة التي يعتمد في إنباتها على الري الاصطناعي[٣]، وهنا نرى أنّ اقتصار صناعة تمثال الرجل من الطين فيه دلالة على ارتباطه بالأرض، ولتمثال تل الصوان أهميته كونه التمثال الذكوري الوحيد الذي تم اكتشافه في هذه المستوطنة، إلى جانب أنّ طريقة صنعه كانت تنم عن خبرة ناجمة عن التجريب بدلالة اتقان الفنان للتشريح العضلي وتفاصيل الجسم[٤].

تطورت الصناعة الحجرية في تل الصوان بصورة خاصة ومنطقة سامراء بشكل عام في العصر الحجري المعدني[٥]، وقد عثر في تل الصوان على صناعات حجرية من مطاحن ومجارش ومعازق وكرات مقلاع صغيرة وكبيرة لعلها كرات نول ومساند

(١) الدباغ، الجادر، عصور قبل التاريخ، ص١٤٩.

(٢) كان الدم رمزاً للحياة والممات على حد سواء فهو سر الحياة أنّ حافظ عليه الإنسان ووقف نزيفه عند جرحه وبعكسه سيحصل الممات؛ ينظر: رشيد، فوزي، الألوان ودلالاتها، مجلة آفاق عربية، ع١١، ص١٥٠.

(٣) صاحب، زهير، فخاريات بلاد الرافدين عصور قبل التاريخ، ص١٧٤.

(٤) صاحب، زهير، مملكة الفن دراسة في الحضارة العراقية، ص٢٧-٢٨.

(٥) حجارة، إسماعيل حسين، أوائل العصر الحجري المعدني في شمال بلاد الرافدين (٥٨٠٠-٤٨٠٠ ق. م)، ص١٨.

وهواوين وصنارات أبواب وأزاميل[١]، وإلى جانب ذلك عثر في الطبقة الثانية لتل الصوان على كتلة من النحاس الطبيعي وثلاث خرز[٢].

كان للدين حتى في عصر سامراء الذي يعد مبكراً دوره في إلهام الفنان لإنجاز نتاجاته الفنية[٣]، فكانت رقصات الحرب والحصاد فعلًا لغاية نيل الرغبات وتحقيق المطامح سحريّاً، وإنّ العلاقة الحتمية بين الفن والدين قد ترك له أثراً في فن الفخار[٤]، وأنّ ظهور الفخار المزين بالشخوص البشرية وبهيئة راقصة ظهر لأول مرة في دور سامراء ومنها كانت تضم كلا الجنسين الذكر والانثى[٥].

كان للرموز قدسيتها في حضارة وادي الرافدين القديمة وشملت كلّ مجالات حياتهم اليومية[٦]، ومن ذلك شكل الصليب وهو عبارة عن أربعة من الماعز الصغيرة تجري إحداها خلف الأُخرى وقد شكل رأسها ذنبها وقوامها هيأة مثلثة تدور داخل شكل الصليب ولا يعلم إنّ كانت هذه الهيئة عبارة عن عمل تجريدي أو رمزاً له دلالته[٧]، وكان الصليب المعقوف يجسد إمّا منفرداً أو ضمن مشهد فني[٨]، ويرى الأُستاذ زهير صاحب أنّ تسمية الصليب بـ(الصليب المالطي) خاطئة يجب إزالتها من أذهاننا؛ لأنّ الأصل التاريخي لهذا الشكل الصليبي يرتبط بمشهد من حضارة

(١) الشيخ، عادل عبد الله، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، ص٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٠.

(٣) بارو، اندريه، سومر فنونها وحضارتها، ص٩٤.

(٤) العبيدي، محمد جاسم، الاشكال النحتية على سطوح الآنية الفخارية الرافدينية والخزفية العراقية المعاصرة، ص ص٩١-٩٢.

(٥) اوتيس، ديفيد وجوان، نشوء الحضارة، ص٩٠.

(٦) الأسود، حكمت بشير، الرموز الفكرية في حضارة وادي الرافدين، ص١٤٦.

(٧) عكاشة، ثروت، تاريخ الفن العراقي القديم سومر وبابل وآشور، ص٩٢.

(٨) جان باتيرو وآخرون، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ص٣٧.

سامراء يدعى الوعول الراكضة يظهر فيه مشهد لوعول أربعة مترابطة الأطراف تدور حول كومة من أغصان الاشجار[١].

وفيما يتعلق بفن العمارة نجد أنّ العصر الحجري الحديث المعدني (١٠٠٠٠-٣٥٠٠ ق. م) شهد أولى بوادر التفكير الهندسي المعماري في البناء من قبيل انتظام مخططات الأبنية وتنسيق أجزائها بصورة جيدة[٢]، وقد دلت التنقيبات في تل الصوان على أنّ سكان هذه المستوطنة قد مهدوا لبناء دورهم السكنية بوضع مخططات مسبقة لها بدءاً من أول طبقة سكنية في هذا المستوطن[٣]، وهذا يدل على وجود توجيه من جهة أعلى كأن يكون حاكم المدينة لتحقيق هذا النمط العمراني وإلّا كيف أتفق سكان القرية على هذا الأمر.

ضمت طبقات تل الصوان الخمس مخلفات بنائية، وجدرانها الخارجية ضمت عند التقائها بالجدران الداخلية طلعات بنائية وكان ذلك سمة جميع أنواع العمارة في الموقع، وقد استخدم اللبن الكبير الحجم في تشييدها والبالغ سمكه حوالي (٣٠ سم) واستخدم ملاط من الطين والجص في تمليط جدرانها وأرضياتها[٤]، وقد أظهرت تنقيبات مؤسسة الآثار العراقية من عام (١٩٦٤) والسنوات السبعة التي اعقبتها نتائج كبيرة وخصوصاً ما يتعلق بالعمارة في الألف السادس قبل الميلاد قياساً بالقرى المجاورة في شمال العراق والدول المجاورة والعالم القديم إذ أظهر التنقيب في الطبقة السفلى أنّ منازل ودور العبادة في هذه الطبقة القروية كانت ذات أشكال وأبعاد منتظمة، وقد تميزت كلّ وحدة بنائية عن تلك المجاورة لها، واتبع أُسلوب البناء المتمثل بإيجاد دعامات بمسافات متساوية من نفس مادة بناء الجدران وذلك على ما يبدو

(١) مملكة الفن دراسة في الحضارة العراقية، ص٦١-٦٢.

(٢) صاحب، زهير، الخياط، سلمان، تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين، ص٤٤.

(٣) الدباغ، الجادر، عصور قبل التاريخ، ص١٤٧.

(٤) الشيخ، عادل عبد الله، بدء الزراعة وأُولى القرى في العراق، ص٨٧.

لتقوية البنيان وهذا الأُسلوب بقي متبعاً في أُسلوب بناء المعابد والقصور طيلة تاريخ العراق القديم مع إدخال التحسينات عليه[١]، وكانت بيوت الطبقة الثالثة لمستوطنة الصوان التي يعود تاريخها إلى ما بين (٥٥٠٠-٥٢٠٠ ق. م) قد ابتدع مصمموها شكلاً مغايراً لما كان عليه شكل البناء في الطبقتين الثانية والأُولى متمثلاً بتصميم الأشكال على هيأة حرف (T)، بمعنى: أنّها كانت مستعرضة مستطيلة في حين كانت في سابقتيها من الطبقات مربعة الشكل وأنّ البناء ضم على جانبيه في بعض الأحياء سلم من اللبن[٢]، وقد ضم خمس درجات متفاوتة الشكل والسعة ولم يتوصل إلى معرفة ما إذا كان يؤدي إلى سطح المبنى أم إلى طابق سكني ثانٍ[٣]، وامتازت بيوت تل الصوان بسعتها وانتظامها[٤]، وأنّ منازل السكن في تل الصوان امتازت كذلك بوجود غرفة كبيرة في كلّ منها وهذا أمر لم يسبق أنّ شوهد في مستوطن آخر[٥]، وكانت ميزة ابنية تل الصوان أنّها قد شيّدت بمادة اللبن، أي: الطوب غير المشوي الذي كان ابتكاراً مبدعاً في زمن كانت جميع قرى ومستوطنات هذه الفترة الزمنية قد شيدت بيوتهم بالطوف على أسس من حجارة[٦]، وصممت ابنية القرية لتضم في الغالب عشرة غرف في داخلها في حين ان القرى المجاورة لها لا يزيد عدد الغرف في منازلها عن غرفتين أو ثلاثة وهي في الغالب صغيرة[٧]، وأنّ في كلّ طبقة سكنية في تل

(١) أبو الصوف، بهنام، ظلال الوادي العريق، الموسوعة الصغيرة، ص١٠٩-١١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٣.

(٣) محان، محمد سياب، السلالم في عمارة بلاد الرافدين دراسة تحليلية في ضوء نتائج التنقيبات، ص١٩٥.

(٤) الدباغ، الجادر، عصور قبل التاريخ، ص١٤٧.

(٥) المصدر نفسه، ص١٤٨.

(٦) أبو الصوف، بهنام، ظلال الوادي العريق، ص١١٠-١١١.

(٧) المصدر نفسه، ص١١١.

الصوان كانت الشوارع تفصل كلّ مجموعة بنائية عن الأُخرى[١]، ومن الابتكارات الجديدة في تل الصوان أواخر الألف السادس قبل الميلاد استخدام الجدار المبني من اللبن في حين أنّ المستخدم كان جدران الطوف قبل هذا التاريخ في كلّ مناطق العراق القديم[٢]، وإلى جانب ذلك استخدم سكان مستوطن تل الصوان مواد بنائية متطورة مثل مادة الجص[٣]، ومن فنون العمران في تل الصوان سورها الخارجي ويتراوح ارتفاعه ما بين (٥-٦) امتار وقد تم وضع أساسات له في أرض حصوية وكانت مادة بناءه اللبن المربع الكبير وعرض مقطعه الأفقي بلغ (٩٠) سنتمتراً وقد تم رفد السور بدعامات ساندة من الداخل ومن الخارج بأثنين من الدعامات، وأنّ الطبقة الثالثة من السور كانت تتضمن وجوداً لأبراج دفاعية[٤].

كانت جميع مساكن القرية تنفتح على ساحات عامة[٥]، وهذا الُأسلوب شمل عمارة حضارة سامراء بجميع قراها والساحة هنا يأتي وجودها للاستخدام لمختلف الأغراض وهذا الأُسلوب في التخطيط رافق مدن العراق القديم منذ نشأتها الأُولى على اختلاف مساحاتها ومقدار أهمية كلّ مدينة منها[٦]

المحور السادس: مقابر القرية

كانت العديد من قبور تل الصوان المكتشفة من النوع البسيط وهو النوع السائد في العراق القديم إذ تم حفر القبور على أعماق غير ثابتة مقارنة بين قبر وآخر ومددت

(١) أبو الصوف، بهنام، ظلال الوادي العري، ص١١٠.

(٢) سلمان، كاظم جبر، عصر سامراء الألف السادس قبل الميلاد الحاضنة الأُولى لحضارة بلاد الرافدين القديمة، مجلة تراث سامراء، العدد ٥، ص٢٥٠.

(٣) الجادر، وليد، التجمعات الزراعية الأُولى، المدينة والحياة المدنية، ج١، ص٦٤.

(٤) صالح، عبد العزيز حميد، القلاع والتحصينات الدفاعية في بلاد الرافدين، ص١٠.

(٥) البدراوي، عدنان مكي، المدينة العراقية، حضارة العراق، ج٣، ص٣٠٦.

(٦) سلمان، كاظم جبر، عصر سامراء الألف السادس قبل الميلاد، ص٢٥١.

الجثث فيها[١]، وقد اتخُذت أماكن مختلفة للدفن في قرية الصوان يمكن أدراجها تحت ثلاثة أنواع من حيث مكان الدفن هي كالآتي:

أولاً: مقبرة عامة

وجد بقرب البناء الذي تم تمييزه على أنّه معبد مقبرة[٢]، وكان سكان تل الصوان اتخذوا من هذا المعبد المخصص للإلهة الأُم في القرية مكاناً لدفن جثث أطفالهم الموتى لاعتقادهم بأنّها من سترافقهم في رحلتهم الطويلة في عالم بعد الموت[٣]، والقول بعدم وجود مقبرة جماعية لأهالي هذه المستوطنة[٤]، أمر يتنافى مع الحقائق التي ذكرناها من أنّ هناك مقبرة مخصصة لدفن الأطفال قرب معبد للإلهة الأُم في القرية وإنّ كان مخصصاً للأطفال إلّا أنّه من حيث العموم مخصص لجميع أبناء القرية لدفن اطفالهم، وقد أدى التطور الحضاري إلى أنّ تكون مقابر الموتى خارج أسوار المدن كما هو الحال مع مدينة الوركاء مع بداية عصرها التاريخي[٥].

ثانياً: الدفن في قبر جماعي

تم تفسير وجود القبر الثانوي الذي تجمع فيه الهياكل العظيمة لعدداً من المتوفين لضيق المساحات المخصصة للدفن وبالتالي جمع الهياكل العظمية للمتوفين السابقين في حيز صغير من الأرض فرادى أو جماعات لغرض إتاحة أمر دفن موتى

(١) حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ص٢٣٤.

(٢) الدباغ، الجادر، عصور قبل التاريخ، ص١٤٨.

(٣) أبو الصوف، بهنام، ظلال الوادي العريق، ص٦٨-٦٩.

(٤) رشيد، فوزي، وئد البنات ونظام تعدد الأزواج في عصور ما قبل التاريخ، ص٥٥.

(5) David Wengrow، What Makes Civilization the Ancient Near East and the Future of the West، Oxford، p68.

جدد في القبور السابقة[١]، وهذا الأمر يشير إلى أمر مهم يتمثل بأنّ أهل قرية الصوان كانوا يتحاشون الدفن خارج نطاق قريتهم، وهذا الأمر يمكن تفسيره بالآتي فهو أمّا لسبب يتعلق بعقيدة دينية تؤكد على وجوب رعاية جثث الموتى لدرجة دفنها داخل القرية وبالقرب من البشر الأحياء، أو للحفاظ عليها من النبش من قبل البشر أو الحيوانات، أو لسبب يتعلق بعدم ملكية الأراضي المحيطة بالقرية لسكان قرية الصوان وهذا يعني عائدية الأراضي المحيطة بها لبشر آخرين لهم قراهم بجوار قرية الصوان.

ثالثاً: الدفن تحت أرضيات بيوت السكن

مورس الدفن تحت أرضيات وجدران المباني بحسب القبور التي تم العثور عليها في تل الصوان[٢]، وكان غالبية القبور المكتشفة فيها قد وجدت تحت أرضيات البيوت[٣]، وكانت أسفل أرضيات ابنية تل الصوان تضم مقابر للأطفال وقد دفن مع كلّ متوفى تمثالاً أو أكثر من الحجر إلى جانب الأواني في بعض الاحيان وكانت القلائد والخرز ممّا يزين صدور الأطفال والنساء المدفونين على حد سواء[٤]، ودفن الأموات تحت أرضيات بيوت السكن أقدم صورة للدفن في بلاد الرافدين وأقدم دليل عليها حالة الدفن التي شهدها كهف شانيدار في شمال العراق[٥].

(١) حنون، نائل، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، ص٤٨.

(٢) الشيخ، عادل عبد الله، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، ص٨٩.

(٣) لويد، سيتون، آثار بلاد الرافدين، ص٨٢؛ ولتفاصيل أكثر عن قبور تل الصوان ينظر: أبو الصوف، بهنام، التنقيب في تل الصوان الموسم الرابع ربيع ١٩٦٧، ص٤٠ وما بعدها.

(٤) أبو الصوف، بهنام، ظلال الوادي العريق، الموسوعة الصغيرة، ص١١١؛ وينظر: حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٥) حنون، نائل، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، ص١٤.

نتائج البحث:

أولاً: أكد البحث ضرورة إلى إجراء تنقيبات جديدة في موقع تل الصوان الأثري، والمناطق القريبة منه لغرض التوصل إلى نتائج جديدة، ولعل من بينها العثور على مشاهد فنية ربّما تقودنا إلى أنّ الكتابة الصورية كانت من إبداعات هذه القرية، نظراً لمقدار الحياة المعقدة التي عاشها سكان هذه القرية على الصعد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والفنية.

ثانياً: أثبت البحث وجود طلائع الفكر السياسي والاستقلال السياسي؛ إذ إنّ مسألة انعقاد الاجتماع فيما يعرف بمجلس المدينة يقودنا إلى القول بأنّ ثمة حالات استوجبت عقد لقاءات لبحث العلاقات مع أطراف خارجية ممثلة بالقرى المحيطة، وأنّ أثبات وجود استيراد خارجي يؤكد أنّ ذلك حصل نتيجة اتفاقات سياسية لم تحفظ لنا ماهيتها لعدم وجود نصوص كتابية؛ إلّا أنّ وجود التجارة الخارجية يستلزم وجود علاقات سياسية خارجية أيضاً.

ثالثاً: إذا ما قارنّا بين قرية الصوان وبين مدن العراق القديم التي حدد تاريخ انبثاقها في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد نجد أنّ قرية الصوان تشابه هذه المدن في كثير من النواحي الحضارية كالعمارة والاقتصاد والسياسة وأنّ مجتمعها كان يتصف بقوته لدرجة تمكنه من إحداث تغيير كبير في البيئة التي عاش فيها ومن ذلك العمران وهندسة الطرق وتمكنه من استخدام الري الاصطناعي الذي مكنه من تأمين غذائه اللازم.

رابعاً: طبيعة الحياة الاجتماعية المعقدة تمثلت في واحدة من صورها وإنّ لم نعثر على الدليل القطعي بذلك إنّ هذه الحياة قد بلغت حالة من التعايش القائم على اقتسام الواردات العينية المتمثلة بالناتج الزراعي بشقيه النباتي والحيواني بدلالة وجود مخزن عام للقرية واختفاء ما يدل على استخدامه للخزن من قبل الأفراد بصورة منفردة على مستوى الأُسرة الواحدة.

مصادر البحث:

١- أبو الصوف، بهنام، التنقيب في تل الصوان الموسم الرابع ربيع ١٩٦٧، مجلة سومر، مج٢٤، بغداد، ١٩٦٨.

٢- أبو الصوف، بهنام، ظلال الوادي العريق، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢.

٣- أبو الصوف، بهنام، العراق وحدة الأرض والحضارة والإنسان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٣.

٤- الأسود، حكمت بشير، الرموز الفكرية في حضارة وادي الرافدين، منشورات كلية بابل الحبرية للفلسفة واللاهوت، بغداد، ٢٠١٠.

٥- الآلوسي، سالم، رواد علم الآثار في العراق، دار الوراق، بغداد، ٢٠١٦.

٦- اوتس، جون، بابل تاريخ مصور، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، دائرة الآثار والتراث، بغداد، ١٩٩٠.

٧- اوتيس، ديفيد وجوان، نشوء الحضارة، ترجمة: لطفي الخوري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.

٨- باتيرو، جان وآخرون، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة: عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦.

٩- بارو، اندريه، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٧.

١٠- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، دار الوراق، بغداد، ٢٠١١.

١١- البدراوي، عدنان مكي، المدينة العراقية، حضارة العراق، ج٣، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥.

١٢- بصمجي، فرج، كنوز المتحف العراقي، مديرية الآثار العامة، بغداد، ١٩٧٢.

١٣- بلباس، كاروان صديق بكر، المعابد الطولية من عصر العبيد حتى نهاية العصر البابلي القديم (٤٠٠٠-١٥٩٥ ق. م)، تموز ديموزي، دمشق، ٢٠٢٠.

١٤- بوتس، دانيال تي، حضارة وادي الرافدين الأُسس المادية، ترجمة: كاظم سعد الدين، الهيئة العامة للآثار والتراث، بغداد، ٢٠٠٦.

١٥- جاسم، جاسم عبد الأمير، مخططات ومبانٍ من سامراء في عصور قبل التاريخ، مجلة تراث سامراء، العتبة العسكرية المقدسة، مركز تراث سامراء، العدد ٢، كربلاء، ٢٠٢٠.

١٦- الجادر، وليد، التجمعات الزراعية الأُولى، المدينة والحياة المدنية، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨.

١٧- الجادر، وليد محمود، عبد الله زهير رجب، رأي في التخطيط الثلاثي في العمارة العراقية القديمة في ضوء تنقيبات جامعة بغداد في تل عياش (حوض سد حمرين)، مجلة سومر، مج٥٠، بغداد، ١٩٩٩-٢٠٠٠.

١٨- حازم، حسين يوسف، مفهوم الثورة الزراعية عند باحثي عصور ما قبل التاريخ نظرية كوردن تشايلد نموذجاً (دراسة تحليلية)، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، مج٨، العدد ٢٣، ٢٠٢١.

١٩- حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، ج١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨.

٢٠- حجارة، إسماعيل حسين، أوائل العصر الحجري المعدني في شمال بلاد الرافدين (٥٨٠٠-٤٨٠٠ ق. م)، مجلة سومر، مج٥٢.

٢١- حمود، حسين ظاهر، العصر الحجري المعدني أبرز الإنجازات الحضارية في بلاد الرافدين، مجلة آثار الرافدين، ج٢، الموصل، ٢٠١٣.

٢٢- حنون، نائل، شخصية الإلهة الأُم ودور الإلهة إنانا/ عشتار في النصوص السومرية والأكدية، مجلة سومر، مج٣٤، ١٩٧٨.

٢٣- حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

٢٤- حنون، نائل، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٩.

٢٥- الدباغ، تقي، الفكر الديني القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢.

٢٦- الدباغ، تقي، الجادر، وليد، عصور قبل التاريخ، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٣.

٢٧- الراوي، شيبان ثابت، الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ٢٠٠١.

٢٨- رشيد، فوزي، حركة تحررية في فترة عصور ما قبل التاريخ وعلاقتها بالفن السومري، مجلة سومر، مج٢٩، بغداد، ١٩٧٣.

٢٩- رشيد، فوزي، وئد البنات ونظام تعدد الأزواج في عصور ما قبل التاريخ، مجلة سومر، مج٣٦، بغداد، ١٩٨٠،.

٣٠- رشيد، فوزي، أثر المجتمع في تكوين القيم الجمالية في سومر وأكد، مجلة فنون عربية، العدد ١، دار واسط، المملكة المتحدة، ١٩٨١.

٣١- رشيد، فوزي، من هم السومريون، مجلة آفاق عربية، ع١٢، بغداد، ١٩٨١.

٣٢- رشيد، فوزي، الثورات الثقافية في معتقدات العراق القديم، مجلة آفاق عربية، العدد١٢، بغداد، ١٩٨٤.

٣٣- رشيد، فوزي، الجيش والسلاح، حضارة العراق، ج٢، دار الحرية للطباعة،

بغداد، ١٩٨٥.

٣٤- رشيد، فوزي، الألوان ودلالاتها، مجلة آفاق عربية، العدد١١، بغداد، ١٩٩١.

٣٥- زودن، فون، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة: فاروق إسماعيل، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، ٢٠٠٣.

٣٦- ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٧٩.

٣٧- ساكز، هاري، البابليون، ترجمة: سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديد المتحد، بنغازي، ٢٠٠٩.

٣٨- سلمان، كاظم جبر، عصر سامراء الألف السادس قبل الميلاد الحاضنة الأُولى لحضارة بلاد الرافدين القديمة، مجلة تراث سامراء، العدد٥، العتبة العسكرية المقدسة مركز تراث سامراء، ٢٠٢٢.

٣٩- الشيخ، عادل عبد الله، بدء الزراعة وأُولى القرى في العراق، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٨٥.

٤٠- صاحب، زهير، فخاريات بلاد الرافدين عصور قبل التاريخ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٠.

٤١- صاحب، زهير، جذور الحضارة العراقية عصر قبل الكتابة، دار الجواهري، بغداد، ٢٠١٢.

٤٢- صاحب، زهير، مملكة الفن دراسة في الحضارة العراقية، دار الجواهري، بغداد، ٢٠١٤.

٤٣- صاحب، زهير، الخياط، سلمان، تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٧.

٤٤- صالح، عبد العزيز حميد، القلاع والتحصينات الدفاعية في بلاد الرافدين،

المجلة العربية للثقافة، مج٢٦، العدد٥٠، تونس، ٢٠٠٧.

٤٥- العبيدي، محمد جاسم، الأشكال النحتية على سطوح الآنية الفخارية الرافدينية والخزفية العراقية المعاصرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٩.

٤٦- عكاشة، ثروت، تاريخ الفن الفن العراقي القديم سومر وبابل وآشور، الكتاب الرابع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، بلا م. ط.

٤٧- غولاييف، فاليري، المدن الأُولى، ترجمة: طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩.

٤٨- فراكفورت، هنري، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة: ميخائيل خوري، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩.

٤٩- فرانكفورت، هنري وآخرون، ما قبل الفلسفة الإنسان في مغامراته الفكرية الأُولى، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، دار مكتبة الحياة، بغداد، ١٩٦٠.

٥٠- القيسي، محمد فهد، سامراء في العصور القديمة، مجلة تراث سامراء، العتبة العسكرية المقدسة، مركز تراث سامراء، العدد٣، سامراء، ٢٠٢١.

٥١- كسار، أكرم محمد عبد، النحت في العصرين الحجري الحديث والحجري المعدني، مجلة آفاق عربية، ع١١، بغداد، ١٩٩١.

٥٢- لويد، سيتون، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري حتى الاحتلال الفارسي، ترجمة: سامي سعيد الأحمد، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.

٥٣- لينتسن، هاينرش، العمارة في منطقة إي أنا في عصر الطبقة الرابعة لمدينة الوركاء، مجلة سومر، مج٤٦، بغداد، ١٩٨٩-١٩٩٠.

٥٤- محان، محمد سياب، السلالم في عمارة بلاد الرافدين دراسة تحليلية في ضوء نتائج التنقيبات، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد٤١، ج١، ٢٠٢٠.

٥٥- م، ديكانوف ي وآخرون، تاريخ الشرق القديم نشوء المجتمعات الطبقية

القديمة والمواطن الأُولى للحضارات العبودية، ترجمة: محمد العلامي، دار الفكر، عمّان، ٢٠١٢.

٥٦- المطبعي، حميد، الدكتور بهنام أبو الصوف، موسوعة المفكرين والأدباء العراقيين، ج٢٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٥.

٥٧- ممفورد، لويس، المدينة على مر العصور أصلها وتطورها ومستقبلها، ج١، ترجمة: المركز القومي للترجمة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦.

٥٨- مهدي، علي محمد، الملاحم والأساطير في العراق القديم، مجلة آفاق عربية، العدد١٢، بغداد، ١٩٨٦.

59- Al A'dami، Khalid Ahmad، Excavation At Tell es Sawwan، (Second Season)، Sumer، Nos 1-2، (1968).

60- Basmachi، Faraj، Treasures of the Iraq Museum، Al Huria Printing House and Al Jumhuriya، (Baghdad1975-1976 ،).

61- Flannery and Wheeler، Kent V and Jane C، Animal Bones From Tell As_ Sawwan Level111 (Samaran Period)، Sumer، Vol23، No 1-2، (Baghdad1967 ،).

62- Helback، Hans، Early Hassunan Vegetable At Es_ Sawwan Near Samarra، Vol20، Sumer، (1964).

63- Wahida، Ghanim، the Excavations of the Third Season At Tell as_Sawwan 1966، Sumer، Vol23، No!_@، (Baghdad1967,).

64- Wengrow، David، What Makes Civilization the Ancient Near East and the Future of the West، Oxford، (New York، 2010).

البحوث الإعلامية

البحث الأول

المعالجة الإعلامية للقضايا المطروحة في صفحات العتبات على شبكات التواصل الاجتماعي "صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك انموذجاً»

أ.د. طالب عبد المجيد علاوي

م.م. محمد طاهر نعمة

جامعة بغداد – كلية الاعلام

الملخص:

يهدف البحث لمعرفة ماذا تنشر العتبة العسكرية المقدسة في صفحاتها على شبكات التواصل الإجتماعي وكيف تقوم بنشر محتواها، واستخدم الباحثان المنهج المسحي بشقيه الوصفي والتحليلي لتجميع وتحليل المنشورات باعتباره من البحوث الوصفية واستعان الباحثان بادوات البحث (استمارة تحليل المضمون، والملاحظة) التي تساعد على معرفة عدد من الجوانب المتعلقة بموضوع البحث، واستخدم الباحثان أُسلوب الحصر الشامل في شهر حزيران من العام٢٠٢٣، وظهرت حجم العينة (١٧٤) منشوراً نشرته العتبة في صفحتها على الفيس بوك خلال هذا الشهر إذ قام الباحثان بدراسة هذه العينة كاملة لتحقيق أهداف البحث.

الكلمات المفتاحية: المعالجة الإعلامية، العتبات، شبكات التواصل الإجتماعي، العتبة العسكرية المقدسة، الفيس بوك.

مقدمة

تهتم المؤسسات الدينية بايصال نشاطاتها إلى أكبر عدد من الجمهور لذلك قامت بفتح صفحات لها على شبكات التواصل الإجتماعي وحرصت على تقديم المحتوى بقوالب متنوعة تجذب الجمهور ومن هذا المنطلق قامت العتبات المقدسة بفتح صفحة لها على الفيس بوك ومنها العتبة العسكرية المقدسة التي اختارها الباحثان كمجتمع بحث لدراسته باعتبارها من بين أكثر العتبات التي تسعى للتأثير بالجمهور وإيصال نشاطاتها إليه من خلال تنويع أساليب نشر نشاطاتها في صفحاتها على هذه الشبكات لعرض أفضل محتوى يجعل الجمهور متواصل معها؛ لأنّ الجمهور يميل لمتابعة هذه الشبكات التي تزوده بالأخبار والمعلومات عن الأحداث الدينية وبالأخص فيما يتعلق بقضية الإمام المهدي التي لها علاقة مباشرة بالعتبة العسكرية المقدسة باعتبارها المكان الذي ولد وغاب فيه، وكذلك فيها مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام.

الفصل الأول: الإطار المنهجي

أولاً: مشكلة البحث

مع الإقبال العالمي نحو شبكات التواصل الإجتماعي واستخدام الجمهور لهذه الشبكات بصورة متزايدة، توجهت المؤسسات الدينية لفتح صفحات لها في هذه الشبكات للتواصل مع جمهورها ونشر المحتوى الخاص بها ليصل لأكبر عدد من المتابعين، فقامت العتبات المقدسة في العراق بعد عام ٢٠٠٣ بفتح صفحات لها في شبكات التواصل الإجتماعي ومن أول الشبكات التي قامت بفتح صفحات فيها هي شبكة الفيسبوك ومنها العتبة العسكرية المقدسة، لذلك تكمن مشكلة بحثنا في تساؤل رئيسي "ما المعالجة الإعلامية للقضايا المطروحة في صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك ".

ويتفرع من هذا السؤال تساؤلات فرعية كالآتي:

١. ما هي المضامين الإخبارية التي تتضمنها منشورات الصفحة ؟

٢. ماهي أهداف المنشورات في صفحة العتبة العسكرية المقدسة ؟

٣. ما هو نوع المحتوى المنشور في صفحة العتبة العسكرية المقدسة؟

٤. ماهي أساليب نشر الفيديوهات في صفحة العتبة العسكرية المقدسة وما عدد مشاهدتها؟

٥. ما مدى تفاعل المستخدمين مع منشورات صفحة العتبة العسكرية المقدسة؟

٦. ما المرفقات المستخدمة في منشورات الصفحة؟

ثانياً: أهمية البحث

وتتجلى أهمية البحث هذا فيما يلي:

١. الأهمية الأكاديمية:

تنبع أهمية هذا البحث من قلة البحوث التي تطرقت لاستخدام العتبات المقدسة لشبكات التواصل الإجتماعي وبالأخص ما يتعلق باستخدام العتبة العسكرية المقدسة لهذه الشبكات، حيث تعتبر من الناحية الأكاديمية، محاولة لتسليط الضوء على استخدام الفيس بوك من قبل العتبة العسكرية المقدسة لنشر المناسبات والتعاليم الدينية كوسيلة للتواصل مع الجمهور الذي يستخدم هذه الشبكات بكثافة.

بالإضافة إلى رفد المكتبة الإعلامية بموضوع له أهمية كبيرة في الدراسات الإعلامية ولاسيما مايتعلق باستخدام المؤسسات والمراكز الدينية لشبكات التواصل الاجتماعي بعد العام ٢٠٠٣ واهتمام الجمهور بالمناسبات الدينية ومعرفة تفاصيلها من خلال متابعته لهذه الشبكات.

٢. الأهمية العملية:

ومن الناحية الميدانية يستعرض البحث أساليب نشر المحتوى لتكون ملائمة مع الفيس بوك من حيث نوع المحتوى والفنون الإخبارية المستخدمة وعدد الصور في المنشور الواحد واساليب نشر الفيديوهات واستخدام المرفقات وعدد الهاشاتاكات المستخدمة من اجل إخراج المحتوى بأفضل صورة للجمهور المتلقي من قبل العتبات المقدسة.

وكذلك من تناوله لإحدى العتبات المقدسة التي اخذت أساليب النشر جانباً مهماً في اشكال المحتوى الذي تعرضه للجمهور.

ثالثاً: اهداف البحث

١. معرفة المضامين الإخبارية التي تتضمنها منشورات الصفحة.

٢. تحديد أهداف المنشورات في صفحة العتبة العسكرية المقدسة.

٣. التعرف على نوع المحتوى المنشور في صفحة العتبة العسكرية المقدسة.

٤. تحديد أساليب نشر الفيديوهات في صفحة العتبة العسكرية المقدسة وعدد مشاهدتها.

٥. معرفة مدى تفاعل المستخدمين مع منشورات صفحة العتبة العسكرية المقدسة.

٦. التعرف على المرفقات المستخدمة في منشورات الصفحة.

رابعاً: منهج البحث وأدواته

يعرف منهج البحث بأنّه "مجموعة من القواعد العامة، يعتمدها الباحث في

تنظيم ما لديه من أفكار أو معلومات من أجل أنّ توصله إلى النتيجة المطلوبة».[١]

وتطلبت مشكلة بحثنا هذا استخدام المنهج المسحي بشقيه الوصفي والتحليلي لتجميع وتحليل النشرات الموجزة باعتباره من البحوث الوصفية والذي من خلاله يتحقق أهداف وتساؤلات البحث لمعرفة أساليب نشر المحتوى في صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك ومضامينها ومدى انعكاسها على تفاعل مستخدميها.

وقد استخدم الباحثان في دراستهما اداة استمارة تحليل المضمون التي تساعد على معرفة عدد من الجوانب المتعلقة بموضوع البحث، بالإضافة إلى استخدام أداة الملاحظة التي تعد إحدى الوسائل المهمة لمعرفة التفاصيل الخاصة بصفحات العتبات المقدسة وكذلك في متابعة منشوراتها على شبكات التواصل الإجتماعي.

خامساً: حدود ومجالات البحث

١. المجال الموضوعي: تمثل بالمعالجة الإعلامية للقضايا المطروحة في صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك.

٢. المجال الزماني: وقد حدد الباحثان مدة البحث بشهر حزيران لعام ٢٠٢٣.

سادساً: إجراءات تحليل المضمون

أ. مجتمع البحث

حدد الباحثان مجتمع البحث بصفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك للأسباب الأتية:

١. باعتبارها مؤسسة دينية عراقية ناطقة بالعربية.

(١) الفضلي، عبد الهادي، أُصول البحث، قم، دار الكتاب الإسلامي، ص٥١.

٢. واكبت التطور الكبير في شبكات التواصل الإجتماعي وافتتحت صفحات فيه.

٣. باعتبارها خامس أهم عتبة مقدسة في العراق.

ب. عينة البحث

استخدم الباحثان أُسلوب الحصر الشامل لصفحة العتبة العسكرية المقدسة في شهر حزيران من العام ٢٠٢٣، وظهرت حجم العينة ١٧٤ منشور نشرته العتبة في صفحتها على الفيس بوك خلال هذه المدة إذ قام الباحثان بدراسة هذه العينة كاملة لتحقيق اهداف البحث.

ج. وحدات التحليل

تتطلب عملية تحليل المضمون توافر عدد من الوحدات التي عن طريقها يتمكن الباحث من تحقيق الهدف المطلوب وإحصاء تكرارات الظاهر كميّاً، ويرمي تحليل المضمون إلى وصف عناصر المضمون وصفا كميّاً الأمر الذي يتطلب تقييم هذا المضمون إلى وحدات وفئات أو عناصر معينة ليتسنى للباحث القيام بدراسة كلّ عنصر أو فئة منها وحساب التكرار الخاص بها، وتوجد خمسة وحدات أساسية في التحليل وهي:[١]

١. وحدة الكلمة.

٢. وحدة الموضوع أو الفكرة.

٣. وحدة الشخصية.

٤. وحدة المفردة.

(١) الجمال، راسم محمد، مقدمة في مناهج البحث في الدراسات الإعلامية، ص٢٣٠و٢٣١.

٥. وحدة قياس الزمن.

وقد وجد الباحثان أنّ الوحدات التي تتناسب مع بحثهما هي وحدة المفردة؛ لانها تعد من الوحدات الأساسية لتحليل كلّ ما يذكر من نصوص وصورة مرئية في صفحة العتبة العسكرية المقدسة.

د. إجراءات الصدق والثبات

أ.الصدق

الصدق والثبات من أهم الشروط المنهجية في تصميم أدوات البحث وللتحقق من صدق الأداة، وهناك عدة طرق أيسرها هو صدق المحكّمين، على اعتبار أنّ المحكّم مختص في هذا المجال، ويعتبر صدق المحكّمين أو استطلاع آراء المحكّمين الخبراء من أكثر طرق الصدق شيوعاً وسهولة، وأشهرها استخداماً لدى الباحثين، وصدق المحكّمين هو أنّ يختار الباحث عدداً من المحكّمين المتخصصين في مجال الظاهرة أو المشكلة موضوع الدراسة، ويطلب منهم تصحيح الفقرات أو الحكم عليها بأنّها مرتبطة بالبعد الذي تقيسه أم غير مرتبطة.[١]

ولهذا قد استخدم الباحثان صدق المحكّمين كطريقة في تقدير صدق أداة البحث، حيث قام الباحثان بعرض استمارة تحليل المضمون على ثلاث خبراء محكّمين في مجال الإعلام والذين أقرّوا بأنّها مؤهلة للتطبيق مع إجراء التعديلات على بعض الفئات وقام الباحثان بتنفيذها لتكون مطابقة لأهداف البحث، فظهرت نسبة أتفاق المحكّمين(٣٣, ٩٧)، أي: ما يقارب (٩٧٪).

(١) نجم، طه عبد العاطى، مناهج البحث الإعلامي، الإسكندرية، ص ٥٠.

ب. الثبات

الهدف من التحقق من الثبات والدقة هو التأكد من أنّ الأداة التي يريد الباحث استخدامها في بحثه تكون ملائمة لأغراض الدراسة، وأنّ المصطلحات المستخدمة تؤدي إلى نفس المعنى في كلّ مرة ترد في ثنايا الأداة.[١].

وقد استخدم الباحثان طريقة (الاتساق عبر الزمن) لإجراء ثبات التحليل، اذ قام الباحثان بإعادة تحليل العينة بعد شهر من مرور التحليل الأول لها، فظهرت نسبة الثبات بحسب معادلة هولستي (٩٦ , ٠) وهي نسبة مقبولة عمليّاً.

الفصل الثاني: الإطار النظري

أولاً: العتبة العسكرية المقدسة

هي المكان الذي يتواجد فيه مرقد الإمامين العسكرين عليهما السلام في مدينة سامراء المقدسة[٢]، التي تم بناؤها في زمن الحاكم العباسي المعتصم سنة ٢٢١ هجريّاً وجعلها مركزاً للخلافة العباسية وكانت تسمى في زمنه سر من رأى[٣]، وكانت العتبة العسكرية سابقاً دار للإمام الهادي عليه السلام، الإمام العاشر من أئمة المسلمين، الذي ولد في المدينة المنورة عام ٢١٢ هجريّاً وهو أول أولاد الإمام الجواد الذي أسماه باسم جده الإمام علي الرضا وجده الإمام علي السجاد وجده الأكبر الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام وكنّاه بأبي الحسن[٤]، وجاء به الخليفة المتوكل العباسي إلى سامراء المقدسة خوفاً من التفاف الناس حول الإمام وذهاب الحكم العباسي، وبعدها قام الخليفة المعتز العباسي بدس السم للإمام الهادي ليرحل شهيداً يوم الإثنين من شهر رجب عام ٢٥٤ هجريّاً

(١) إسماعيل، إبراهيم، مناهج البحوث الإعلامية، القاهرة، ص١٢٠.

(٢) الجلالي، محمد حسين الحسيني، مزارات أهل البيت وتاريخها، ص١٣٦.

(٣) العلي، صالح أحمد، سامراء "دراسة في النشأة والبنية السكانية»، ص٥٧و٥٨.

(٤) المدرسي، محمد تقي، الإمام الهادي قدوة وأسوة، ص٢٩.

ويدفن في منزله[١]، الذي يسكن فيه ولده الإمام الحسن العسكري[٢] الإمام الحادي عشر من ائمة المسلمين، الذي ولد سنة٢٣٢ هجريّاً في المدينة المنورة وجاء مع والده إلى سامراء سنة ٢٣٦ هجريّاً ليكونا تحت الإقامة الجبرية بأمر المتوكل[٣]، وكان عمره عن شهادة والده ٢٣ عاماً واستمرت مدة إمامته ٥ سنوات واستشهد في سنة ٢٦٠ هجريّاً وعمره ٢٨ عاماً، مسموماً على يد الخليفة العباسي المعتمد، [٤]، وهو والد الإمام محمد المهدي عجل الله فرجه الشريف، الإمام الثاني عشر والأخير من أئمة المسلمين الذين أوصى بهم النبي[٥]، وهو الأبن الوحيد للإمام العسكري وولد في منزل والده بسامراء حيث العتبة العسكرية اليوم[٦] كما غاب فيها حتى يأذن الله له بالظهور وكانت ولادته سنة ٢٥٥ هجريّاً[٧]، كما تحتوي العتبة العسكرية على قبر السيدة نرجس زوجة الإمام العسكري وأُمّ الإمام المهدي وكذلك مجموعة من قبور السادة العلويين منها قبر سيدنا الحسين أخ الإمام العسكري وقبر أخته السيدة حكيمة بنت الإمام الهادي[٨]، لذلك تحضى العتبة العسكرية المقدسة بقدسية كبيرة نتيجة وجود المراقد المقدسة فيها، وبعد سقوط نظام صدام في العام ٢٠٠٣ تم وضع قانون خاص بإدارة المراقد تحت اسم قانون العتبات المقدسة والمزارات الشيعية الشريفة

(١) سليمان، كامل، الإمام علي الهادي مع مروق القصر وقضاة العصر، ص٣٧.

(٢) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص٢٤.

(٣) سليمان، كامل، الإمام الحسن العسكري أبو القائم من بني هاشم، ص١٩.

(٤) اللجنة العلمية في مؤسسة ولي العصر، موسوعة الإمام العسكري عليه السلام، الجزء الأول، ص١٢٤، ١٢٧.

(٥) النجفي، بشير، ولادة الإمام المهدي، مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، ص٣٠.

(٦) رزق، خليل عبد الأمير، الإمام المهدي واليوم الموعود، ص٣٤.

(٧) القزويني، محمد كاظم، الإمام المهدي من المهد إلى الظهور، ص١٩.

(٨) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، العتبة الحسينية المقدسة، ص٨٤٦و٨٤٩و٨٥١.

رقم ١٩ لعام ٢٠٠٥، الذي عرف العتبات المقدسة بأنّها العمارات التي تضم مراقد أهل البيت والبنايات التابعة لها، حيث أورد تعبير العتبات دون غيرها من الألفاظ أو التعابير التي تطلق على هذه الأماكن المشرفة، ونصت المادة ٤ من هذا القانون على تعيين أمين عام للعتبة العسكرية المقدسة من قبل رئيس ديوان الوقف الشيعي بموافقة المرجع الديني الأعلى للشيعة في النجف الأشرف، والأمين العام هو المسؤول الأول عن السياسات الخاصة بالعتبة وهو أعلى جهة فيها[١].

ثانياً: قسم الإعلام في العتبة العسكرية المقدسة

هو أحد أهم الأقسام في العتبة حيث يوفر كلّ ما تحتاجه القنوات الفضائية والإعلاميين في نجاح عملهم داخل العتبة وخارجها، كما يقوم بتوفير كلّ مستلزمات نجاح الزيارات المليونية في العتبة من خلال التغطية المميزة بالبث الفضائي ومواقع التواصل الاجتماعي، ويوفر (فيد كلين)[٢] لعشرات للقنوات الفضائية[٣].

ويمتلك القسم موقع إلكتروني باسم (الأمانة العامة للعتبة العسكرية المقدسة) الذي يعتبر حلقة التواصل بين العتبة العسكرية المقدسة ومحبي وموالي أئمة أهل البيت عليهم السلام في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وبوابة فكرية وثقافية متنوعة تهدف إلى نشر التراث العلمي والعقائدي للإمامين علي بن محمد الهادي والحسن بن علي

(١) جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٠١٣، ٢٠٠٥، ص١ و٢.

(٢) يشير هذا المصطلح الى ان الفيديو أو الصوت التي تُرسله القناة او المؤسسة بدون أي عناصر إضافية مثل الشعارات (logo)، العناوين، الترجمة، أو التعليق الصوتي.
وعادة مايستخدم في البث المباشر الذي تبثه العتبات المقدسة على تردد معين لكي تتيح للقنوات الأخرى الاستفادة من المادة التي تبثها بدون محددات.

(٣) متابعة الباحث للموقع بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠٢٣ .https://almerja.com/reading. php?idm=91796

العسكري عليهما السلام).[1]

ثالثاً: صفحات العتبة العسكرية المقدسة على شبكات التواصل الاجتماعي

تمتلك العتبة العسكرية المقدسة صفحة رسمية على شبكات التواصل الإجتماعي وكالأتي:

١. الفيس بوك: أنشأت العتبة صفحتها في الفيس بوك بتاريخ ٢٤ اغسطس ٢٠١٥ وتعتبر أول منصة لها على شبكات التواصل الاجتماعي باسم (الأمانة العامة للعتبة العسكرية المقدسة – Al A'askari Holy Shrine) تمتلك ٢٧١,٠٠٠ ألف معجب و٣٠١,٠٠٠ الف متابع تقوم بالنشر يومياً لنشاطات العتبة والمناسبات الدينية والبثوث المباشرة.[2]

٢. اليوتيوب: تمتلك العتبة قناة على اليوتيوب أنشأتها بتاريخ ٢٠/ ٠٧/ ٢٠١٦ باسم (العتبة العسكرية المقدسة Al-A'askari Holy Shrine) ويبلغ عدد مشتركيها حالياً ٢٩ ألف مشترك وقامت بنشر ٣,١٠٠ الآف من الفيديوهات ويبلغ مجموع مشاهدات الجمهور لكلّ الفيديوهات ١,٢٤٩,٨٢٩ مشاهدة وتنشر الفيديوهات بالطريقتين العمودية المختصرة (Shorts) والأفقية العامة، كما تقوم بالبث المباشر، وكذلك نشر الصور عبر نافذة المنتدى الخاصة بالقناة.[3]

٣. الانستغرام: افتتحت العتبة صفحتها بالنستغرام في مايو ٢٠٢١ باسم (العتبة العسكرية المقدسة) ويبلغ عدد متابعيه ١٠٣ ألف متابع ونشرت ٢٢٤٤ منشور منذ

(١) متابعة الباحث للموقع بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠٢٣ http://www.askarian.iq

(٢) متابعة الباحث للصفحة بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠٢٣ https://web.facebook.com/alaskariannet/?_rdc=1&_rdr

(٣) متابعة الباحث للموقع بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠٢٣
https://www.youtube.com/@al-aaskariholyshrine9229/featured

افتتاحها إلى وقتنا الحالي وتمتاز بنشرها المقاطع العمودية المختصرة (Reels) بالإضافة للمقاطع الافقية والصور.[١]

٤.التلغرام: افتتحت العتبة قناتها على شبكة التلغرام في عام ٢٠١٧ باسم (العتبة العسكرية المقدسة) مع زيادة أعداد مستخدمين هذا التطبيق الذي يوفر للعتبة مزايا عديدة منها نشر الصور والفيديوهات بدقة عالية مع تنزيل الكتب والملفات الإلكترونية وكذلك نشر الروابط التي تخص الأخبار والمقالات في النرقع الإلكتروني، وكذلك روابط الفيديوهات التي تنشرها العتبة على اليوتيوب، ويبلغ عدد المشتركين فيها ٧٨٤٢ ألف متابع ونشرت فيه ١٢٤٥٩ صورة و٦٢٥ فيديو و١١٦ ملف و٤٣٣٣ رابط.[٢]

٥.تويتر: أنشأت العتبة صفحتها بهذه الشبكة في نوفمبر ٢٠١٥ باسم (العتبة العسكرية المقدسة) ويبلغ عدد متابعينها أكثر من ٢٥٤ ألف متابع تنشر صور وفيديوهات من انتاجها.[٣]

٦.ثريدس:افتتحت العتبة صفحتها على هذه الشبكة الجديدة في بداية تموز ٢٠٢٣ ولكن بعد أسبوع من افتتاحها قامت بحذفها من دون معرفة الأسباب.

---

(١) متابعة الباحث للصفحة بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠٢٣ https://www.instagram.com/ askarian_iq

(٢) متابعة الباحث للصفحة بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠٢٣ https://t.me/alaskrain

(٣) متابعة الباحث للصفحة بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠٢٣ https://twitter.com/AlatbaALaskarea

الفصل الثالث: الإطار العملي

أولاً: فئات ماذا قيل

جدول (١)

موضوعات المنشورات في صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك

ت	موضوعات المنشورات	التكرار	النسبة المئوية ٪
١	دينية	١٥٠	٪٨٦,٧٠
٢	ثقافية	١٢	٪٦,٩٥
٣	الاجتماعية والإنسانية	٣	٪١,٧٣
٤	علمية	٣	٪١,٧٣
٥	خدمية	٣	٪١,٧٣
٦	سياسية	٢	٪١,١٦
	المجموع	١٧٣	٪١٠٠

يوضح جدول (١) موضوعات المنشورات في صفحة العتبة وكالآتي:

١. دينية: ظهرت تكراراته (١٥٠) وبنسبة (٨٦,٧٠٪)، إذ تبين أنّ العتبة العسكرية تكون أغلب منشوراتها دينية؛ لأنّها مؤسسة دينية تهتم بنشر مراسيم العبادة والزيارة والتعاليم الدينية، مثل: " #العتبة_العسكرية المقدسة تقيم التشييع الرمزي لنعش خازن علوم الأولين والآخرين الإمام محمد الباقر عليه السلام #سامراء_المقدسة ".

٢. ثقافية: جاءت تكراراته (١٢) وبنسبة (٦,٩٥٪)، إذ تبين أنّها قليلاً ما تنشر انشطة ثقافية إلّا بما يتعلق بانشطة العتبة الثقافية، مثل: "بمشاركة أكثر من ١٠٠٠ طالب وطالبة.. العتبة العسكرية المقدسة ترعى الدورات الصيفية في مدينة الدجيل #سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة».

٣. الاجتماعية والإنسانية: ظهرت تكراراته (٣) وبنسبة (١,٧٣٪)، إذ تبين أنّها نادراً ما نشرت موضوعات اجتماعية وانسانية إلّا بما يتعلق بانشطة العتبة في هذا

المجال مثل: "#العتبة_العسكرية المقدسة تستمر بإرسال قوافل إغاثتها الإنسانية إلى الشعب السوري #سامراء_المقدسة»

٤. علمية: جاءت تكراراته (٣) وبنسبة (٧٣, ١٪)، إذ تبيّن ان العتبة نشرت ما يتعلق بانشطة العتبة العلمية مثل "تدعو الأمانة العامة للعتبة العسكرية المقدسة الباحثين الكرام للمشاركة في المؤتمر العلمي الدولي الثالث الذي يقيمه مركز تراث سامراء بالتعاون مع ٢٥ جامعة عراقية وذلك بتاريخ ٢٠٢٣/ ١١/ ١٦م، وسيكون الافتتاح حضورياً في رحاب مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام. #سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة»»

٥. خدمية: ظهرت تكراراته (٣) وبنسبة (٧٣, ١٪)، إذ تبين أنّها نادراً ما تطرقت للموضوعات الخدمية في صفحاتها إلّا بما يتعلق بالخدمات التي تقدمها العتبة للزائرين مثل: "موكب العتبة العسكرية المقدسة الخدمي يحط برحاب أرض الكاظمين لتقديم خدماته للزائرين بمناسبة شهادة تاسع الصفوة من الأئمة الهداة باب المراد الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام"

٦. سياسية: جاءت تكراراته (٢) وبنسبة (١٦, ١٪)، إذ تبين أنّ العتبة العسكرية نادراً ما تنوالت مواضيع سياسية إلّا بما يتعلق بزيارة المسؤولين الحكوميين لها مثل: "وزير العدل العراقي في ضيافة العتبة العسكرية المقدسة، استقبل الامين العام للعتبة العسكرية المقدسة الأُستاذ الدكتور "محمد قاسم" بمكتبه معالي وزير العدل الدكتور "خالد شواني" والوفد المرافق له بعد تشرفهم بزيارة مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام. وجرى خلال اللقاء بحث جملة من المواضيع المهمة التي تعنى بمدينة سامراء بصورة عامة وبالعتبة المقدسة بصورة خاصة. من جانبه أشاد معالي وزير العدل الدكتور خالد شواني" بمراحل الإعمار في المرقد المقدس خلال جولته مثنيا على الجهود المباركة التي ساهمت في تلك المسيرة العمرانية والخدمات المقدمة للزائرين الكرام وفي ختام اللقاء

ثمن الدكتور "خالد شواني" حفاوة الاستقبال، والجهود المبذولة في خدمة الأئمة الأطهار عليهم السلام #سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة»

جدول (٢)

المنشور المخصص للمعصومين في صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك

ت	فئة المنشور المخصص للمعصومين	التكرار	النسبة المئوية ٪
١	أ.النبي محمد صلى الله عليه وآله	٣	٢,٣٢٪
٢	خ.الإمام محمد الباقر عليه السلام	٦	٤,٦٥٪
٣	د.الإمام جعفر الصادق عليه السلام	٢	١,٥٥٪
٤	ر.الإمام علي الرضاء عليه السلام	١	٠,٧٨٪
٥	ز.الإمام محمد الجواد عليه السلام	١١	٨,٥٣٪
٦	س.الإمام علي الهادي عليه السلام	٢	١,٥٥٪
٧	الإمام الحسن العسكري عليه السلام	٦	٤,٦٥٪
٨	الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف	١٢	٩,٣٠٪
٩	الجواد والباقر عليه السلام	٧	٥,٤٢٪
١٠	الإمامين الكاظمين عليهما السلام	١	٠,٧٨٪
١١	الإمامين العسكريين عليهما السلام	٧٤	٥٧,٣٦٪
١٢	سيدنا أبا الفضل العباس عليه السلام	١	٠,٧٨٪
١٣	مسلم ابن عقيل عليه السلام	١	٠,٧٨٪
١٤	السيدة حكيمة عليها السلام	١	٠,٧٨٪
١٥	السيدة نرجس عليها السلام	١	٠,٧٨٪
	المجموع	١٢٩	١٠٠٪

يبين جدول (٢) المنشور المخصص للمعصومين في صفحة العتبة وكالآتي:

١. النبي محمدﷺ: ظهرت تكراراته (٣) وبنسبة (٣٢ , ٢٪)، إذ نشرت العتبة أحاديث النبي التي يوجه فيها المسلمين على تعاليم الإسلام الحنيف مثل: قال النبي محمدﷺ " إذا أحبّ أحدكم أنّ يُحدّث ربّه فليقرأ القرآن» ميزان الحكمة ج٣ - الصفحة ٢٥٢٤ #سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة.

٢. الإمام محمد الباقرعليه السلام: جاءت تكراراته (٦) وبنسبة (٦٥ , ٤٪)، إذ قامت العتبة بإحياء ذكرى استشهاد الإمام الباقر الذي تنوعت المنشورات حوله ما بين صور وفيديوهات تسجيلية ومباشرة، مثل: "قال الامام الباقر عليه السلام إذا قام قائمنا عليه السلام وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم بحار الأنوار ج٥٢ - الصفحة ٣٣٦ #سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة».

٣. الإمام جعفر الصادقعليه السلام: ظهرت تكراراته (٢) وبنسبة (٥٥ , ١٪)، إذ نشرت العتبة أحاديث عن الإمام الصادق يذكر فيها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أو التي يحث فيها الناس على التعلم، مثل: "قال الإمام الصادقعليه السلام من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة بحار الأنوار ج ١ - الصفحة ١٦٤ #سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة ".

٤. الإمام علي الرضاعليه السلام: جاءت تكراراته (١) وبنسبة (٧٨ , ٠٪)، إذ نشرت العتبة تهنئة بمناسبة ولادته بعنوان " نهنئ الأُمة الإسلامية بذكرى ولادة شمس الشموس وأنيس النفوس الإمام علي بن موسى الرضاعليهما السلام #سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة»

٥. الإمام محمد الجوادعليه السلام: ظهرت تكراراته (١١) وبنسبة (٥٣ ,٨٪)، إذ عرضت العتبات مراسم العزاء المقامة حول الإمام الجواد عبر البث المباشر والفيديوهات المسجلة وصور مجالس العزاء، مثل: "العتبة العسكرية المقدسة تقيم مجالس العزاء إحياءً لذكرى استشهاد الإمام محمد الجوادعليه السلام #سامراء_المقدسة

#العتبة_العسكرية_المقدسة ".

٦. الإمام علي الهادي عليه السلام: جاءت تكراراته (٢) وبنسبة (١,٥٥٪)، إذ نشرت احاديث تخص تعاليم الإمام الهادي مثل: " قال الإمام علي الهادي عليه السلام أكثر من الإستغفار والحمد، فإنّك تدرك بذلك الخير كلّه. الأنوار البهية ج١ ص ٢٨٧ #سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة»

٧. الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ظهرت تكراراته (٦) وبنسبة (٤,٦٥٪)، إذ نشرت أقواله مثل:»قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: إنّ الله جلّ وعزّ للمظلومين ناصر وعضد فثق به جل ثناؤه واستعن به يزل محنتك ويكفك شر كلّ ذي شر. الدر النظيم ص٢٢٥.

#سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة».

٨. الإمام الحجة المنتظر المهدي عجل الله فرجه الشريف: جاءت تكراراته (١٢) وبنسبة (٩,٣٠٪)، إذ نشرت أحاديث للإمام مثل: "قال الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف): قلوبنا أوعية لمشية الله فإذا شاء شئنا.

بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٥١ #سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة "

٩. الجواد والباقر: ظهرت تكراراته (٧) وبنسبة (٥,٤٢٪)، إذ ذكرتهم في إحياء ذكرى استشهادهما مثل: "العتبة العسكرية المقدسة تُحيي ذكرى استشهاد الإمامين محمد الباقر ومحمد الجواد عليهما السلام في ناحية الحاتمية #سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة ".

١٠. الإمامين الكاظمين: جاءت تكراراته (١) وبنسبة (٠,٧٨٪)، إذ ذكرتهم في السلام عليهم بعنوان: «السلام عَلَيْكُما يا حُجَّتَي الله في أَرضِهِ وَسَمَائِهِ عَبدُكُما وَوَلِيُّكُما زائِرُكُما مُتَقَرِّباً إلى الله بزيارَتِكُما، #الإمامين_الكاظمين#العتبة_العسكرية_المقدسة».

١١. الإمامين العسكريين: ظهرت تكراراته (٧٤) وبنسبة (٥٧,٣٦٪)، إذ ذكرتهم في نقل الصلاة ومتعلقاتها في مرقديهما أو أجواء الزيارة، مثل:» مباشر | قرآن وأذان المغرب والعشاء من مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام #سامراء_المقدسة#العتبة_العسكرية_المقدسة».

١٢. سيدنا أبا الفضل العباس: جاءت تكراراته (١) وبنسبة (٠,٧٨٪)، إذ ذكرته في السلام عليه بعنوان: واقتصادياً السَّلامُ عَلَيكَ يا أبا الفَضلِ العَبَّاسَ ابنَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، السَّلامُ عَلَيكَ يا بنَ سَيِّدِ الوَصِيِّين، السَّلامُ عَلَيْكَ يا بنَ أَوَّل القَومِ إسلاماً وأقدمهم إيماناً وأقومُهم بدين الله».

١٣. مسلم ابن عقيل: ظهرت تكراراته (١) وبنسبة (٠,٧٨٪)، إذ ذكرته في ذكرى استشهاده بعنوان: "نعزي الأُمة الإسلامية بذكرى شهادة سفير الإمام الحسين مسلم بن عقيل (عليه السلام في التاسع من ذي الحجة سنة ٦٠هـ #سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة "

١٤. السيدة حكيمة: جاءت تكراراتها (١) وبنسبة (٠,٧٨٪)، إذ ذكرتها في السلام عليها بعنوان: "السَّلامُ عَلَيْكِ يا أُخْتَ وَلِيّ الله، السّلامُ عَلَيْكِ يَا عَمَّةَ وَلِيَّ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيَّ التَّقِيِّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ #سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة»

١٥. **السيدة نرجس**: ظهرت تكراراته (١) وبنسبة (٠,٧٨٪) إذ نشرت صورة فيها اسم السيدة نرجس مع نص بعنوان: «السلام عليكِ يا شبيهة أُمّ موسى وابنة حواري عيسى وأُمّ الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) #العتبة_العسكرية_المقدسة #سامراء_المقدسة»

جدول (٣)

أهداف المنشورات في صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك

ت	فئة أهداف المنشورات	التكرار	النسبة المئوية ٪
١	نقل قراءة الدعاء	٤٨	٪٢٧,٦٠
٢	عرض الصلاة ومتعلقاتها	٤٥	٪٢٥,٨٦
٣	إحياء مناسبة	٢٨	٪١٦,٠٩
٤	إبراز دور العتبة العسكرية	٢٢	٪١٢,٦٤
٥	نشر تعاليم آل البيت	١٢	٪٦,٩٠
٦	التعريف بمناسبة	٦	٪٣,٤٤
٧	نقل الممارسة العبادية (الأناشيد)	٤	٪٢,٣٠
٨	عرض أجواء الزيارة	٤	٪٢,٣٠
٩	الزيارة بالإنابة	٤	٪٢,٣٠
١٠	عرض محفل قرآني	١	٪٠,٥٧
	المجموع	١٧٤	٪١٠٠

يوضح جدول (٣) اهداف المنشورات في صفحة العتبة وكالآتي:

١. نقل قراءة الدعاء: ظهرت تكراراته (٤٨) وبنسبة (٦٠ ,٢٧٪)، إذ تبين أنّ العتبة العسكرية كثيراً ماتركز على زرع ثقافة الدعاء لدى متابعيها عن طريق ما تنشره من فقرات الأدعية بصور أو فيديوهات، مثل: "مباشر | قراءة دعاء الندبة من بيت صاحب الأمر (عجل الله فرجه الشريف) بصوت الرادود الحسيني الملا حميد التميمي #سامراء_المقدسة #العتبة العسكرية المقدسة»

٢. عرض الصلاة ومتعلقاتها: جاءت تكراراته (٤٥) وبنسبة (٨٦ ,٢٥٪)، إذ ظهر أنّها عرضت مراسيم الصلاة وما يتعلق بها من قراءة القرآن الكريم والآذان

والدعاء لتشجيع الناس على أدائها، مثل: صلاة عيد الأضحى المبارك من جوار مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام #العتبة_العسكرية_المقدسة #سامراء_المقدسة».

٣. إحياء مناسبة: ظهرت تكراراته (٢٨) وبنسبة (١٦,٠٩٪)، إذ تبين أنّها تساهم في إحياء مناسبات آل البيت عبر إقامة مجالس العزاء والمحافل في ذكرى ولادات ووفيات الأئمة الأطهار، مثل: «وسط هتافات الولاء ودموع الوداع العتبة العسكرية المقدسة تقيم مراسيم التشييع الرمزي لنعش الإمام محمد الجواد عليه السلام #سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة»

٤. إبراز دور العتبة العسكرية: ظهرت تكراراته (٢٢) وبنسبة (١٢,٦٤٪) ا، إذا تضح أنّ العتبة تقوم بإبراز الأنشطة التي تقوم بها في مختلف المجالات الثقافية، الخدمية، السياسية، الاجتماعية، والعلمية، مثل: "بالتعاون مع قسم الإعمار والمشاريع في جامعة بغداد العتبة العسكرية المقدسة تقيم مجموعة من الدورات الهندسية»

٥. نشر تعاليم ال البيت: جاءت تكراراته (١٢) وبنسبة (٦,٩٠٪)، إذ تبين أنّها تنشر أقوال آل البيت التي تعلم الناس كلّ أمورهم في الحياة، مثل: «قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام من الفواقر التي تقصم الظهر جار إنّ رأى حسنة أطفاها وإن رأى سيئة أفشاها. بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٧٢ #سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة».

٦. التعريف بمناسبة: جاءت تكراراته (٥) وبنسبة (٢,٨٧٪)، إذ تقوم العتبة بالتعريف بمناسبات آل البيت التي ستحدث في الأيام اللاحقة للمنشور من وفيات وولادات، مثل: "تقيم الأمانة العامة للعتبة العسكرية المقدسة مجلسها السنوي بمناسبة ذكرى شهادة الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام بمشاركة الخطيب الحسيني سماحة السيد هشام البطاط والرادود الحسيني ملا صاحب الكربلائي، يومي ٢٨-٢٩ ذو القعدة ١٤٤٤ هـ #سامراء_المقدسة "

٧. نقل الممارسة العبادية (الاناشيد): ظهرت تكراراتها (٤) وبنسبة (٣٠, ٢٪)، إذ تبين أنّها تقوم بعرض الأناشيد الأسبوعية في صفحتها عندما تقام كلّ أسبوع. مثل»مباشر | الممارسة العبادية لخدام مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام#سامراء_المقدسة

٨. عرض أجواء الزيارة: جاءت تكراراته (٤) وبنسبة (٣٠, ٢٪)، إذ تعرض العتبة أجواء الزيارة في داخل مرقد الإمامين العسكريين وحركة الزائرين وقيامهم بالدعاء والزيارة، مثل:» أجواء الزيارة من مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام في يوم الجمعة المبارك #سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة ".

٩. الزيارة بالانابة: جاءت تكراراتها (٤) وبنسبة (٣٠, ٢٪)، إذ تقوم بنشر منشور كلّ أسبوع يحث المتابعين على كتابة أسمائهم في التعليقات من أجل الزيارة بالإنابة عنهم.» #الزيارة_بالإنابة كن من زوار الإمامين العسكريين عليهما السلام في عيد الأضحى المبارك، ضع اسمك في التعليقات ونحن نتكفل بالزيارة بالإنابة عنك قربة لله سبحانه وتعالى#سامراء_المقدسة #العتبة_العسكرية_المقدسة»

١٠. عرض محفل قراني: جاءت تكراراته (١) وبنسبة (٥٧, ٠٪)، إذ عرضت العتبة محفلاً قرآنياً في عيد الأضحى للتأكيد على أهمية قراءة القرآن الجماعية مثل: "#العتبة_العسكرية_المقدسة تقيم محفلا قرآنيا بالتعاون مع مجموعة قنوات كربلاء الفضائية وإذاعة القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة #سامراء_المقدسة ".

جدول (٤)

مواضيع البث المباشر في صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك

ت	فئة مواضيع البث المباشر	التكرار	النسبة المئوية ٪
١	القرآن الكريم والآذان	٤١	٪٥٣,٩٥
٢	قراءة الدعاء	١٦	٪٢١,٠٥
٣	مجلس عزاء	٨	٪١٠,٥٣
٤	قرآن وآذان وصلاة ودعاء	٦	٪٧,٨٩
٥	ممارسة عبادية (أناشيد)	٤	٪٥,٢٦
٦	محفل قرآني	١	٪١,٣٢
	المجموع	٧٦	٪١٠٠

يبين جدول (٤) مواضيع البث المباشر في صفحة العتبة وكالآتي:

١. القرآن الكريم والآذان: ظهرت تكراراته (٤١) وبنسبة (٥٣,٩٥٪)، إذ تبيّن أنّ أغلب مواضيع البثوث المباشرة كانت في أوقات الصلاة حيث يتم قراءة القرآن الكريم وبعده الآذان.

٢. قراءة الدعاء: جاءت تكراراته (١٦) وبنسبة (٢١,٠٥٪)، إذ تبيّن أنّ العتبة العسكرية تستخدم بعض البثوث المباشرة لعرض قراءة الأدعية كدعاء الندبة في يوم الجمعة ودعاء كميل ليلة الجمعة ودعاء التوسل ليلة الأربعاء.

٣. مجلس عزاء: ظهرت تكراراته (٨) وبنسبة (١٠,٥٣٪)، إذ استخدمت العتبة قليلاً من البثوث المباشرة في نقل مجالس العزاء المقامة في ذكرى استشهاد الأئمة ومنهم الإمامين الباقر والجواد عليهما السلام.

٤. قرآن وآذان وصلاة ودعاء: جاءت تكراراته (٦) وبنسبة (٧,٨٩٪)، إذ اتضح أنّ العتبة العسكرية قليلاً ما استخدمت البث المباشر ساعة كاملة في أوقات

الصلاة لنقل مقدماتها وآدائها كاملاً.

٥. ممارسة عبادية (اناشيد): ظهرت تكراراته (٤) وبنسبة (٢٦ , ٥٪)، اذ ظهر أنّها تنقل الممارسة العبادية الأنشادية الأسبوعية عن طريق البث المباشر في صفحتها.

٦. محفل قرآني: جاءت تكراراته (١) وبنسبة (٣٢ , ١٪)، إذ عرضت محفلاً قرآنياً عبر البث المباشر في صفحتها.

جدول (٥)

اتجاه المستخدمين تجاه القضايا المطروحة في صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك

ت	فئة اتجاه المستخدمين تجاه القضايا المطروحة	التكرار	النسبة المئوية ٪
١	مؤيد	١٧٤	١٠٠٪
٢	معارض	٠	٠
٣	محايد	٠	٠
	المجموع	١٧٤	١٠٠٪

يوضح جدول (٥) اتجاه المستخدمين تجاه القضايا المطروحة في صفحة العتبة وكالآتي:

١. مؤيد: ظهرت تكراراته (١٧٤) وبنسبة (١٠٠٪)، إذ تبين أنّ المتابعين لمنشورات صفحة العتبة مؤيدين لجميع منشوراتها ويتبين ذلك عن طريق تعليقاتهم.

٢. معارض: جاءت تكراراته (٠) إذ تبيّن أنّ جمهور العتبة ليس لديهم اتجاه معارض تجاه ماتنشره على صفحتها.

١. محايد: ظهرت تكراراته (٠) إذ تبيّن أنّه لايوجد اتجاه محايد لدى جمهور صفحة العتبة تجاه ما تنشره.

ثانياً: فئات كيف قيل

جدول (٦)

نوع المحتوى المنشور في صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك

ت	فئة نوع المحتوى المنشور	التكرار	النسبة المئوية ٪
١	نص مع فيديو	٩٣	٪٥٣,٤٥
٢	نص مع صورة	٨١	٪٤٦,٥٥
	المجموع	١٧٤	٪١٠٠

يوضح جدول (٦) نوع المحتوى المنشور في صفحة العتبة وكالآتي:

١. نص مع فيديو: ظهرت تكراراته (٩٣) وبنسبة (٥٣,٤٥٪)، إذ تبيّن أنّ العتبة العسكرية تميل لنشر الفيديوهات أكثر من الصور في صفحتها على شبكة الفيس بوك.

٢. نص مع صورة: جاءت تكراراته (٨٢) وبنسبة (٤٦,٥٥٪)، إذ اتضح أنّ العتبة العسكرية تستخدم الصور بنسبة أقل مقارنة بالفيديوهات في صفحتها على شبكة الفيس بوك.

جدول (٧)

الفنون الإخبارية المستخدمة في صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك

ت	فئة الفنون الإخبارية المستخدمة	التكرار	النسبة المئوية ٪
١	فيديو تقرير	٤	٪٣,٤٢
٢	فيديو مقابلة	١	٪٠,٨٥
٣	نص مع فيديو حي Live	٧٣	٪٦٢,٣٩
٤	خبر مع فيديو	٨	٪٦,٨٥
٥	خبر مع صورة	٣١	٪٢٦,٤٩

المجموع	١١٧	١٠٠٪

يبين جدول (٧) الفنون الإخبارية المستخدمة في صفحة العتبة وكالآتي:

١. فيديو تقرير: ظهرت تكراراته (٤) وبنسبة (٣,٤٢٪)، إذ تبيّن أنّ العتبة العسكرية قليلاً ما تستخدم التقارير في نشر نشاطاتها على شبكة الفيس بوك.

٢. فيديو مقابلة: جاءت تكراراته (١) وبنسبة (٠,٨٥٪)، إذ اتضح أنّ العتبة العسكرية نادراً ما تستخدم المقابلات في التعريف عن انشطتها على شبكة الفيس بوك.

٣. نص مع فيديو حي Live: ظهرت تكراراته (٧٣) وبنسبة (٦٢,٣٩٪)، إذ تبيّن أنّ العتبة العسكرية تميل لنشر الفيديوهات المباشرة يومياً وأكثر من مرة لنقل صلاة الجماعة وأجواء الزيارة والقرآن والدعاء.

٤. خبر مع فيديو مسجل: جاءت تكراراته (٨) وبنسبة (٦,٨٥٪)، إذ اتضح أنّها قليلاً ما تستخدم فيديوهات مسجلة لعرض أنشطتها وخدماتها المقدمة للزائرين على شبكة الفيس بوك.

٥. خبر مع صورة: ظهرت تكراراته (٣١) وبنسبة (٢٦,٤٩٪)، إذ تبيّن أنّ العتبة العسكرية تميل لنشر الصور في نقل الأنشطة الخدمية والثقافية التي تفدمها.

جدول (٨)

عدد الصور في المنشور الواحد في صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك

ت	فئة عدد الصور في المنشور الواحد	التكرار	النسبة المئوية ٪
١	صورة واحدة	٥٢	٦٤,١٩٪
٢	صورتين	٢	٢,٤٧٪
٣	من ٣ إلى ٥ صور	٨	٩,٨٨٪

٤	أكثر من ٥ صور	١٩	٪٢٣,٤٦
	المجموع	٨١	٪١٠٠

يوضح جدول (٨) عدد الصور في المنشور الواحد في صفحة العتبة وكالآتي:

١. صورة واحدة: ظهرت تكراراته (٥٢) وبنسبة (١٩,٦٤٪)، إذ تبيّن أنّ العتبة العسكرية تميل لنشر صورة واحدة في أغلب منشورات صفحتها لجذب انتباه الجمهور وعدم تشتيته بصور متعددة.

٢. صورتين: جاءت تكراراته (٢) وبنسبة (٤٧,٢٪)، إذ اتضح ان العتبة العسكرية نادراً ما تستخدم صورتين في المنشور؛ لأنّه يظهرهما صغيرتان كأنّهما مقتطعتان.

١. من ٣ إلى ٥: ظهرت تكراراته (٨) وبنسبة (٨٨,٩٪)، إذ تبيّن أنّ العتبة العسكرية قليلاً ما تستخدم هذا العدد وتلجأ له عند نشر اخبار اللقاءات التي تحصل في العتبة.

٢. أكثر من ٥ صور: جاءت تكراراته (١٩) وبنسبة (٤٦,٢٣٪)، إذ اتضح أنّ العتبة العسكرية تستخدم هذا العدد من الصور عند عرض نشاطاتها الخدمية والثقافية.

جدول (٩)

أساليب نشر الفيديوهات في صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك

ت	أساليب نشر الفيديوهات	التكرار	النسبة المئوية ٪
١	عام	٩٠	٪٩٦,٧٧
٢	مختصر (ريلز)	٣	٪٣,٣٣
	المجموع	٩٣	٪١٠٠

يبين جدول (٩) أساليب نشر الفيديوهات في صفحة العتبة وكالآتي:

١. عام: ظهرت تكراراته (٩٠) وبنسبة (٩٦,٧٧٪)، إذ تبيّن أنّ العتبة العسكرية تستخدم غالباً الفيديوهات العامة في صفحتها على شبكة الفيس بوك؛ لأنّ مدتها تبلغ أكثر من دقيقة ونصف وتستوعب تفاصيل كثيرة.

٢. مختصر (ريلز): جاءت تكراراته (٣) وبنسبة (٣٣,٣٪)، إذ اتضح أنّها نادراً ما تستخدم الفيديوهات المختصرة في صفحتها؛ لأنّ مدتها أقل من دقيقة ونصف ولاتستوعب تفاصيل كثيرة.

جدول (١٠)

تفاعل المستخدمين في صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك

ت	فئة تفاعل المستخدمين	التكرار	النسبة المئوية ٪
١	الإعجابات	٩٢٩٦٦	٨٤,٨٩٪
٢	التعليقات	١٤٧٢٦	١٣,٤٥٪
٣	المشاركات	١٨١٣	١,٦٦٪
	المجموع	١٠٩٥٠٥	١٠٠٪

يوضح جدول (١٠) تفاعل المستخدمين في صفحة العتبة وكالآتي:

١. الإعجابات: ظهرت تكراراتها (٩٢٩٦٦) وبنسبة (٨٤,٨٩٪)، إذ تبيّن أنّ أغلب تفاعلات الجمهور مع منشورات صفحة العتبة على شبكة الفيس بوك هي عبر الإعجابات.

٢. التعليقات: جاءت تكراراتها (١٤٧٢٦) وبنسبة (١٣,٤٥٪)، إذ اتضح أنّ الجمهور قليلاً ما يتفاعل مع المنشورات عبر التعليقات، ونجد الجمهور يركز في تعليقاته على المنشورات التي تخص الزيارة بالإنابة وكذلك في منشورات التعزية

بذكرى استشهاد الأئمة الأطهار ومنشورات الخدمات التي تقدمها العتبة.

٣. المشاركات: ظهرت تكراراتها (١٨١٣) وبنسبة (٦٦ ,١٪)، إذ تبيّن أنّ تفاعل الجمهور نادراً مايكون عبر ميزة مشاركة المنشور، وظهر أنّ الجمهور يشارك منشورات الأدعية أو الأحاديث.

جدول (١١)

عدد مشاهدة الفيديوهات في صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك

ت	فئة عدد مشاهدة الفيديوهات	التكرار	النسبة المئوية ٪
١	البث المباشر	١٣٦٤٧٠	٪٥٤ ,٧١
٢	العام	٨٢٣٥٧	٪٣٣ ,٠٢
٣	المختصر	٣٠٦١٩	٪١٢ ,٢٧
	المجموع	٢٤٩٤٤٦	٪١٠٠

يبين جدول (١١) عدد مشاهدة الفيديوهات في صفحة العتبة وكالآتي:

١. البث المباشر: ظهرت تكراراته (١٣٦٤٧٠) وبنسبة (٧١ ,٥٤٪)، إذ تبيّن أنّ النسبة الأكبر من مشاهدات الجمهور كانت للبث المباشر؛ لأنّ اغلب فيديوهات العتبة كانت من هذا النوع.

٢. العام: جاءت تكراراته (٨٢٣٥٧) وبنسبة (٠٢ ,٣٣٪)، إذ اتضح أنّ مشاهدات الفيديوهات العامة التي تبلغ أكثر من دقيقة ونصف جاءت بالمرتبة الثانية؛ لأنّ عدد الفيديوهات من هذا النوع التي نشرهتها العتبة كانت بالمرتبة الثانية أيضاً.

٣. المختصر: ظهرت تكراراته (٣٠٦١٩) وبنسبة (٢٧ ,١٢٪)، إذ تبيّن أنّ الريلز نسبة مشاهدته الأقل بسبب قلة نشر مثل هذا النوع على صفحة العتبة وبالرغم من نشرها ٣ فيديوهات ريلز إلّا أنّها حققت نسبة مشاهدة عالية.

جدول (١٢)

استخدام المرفقات بالمنشور في صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك

ت	فئة استخدام المرفقات في المنشور	التكرار	النسبة المئوية ٪
١	الهاشتاكات	١٤٨	٪٨١,٧٧
٢	تحديد الموقع الجغرافي	٢١	٪١١,٦١
٣	الروابط	١٠	٪٥,٥٢
٤	الإرشاد لتفاصيل في التعليقات	٢	٪١,١٠
	المجموع	١٨١	٪١٠٠

يوضح جدول (١٢) استخدام المرفقات بالمنشور في صفحة العتبة وكالآتي:

١. الهاشتاكات: ظهرت تكراراتها (١٤٨) وبنسبة (٨١,٧٧٪)، إذ تبيّن أنّ العتبة العسكرية تميل لنشر الهاشتاكات مع أغلب المنشورات إذا حصدت المرتبة الأُولى بالمرفقات في منشوراتها حتى تصل لجمهور أكبر.

٢. تحديد الموقع الجغرافي: جاءت تكراراتها (٢١) وبنسبة (١١,٦١٪)، إذ اتضح أنّ العتبة العسكرية استخدمت الموقع الجغرافي للتأكيد بأنّ الأنشطة التي تقوم بها هي من داخل العتبة في سامراء المقدسة.

٣. الروابط: ظهرت تكراراتها (١٠) وبنسبة (٥,٥٢٪)، إذ تبيّن أنّ العتبة العسكرية تستخدم الروابط في منشوراتها عندما تتيح المزيد من المعلومات حول الحدث على موقعها الإلكتروني.

٤. الإرشاد لتفاصيل في التعليقات: جاءت تكراراته (٢) وبنسبة (١,١٠٪)، إذ اتضح أنّ العتبة العسكرية نادراً ما ترشد الجمهور للتفاصيل بالتعليقات.

جدول (١٣)

عدد الهاشاتاكات المستخدمة بمنشورات صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك

ت	عدد الهاشاتاكات المستخدمة في المنشور	التكرار	النسبة المئوية ٪
١	واحد	١١	٪٧,١٤
٢	اثنين	١٣٠	٪٨٤,٤٢
٣	ثلاثة	١٣	٪٨,٤٤
	المجموع	١٥٤	٪١٠٠

يبين جدول (١٣) عدد الهاشاتاكات المستخدمة بمنشورات صفحة العتبة وكالآتي:

١. واحد: ظهرت تكراراته (١١) وبنسبة (٧,١٤٪)، إذ تبيّن أنّ العتبة العسكرية قليلاً ما تستخدم هاشتاك واحد في منشوراتها، مثل: #سامراء_المقدسة

٢. اثنين: جاءت تكراراته (١٣٠) وبنسبة (٨٤,٤٢٪)، إذ اتضح أنّها تستخدم اثنين هاشتاكات في اغلب منشوراتها على صفحتها في الفيس بوك، وأكثر هاشتاكين استخدمتهما #سامراء_المقدسة و#العتبة_العسكرية_المقدسة

١. ثلاثة: ظهرت تكراراته (١٣) وبنسبة (٨,٤٤٪)، إذ تبيّن أنّ قليلاً ما تستخدمه وتلجأ له عند نشر فيديوهات معينة أو الزيارة بالإنابة، ومن أمثلة الهاشتاكات الثلاثة معاً: #الزيارة_بالإنابة #سامراء_المقدسة و#العتبة_العسكرية_المقدسة

خلص البحث إلى عدة استنتاجات أهمها:

١ .ركزت العتبة العسكرية المقدسة غالباً على نشر الموضوعات الدينية؛ لأنّها مؤسسة دينية تهتم بنشر مراسيم العبادة والزيارة والتعاليم الدينية، كما تقوم بنشر الموضوعات الثقافية، الاجتماعية، العلمية، الخدمية، والسياسية المتعلقة بأنشطة العتبة في هذه المجالات.

٢. ذكرت المنشورات النبي صلى الله عليه وآله وائمة آل البيت وذريتهم عليهم السلام بحسب كلّ مناسبة خاصة بهم، وركزت على الإمامين العسكريين لأنّها تمثل الإعلام الخاص بمرقديهما عليهما السلام.

٣.تنوعت اهداف المنشورات وركزت بالغالب على زرع ثقافة الدعاء لدى متابعيها عن طريق ما تنشره من فقرات الأدعية بصور أو فيديوهات، وكذلك عرض الصلاة ومتعلقاتها لتشجيع الناس على أدائها، وإحياء مناسبات آل البيت عبر إقامة مجالس العزاء والمحافل في ذكرى ولاداتهم ووفياتهم، كما تقوم بإبراز دور العتبة العسكرية في مختلف المجالات عبر الأنشطة التي تقوم بها، وكذلك نقل المحافل القرآنية.

٤. ركزت مواضيع البث المباشر على نقل القرآن الكريم والآذان في أوقات الصلاة، وكذلك عرض قراءة الأدعية كدعاء الندبة في يوم الجمعة ودعاء كميل ليلة الجمعة ودعاء التوسل ليلة الأربعاء، كما تنقل مجالس العزاء المقامة في ذكرى استشهاد الأئمة عليهم السلام.

٥. ظهرت اتجاهات المستخدمين تجاه القضايا المطروحة في صفحة العتبة بأنّها مؤيدية لجميع منشوراتها ويتبيّن ذلك عن طريق تعليقاتهم، وأنّ جمهورها ليس لديهم اتجاه معارض أو محايد تجاه ماتنشره على صفحتها.

٦. تميل العتبة العسكرية لنشر الفيديوهات أكثر من الصور في صفحتها على

شبكة الفيس بوك.

٧. استخدمت العتبة العسكرية الفيديوهات المباشرة كأكثر فن إخباري لعرض أجواء الزيارة وصلاة الجماعة والقرآن والدعاء يوميّاً وأكثر من مرة، كما استخدمت التقارير والمقابلات في التعريف عن انشطتها وكذلك الفيديوهات المسجلة لعرض خدماتها المقدمة للزائرين.

٨.نشرت صورة واحدة في أغلب منشورات صفحتها لجذب انتباه الجمهور وعدم تشتيته بصور متعددة، ونادراً ما تستخدم صورتين في المنشور؛ لأنّه يظهرهما صغيرتان كأنّهما مقتطعتان، وتلجأ لاستخدام ثلاثة إلى خمسة عند نشر أخبار اللقاءات التي تحصل في العتبة، وتستخدم أكثر من خمسة عند عرض نشاطاتها الخدمية والثقافية.

٩. استخدمت غالباً الفيديوهات العامة؛ لأنّ مدتها تبلغ أكثر من دقيقة ونصف وتستوعب تفاصيل كثيرة، ونادراً ما تستخدم الفيديوهات المختصرة في صفحتها؛ لأنّ مدتها أقل من دقيقة ونصف ولاتستوعب تفاصيل كثيرة.

١٠.كان أغلب تفاعل المستخدمين مع منشورات الصفحة عبر الإعجابات لسهولة الضغط على زر الإعجاب ولايحتاج المستخدم وقت كثير لذلك، وقليلاً ما يتفاعل مع المنشورات عبر التعليقات، ونجد الجمهور يركز في تعليقاته على المنشورات التي تخص الزيارة بالإنابة وكذلك في منشورات التعزية بذكرى استشهاد الأئمة الأطهار ومنشورات الخدمات التي تقدمها العتبة، ونادراً مايكون تفاعل الجمهور عبر ميزة مشاركة المنشور، وظهر أنّ الجمهور يشارك منشورات الأدعية أو الأحاديث.

١١. ظهرت النسبة الأكبر لمشاهدة الجمهور للفيديوهات كانت للبث المباشر؛ لأنّ أغلب فيديوهات العتبة كانت من هذا النوع، وتبعتها الفيديوهات العامة التي تبلغ أكثر من دقيقة؛ لأنّ عددها المنشور في الصفحة حلّ بالمرتبة لثانية، وتبيّن أنّ الريلز

نسبة مشاهدته الأقل بسبب قلة نشر مثل هذا النوع على صفحة وبالرغم من نشرها ٣ فيديوهات ريلز إلّا أنّها حققت نسبة مشاهدة عالية لكلّ فيديو مقارنة بالنوعين السابقين.

١٢. تميل لنشر الهاشتاكات مع أغلب المنشورات كمرفق بالمنشور حتى تصل لجمهور أكبر، كما استخدمت الموقع الجغرافي للتأكيد بأنّ الأنشطة التي تقوم بها هي من داخل العتبة في سامراء المقدسة، بالإضافة إلى استخدام الروابط في منشوراتها عندما تتيح المزيد من المعلومات حول الحدث على موقعها الإلكتروني، ونادراً ما ترشد الجمهور للتفاصيل بالتعليقات.

١٣. تستخدم صفحة العتبة اثنين هاشتاكات في أغلب منشوراتها وتذكر فيهما العتبة ومدينة سامراء لوجودها فيهما، وقليلاً ما تستخدم هاشتاك واحد أو ثلاثة في مواضع معينة كبعض البثوث المباشرة والزيارة بالإنابة.

التوصيات

١.يوصي الباحثان بتنويع صفحة العتبة للموضوعات التي تنشرها وعدم الاكتفاء بالموضوعات الدينية، وذلك عبر عرض المزيد من الموضوعات الثقافية والخدمية والاجتماعية المتعلقة بالأنشطة التي تقدمها العتبة في هذه المجالات وبصورة يومية مستمرة.

٢.أهمية قيام صفحة العتبة بالتركيز على نشر أحاديث الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف حتى يعرفها الناس وكذلك أحاديث أئمة آل البيت التي تتحدث حول زمن وعلامات الظهور.

٣. أهمية تعريف الناس بسيرة الإمامين العسكرين عليهما السلام وكذلك سيرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وسفرائه الأربعة رضي الله عنهم عبر المنشورات المستمرة حولهم.

٤. ضرورة اهتمام صفحة العتبة بنقل دعاء العهد والفرج عبر البث المباشر أو

الفيديوهات المسجلة ونشر فقرات نصية منها مرفقة بصورة وكذلك بقية الأدعية المتعلقة بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٥. مراعاة نشر الصور أكثر من الفيديوهات؛ لأنّ خوارزمية الفيس بوك تعطي أولوية وصول الصور للجمهور أكثر من الفيديوهات.

٦. أهمية عناية العتبة بصفحتها على الفيس بوك وعدم نشر النصوص أو الصور أو الفيديوهات التي يكون محتواها مخالفاً لدى هذه الشبكة وتعدُّه انتهاكاً وتقيد صفحة العتبة من الوصول للجمهور بسببها.

٧. ضرورة قيام العتبة بتوثيق صفحتها على الفيس بوك لتجنب حظرها وتقييدها من قبل إدارة هذه الشبكة عند نشر محتوى يعد انتهاكاً لديها.

٨. ضرورة القيام بتقديم برامج في صفحة العتبة منها ما يكون مدته دقيقة ونصف بطريقة عمودية مختصرة (ريلز) يتكلم عن محطات من سيرة الإمامين العسكريين والإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ومنها ما تكون مدته نصف ساعة عبر بث مباشر يتكلم فيه عن عصر ظهور الإمام المهدي وعلامات ظهوره.

٩. أهمية القيام بإجراء تقارير أكثر عن إنجازات العتبة في مختلف المجالات، وكذلك إجراء مقابلات مع المسؤولين في العتبة حول الأنشطة المختلفة.

١٠. ضرورة استخدام المزيد من المقاطع العمودية بطريقة الريلز لنشر أجواء الزيارة والعبادة وأنشطة العتبة المختلفة؛ لأنّه يصل إلى الجمهور أكثر من الفيديو العام الأفقي.

١١. أهمية استخدام هاشتاك مناسب للمواضيع المنشورة ويفضل الهاشتاكات الرائجة في وقتها بما يلائم محتوى المنشور ليصل إلى جمهور واسع.

١٢. يفضل تروج صفحة العتبة عبر فيديوهات جاذبة وليس صور ويكون

الترويج للصفحة وليس للمنشور، حتى تحصل على المزيد من الإعجابات والمتابعات.

١٣. ينصح الباحثان بتخصيص صفحة العتبة لنشرة أسبوعية موجزة مدتها دقيقة ونصف لأهم الأخبار في العتبة وأنشطتها وتكون بأربع أو خمس أخبار وتقدم بطريقة عمودية مختصرة(ريلز)، كما ينصحان بتقديم مثل أخبار هذه النشرة عبر مجموعة صور بمنشور واحد لأهم الأخبار أسبوعيّاً.

المصادر والمراجع

١. إسماعيل، إبراهيم، مناهج البحوث الإعلامية، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠١٧.

٢. جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٠١٣، ٢٠٠٥.

٣. الجلالي، محمد حسين الحسيني، مزارات أهل البيت وتاريخها، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٥.

٤. الجمال، راسم محمد، مقدمة في مناهج البحث في الدراسات الإعلامية، القاهرة، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، ١٩٩٩.

٥. رزق، خليل عبد الأمير، الإمام المهدي واليوم الموعود، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨.

٦. سليمان، كامل، الإمام الحسن العسكري أبو القائم من بني هاشم، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الأُولى، ١٩٩٩.

٧. سليمان، كامل، الإمام علي الهادي مع مروق القصر وقضاة العصر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٠.

٨. العلي، صالح أحمد، سامراء «دراسة في النشأة والبنية السكانية»، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأُولى ٢٠٠١.

٩. الفضلي، عبد الهادي، أُصول البحث، قم، دار الكتاب الإسلامي، ٢٠١٣.

١٠. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٨.

١١. القزويني، محمد كاظم، الإمام المهدي من المهد إلى الظهور، دار الأنصار، قم، ٢٠٠٦.

١٢. القمي، عباس، مفاتيح الجنان، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ٢٠١٣.

١٣. اللجنة العلمية في مؤسسة ولي العصر، موسوعة الإمام العسكري عليه السلام، الجزء

الأول، قم، ١٤٢٦هـ.

١٤. المدرسي، محمد تقي، الإمام الهادي قدوة وأُسوة، مركز العصر للثقافة والنشر، بيروت، ٢٠١٠.

١٥. النجفي، بشير، ولادة الإمام المهدي، مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، النجف الأشرف، ١٤٢٧.

١٦. نجم، طه عبد العاطى، مناهج البحث الإعلامي، الإسكندرية، دار كلمة للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.

المواقع الإلكترونية

١. الموقع الرسمي للأمانة العامة للعتبة العسكرية المقدسة بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠٢٣

http://www.askarian.iq

٢. صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠٢٣

https://web.facebook.com/alaskariannet/?_rdc=1&_rdr

٣. صفحة العتبة العسكرية المقدسة على النستغرام بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠٢٣

https://www.instagram.com/askarian_iq

٤. صفحة لعتبة العسكرية المقدسة على تويتر بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠٢٣

https://twitter.com/AlatbaALaskarea

٥. قناة العتبة العسكرية المقدسة على التلغرام بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠٢٣

https://t.me/alaskrain

٦. قناة العتبة العسكرية المقدسة على اليوتيوب بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠٢٣

https://www.youtube.com/@al-aaskariholyshrine9229/featured

٧.موقع المرجع الألكتروني للمعلوماتية بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠٢٣
https://almerja.com/reading.php?idm=91796

البحث الثاني

سامراء: المدينة المقدسة المتأثرة بجائحة كوفيد-١٩ وتأثير مسيرة الأربعين على السياحة الدينية

الدكتور أكبر حيدري
قسم التربية في محافظة زنجان
الدكتور علي بيات
قسم التربية في محافظة زنجان
مريم حيدري
قسم التربية في محافظة زنجان

الملخص:

برزت السياحة كواحدة من أسرع القطاعات نموًا في الاقتصاد العالمي اليوم وتتميز بخصائص فريدة مقارنة بالقطاعات الأخرى. تُنتج وتُستهلك السلع والخدمات في قطاع السياحة في نفس الوقت. تسببت جائحة كوفيد-١٩ في عام ٢٠١٩ في العديد من المشكلات في قطاع السياحة مثل إغلاق المراكز السياحية وتعطيل سلاسل الخدمات السياحية مثل الطعام والترفيه والنقل وخدمات السفر في جميع أنحاء العالم. وقد أدى ذلك إلى انخفاض في نمو وتوسع صناعة السياحة العالمية. من الجدير بالذكر أن صناعة السياحة تشمل مجموعة متنوعة من القطاعات مع كون السياحة الدينية الأبرز بينها. تمتلك جميع الأديان مواقع دينية مميزة وأعمال وعادات وممارسات أصبحت عامل جذب رئيسي للسياح. ويبرز المسلمون والدين الإسلامي بشكل خاص في هذا القطاع. فالحج وزيارة الأماكن المقدسة وتجمعات العزاء أو المهرجانات الدينية الإسلامية تعد من بين أهم الأحداث السياحية الدينية في العالم.

ونظرًا لأهمية هذه المسألة تم إجراء هذه الدراسة لتقييم تأثيرات كوفيد-١٩ على السياحة الدينية في عام ٢٠٢٣. حيث ركزت هذه الدراسة الميدانية على ٩٠ ممثلاً إيرانيًا من المدراء والموظفين في مختلف المؤسسات التجارية القريبة من الأماكن الدينية والمقدسة للأئمة في سامراء بالعراق. قُدم استبيان للمشاركين يتكون من ١٠ أسئلة كل منها بمقياس تقييم من خمس نقاط وتم تحليل البيانات باستخدام اختبار (T-test) لعينة واحدة في برنامج (SPSS). وصُمم اختبار T-test لمقارنة إجابات

الأسئلة مع متوسط إجابات المشاركين مع قيمة عتبة قدرها ٣.

أشارت نتائج الدراسة إلى أنه خلال جائحة كورونا انخفض عدد الزوار الإيرانيين إلى سامراء بشكل كبير كما انخفضت المكونات الاقتصادية المتعلقة بالجائحة والعمالة المرتبطة بها.

الكلمات المفتاحية: جائحة كوفيد-١٩، الدين، سامراء، السياحة الدينية، المسلمون.

Number 3.

12. Timothy، D.J. Poodle، S.، 2015، "Perceptions of Tourists in Religious Destinations: A Social Distance Perspective"، Tourism Management 48(1)، 343-353.https://doi.org/10.1056/NEJMoa2001316

13. Tresido، M.، Scarles، C. and Saunders، 2018، "Complexities of Religious Tourism Motives: Sacred Sites، Vows and Visions"، Annals of Tourism Research70(1)، 54-65. https://doi.org/10.1016/j.annals.2018.02.011

.

Science.

6. Farahani، Hamira Zamani and Joan C. Henderson (2010) Islamic tourism and managing tourism development in Islamic societies: the cases of Iran and Saudi Arabia، International Journal of Tourism Research، https://doi.org/10.1002/jtr.741.

7. Landran Esfahani، S.; Rahimi Lanji، M. (2022) The impact of Corona on the tourism situation (case study: Isfahan city)، Urban Research Quarterly، Volume 2، Number 1، pp. 1-15.

8. Li، Q.، Guan، X.، Wu، P.، Wang، X.، Zhu، L.، Tang، Y.، 2020، "Dynamics of early transmission in Wuhan، China، a novel coronavirus pneumonia"، New England Journal of Medicine 382 (13)، 1199-1207. https://doi.org/10.1056/NEJMoa2001316

9. Rahimi، F. (2022) Investigating the impact of the Covid-19 virus on economic development and the tourism industry، Applied Economics Quarterly، Volume 12، Number 40.

10. Sijanyundi، Sh.; Mansouri,K.; Emami,E.(2020): The impact of the corona virus crisis on the tourism and hotel industry and providing solutions، National Conference on Business Management in Crisis and Uncertainty، University of Kurdistan.

11. Taheri، M.; Hasanvand، A. (2019) economic consequences of covid 19 disease on Iran's economy; With an emphasis on employment، Nursing Management Quarterly، Volume 9،

References:

1. Abu Bakar، Nashirah and، Sofian Rosbi (2020): Effect of Coronavirus disease (COVID-19) to tourism industry، International Journal of Advanced Engineering Research and Science (IJAERS)، https://dx.doi.org/10.22161/ijaers.74.23

2. Alipour، H.، Alia، H.G.T. and Forozan، I.، 2016، "Environmental impact of mass religious tourism: from the perspective of residents"، Tourism Analysis 22(2)، 167-183. https://doi.org/10.3727/108354217X1488819256228

3. Al-Mharzi، H.M. and Al-Sawafi، E.M.، 2016، "Muslim perspectives on spiritual and religious travel beyond Hajj: Towards an understanding of motivations for Umrah travel in Oman"، Tourism Management Perspectives 24(1)، 235-242. https://doi.org/10.1016/j.tmp.2017.07.016

4. Asgari Sawadjani، A.; Rezaei، M. & Sejasi Keidari، H. (2021) Analysis of the impact of the covid 19 pandemic on the creative destruction of tourism from the perspective of residents (case study: the historical context of Yazd city)، Urban Tourism Quarterly، Volume 8، Number 1، pp. 1-13.

5. Berimnejad، Vali and Sahar Dehyouri (2022) Content analysis of the economic problems of Covid-19 disease on businesses: A case study of Tehran Province، Iran، Annals of Data

ties. In the present study، the scientific evaluation of the effects of the pandemic on religious tourism has been conducted in a field study.

religious tourism among Islamic countries and societies، as well as the presence of Muslim tourists in other Islamic countries، has strengthened the ties between Muslim nations. It has also facilitated the identification of issues and cultural features of Muslim societies، and has enabled the recognition of similarities and disparities between cultures. This has contributed to the establishment of a unified Islamic culture، the formation of unity and solidarity among Muslims، and the revival of the concept of an Islamic Ummah، all of which are major accomplishments for Muslims. Furthermore، the world has demonstrated that numerous Islamic countries are secure travel destinations، thus improving the political image of Islamic countries in the world. As a result، the debate on the tourism industry contributes to the promotion of Islamic culture and civilization from the perspective of both civilization and political culture.

Religious tourism is a form of tourism that is not limited to pilgrimage sites، but also encompasses a variety of attractions that draw in، visit and engage tourists. For instance، Muslim mosques may be utilized as museums، collections of Muslim art and craft related to Islamic culture، and venues for large-scale religious services for tourists. Recent research has highlighted the challenges posed by the pandemic، which have been discussed in numerous workshops، websites and online communi-

and Ahle al-Bayt devotees of the Prophet's family travel to Iran، Iraq، and Syria، as well as other Islamic countries like Egypt and Yemen، where mosques date back to the early days of Islam and draw large numbers of tourists.

According to the results of the current research، the spread of Covid-19 has had a negative impact on the religious tourism of the holy cities of Iraq. In particular، this disease leads to a decrease in the income of religious tourists (μ = 3.98)، a decrease in job opportunities due to religious tourism (μ = 3.73)، economic stagnation in handicraft trade (μ = 4.13)، capital stagnation (μ = 3.77)، a decrease in the attraction of assets foreign (μ = 3.89)، reduction of improvement and development of infrastructure (μ = 3.56)، reduction of export income from the arrival of religious tourists (μ = 3.71)، reduction of use of existing local capabilities by religious tourists (μ = 3.82)، reduction of employment and activities related to religious tourism (μ = 3.91) and the reduction of part-time jobs and service jobs related to religious tourism (μ = 4.23).

The results of this analysis are presented in Table 2. Material، spiritual and cultural benefits of religious tourism and its attraction increase the need to focus on religious tourism، thus necessitating appropriate policy and planning. The growth of

tribute to this lucrative industry. Examining the travelogue and other documents relating to Muslims' journey on earth، it is evident that the primary objective of Muslim tourists is to explore، investigate and learn، to gain knowledge from the scholars of other countries and to undertake pilgrimage. Natural tourism، historic tourism، health tourism، sports tourism، and tourism are all forms of tourism. As this research has revealed، religious tourism surpasses climatic obstacles and the numbers of tourists and visitors to urban areas and religious centers remain constant regardless of seasonal and seasonal changes in climate.

Religious tourism not only provides economic and financial benefits، but also establishes links with other Islamic communities and facilitates interactions between nations and cultures with shared values. Travel has been enjoyed by humans for millennia، and these trips are not exclusive to Muslims; followers of other religions may also embark on religious trips in accordance with their religious beliefs and practices. There are numerous religious and holy sites in the world that are associated with various religions، but religious tourism is most commonly seen among Muslims due to the teachings of the faith. For instance، since the inception of Islam، Muslims from all over the world have journeyed to Mecca every year during the Dhul-hijjah to undertake the Hajj rites. Additionally، Shiites

fect on people's lives، both physically and mentally، and has posed a variety of challenges to countries around the world.

It has been a difficult period for even the most developed countries، which boast of having advanced health and social care systems، to cope with the effects of the coronavirus. These issues are not only related to health، but also have had an impact on economic and social affairs. One of the key factors to consider when assessing the economic repercussions of the virus is the duration of the infection. If the virus were to spread for an extended period of time، the economic repercussions would be significantly different from those of a short-term scenario. In the case of Iraq، the virus has caused a stagnation and uncertainty in the country's economy. Tourism services have been one of the sectors whose income and expenses have been adversely affected by the coronavirus، as the spread of the disease has resulted in a significant deficit in the tourism industry، particularly religious tourism. This has had a significant impact on economic exchanges and ultimately on the overall commercial space.

Tourism is a vital necessity for humans in terms of physical، spiritual، and natural needs. This is why it is essential to focus more attention on the tourism sector in the Holy Land. In today's modern world، an Islamic nation has a great deal to con-

the region and the benefits gained from the region. The benefits of the tourism were then divided into 10 broad categories.

Table 2 indicates that the Covid-19 pandemic has had a detrimental impact on religious tourism (as a whole) in Iraq. Furthermore، it has had a detrimental effect on various components of religious tourism. Consequently، the higher the average value of 3، the more detrimental Covid-19 has had an effect on religious tourism components.

Discussion

At the end of December 2019، a number of cases of unexplained pneumonia were reported in the Chinese city of Wuhan، prompting the government and health researchers to take swift action to contain the outbreak and to investigate the underlying cause. The WHO provisionally designated the virus as the "New Coronavirus" (2022). Despite medical progress، the emergence of some novel infectious diseases has had a far-reaching impact on human life. Despite the efforts of humans to adapt to and reduce the impact of infectious diseases through education and treatment، these efforts have not been sufficient to protect individuals from the physical and mental harm caused by these diseases. For instance، the emergence of a new disease، Covid-19 (which causes respiratory infections)، has had a devastating ef-

01	dah sah 91-DIVOC no tcapmi evitagen a -yolpme emit-trap ecivres dna tnem suoigiler rof krow sstiruot	32.4	115.0	98.61	98	00.0	-noC demrfi

Findings

The objective of the study was to assess the effects of Covid-19 on religious tourism within the statistical population in Iraq. The questionnaire was distributed to the statistical population and the results are presented in Table 2. This test can be used to determine the statuses of each component of religious tourism within the population. As each item was scored on a five-point scale، the average score of 3 was used as the average level of the test. It is important to note that a score higher than 3 indicates a greater and more detrimental effect of Covid-19 on the level of religious tourism. The results of the survey are summarized in Table 2، with responses ranging from strongly disagreeing with the results to strongly agreeing with the results. After extensive interviews with managers and staff in tourism-related businesses، it was determined that Covid-19 has had a detrimental effect on the volume of religious tourists in

6	dah sah 91-DIVOC tcapmi evitagen a tnemevorpmi eht no fo tnempoleved dna ot eud erutcurstarfni -iler fo lavirra eht .sstiruot suoig	65.3	904.0	89.7	98	00.0	-noC demrfi
7	dah sah 91-DIVOC tcapmi evitagen a tnempoleved eht no sgninrae tropxe fo -ruot suoigiler morf slavirra sti	17.3	433.0	87.9	98	00.0	-noC demrfi
8	dah sah 91-DIVOC no tcapmi evitagen a gnistixe fo esu eht -ed seitilibapac lacol suoigiler morf devir .sstiruot	28.3	182.0	56.21	98	00.0	-noC demrfi
9	dah sah 91-DIVOC tcapmi evitagen a dna tnemyolpme no ot detaler seitivitca .msiruot suoigiler	19.3	234.0	14.11	98	00.0	-noC demrfi

2	del sah 91-DIVOC -me ni esaerced a ot -inutroppo tnemyolp -iler yb detaerc seit .sstiruot suoig	37.3	094.0	54.9	98	00.0	-noC demrfi
3	del sah 91-DIVOC cimonoce na ot tfarc eht ni nrutnwod .edart	31.4	431.0	32.41	98	00.0	-noC demrfi
4	-gen sah 91-DIVOC eht detceffa ylevita -nanfi fo tnemevom latipac laic	77.3	192.0	37.8	98	00.0	-noC demrfi
5	dah sah 91-DIVOC tcapmi evitagen a ngierof gnitcartta no -er morf tnemstevni .sstiruot suoigil	98.3	013.0	21.01	98	00.0	-noC demrfi

collecting the data. Additionally، the appropriateness of sampling had to be evaluated before the data analysis stage، based on the various occupational groups that had been contacted for data collection. The results of the analysis presented in Table 1 demonstrate that the sampling was adequate، thus the collected data can serve as the basis for the analysis. Furthermore، the Cronbach's alpha value indicates the suitability of the instrument used.

Table 1: Kaiser -Meyer-Olkin (KMO) and Bartlett's test

Test KMO	0.883
Bartlett's test and its significance	
Chi-squared test	8342.543
.Sig	0.00
Cronbach's alpha	0.914

Table 2: Sample t-test of the questionnaire

.oN	stnenopmoc/secidnI	naeM (5-1)	[1]DS	[2]T eulav	[3]fd	P eulav	tluseR
1	-er sah 91-DIVOC fo emocni eht decud sstiruot suoigiler	89.3	283.0	32.61	98	00.0	-noC demrfi

(1) 1. Standard Deviation

(2) 2. T-Student

(3) 3. Degree of Freedom

Methodology

The primary objective of the study was to assess the impact of the coronavirus pandemic on religious tourism. The authors conducted a qualitative analysis of the data with the help of a questionnaire consisting of 10 questions (partone prasetio 2022، Table 2). The authors used Cronbach's Alpha Coefficient to analyze the inferential data. Additionally، the authors used (KMO)[1] tools and the Bartlett's Test (SPSS 20) to assess the internal consistency. Furthermore، the significance of the data was considered to be statistically significant when the significance was below 0.05. The reliability of the instruments was further confirmed by Cronbach's Alpha (0.914). The study focused on 90 Iranian managerial and non-management personnel employed in the restaurant، hotel، grocery store، clothing store and souvenir shop sectors in the vicinity of Samarra، a religious city.

The data analysis was conducted in the SPSS software on the basis of the comments received from respondents regarding Covid-19، pilgrims and tourists who had visited the above-mentioned areas in the preceding year to purchase goods or services، and the main question placed by the evaluated research after

(1) Kaiser-Meyer-Olkin

practices of the past; express the people's expression of the past and lead to guidance; utilize travel and capital; generate a dynamic economic turnover; transfer language، cultural، scientific and civilizational knowledge; acquire knowledge of ethnicities and cultural and linguistic diversity of others; and benefit from their knowledge and transfer it to the population and their region

The Quran encourages individuals to travel in order to experience the wonders of the past and to gain knowledge from it. It also encourages them to be thankful for the blessings of God، to gain knowledge of God based on His providence and providence، to comprehend the mystery of creation، to contemplate various matters and the past، and to learn from the hadiths. Tourism is a key component of Islam، and has been emphasized by the Holy Prophets. Travel and its benefits include physical and mental health، knowledge acquisition، understanding of the social habits and customs of other countries، learning of science، alleviating grief and sorrow، and providing livelihoods and employment. Additionally، it encourages the contemplation of God's blessings and healthy entertainment and leisure.

Hypothesis: Covid-19 has had a significant impact on religious tourism in Samarra in 2023.

Covid-19 caused panic among the population، resulting in a decrease in tourism demand.

The economic development and tourism sector of Isfahan City has been significantly impacted by the Covid outbreak، with Rahimi Lanji's study (1401) concluding that the virus had a considerable effect on the GDP indicators، the income multiplication factor for direct jobs، and the secondary activities in the tourism sector. This study was further analyzed and documented by Landran Ihsfahani (1401)، who demonstrated that the distress caused by Corona had a direct and significant impact on the tourism situation in Isfahan city.

Tourism in Quran

Many verses of the Qur'an refer to travel and encourage people to travel to other parts of the world. The Holy Qur'an commands people to travel by using the word "travel" directly (e.g. verse 20; verse 42; verse 42; nahl; verse 36; namal; verse 69; mubarakah anam; verse 11; surah al-Imran; verse 137)، or indirectly (e.g.، verse 109; verse 9; verse 9; surah fatir; verse 44; verse 21; surah Muhammad; verse 10). The Qur'an states that the objectives and advantages of tourism are to: observe educational works; express gratitude; gain knowledge of theology; comprehend the process of creation; reflect on the events and circumstances of the past; gain knowledge of the traditional

were 39.1 million trips to the Middle East from which the number is projected to increase to 159 million trips by 2030. This region has become the hub of religious tourism worldwide due to its emphasis on (Islam، Christianity and Judaism).

Taheriniya and Hassanvand (2019) conducted an analysis of the economic impact of Covid-19 on Iran's economy، concluding that the employment and unemployment rates during the winter and spring of 2019 respectively had a downward trend in employment and a rise in unemployment. Additionally، Sagari Sawadjani and colleagues (2021) conducted an analysis of the effects of Covid-19 on the development of tourism in Yazd City from the point of view of the inhabitants، taking into account the historical context of the city. They concluded that the distress caused by the coronavirus pandemic had a positive and considerable impact on the development of Yazd in the historical context.

Sijaunivardi et al. (2021) examined the effects of the Coronavirus crisis on tourism and hotel sector in Iran and found that the outbreak of Coronavirus resulted in the closure of most of the industries and businesses، particularly the tourism sector and consequently the hotel sector.

Abubkar & Rozbi (2020)، examined the effects of Covid-19 on the tourism sector in Malaysia. His findings showed that the

as cultural activities such as performing religious practices and learning about religious places around the world. All religions are included in religious tourism، and individuals may visit religious sites multiple times in order to gain a better understanding of them.

The concept of religious tourism is broadly defined as a form of tourism with a religious or combination of religious and non-religious motivations، which encompasses the pilgrimage to holy sites، such as temples and churches، mosques and tombs، as well as shrines. This definition distinguishes between religious tourists who travel to the holy sites of their religion (e.g. Muslims to Mecca and shrines in Iraq) and non-Christian tourists who travel to religious sites but visit other churches. The origin of religious tourism can be traced back to the pilgrims who visited their holy sites. In short، religious tourism is a novel and progressive form of travel.

Religious tourism has become an integral part of global tourism due to its unique structural and functional characteristics. According to estimates، religious tourism accounts for 26% of total tourism flows. The World Tourism Organization (WTO) reports that between 300 and 330 million pilgrims annually travel to the world's religious sites. This number has increased significantly each year. Furthermore، in 2005، there

The tourism industry has seen a significant increase in growth over the past decade، with one in every five new job openings being attributed to the sector. Statistics indicate that 10.5 percent of the global GDP[1] is dedicated to travel and tourism، whereas the global economy experienced a growth of 2.5 percent during the pre-covid-19 period. The tourism industry has grown at a rate of 3.5 percent، which has been 1 percent higher than other economic sectors [2]. The Covid-19 pandemic has resulted in a significant reduction in passenger traffic to the country، with millions of domestic and international tourists journeying to the country for religious purposes. Iraq is a highly sought-after religious tourism destination among Muslims، particularly Shiites، due to its unique religious characteristics and the presence of the Shrine of the infallible Imams.

Religious tourism has been a long-standing and successful form of tourism in Iraq، rooted in the country's religious culture. Services and tourism are the primary sources of economic and income for the religious cities، and the country was at the height of its tourism boom when the pandemic hit and restricted many of its tourism facilities. In general، religious tourism encompasses visits to temples، holy sites and shrines، as well

(1) Gross Domestic Product

(2)Borimnejad & Dehyouri

This virus has had a devastating impact on the world، spreading rapidly from country to country in a matter of four months. The virus is caused by a non-renewable RNA (RNA[1]) virus that infects the respiratory system and spreads rapidly from individuals. In Iraq، the fight against the virus is being conducted at a country-wide level and is progressing apace. However، due to the novelty of the virus and the limited information available on its pathogenesis and methods of control and treatment، the most effective way to address the virus is to prevent its spread.

The Covid-19 pandemic has had a significant impact on all aspects of the global economy، politics، social life and even military operations. The tourism industry has been one of the sectors most affected by the virus. The global stature of the tourism industry and its contribution to the economic and social growth of countries، particularly those in developing countries، has increased the focus on its various aspects. However، in recent years، the industry has experienced fluctuations and has faced difficult times due to the onset of the pandemic. Tourism services have been particularly affected by the COVID-19 pandemic، with global statistics indicating a decrease of approximately 82% in international travel in Asia.

(1) Ribonucleic Acid

amount of tourists and the number of visits to religious centres and cities remain consistent over time، regardless of changes in the weather. However، the location is not the most significant issue in this form of tourism. Rather، the experience begins from the point of departure and encompasses the entire journey and the events that occur during the journey. Furthermore، religious tourism plays a fundamental role in social life in Islamic countries. Not only does it have economic and financial implications، but it also facilitates communication between Islamic societies and facilitates the interaction of nations and cultures with commonalities [1].

It is therefore essential to identify the factors that influence religious tourism. Given the challenges posed by Covid-19's rapid global spread، this study aimed to assess the effects of Covid on religious tourism in Samarra، Iraq in 2023.

Literature Review

The coronavirus (Covid-19) was a novel and genetically modified form of the coronavirus (SARS[2]-CoV-2) that was first identified in December 2019 in the Chinese city of Wuhan[3].

(1) Farahani & Henderson

(2) Severe Acute Respiratory Syndrome

(3) Li et al.

Introduction

In the modern era، travel has become an essential part of social life and a key factor in communication in a variety of cultural، social، and political contexts. As a vibrant industry with distinct characteristics، the tourism sector has become a major contributor to the economic and productive activities of both developed and developing nations. Tourism is one of the most important things people do in their lives، and that's why it's a big part of theology in every religion، especially Islam.

Religiously-based tourism encompasses a wide range of sites، works، customs and religious practices، which have become integral components of tourism. Islam and Muslims، in particular، have been a key component of this sector، as Hajj ceremonies، pilgrimage to sanctuaries and the celebration of Muslim mourning or religious festivals have been some of the most significant religious tourism events globally. Islam is renowned for its comprehensive understanding of all aspects of humanity، both material and spiritual، and its commitment to meeting the needs of all people. Tourism can be divided into various categories، including nature، heritage، health، sports، and electronic.

Religious tourism، on the other hand، is a form of tourism that bypasses atmospheric obstacles، thus ensuring that the

cial establishments in the vicinity of the Imams' and religious place of Samarra in Iraq. The participants were presented with a questionnaire consisting of 10 questions(1) each with a five-point rating scale، which was administered using a One-Sample T-test in (SPSS)(2). The T-test was designed to compare the answers to the average of the respondents' questions، with a threshold value of 3. The findings of the study indicated that، during the Corona Pandemic، the number of Iranian pilgrims to Samarra، as well as the economic components of the pandemic and the employment related thereto، decreased significantly.

Keywords: religion، religious tourism; Muslims; Covid 19 pandemic; Samarra; Iraq.

(1) Partono Prasetio

(2) Statistical Package for the Social Sciences.

Abstract

Tourism as a sector has emerged as one of the fastest-growing sectors of the global economy today and has distinct features from other sectors. In the tourism sector، the production and consumption of goods and services take place simultaneously. It is important to note that the COVID-19[1] pandemic of 2019 has caused many problems in the tourism sector، such as the closure of tourist centers and the shutdown of tourism service chains such as food، entertainment، transport and travel services all over the world. This has resulted in a decrease in the growth and expansion of the global tourism industry. It is important to note that the tourism industry encompasses a variety of sectors، with religious tourism being the most prominent. All religions have distinct religious sites، works، customs and practices that have become a major draw for tourists. Muslims and the Islam religion are particularly prominent in this sector. Hajj، Pilgrimage to Blessed Places and Muslim Mourning Gatherings or Religious Festivals are among the most significant religious tourism occurrences in the world. Given the significance of this issue، this study was conducted to assess the effects of Covid-19 on religious tourism in 2023. This field study focused on 90 Iranian managerial and employee representatives of various commer-

(1) Coronavirus disease

البحث الثاني

Samarra: the Holy City Affected and the Impact of 19-by COVID the Arbaeen Walk on Religious Tourism

Dr. Akbar Heidary

Dr. Ali Bayat

Maryam Heidary

الفهرس

اللغة ٥

البحث الأول: وظائف السَّبك النَّصيّ في خطاب الزيارة الجامعة المرويّة عن الإمام علي الهادي عليه السلام ٧

البحث الثاني: خطاب الإمام العسكريّ عليه السلام دراسة في التركيب والدلالة ٤٥

البحث الثالث: أثر السياق في توظيف الإدراك الحسي رسائل ووصايا الإمام الحسن العسكري عليه السلام أُنموذجاً (دراسة وصفية) ٨١

البحث الرابع: القرائنُ العلائقيةُ في خطابِ الإمامِ الحسن العسكري عليه السلام دراسة دلاليَّة ١١٣

البحث الخامس: التوظيف النحوي للضمائر في دعاء الندبة دراسة ابستمولوجية ١٤١

البحث السادس: الشيخ الغراويّ وأثر أبعاد الزمان والمكان في ديوانه ١٧٧

البحث السابع: وصايا الإمام الحسن العسكري عليه السلام دراسة تحليلية دلالية..... ٢٢٣

البحث الثامن: دراسة تداولية بلاغية في بعض أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٢٥٥

A Pragma-rhetorical Analysis in Some Speeches of Al-Imam Al-Hasan Al-Askari 282

بحوث العمارة والآثار **٢٨٣**

البحث الأول: تعزيز القيم التراثية غير المادية في عمارة العتبة العسكرية المقدسة . ٢٨٥

البحث الثاني: تحليل دور المعمارية الاستراتيجية في تحقيق الاستدامة الشاملة للعتبة العسكرية المقدسة ٣٢١

البحث الثالث: تل الصوان (أُس المدينة العراقية) شاهد حضارة سامراء القديمة ٣٥١

البحوث الإعلامية ٣٩١

البحث الأول: المعالجة الإعلامية للقضايا المطروحة في صفحات العتبات على شبكات التواصل الاجتماعي «صفحة العتبة العسكرية المقدسة على الفيس بوك انموذجاً» ٣٩٣

البحث الثاني: سامراء: المدينة المقدسة المتأثرة بجائحة كوفيد-١٩ وتأثير مسيرة الأربعين على السياحة الدينية ٤٣٣

Samarra: the Holy City Affected by COVID-19 and the Impact of the Arbaeen Walk on Religious Tourism.....462